
فن الحرب
بارون دي جوميني
ترجمة
مركز نورس للدراسات
NORS

إهداء

إلى أمّتنا الإسلامية

إلى كل من يحمل السلاح دفاعاً عن قضيتنا

إلى كل حرٍّ، يرى في العسكرة سبيل الخلاص من الظلم

مقدمة المركز

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . . .

يقول الله تعالى: { وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }

وعَن أبي أُمَامَةَ رضيَ اللهُ عنهَ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليْه وسلمَ قالَ: « فَضْلُ العَالِمِ على العَابِدِ كَفَضْلِي على أدْنَاكًم »

يعاني العالم العربي والإسلامي من نقص شحيح في باب العلوم العسكرية التي يجب أن يمتلكها القادة العسكريون ليُديروا بها الحرب كلها لا المعارك فقط، وهذا النقص مردّه لغياب الفتوحات العسكرية عن عالمنا وانحراف المؤسسة العسكرية التي أصبحت موجهة لشعوبنا لا لعدوّها، إضافةً لتوقف حركة الترجمة العلمية للكتب التي تتناول هذا النقص، ويُسدّ بقراءتها وتَعلُّمِها هذا النقص.

وإننا في مركز نورس نقدم للقرّاء الأعزّاء هذا الكتاب الذي يُعتبر أحد أهم الأعمدة في هذا الباب لما له من تأثير في العسكرة وتاريخها. سائلين الله التوفيق والقبول.

تعريف بالكاتب

الجنرال البارون **أنطوان هنري جوميني *(1779-1869)*** ولد في بلدة بيرن في سويسرا لأب وأم إيطاليين. بعد إتمام دراسته في سويسرا انتقل الى باريس وعمل كاتباً لبنك مونسيس موسلمان. كانت انتصارات نابليون بونابرت في إيطاليا الدافع الرئيسي لترك عمله في التجارة والسمسرة والتحاقه بالجيش السويسري كنائب لقائد أحد المعسكرات. تدرّج جوميني في الجيش السويسري لخبرته الإدارية إلى أن أصبح مدير مكتب إداري في الجيش السويسري، فعمل فيه منظّماً لصفوف الجيش وكتائبه لمدة عامين. انتقل بعدها إلى باريس وعمل في أحد المصانع الحربية وبدأ بالكتابة في مبادئ الحرب وتاريخه مما استرعى انتباه الإمبراطور الفرنسي الذي عرض عليه منصباً في الجيش الفرنسي. قاتل جوميني مع جيش نابليون ضد البروس والنمساويين والإسبان تحت قيادة الجنرال ميشيل ناي وذلك من عام 1805 الى عام 1813، ونتيجة خلافه مع الضباط الفرنسيين الذين اغتاظوا من اهتمام نابليون به، فقاموا بشن حملة تشويه لسمعته، غادر على إثرها الجيش الفرنسي وانتقل للعمل مع الجيش الروسي كمستشار عسكري تحت قيادة ألكسندر الأول. عمل مع الروس على إيقاف تمدد نابليون في الشرق الأوربي، ثم أوقفه الروس عن مزاولة العمل العسكري الميداني قرب حدود الأراضي الفرنسية في عام 1826، وتم تكليفه بمهمة تنظيم الكلية العسكرية الروسية حيث يعتبر جوميني المؤسس والمنظم الحقيقي للكليّة العسكرية الروسية. استقال جوميني من الجيش الروسي في عام 1850 وانتقل للإقامة في مدينة بروكسل في بلجيكا. وفي عام 1854 استدعاه القيصر الروسي نيكولاس الأول لاستشارته في حربه على القرم. وفي عام 1859 استدعاه ملك فرنسا نابليون الثالث لاستشارته في حربه على إيطاليا.

يعتبر كتاب جوميني صاحب الفضل الأكبر في تأسيس المدرسة العسكرية الأمريكية الحديثة، حيث اعتمده الأمريكيون بشكل رئيسي في حربهم الأهلية عام 1865-1861 واعتُبر مذهباً عسكرياً استراتيجياً لهم.

تُوفي أنطوان هنري جوميني في عام 1869 في مكان إقامته في بروكسل ببلجيكا عن عمر 90 عام.

الفهرس

مسرح العمليات

قواعد العمليات

الخطوط والنقاط الاستراتيجية والنقاط الحاسمة لمسرح الحرب ونقاط الأهداف للعمليات

جبهات العمليات والجبهات الاستراتيجية وخطوط الدفاع والمواقع الاستراتيجية

مناطق وخطوط العمليات

الخطوط الاستراتيجية للمناورة

وسائل حماية خطوط العمليات بالقواعد المؤقتة أو بالاحتياط الاستراتيجي

الأنظمة القديمة والحديثة للحروب

مخازن التموين وعلاقتها بالعمليات

الجبهات [الحدود]، والدفاع عنها باستخدام الحصون والخطوط المحصنة – حروب الحصار

العلاقة بين المعسكرات المحصنة ورؤوس الجسور بالاستراتيجية

العمليات الاستراتيجية في المناطق الجبلية

الاجتياحات الكبرى والحملات البعيدة

خلاصة الاستراتيجية

الفصل الرابع: التكتيكات الكبرى والمعارك

المواضع والمعارك الدفاعية

المعارك الهجومية وأوامر المعركة

المناورات الالتفافية والحركة الممتدة كثيراً في المعركة

التقاء غير متوقع لجيشين أثناء التقدم

مباغتات الجيوش

الهجوم على المدن والمعسكرات المطوقة بالخنادق والخنادق والضربات الخاطفة السريعة بشكل عام

الفصل الخامس: عدة عمليات ذات خصائص مختلطة (جزء منها استراتيجية والجزء الأخر تكتيكي)

المفارز التضليلية والكبيرة

عبور الأنهار والمجاري الأخرى

الانسحابات والمطاردات

المخيمات (المعسكرات) وفصل الشتاء

النزول أو الحملات البحرية

الفصل السادس: اللوجستيات أو فن تحريك الجيوش

عدة ملاحظات عامة على اللوجستيات

الاستطلاع ووسائل الحصول على معلومات دقيقة عن تحركات العدو

الفصل السابع: تشكيل وتوظيف القطاعات للمعركة

تمركز القوات في خط (ساحة) المعركة

تشكيل وتوظيف المشاة

تشكيل وتوظيف الفرسان

تشكيل وتوظيف المدفعية

توظيف الأسلحة الثلاث

الاستنتاج

إضافة

الملحق الأول

الملحق الثاني

مخطط قواعد عمل الحملات البحرية

أوربا الوسطى
1805-1807

النروج

السويد

الدنمارك

مملكة بريطانيا

مملكة هولندا

مملكة بروسيا

الامبراطورية الروسية

مملكة ساكسونيا

ملكة بقاريا

امبراطورية النمسا

امبراطورية فرنسا

مملكة إيطاليا

مملكة إتروريا

بابوية الفاتيكان

مملكة نابولي

مملكة سردينيا

مملكة صقلية

مملكة اسبانيا

مملكة البرتغال

الدولة العثمانية

NORS Studies
مركز نورس للدراسات

NorsForStudies.org | Nors2017 | Nors.Studies | NorsForStudies



خلاصة فن الحرب

تعريف فن الحرب

يتألف فن الحرب بشكل عام من خمسة علوم عسكرية بحتة، وهي كالتالي: (الاستراتيجية، والتكتيكات الكبرى واللوجستيات والهندسة والتكتيكات).

سادس هذه العلوم (لم يتم الاعتراف بها حتى هذا اليوم كأحد علوم الحرب) هي الدبلوماسية وعلاقتها بالحرب. وعلى الرغم من أن هذا العلم أكثر ارتباطاً برجل الدولة [سياسي] مقارنة بالجنود، إلا أنه لا يمكن إنكار أهميتها لجميع قادة الجيوش إذا ما استثنينا الضباط المرؤوسين، فالسياسة تدخل في جميع التحضيرات المؤدية إلى الحرب، ولها ارتباط بمختلف العمليات التي تنفذ خلال الحرب، ومن هذا المنطلق يجب أن يكون للسياسة مكان في هذا الكتاب.

خلاصة: إن فن الحرب يتألف من ستة أجزاء متباينة وهي:

1. علاقة تدبير أمور الدولة [الحكم] بفن الحرب.
2. الاستراتيجية أو بعبارة أخرى فن تحريك الأجزاء الكبيرة من الجيوش على مسرح الحرب بشكل صحيح إما للدفاع أو الغزو.
3. التكتيكات الكبرى.
4. اللوجستيات أو فن تحريك الجيوش.
5. الهندسة وتعني كيفية الهجوم على التحصينات وكيفية الدفاع عنها.
6. التكتيكات الصغرى.

ويجب تحليل المزيج الأساسي من هذه العلوم الأربعة الأولى، وذلك بغض النظر عن التكتيكات وفن الهندسة. وأيضا من الواجب معرفة جميع أجزاء فن الحرب من قبل الجنرالات أو ضباط الأركان، إلا أن هذه المعرفة ليست ضرورية لرفع كفاءة ضباط المشاة أو الفرسان أو المدفعية.

الفصل الأول

علاقة تدبير أمور الدولة [الحكم] بالحرب

في هذا الفصل نظريات يستنبط منها رجل الدولة [السياسي] فيما إذا كانت الحرب مناسبة أو ضرورية أو واجبة، ويحدد من خلالها مختلف العمليات الضرورية لكسب الهدف من الحرب.

<u>تخوض الدولة حرباً لعدة أسباب ومنها:</u>

1. لاستعادة حقوق معينة أو للدفاع عنها
2. للحفاظ أو لحماية المصالح الكبرى للدولة كالاقتصاد أو الصناعة أو التجارة
3. لحماية الدول المجاورة التي وجودها ضروري للحفاظ على أمن الدولة أو توازن القوى
4. للوفاء بالعهود التي تتعلق بالتحالفات الدفاعية والهجومية
5. لنشر النظريات [المعتقدات] السياسية أو الدينية أو القضاء عليها أو حمايتها
6. لزيادة تأثير وقوة الدولة بالسيطرة على أراضي جديدة
7. للدفاع عن استقلالية الدولة في حال تعرضها للتهديد
8. للانتقام لشرف الدولة المهان
9. بسبب جنون الفتوحات (نشوة النصر)

يجدر الإشارة إلى أن هذه الأنواع المختلفة من الحروب تؤثر إلى حد ما على طبيعة ومدى الجهود والعمليات الضرورية لتحقيق النتيجة المطلوبة، فالطرف الذي يشعل الصراع قد يتحول إلى الدفاع، والطرف الذي تعرض للهجوم قد يتحول هو إلى الهجوم.

<u>قد توجد ظروف أخرى تؤثر على طبيعة ومجريات الحرب مثل:</u>

1. دولة تشن حرباً على دولة أخرى.
2. دولة تشن حرباً على عدة دول متحالفة فيما بينها.
3. عدة دول متحالفة تشن حرباً على دولة واحدة.

4. الدولة المشاركة في الحرب قد تكون طرفاً أساسياً في الحرب أو طرف مساعد لأحد أطراف الحرب الأساسيين.
5. في الحالة الأخيرة قد تدخل دولة في الصراع منذ البداية أو بعد نشوب الحرب.
6. قد يكون مسرح الحرب التي تخوضها الدولة أرض عدوها أو أرض دولة حليفة لها أو أرضها.
7. إذا كانت الحرب غزواً فقد تكون على أرض قريبة أو بعيدة، وقد تكون متأنية وحذرة أو متسرعة ومُغَامِرَة.
8. قد تكون الحرب حربا وطنية [قومية] إما ضد أنفسنا أو ضد العدو.[1]
9. قد تكون الحرب حرباً أهلية أو دينية.

يجب شن الحرب دائماً وفقاً للمبادئ الكبرى[2] لهذا الفن، مع توخي الحذر الشديد في طبيعة العمليات المراد تنفيذها، والتي تعتمد على ظروف كل حالة.

على سبيل المثال: 200000 جندي فرنسي يسعون لإخضاع الشعب الإسباني المتوحد خلف رجل واحد ضدهم، هؤلاء الجنود الفرنسيون لن تكون مناورتهم مشابهة لمناورة نفس العدد من الجنود إذا كانوا يتقدمون نحو فيينا أو مدينة أخرى بغرض إحلال السلام، أيضا لن تكون مناورة الجيش الفرنسي الذي يقاتل العصابات التابعة للجنرال مينا[3] كمناورة الجيش الذي يقاتل الروس في بورودينو[4]، ولا يستطيع الجيش الفرنسي أن يغامر بالتقدم نحو فيينا دون النظر لموقف الحكومات والشعوب الواقعة بين الراين والإن[5]، وبين الدانوب ونهر إلبه[6]. ويجب أن تقاتل الأفواج جميعها بنفس الطريقة، أما القادة والجنرالات فتحكمهم الظروف والأحداث.

---

[1] توضيح: كثورة ضد دكتاتور (أنفسنا) أو محتل (عدو خارجي)

[2] يقصد الكاتب المبادئ الستة التي تكلم عنها في المقدمة

[3] مينا: فرانسيسكو إسبوز إلوندين (17 يونيو 1781 - 24 ديسمبر 1836)، المعروف باسم فرانسيسكو إسبوز ي مينا، كان زعيم العصابات الإسبانية التي قاتلت الغزو الفرنسي لأسبانيا الذي قاده نابليون عام 1807-1814.

[4] بورودينو: بلدة تقع غرب روسيا ، حدثت فيها معركة بين الجيش الفرنسي بقيادة نابليون وبين الروس بقيادة ميخائيل كوتوزف في السابع من سبتمبر عام 1812 انتصر فيها الفرنسيون.

[5] الإن: نهر ينبع من جبال الألب ويصب في الدانوب ويمر بسويسرا والنمسا وألمانيا بطول 517 كم

[6] نهر إلبه من أهم أنهار أوروبا الوسطى، ينبع من جبال الكارابات في جمهورية التشيك ويخترق التشيك وألمانيا قبل أن يصب قرب مدينة هامبورغ في بحر الشمال بطول كلي 1,094 كم.

هذه الإعدادات التي ذكرناها تنتمي معظمها لموضوع تدبير الحكم [الدولة] بشكل أو بآخر، مع العلم أنه من الممكن إضافة أمور أخرى متعلقة فقط بإدارة الجيوش لتشكل مجتمعةً "السياسة العسكرية". هذه السياسة العسكرية لا تنحصر فقط في الدبلوماسية [السياسة] ولا في الاستراتيجية، وإنما هي أيضاً ذات أهمية كبيرة لكل من رجل الدولة [السياسي] والجنرال.

الموضوع الأول: الحروب الهجومية لاستعادة الحقوق

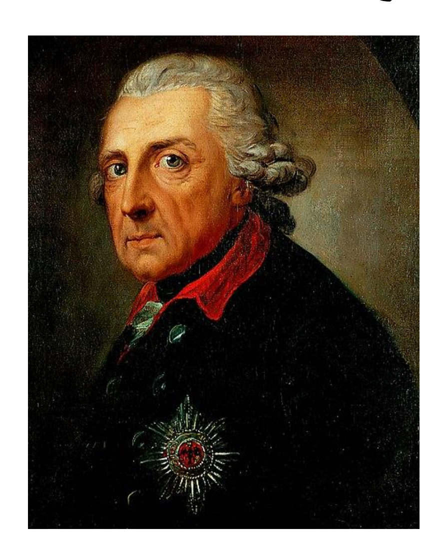
عندما تكون لدولة مطالب لدى دولة أخرى، فقد لا يكون من الأفضل فرضها بقوة السلاح. ومن الواجب النظر للمصلحة العامة قبل القيام بأي اجراءات. الحرب العادلة هي التي تكون للمطالبة بحقوق لا جدال فيها، إضافة لذلك يجب أن تكون نتيجة الحرب عائدة بفوائد متناسبة مع التضحيات المطلوبة والمخاطر المتوقعة. ومع الأسف فإن الكثير من الحروب تحدث للمطالبة بحقوق مزعومة ومتنازع عليها، على الرغم من أنها في الظاهر قائمة على المطالبة بإرث أو زواج أو وصية، إلا أنها في الواقع حروبٌ نفعية. وأبرز مثال على ذلك هو قضية خلافة التاج الإسباني تحت حكم الملك لويس الرابع عشر[7]، فقد طالب لويس الرابع عشر بوراثة العرش، وبدا أن الأمر حُسمَ بوصية رسمية وكان مدعوماً بالروابط العائلية وبتأييد شعبي لوراثة لويس الرابع عشر للعرش، إلا أن الأمر كان مرفوضاً من غالبية أوروبا، مما تسبب بتشكيل تحالف أوربي عام ضد الوريث الشرعي.



لويس الرابع عشر

[7] لويس الرابع عشر ملك فرنسا منذ 14 أيار 1643م حتى وفاته. لحسابات سياسية تزوج "ماري تيريز" "Marie-Thérèse" الإسبانية، وأنجبت له ستة أطفال، غداة موت ملك إسبانيا فيليب الرابع، ومطالبة لويس الرابع عشر بحق زوجته - ابنة الملك فيليب - بوراثة إسبانيا، شن الحرب على إسبانيا واستولى على حصون إسبانيا وقلاعها، فتصدى له حلف بريطاني -هولندي- سويدي اضطره إلى التفاوض معه وتوقيع صلح "إكس لاشابل" "Aix-la-Chapelle"، سميت هذه الحرب بحرب الأيلولة أو الوراثة واستمرت من 1701 حتى 1714.

أثناء الحرب بين النمسا وفرنسا، وجد فريدريك الثاني[8] الوقت مناسب للتذرع بمعاهدة قديمة، فاحتل محافظة سيليزيا[9]، مما زاد في قوة بروسيا. كان احتلاله لسيليزيا ضربة موفقة ؛ ذلك لأنه في حال فشله لا يمكن إدانته بهذا الاحتلال. كان لعظمة وأهمية الطموح الذي سعى إليه فريدريك الثاني مبرراً لحربه مع النمسا.



فردريك الثاني

لا يمكن وضع قواعد ثابتة لمثل هذه الحروب. لكن يمكنني القول بأن المراقبة والاستفادة من كل ظرف هي القاعدة التي يجب أن يُعمل بها في الحروب. يجب أن يكون هجوم دولة ما على دولة أخرى يتناسب مع النتيجة المراد تحقيقها. الخطوة الأكثر فطرية هي احتلال أراضٍ متنازع عليها، وبعدها تُنفّذ العمليات الهجومية وفقاً للظروف وتبعاً لقوة كل طرف، والغرض من ذلك تأمين مصير الأرض المسيطر عليها حديثاً من العدو، وتأمين وسائل لتهديد العدو في أراضيه. كل شيء يعتمد على تحالفات الأطراف، فمن الممكن تأمين الموارد العسكرية من دول أخرى. أثناء الهجوم يجب توخي الحذر من استفزاز أي دولة أخرى مما يساعد العدو الرئيسي، وهذا جزء من مهمة رجل الدولة [السياسي]، وتجنب ذلك يكون من خلال تقديم تفسير مناسب وضمانات مناسبة للدول الأخرى.

---

[8] فريدريك الثاني: فريدرش الثاني أو فريدريك ملك بروسيا (1768-1740). اشتهر بدهاءه في الحملات العسكرية وفي تنظيم الجيوش البروسية. كانت عملية دخوله لسيليزيا ضمن حرب الخلافة النمساوية (1748-1740) بحجة معاهدة قديمة تعود لعام 1537 ورفضه لحكم إمرأة للنمسا وكان الغرض من احتلال سيليزيا الاستفادة من مكانتها الاقتصادية لتقوية دولته.

[9] سيليزيا: مقاطعة تقع في الجزء الجنوبي الغربي من بولندا الحالية وكانت جزء من النمسا.

الموضوع الثاني: الحروب الدفاعية سياسةً والهجومية من المنظور العسكري

نادراً ما تحصل دولة ما على حقوقها المنصوص عليها في معاهدة قديمة مع دولة أخرى دون نشوب حرب، وتفضل الأخيرة الدفاع عن مناطقها باعتباره الخيار الأكثر شرفاً. إلا أنه من الأفضل أخذ المبادرة بالهجوم، بدلاً من انتظار الهجوم على أراضيها.

توجد مزايا عادة لصالح المهاجم في حال كانت الحرب على أرض العدو، وكذلك هناك مزايا للدولة التي تكون الحرب على أراضيها. فإذا كانت الدولة المهاجمة لديها قوة عسكرية جيدة مع وجود استقرار داخلي، إضافة لضمانها عدم تدخل طرف ثالث لصالح الطرف المدافع، فستكون الفائدة كبيرة من خوض المعركة على أرض العدو. هذا الأمر سيحمي أراضي الدولة من التخريب، وتكبد العدو التكاليف وترفع معنويات جنود الدولة وبالمقابل تنخفض معنويات جنود العدو.

أما في المقابل وبالمنظور العسكري الصرف فإن الدولة التي تقاتل على أرضها تمتلك مزايا عظيمة، لمعرفتها بجميع المعالم الطبيعية والصناعية على أرضها، فتكون تحركاتها مدعومة بمعرفة البلاد، إضافة لتأييد المدنيين ومؤسسات السلطة.

هذه الحقائق الواضحة لها تطبيقات في جميع توصيفات الحروب ؛ فإذا كانت المبادئ الاستراتيجية ثابتة فإن السياسة المتعلقة بالحرب متغيرة، وذلك تبعاً للرأي العام ودول الجوار والشخصيات السياسية وقادة الجيوش. حقيقة هذه التغيّرات تدل على أن الحرب لا تعرف قواعد معينة. تستند العلوم العسكرية على قواعد لا يمكن كسرها جزافاً بوجود عدو نشط وماهر، بينما الجانب السياسي والمعنوي [الفكري] يمثل الجانب المتغير. توضع خطط العمليات كما تتطلب الظروف، ولتنفيذ هذه الخطط يجب الفهم والعمل وفقاً للمبادئ الأساسية للحرب.

على سبيل المثال: فإن خطة الحرب ضد النمسا أو فرنسا أو روسيا ستختلف بشكل كبير عن خطة الحرب ضد حشود الأتراك الشجعان لكن الغير منضبطة، حيث تفتقر إلى النظام والقدرة على المناورة ولا تستطيع الثبات والصمود تحت الضربات.

الموضوع الثالث: الحروب النفعية

لقد كان غزو سيليزيا من قبل فريدريك الثاني، وحرب الخلافة الاسبانية[10] حروباً نفعية. وهناك نوعين للحروب النفعية:

1. حين تبادر الدولة القوية بالاستيلاء على الحدود الطبيعية لدولة أخرى لأسباب تجارية أو سياسية
2. بغرض التخفيف من قوة منافس خطير أو لمنع توسعه.

هذه الأخيرة هي حروب التدخل، ومن النادر أن تبادر الدولة منفردة بالهجوم على منافس خطير، بل ستحاول تشكيل حلف لهذا الغرض. تندرج هذه الأمور في الحكم أو الدبلوماسية [السياسة] أكثر من دخولها في الحرب.

الموضوع الرابع: الحروب مع الحلفاء أو دون حلفاء

إن الحرب مع حليف هو أمر مرغوب فيه بالطبع، وعلى الرغم أن الدولة العظيمة قادرة على التغلب على دولتين ضعيفتين متحالفتين، إلا أن التحالف يبقى خياراً أفضل من التفرق. لا يقتصر عمل الحليف على إرسال قوات دعم متفق عليها لحليفه، بل أيضاً يشكل تهديداً لجزء من حدود العدو التي كانت آمنة لولا هذا التحالف. على مر التاريخ لا يوجد عدو مهما كان ضعيفاً بحيث يمكن تجاهله أو احتقاره من قبل أي قوة مهما كانت عظيمة.

[10] حرب الخلافة الإسبانية أشرنا إليها سابقا في هامش التعريف بلويس الرابع عشر، وهي حرب نشبت في (1714 -1701) وتضمنت أيضا حرب الملكة آن في أمريكا الشمالية كانت حرب الخلافة الإسبانية صراعاً أوروبياً كبيراً بدأت بوادره بالظهور عام 1701 مع موت الملك الإسباني كارلوس الثاني وهو آخر ملوك سلالة هابسبورغ، كان كارلوس قد أورث كامل مملكته لفيليب دوق أنجو، وهو حفيد الملك الفرنسي لويس الرابع عشر فأصبح ملك إسبانيا باسم فيليب الخامس.

الموضوع الخامس: حروب التدخل

من الواضح أن التدخل في صراع بدأ للتو له مزايا أكثر بكثير من خوض حرب تحت أي ظرف أخر. فالدولة التي تتدخل تلقي بكامل قوتها وتأثيرها لصالح أحد طرفي الصراع بعد تقديرها لمآل الحرب، ويكون تدخلها في اللحظة الأمثل وبالاستعانة بمواردها بالشكل الأنسب.

هناك نوعين من التدخل:

1. التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى أو المجاورة
2. التدخل في العلاقات الخارجية للدول الأخرى أو المجاورة

يتعارض النوع الأول من التدخل مع الجانب الأخلاقي، ومع ذلك يتكرر مراراً. اكتسب الرومان قوة كبيرة لتدخلهم في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وأيضاً كان لشركة الهند الشرقية[11] نفوذ كبير بفضل هذه التدخلات. لا تنجح هذه التدخلات دائماً ؛ فعلى سبيل المثال: اكتسبت روسيا القوة بفضل هذه التدخلات في بولندا والنمسا، إلا أنها كادت أن تدمر نفسها لتدخلها في الشؤون الداخلية في فرنسا خلال الثورة الفرنسية. ويعتبر التدخل في الشؤون الخارجية للدول أكثر قانونية [شرعية]، وقد تعود بفوائد أفضل من التدخل الداخلي ؛ ذلك لأن التدخل في الشؤون الداخلية للدول يكون مشكوكاً في أحقيته، ومن المؤكد أنه يحق لأي دولة معارضة سياسة دولة أخرى بسبب نشرها الفوضى في المنطقة.

[11] شركة الهند الشرقية: وكذلك سميت بشركة جون، هي شركة تشكلت في البدء لمزاولة التجارة مع جزر الهند الشرقية، ولكن انتهى بها الأمر بالمتاجرة مع شبه القارة الهندية والصين .وكانت الأقدم بين العديد من شركات الهند الشرقية الأوروبية ذوات الأسماء المشابهة، وقد حصلت الشركة على تفويض ملكي إنجليزي، تحت اسم حاكم وشركة تجار لندن المتاجرين في جزر الهند الشرقية وبعد أن تحدت شركة إنجليزية منافسة الاحتكار في نهاية القرن السابع عشر، اندمجت الشركتان في 1708 ليشكلا الشركة المتحدة لتجار إنجلترا المتاجرين في جزر الهند الشرقية التي اشتهرت باسم شركة الهند الشرقية المحترمة. كانت إليزابيث الأولى ملكة إنجلترا قد أصدرت مرسوماً بإنشائها في 31 ديسمبر 1600 مانحة لها سلطات احتكارية على تجارة الهند وجميع مستعمراتها في جنوب شرق آسيا لمدة 21 عاماً. وذلك بأن تنفرد هذه الشركة بتولي جميع المعاملات التجارية. وبهذا تحولت هذه الشركة من مشروع تجاري إلى مؤسسة تحكم جميع الولايات الهندية وجميع مستعمرات التاج البريطاني في المنطقة وذلك بدعم سياسي وعسكري من بريطانيا. استمر ذلك حتى تم حلْ الشركة إثر اندلاع التمرد، والعصيان المدني في الهند عام 1858.

هناك أسباب طارئة للتدخل في الحروب الخارجية:

1. عملاً باتفاقية تلزم تقديم المساعدة لطرف يخوض حرباً مع دولة أخرى
2. الحفاظ على التوازن السياسي
3. لتجنب عواقب مضرة لحرب بدأت للتو
4. لتأمين فوائد معينة لا يمكن الحصول عليها بطريقة أخرى

التاريخ حافل بأمثلة لقوى سقطت وانهارت لإهمالها هذه المبادئ، "حيث تبدأ الدولة بالانحطاط عندما تسمح للأعداء والقوى الثانوية بالتوسع المفرط، حتى تصبح هذه القوى الثانوية قادرة على تغيير المعادلة إذا ألقت بثقلها في الوقت المناسب".

يُعد الظهور المفاجئ لجيش قوي وكبير كطرف ثالث في حرب شديدة التنافس أمراً حاسماً من الناحية العسكرية. الكثير من هذه الحالات تعتمد على الموقع الجغرافي فيما يخص الجيوش الموجودة أصلاً في الميدان. على سبيل المثال: في شتاء عام 1807، عبر نابليون نهر فيستولا[12] وجازف بالوصول لأسوار كونغسبورغ[13] جاعلاً النمسا خلفه وروسيا من أمامه. لو أرسلت النمسا جيشها في ذلك الوقت (الذي كان مؤلفاً من مئة ألف جندي) من بوهيميا[14] باتجاه نهر أودر[15]، فمن المحتمل له أن يقضي على جيش نابليون، كانت هناك الكثير من الأسباب التي تدعو للاعتقاد أنه لن يستطيع استرجاع نهر الراين. بدلاً من ذلك فضلت النمسا الانتظار بهدف تجهيز أربعمائة ألف جندي. وبعد سنتين دخل جيش النمسا المعركة وتعرض للهزيمة ؛ بينما كان من الممكن لمئة ألف جندي مجهزون بشكل جيد، أن يحددوا مصير أوربا في حال دخولهم المعركة في الوقت المناسب[16].

---

[12] نهر فيستولا: أطول نهر في بولندا طوله 1047 كم ينبع من جبال كارباثيان في جنوبي بولندا ثم يتخذ مجرى دائريا نحو الشمال ثم يشق مدينة وارسو ثم يصب من خلال عدة فروع في بحر البلطيق

[13] كونغسبرغ: كونغسبرغ هي التسمية التاريخية لمدينة كالينينغراد (حالياً تنتمي لروسيا) وتقع على بحر البلطيق وحين كان يحاصرها نابليون كانت العاصمة المؤقتة لبروسيا بعد سقوط برلين.

[14] بوهيميا: منطقة تاريخية في أوروبا الوسطى. تحتل الأجزاء الغربية ومعظم الأجزاء الوسطى من جمهورية التشيك حالياً. وكانت في ذلك الوقت جزء من الإمبراطورية النمساوية.

[15] أودر: نهر الأودر هو نهر يبلغ طوله 866 كلم، يقع في وسط أوروبا بين بولندا وألمانيا. ويصب نهر الأودر في بحر البلطيق عن طريق بحيرة ستاتين.

[16] كانت تلك الحرب هي حرب التحالف الرابعة وهو صراع عسكري دام بين عامي 1806 - 1807 في أوروبا الغربية بدأ عندما تم تشكيل تحالف أوروبي للهجوم على إمبراطورية فرنسا في عهد نابليون بواسطة روسيا وبروسيا وساكسونيا وبريطانيا العظمى. توجه نابليون نحو كونغسبرغ جاء بعد احتلال فرنسا لبولندا نهاية عام 1806. إثر تفويت هذه الفرصة في القضاء على نابليون تعرضت النمسا لهزيمة من فرنسا عام 1809 في حرب التحالف الخامسة.



نابليون الأول إمبراطور فرنسا

هناك عدة أنواع من الحروب ناتجة عن هذين النوعين من التدخلات:

1. التدخل بشكل الثانوي، وبقوة محددة منصوص عليها بمعاهدات مسبقة.
2. التدخل لدعم دولة ضعيفة مجاورة لحماية أرضها، وفي هذه الحال يتم نقل المعركة إلى دولة أخرى
3. تتدخل الدولة كطرف أساسي في الحرب إذا كان مسرح الحرب قريب منها، مما يؤدي إلى احتمال نشوء تحالف من عدة قوى ضد دولة واحدة.
4. تتدخل الدولة في صراع كان قد بدأ أو قبل أن يبدأ.

عندما تتدخل دولة بقوة صغيرة فقط تطبيقاً لشروط معاهدة، فإن هذا التدخل مجرد تدخل شكلي، وليس له صدى كبير في مجرى العمليات الرئيسية، أما إذا كان التدخل كطرف أساسي وبقوة عظيمة فإن هذه الحالة مختلفة تماماً.

تتباين الفرص العسكرية في مثل هذه الحروب. كان للجيش الروسي دورا ثانوياً في الصراع بين النمسا وفرنسا خلال حرب السبع سنوات[17]، ومع ذلك لعبت دوراً رئيسياً في الشمال إلى أن احتلت بروسيا. لكن عندما قاد الجنرالين فيرمور[18] وسالتيكوف[19] الجيش حتى وصلوا إلى

[17] حرب السنوات السبع ويطلق عليها أيضاً الحرب البومرانية هي حرب جرت بين عام 1756 م وعام 1763 م. وقد شاركت فيها بريطانيا وبروسيا ودولة هانوفر ضد كل من فرنسا والنمسا وروسيا والسويد وسكسونيا. وكانت روسيا حين ذلك في عهد الملكة إليزابيث تدعم النمسا وفرنسا ضد بروسيا وبريطانيا.

[18] ويليام فيرمور: ضابط في الجيش الإمبراطوري الروسي، اشتهر بقيادة جيش بلاده في معركة زورندورف خلال حرب السبع سنوات.

[19] بيوتر سيميونوفيتش سالتيكوف كان سياسياً روسياً وضابطاً عسكرياً، وترقى إلى رتبة مشير في 18 أغسطس 1759.

براندنبورغ[20]، كان عملهم هذا لصالح النمسا فقط، وكان مصير هذه القوات البعيدة عن قواعدها يعتمد على حسن أو سوء مناورة حلفائها[21]. رحلة طويلة كهذه تعتبر خطرة وعملياتها معقدة بشكل عام، حيث أظهرت حملات عام 1799 و1805 نماذج حزينة لما تؤول إليه مثل هذه الرحلات، وسنشير إليها في الموضوع 29 للمناقشة في الجانب العسكري لمثل هذه الحملات. يؤدي ذلك لتعرض الجيش للمخاطر بسبب التدخل في مناطق بعيدة. ويوجد ميزة في المقابل وهي حماية البلاد من أي هجوم، وذلك لبعد الحرب عن أراضي الدولة، فما هو معاناة بالنسبة للجنرال قد يكون في نفس الوقت ميزة ايجابية بالنسبة للدولة.

من الأمور الأساسية والمفضلة في مثل هذه الحروب أن يتمتع الجنرال العسكري بفكر سياسي، ويضع شروطاً واضحة مع الحلفاء فيما يخص دور كل طرف في العمليات الرئيسية، وكذلك من أجل الاتفاق على أهداف متوافقة مع المصالح المشتركة. بإهمال هذه الاحتياطات فشلت الكثير من التحالفات، أو بقيت في صراع شديد مع قوى أكثر اتحاداً، رغم ضعفها مقارنة بالحلفاء.

النوع الثالث من أنواع التدخل يكون بتدخل الدولة بكل قوتها، وبالقرب من حدودها، وهذا النوع من التدخل يعود على الدولة المتدخلة بمنافع كبيرة أكثر من المنافع في بقية أنواع التدخل. كان للنمسا فرصة من هذا النوع في عام 1807[22]، إلا أنها فشلت في الاستفادة من هذه الفرصة. وفي عام 1813 حصلت النمسا على فرصة أخرى حيث كان قد جمع نابليون قواته في سكسونيا ناقلاً جبهة العمليات بالاتجاه المعاكس. قام الجيش النمساوي الذي كان على ثقة تامة من النصر بالهجوم بقوات مؤلفة من مئتي ألف جندي على جيش نابليون، واستعادت النمسا خلال شهرين من المعارك[23] امبراطورية إيطالية ونفوذها في ألمانيا التي كانت قد خسرته خلال الخمسة عشرة سنة الفائتة إثر الكارثة. في هذا التدخل لم تكن الفرص

---

[20] براندنبورغ: الأن هي محافظة ألمانية وسابقاً كانت ضمن بروسيا

[21] كان فيرمور قد تولى قيادة الجيش الروسي في غزو بروسيا حتى توجهه نحو برودنبيرغ حيث تولى محله سالتيكوف وأصبح تحت قيادته ومن ثم تمكن سالتيكوف من دحر الجيش البروسي، كان موقف الجيش الروسي حرجاً لولا إمدادات حلفائهم النمساويين.

[22] وذلك في حرب التحالف الرابعة

[23] هذه المعركة هي معركة درسدن التي وقعت في 26 و27 أغسطس عام 1813 ولم يُكتَب للنمسا النصر فيها، إلا أنها انتصرت على نابليون في معركة الأمم أو لايبزغ بعدها بشهرين

العسكرية لصالحها فقط بل حتى الفرص السياسية، مما أدى إلى أثر مضاعف وزيادة كبيرة في المنافع[24].

من المؤكد أن انتصار النمسا كان نتيجة لقرب مسرح العمليات من حدودها، مما سمح بأكبر قدر من إظهار القوة، وكذلك لأن النمسا دخلت في صراع جارٍ كان قد بدأ قبل دخولها فيه، وأيضاً من أسباب انتصار النمسا هو دخولها في الصراع بكامل مواردها وفي الوقت الأنسب لها.

هذه الميزة المزدوجة كانت أمراً حاسماً بالنسبة للملكيات القوية وحتى الصغيرة منها، حيث مكّنتها من الحصول على نفوذ مؤثر نتيجة استغلال هذه الميزة.

مثالان يرسخان هذا المفهوم:

المثال الأول كان في عام 1552 أعلن ناخب سكسونيا موريس[25] وبكل جرأة الحرب على شارلكان (كارلوس) الخامس[26] ملك إسبانيا وإمبراطور[27] ألمانيا وإيطاليا، والذي كان قد انتصر على فرانسوا الأول[28] وأحكم قبضته على فرنسا. مما أدى إلى نقل الحرب إلى مقاطعة تيرول[29] النمساوية وأوقفت مسيرة هذا الفاتح العظيم.

المثال الثاني كان في عام 1706 حيث أعلن دوق سافوا فيتوريو أميديو الثاني[30] الحرب على لويس الرابع عشر، مما أدى إلى تغير الأوضاع في إيطاليا، وكانت النتيجة تراجع

[24] حرب التحالف السادسة (مارس 1813 - مايو 1814)، والمعروفة في ألمانيا بحرب التحرير، وهي تحالف بين النمسا وبروسيا وروسيا والمملكة المتحدة والبرتغال والسويد وإسبانيا وعدد من الدول الألمانية التي هزمت فرنسا أخيراً وقادت نابليون إلى منفاه في الألبه. بعد الغزو الفرنسي الكارثي لروسيا عام 1812، انضمت القوى الأوروبية إلى روسيا والمملكة المتحدة والبرتغال والمتمردين في إسبانيا الذين كانوا في حالة حرب مع فرنسا

[25] موريس (21 مارس 1521 - 9 يوليو 1553) كان دوق (1541-1547)؛ ثم بعدها ناخب (1547-1553) لـ ساكسونيا

[26] شارلكان أو كارلوس الخامس هابسبورغ (24 فبراير 1500 - 21 سبتمبر 1558) ملك إسبانيا وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

[27] إمبراطور ألمانيا وإيطاليا: كانت ألمانيا وإيطاليا موحدة وتسمى المملكة الرومانية المقدسة للأمة الجرمانية

[28] فرنسوا الأول عاش (كونياك 1494م - رامبوييه 1547م) وهو ملك فرنسا (1515 - 1547م). وكان عدواً لدوداً لشارلكان ملك اسبانيا.

[29] حالياً مقاطعة نمساوية تقع في الجهة الغربي منها.

[30] فيتوريو أميديو الثاني فرانشيسكو دي سفويا الملقب ثعلب سفويا (تورينو، 14 مايو 1666 - مونكاليري، 31 أكتوبر 1732) وكان أيضاً ملك صقلية بين عامي 1713 و1720 عندما أصبح ملك سردينيا.

الجيش الفرنسي من ضفاف نهر أديجي[31] إلى أسوار تورينو، حيث واجهت الكارثة الكبرى التي خلدت الأمير يوجين[32].[33]

لقد شرحنا بما فيه كفاية لتوضيح أهمية وتأثير مثل هذه التدخلات الانتهازية، ويجب وضع المزيد من التوضيحات، لكنها لن تساعد في زيادة قناعة القارئ.

الموضوع السادس: الغزو للسيطرة ولأسباب أخرى

هناك نوعين مختلفين للغزو:

1. لمهاجمة دولة مجاورة
2. للهجوم على موقع بعيد عبر أرض قريبة مساحتها واسعة يقطنها أناس محايدون أو مشبوهون أو عدائيون.

من المؤسف أن حروب السيطرة تمنح الثراء، الاسكندر المقدوني وقيصر ونابليون بونابرت (في جزء من حياته المهنية) أثبتوا ذلك. على أية حال فهنالك قيوداً طبيعية لهذه الحرب لا يمكن تجاوزها دون تكبد خسائر كبيرة. قمبيز الثاني في النوبة[34] ودارا الأول[35] في سيكيثيا[36] والجنرال كراسوس[37] والإمبراطور يوليان (المرتد)[38] في فرثيا[39] ونابليون في روسيا[40] قدموا

---

[31] نهر أديجي نهر في شمال إيطاليا ينبع من مقاطعة بولزانو بالقرب من الحدود الإيطالية النمساوية ويصب في البحر الأدرياتيكي وهو ثاني أطول نهر في إيطاليا بعد نهر بو.

[32] الأمير يوجين من سافوي (18 من تشرين الأول 1663م – 21 من نيسان 1736م)، هو أحد أكثر القادة العسكريين نجاحاً في تاريخ أوروبا، مما جعله يتقلد أعلى مناصب البلاد في البلاط الإمبراطوري في فيينا.

[33] حصار تورينو : وقع حصار تورينو في أيار/مايو 1706 خلال حرب الخلافة الإسبانية، عندما هاجم ما يقرب من 44,000 جندي فرنسي-إسباني قلعة تورينو والتي كان يحميها حوالي 10,500 جندي من سافوي، والذين دافعوا عنها ببسالة حتى 7 سبتمبر تحت قيادة الأمير يوجين والدوق فيتوريو أميديو الثاني حتى أجبروا العدو على الانسحاب. استمر الحصار 117 يوما، وانتهى بتوقيع معاهدة أوتريخت لعام 1713 ومعاهدة راستات عام 1714. (تورينو مدينة تقع شمال غرب إيطاليا)

[34] قمبيز الثاني ملك الأخمينيين الفُرس ابن الشاه الإيراني قورش العظيم، فشل في حملته على النوبة لتهوره واستعداده السيء وسلوكه طريقا عبر الصحراء القاحلة التي أهلكت جيشه.

[35] دارا الأول، داريوس الأول (كما يسميه الفرس بداريوش الكبير هو الملك الأخميني الثالث حكم من 521 ق.م إلى 486 ق.م صهر سميردس، وابن ويشتاسب، وحفيد أرساميس. قاتل قبائل السكيثيين (وهم من البدو الرحل شمال إيران) الذين تمردوا عليه وهددوا طرقه التجارية بين سواحل البحر الأسود وآسيا الوسطى حتى أنهك جيشه نتيجة المسافات التي قطعوها والأمراض.

[36] سيثيا أو سقيثيا أو سكيثيا هي منطقة تاريخية سكنها السكيثيين من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الثاني بعد الميلاد وتقع بين شرق أوروبا وأسيا الوسطى.

[37] ماركوس ليسينوس كراسوس (53 - c. 115 قبل الميلاد) قائد عسكري وسياسي روماني لعب دوراً رئيسياً في تحول الجمهورية الرومانية للإمبراطورية الرومانية. قاد حملة عسكرية على الإمبراطورية الفرثية (بلاد فارس) انتهت بهزيمته الساحقة ومقتله في معركة حران في تركيا.

[38] يوليانوس (يوليان المرتد - يوليانوس الجاحد) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية (361–363م) حاول يوليانوس المرتد أن يعيد احياء الوثنية في الإمبراطورية الرومانية في عام 361 لكنه فشل، قاد حملة على الساسانيين (لعل المؤلف أخطأ في تسميتهم فرثيين وهم سلالة فارسية أقدم من الساسانيين) انتهت بمقتله وهزيمة حملته.

[39] فرثية أو بارثية أو فارثية هم السلالة المؤسسة للإمبراطورية البارثية أو بارثيا هو اسم منطقة تاريخية في شمال شرق إيران تعادل تقريبا غرب خراسان عرفت بكونها المركز السياسي والثقافي للسلالة الأرشكية التي حكمت الإمبراطورية البارثية. التي حاربت السلوقيين ثم الرومان وبقى سلطانها خمسا وسبعين وأربعمائة سنة (249 ق م- 226 م)

براهين دموية لهذه الحقائق. على أية حال حب السيطرة لم يكن الدافع الوحيد لنابليون؛ فموقعه الشخصي أو تنافسه مع انكلترا دفعه للمجازفة بغرض تحقيق التفوق والعظمة. لقد كان يحب الحرب فعلاً، لكنه أيضاً كان ضحية ضرورة النجاح في جهوده أو الإذعان لإنكلترا، قد يُقال أنه أُرسِل للعالم ليعلم الجنرالات والسياسيين ما عليهم أن يتجنبوه.

علمتنا انتصاراته ما يمكن إنجازه بالسرعة والجرأة والمهارة، بينما علمتنا هزائمه كيف من الممكن تجنبها بالحكمة والتروي.

يعتبر الغزو دون سبب وجيه كما فعل جنكيز خان[41] جريمة ضد الإنسانية، لكن عندما يكون التحرك لدوافع حسنة أو مصالح كبرى فمن الممكن تبرير هذا التحرك أو حتى استحسانه. اختلف الغزو الإسباني عام 1808 عن الغزو في عام 1823 في الأهداف والنتائج، كان الغزو الأول هجوماً مخادعاً وظالماً وهدد وجود الأمة الإسبانية، وتسببت الحرب بتدمير من أشعلها. بينما الغزو الثاني الذي كان يقاتل مبادئ خطيرة، عزز المصالح العامة للدولة، وحقق انتصاراً أكثر سهولة وذلك لأن أهدافه لاقت تأييداً من عامة الشعب الإسباني.

تظهر هذه النماذج أنه ليس من الضروري أن يكون لكل الغزوات نفس الطابع، فقد تسبب الغزو الأول بسقوط نابليون، أما الغزو الثاني فكان سبباً لاستعادة العلاقات بين فرنسا وإسبانيا التي كان ينبغي لها أن لا تتغير[42].

نأمل أن يكون الغزو نادراً، ومع ذلك أن تهاجم خيراً من أن تتعرض لهجوم. ولنتذكر أن أفضل طريقة لكبت الرغبة بالسيطرة هي مقابلة التدخل بتدخل آخر في الوقت المناسب.

---

[40] الغزو الفرنسي لروسيا الذي كان في العام 1812 كان نقطة تحول في الحروب النابليونية. هذه الحرب تعرف في روسيا بالحرب الوطنية. تعرف الحرب الوطنية أيضا باسم "حرب 1812" كان هدف نابليون من الحرب هو إجبار قيصر روسيا ألكسندر الأول على وقف التجارة مع بريطانيا مما كان سيدفعها برأيه لقبول الصلح مع فرنسا. أما الهدف السياسي الرسمي من الحرب فكان تحرير بولندا من التهديد الروسي. لذلك أطلق نابليون اسم "الحرب البولندية الثانية" على حملته لكى يكسب تعاطف البولنديين وليوفر غطاء سياسيا للحملة. انتهت حملة نابليون بالهزيمة نتيجة لاتباع الروس سياسة تأخير المواجهة الحاسمة وإطالة أمد الحرب ومع هجمات الفلاحين الروس على الفرنسيين ونقص الإمداد والبرد القارس أدى كل ذلك إلى هزيمة الجيش الفرنسي.

[41] جنكيز خان (1227 - 1165) م وهو مؤسس وإمبراطور الإمبراطورية المغولية والتي اعتبرت أضخم إمبراطورية في التاريخ ككتلة واحدة بعد وفاته، توسعت بعد أن قتل الملايين من سكان البلاد التي يحتلها، وقد ارتكب مجازر كبيرة بحق المسلمين

[42] حرب الاستقلال الاسبانية هي حرب نشبت عام 1808 حتى 1814 ضد فرنسا بقيادة نابليون على اثر احتلالها لإسبانيا، كان سبب الاحتلال لإزالة الاطراف الموالية لبريطانيا في البلاط الاسباني وتم على إثرها إزالة الملك شارلز السادس وولي عهده وتنصيب نابليون لأخيه جوزيف ملكا على اسبانيا ،وتم ذلك بالحيلة والغدر، إذ كانت إسبانيا أصلا في حلف مع فرنسا. تم إدخال القوات الفرنسية كذلك بالحيلة بزعم إيصال إمدادات للقوات الفرنسية التي كانت محتلة البرتغال واحتلت فرنسا على إثرها إسبانيا مما سبب موجة من المقاومة الشعبية التي عرفت في ذلك الوقت لأول مرة بحرب العصابات. كانت نهاية الحرب هزيمة فرنسا هزيمة مذلة خرجت على إثرها من إسبانيا.
أما عام 1823 دخلت فرنسا (الملكية) لإعادة الملك فيرناند الذي انقلب عليه الليبراليون ضمن حملة أبناء القديس لويس العسكرية ولم تلق مقاومة من قبل الشعب الاسباني.

ولينجح الغزو يجب أن يكون متناسباً في الحجم مع النتائج المرجوة ومع العوائق المتوقعة والتي يجب تجاوزها.

الغزو ضد شعب ثائر ومستعد لكل التضحيات يعتبر مجازفة خطيرة وخاصة إن كان الشعب مدعوماً من دولة مجاورة قوية، وتجلى ذلك بصورة واضحة في الحرب الإسبانية عام 1808 وكذلك في حروب الثورة الفرنسية عام 1792 و1793 و1794. في الحروب الأخيرة صحيح أن فرنسا كانت مستعدة عسكرياً أفضل من إسبانيا، لكنها كانت بدون حليف قوي وبالتالي قامت كل أوروبا بمهاجمتها عن طريق البر والبحر.

تسبب الغزو الروسي لتركيا[43] (رغم اختلاف الظروف) في إحياء القومية [الوطنية]، وحرض الحقد الديني العثمانيين لحمل السلاح، لكن الدافع نفسه كان ضعيفاً بين اليونانيين الذين كانوا ضعف عدد العثمانيين. لو تم تنسيق المصالح بين الأتراك واليونانيين كما حدث بين فرنسا والألزاس[44] لكان الشعب موحداً وأقوى، ولكنه سيفتقد لعنصر التعصب الديني. في عام 1828 أثبتت الحرب قوة الأتراك على الحدود لوجود نخبة قواتها هناك، أما الداخل فكان ضعيفاً.[45]

حين لا توجد مخاوف عند غزو دولة مجاورة من سكان تلك الدولة فإن المبادئ الاستراتيجية تشكل المسار. الشعور المتداول أن غزو إيطاليا والنمسا وبروسيا كان سريعاً[46] (سيتم مناقشة النقاط العسكرية في الموضوع 29). **ولكن إن كان الغزو بعيداً ويتطلب الدخول لأراضٍ واسعة فإن نجاحه يعتمد على الدبلوماسية أكثر من الاستراتيجية**. الخطوة الأولى لضمان النجاح هو تأمين حليف مخلص وأمين ومجاور لدولة العدو، ويتكفل بإرسال التعزيزات من القوات، والأهم من ذلك أن يوفر قاعدة عمليات ومراكز تموين وملجأ آمن في حال حدوث

---

[43] سبب الحرب بين روسيا وتركيا هو دعم روسيا لحرب استقلال اليونان فنشبت الحرب الروسية التركية من 1828-1829. اندلعت الحرب بعد أن أغلق السلطان مضيق الدردنيل بوجه السفن الروسية وألغى اتفاقية أكرمان انتقاماً للمشاركة الروسية في معركة نافارين البحرية التي منعت العثمانيين من الحيلولة دون استقلال اليونان.

[44] ألزاس: هي منطقة ثقافية ولغوية وتاريخية وإدارية في شرقي فرنسا وعاصمتها هي ستراسبورغ. كانت تاريخياً محل نزاع مع ألمانيا.

[45] يقصد به السلطة العثمانية في اليونان كانت ضعيفة مما أدى لسهولة خروجها عن الحكم العثماني

[46] لعل المؤلف يقصد غزو نابليون لهذه الدول

كارثة، ويجب أن يكون الحليف حريصاً في السعي للانتصار لتقديم ما هو ممكن من أجل ذلك.

تعد الدبلوماسية عاملاً حاسماً في الحملات البعيدة، وأيضاً لها فوائد في الغزو القريب؛ ففي الغزو القريب أي تدخل عدواني قد يقضي على النجاح. غزو النمسا عام 1805[47] و1809[48] كان من الممكن أن ينتهي بشكل مختلف لو تدخلت بروسيا. غزو شمال ألمانيا عام 1807 (إذا جاز التعبير) لم يكن ليتم لولا موافقة النمسا .وفي روملي عام 1829 كادت أن تنتهي بكارثة لعدم وجود قيادة تمنع كل فرص التدخل بالمفاوضات.

[47] غزت فرنسا بقيادة نابليون النمسا رداً على انضمامها للحلف الثالث ضد نابليون واحتلالها لمملكة بافاريا الموالية لفرنسا

[48] وذلك في حرب التحالف الخامسة، وهي حرب اندلعت عام 1809 بين تحالف يضم مجموعة من الدول أبرزها الامبراطورية النمساوية، والمملكة المتحدة ضد الامبراطورية الفرنسية والدول التابعة لها وحلفائها بقيادة نابليون الأول. وقعت الاشتباكات الرئيسية بين فرنسا والنمسا، المساهمين الرئيسيين في الحرب، كانت معاهدة شونبرون الناتجة عن الحرب أقصى ما فرضته الامبراطورية الفرنسية على الامبراطورية النمساوية في الذاكرة الحديثة.

الموضوع السابع: الحروب العقائدية

بالرغم من أن الحروب العقائدية والحروب الأهلية والحروب القومية [الوطنية] متداخلة، إلا أنها تختلف فيما بينها، وهذا الاختلاف يكفي لتقسيمها لأنواع مختلفة. قد تكون الحروب العقائدية داخلية أو داخلية وخارجية أو خارجية فقط (وهذا نادر). تعتبر الحروب العقائدية بين دولتين من حروب التدخل، يكون سببها رغبة أحد الطرفين في نشر معتقداته في دول الجوار، أو مذاهب ترغب في القضاء على غيرها، فتؤدي في كلتا الحالتين إلى التدخل. بالرغم من نشوء هذه الحروب من خلفيات مذهبية سواء كانت سياسية أم دينية، فإن هذه الحروب هي الأشد بؤساً؛ وذلك لأنها تثير في النفوس أشد الأحقاد (كالحروب القومية) فتصبح الحرب انتقامية وقاسية وبشعة.

الحروب الإسلامية والصليبية وحرب الثلاثين عاماً[49] وحروب العصبة[50] لها نفس الصفات. **عادة ما يتم اتخاذ الدين ذريعة لكسب القوة السياسية**، وكذلك الحرب ليست بعيدةً عن ذلك. خلفاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم اهتموا بتوسيع إمبراطوريتهم أكثر من اهتمامهم بتعاليم القرآن.[51] وفيليب الثاني[52] (الذي كان متعصباً كاثوليكياً) لم يساند التحالف الكاثوليكي في فرنسا بغرض تقوية الكنيسة الرومانية.[53] نتفق مع م.أنسيلوت: أن سبب شن لويس

---

[49] حرب الثلاثين عاما هي سلسلة صراعات دامية مزقت أوروبا بين عامي 1618 و1648 م، وقعت معاركها بدايةً وبشكل عام في أراضي أوروبا الوسطى (خاصة أراضي ألمانيا الحالية) العائدة إلى الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ولكن اشتركت فيها تباعاً معظم القوى الأوروبية الموجودة في ذاك العصر، فيما عدا إنكلترا وروسيا .في الجزء الثاني من فترة الحرب امتدت المعارك إلى فرنسا والأراضي المنخفضة وشمال إيطاليا وكاتالونيا .خلال سنواتها الثلاثين تغيرت تدريجياً طبيعة ودوافع الحرب : فقد اندلعت الحرب في البداية كصراع ديني بين الكاثوليك والبروتستانت وانتهت كصراع سياسي من أجل السيطرة على الدول الأخرى، بين فرنسا وهابسبورغ، بل ويعد السبب الرئيسي في نظر البعض، ففرنسا الكاثوليكية تحت حكم الكردينال ريشيليو في ذلك الوقت ساندت الجانب البروتستانتي في الحرب لإضعاف منافسيهم آل هابسبورغ لتعزيز موقف فرنسا كقوة أوروبية بارزة، فزاد هذا من حدة التناحر بينهما، ما أدى لاحقا إلى حرب مباشرة بين فرنسا وإسبانيا.

[50] مصطلح حروب العصبة يشير إلى مجموعة الحروب المقدسة التي نظم حلفها البابا وكانت معظمها ضد الدولة العثمانية مثل حرب العصبة المقدسة عام 1538 وحرب العثمانية البندقية عام 1570- 1573 وحرب التركية العظمى عام 1684 وكذلك حرب عصبة كامبري التي كانت بين الدول الايطالية وأوربا الغربية بين عام 1508 وعام 1516.

[51] هذا حسب رأي المؤلف الكافر طبعا

[52]فيليب الثاني ملك إسبانيا (1556-1598)، وملك نابولي وصقلية (1554-1598)، ملك انكلترا القرين كزوج لماري الأولى (بين عامي 1554 - 1558، حاكم المقاطعات السبعة عشر (حاصلاً على مختلف ألقاب تلك الأراضي، مثل الدوق أو الكونت) من 1556 حتى 1581،ملك البرتغال والغرب (باسم فيليب الأول) من 1580 حتى 1598 وملك تشيلي من 1554 حتى 1566.

[53] تحالف الكاثوليكي لفرنسا ويعرف كذلك باسم العصبة المقدسة، كان فصيلاً رئيسياً خلال حروب فرنسا الدينية أسسه هنري الأول، دوق جيز عام 1576. أراد التحالف القضاء على البروتستانت، كالفينيون وهوغونوتيون على حد سواء، وتخليص فرنسا الكاثوليكية منهم خلال فترة الإصلاح البروتستانتي، واستبدال الملك هنري الثالث. حسب رأي المؤلف كان دعم فيليب الثاني ملك اسبانيا للتحالف من باب نيل المكاسب السياسية أكثر من التعصب المذهبي.

التاسع الحملة الصليبية السابعة على مصر يتعلق بالتجارة مع الهند الشرقية أكثر من علاقته بتحرير ضريح المسيح عليه السلام[54].

في بعض الأحيان تكون العقيدة ليست ذريعة لشن الحرب فقط، بل تكون أيضاً حليفاً قوياً؛ لأنها تثير المشاعر في النفوس وتشق صف العدو في الحرب. على سبيل المثال: السويديون في حرب الثلاثين عام[55]، وفيليب الثاني في فرنسا[56] كان لديهم حلفاء في الدول التي غزوها أكثر من جيوشهم. **ولكن قد يحصل (كما في الحروب الصليبية والحروب الإسلامية) أن العقيدة التي شنت من أجلها الحرب بدلاً من أن تكسب حلفاء، ولّدت ألدَّ الأعداء في الدول التي غزوها، وبذلك تصبح الحرب رهيبة.**

فرص التأييد والمعارضة في الحروب العقائدية متساوية بشكل تقريبي. لعلنا نتذكر في عام 1792 كيف ظننت اتحادات المناصرين أنه بالإمكان نشر إعلان حقوق الإنسان والمواطن الشهير[57] في أرجاء أوروبا، وكيف فزعت الحكومات جميعها، ولجأت للعنف والسلاح لإطفاء نار الاحتجاجات. لم تكن هذه الوسائل موفقة؛ الحرب والشراسة وسائل غير مناسبة لقمع الشر الموجود داخلنا الذي يثور خلال فترات مؤقتة وقصيرة وشديدة العنف. **الوقت** هو العلاج الحقيقي لجميع المشاعر السيئة، ولجميع العقائد الفوضوية. قد تتحمل أمة متحضرة الخضوع لجماهير حزبية متهورة لوقت قصير، ولكن هذه الأعاصير سرعان ما تذهب وتتحير العقول. **إن محاولة كبت مثل هذه الغوغاء بقوة خارجية هي كمحاولة منع انفجار لغمٍ اشتعل بارده أصلاً. انتظار حدوث الانفجار ومن ثم ردم حفرة الانفجار أفضل بكثير من محاولة منع الانفجار وإهلاك النفس بهذه المحاولة.**

---

[54] الملك لويس التاسع (القديس) ملك فرنسا ،وفترة حكمه (25أبريل 1214-25 أغسطس 1270) تولى الحكم وعمره 12، قاد الحملة الصليبية السابعة على مصر في عهد الأيوبيين ومُنِي بهزيمة منكرة في معركة المنصورة.

[55] غزت الإمبراطورية السويدية الإمبراطورية الرومانية المقدسة من عام 1630-1635 في عهد غوستاف الثاني أدولف البروتستانتي محققا تحولاً في حرب الثلاثين عاماً لصالح البروتستانت.

[56] حلفائه من الكاثوليكيين الفرنسيين

[57] إعلان حقوق الإنسان والمواطن هو الإعلان الذي أصدرته الجمعية التأسيسية الوطنية في 26 آب/أغسطس 1789. يعتبر الإعلان وثيقة حقوق من وثائق الثورة الفرنسية الأساسية وتُعرَّف فيها الحقوق الفردية والجماعية للأمة.

بعد دراسة شاملة للثورة الفرنسية، اقتنعت بأن الجيرونديين[58] والجمعية الوطنية لولا تهديدهم بغزو قوة أجنبية[59]، لم يكونوا ليجرؤوا أن يضعوا أياديهم المنجسة على الرأس الطاهرة للملك لويس السادس عشر. لم يكن ليُدمرَ الجيرونديون من قبل حزب الجبل[60]، بل من انقلاب [هزائم] دوموريز[61] وتهديدات الغزو. ولو تُركوا ليتصادموا مع بعضهم البعض كما يريدون، فمن المحتمل بدلاً من إفساح المجال للمؤتمر[62] الرهيب؛ كانت الجمعية الوطنية ستعود ببطء لإعادة مبدأ الملكية المعتدلة الحسنة المتفقة مع ضرورات وتقاليد فرنسا العريقة.

من وجهة نظر عسكرية هذه الحروب مرعبة؛ لأن القوة الغازية لا تواجه جيوش العدو فقط، بل تواجه شعباً ثائراً. قد يقال أن العنف من أحد الطرفين سيخلق دعم للغزاة من الطرف الثاني بالضرورة، ولكن إذا كان الطرف الثائر يملك جميع الموارد العامة والجيوش والحصون والمدفعية، وكان مدعوماً من غالبية الشعب، فما جدوى دعم الطرف الذي لا يملك أي مقومات؟ ما الخدمة التي سيقدمها مئة ألف من الفنديين[63] ومئة ألف من الفيدراليين[64] للتحالف الأول[65] في عام 1793؟

---

[58] الجيرونديين: تيار من حزب اليعاقبة الذي نشأ أثناء الثورة الفرنسية ⋅ وجاءت تسميتهم بهذا الاسم لأن معظم قادتهم ينتمون لمقاطعة جيروند ⋅ والجيرونديون جمهوريون ، ويمثلون البراجوزّية الطبقة المتوسطة ، ويؤمنون بالملكية الدستورية. ويخشون من سيطرة نوّاب باريس على فرنسا كلها ⋅ جاء الجيرونديون إلى الحكم بناء على دستور الجمهورية عام 1791م ⋅ وفي شهر يونيو من عام 1793م قام حزب الجبل عبر المؤتمر الوطني بإزاحة واعتقال الجيرونديين ، وبسبب الحملة ضد الجيرونديين هرب العديد من قادتهم إلى نورماندي حيث اعتادوا عقد اجتماعات سرية ⋅ وقعت الحكومة تحت سيطرة حزب الجبل وهم الجمهوريون يؤمنون بسيطرة باريس وبالجمهورية المطلقة. تم إعدام العديد من الجيرونديين بالمقصلة أثناء عهد الإرهاب في الثورة الفرنسية ، ولم يعد يمثلون قوة ، بل لم يعد لهم وجود يذكر في فرنسا.

[59] تدخلت عدة دول منها الإمبراطورية النمساوية وغيرها لغرض تحرير الملك من سلطة الجمعية الوطنية والثوار، على أثر ذلك ألقى الثوار القبض على الملك وأعدم بتهمة الخيانة وتعريض البلاد لغزو أجنبي.

[60] حزب الجبل هو التيار الأكثر تطرفا في حزب اليعاقبة نحو الجمهورية ، في مايو 1793 نجح قادة حزب الجبل بقيادة ماكسيميليان دي روبسبير في تهميش حزب الجيرونديين والسيطرة على الحكم حتى يوليو 1794. وقد اتسمت هذه الفترة من حكمهم بمستويات عالية من العنف السياسي، مما أدى ببعض المؤرخين -بعد يوليو 1794- بتسمية تلك الفترة من حكومة اليعقوبيين باسم" عهد الإرهاب."

في أكتوبر 1793، تم إعدام 21 عضواً بارزاً من الجيرونديين. وقيل إن الحكومة التي تدار بواسطة حزب الجبل أعدمت 17،000 من المعارضين في جميع أنحاء البلاد، بحجة قمع الحرب في فونديه و"التمرد الاتحادي"، ومنع أي تمرد أخر.

[61] دوموريز: قائد عسكري فرنسي مع جيش الثوار في حرب الثورة الفرنسية، ثم انقلب ضدهم وارتمى في أحضان النمساويين كان مرتبطاً بالجيرونديين ومبغوضاً من قبل حزب الجبل مما جعل وضع الجيرونديين في خطر لدى انقلابه.

[62] يقصد المؤتمر الوطني الفرنسي الذي قام تشكيل الجمعية الدستورية والتشريعية في فرنسا وانعقدت من 20 سبتمبر 1792 إلى 26 أكتوبر 1795. وقد تولى السلطة التنفيذية في فرنسا خلال السنوات الأولى من الجمهورية الفرنسية الأولى. كانت السلطة التنفيذية بحكم الأمر الواقع في يد لجنة السلامة العامة التابعة للمؤتمر.

[63] الفنديين: هم جماعة الثورة المضادة الموالين للملكية الفرنسية وثاروا ضد الجمهورية الفرنسية وكان معقلهم محافظة فندي (فونديه) غرب فرنسا فونديه ومطلة على المحيط الأطلسي. هذا الإقليم جزء من منطقة بايي دو لا لوار.

[64] الفيدراليين: تيار موالي للجيرونديين سعى لتحقيق الفدرالية متأثرين بدعوة الجيرونديين للحكم الفيدرالي وبدأوا بثورة بعد تصفية حزب الجبل للجيرونديين.

[65] التحالف الأول (1792-1797)هو أول تحالف من عدة ممالك أوروبية بهدف احتواء فرنسا الثورية . ولم تحقق أي دولة أهدافها من التحالف للنيل من الجمهورية الفرنسية الأولى.

لم يحتوي التاريخ إلا على مثال واحد عن صراع كالثورة الفرنسية، وقد أظهرت خطورة الهجوم على شعب شديد الغضب. على أية حال فإن الإدارة السيئة للعمليات العسكرية كان أحد الأسباب لهذه النتيجة الغير متوقعة. وقبل استخلاص الفوائد من هذه الحروب، فيجب التفكُّرْ في النتيجة التي كانت ستحدث (بعد هروب دوموريز) فيما لو قام الحلفاء (عوضاً عن تدمير واحتلال الحصون) بالإعلان لقادة الحصون أنهم لا ينوون إيذاء فرنسا ولا حصونها ولا جيشها الشجاع، ولو تقدموا نحو باريس بمائتي ألف جندي، لكانوا استعادوا الملكية وأيضاً لعادوا ومعهم حماية على الأقل من نفس العدد لانسحابهم نحو الراين. من الصعب تحديد ذلك. بما أن التجربة هذه لم تحدث أصلاً وكذلك لكون كل ذلك يعتمد على مسار الأمة الفرنسية والجيش. وهكذا المشكلة لها حلين معقدين على السواء. قدمت حملة التحالف عام 1793 الحل الأول الذي لم ينجح، ومن الصعب القول أن الحل الثاني كان سينجح. فقط التجربة كانت ستحدد ذلك.

الأسس العسكرية لمثل هذه الحروب تشبه بشكل كبير الحروب القومية مع الاختلاف في نقطة حيوية. **في الحروب القومية يجب احتلال الدولة وإخضاعها. الأماكن المحصنة تحاصر وتدمر وكذلك الجيوش تدمر، بينما في الحروب العقائدية إخضاع البلاد أمر أقل أهمية، ويجب أن توجه الجهود الكبيرة لإنهاء الحرب بسرعة دون التأخر بالتفاصيل، ويجب الحرص على عدم تهييج الشعوب واستفزازها مما يدفعها للمطالبة باستقلالها.**

يمكن الاستشهاد بالحرب في إسبانيا عام 1823 كمثال مضاد للثورة. صحيح أن الظروف كانت مختلفة قليلاً. فالجيش الفرنسي عام 1792 كان مؤلفاً من عناصر أكثر صلابة من الراديكاليين في إسلاديليون[66]. حرب الثورة الفرنسية كانت في بعض الأحيان حرب عقائد، وأحياناً أخرى حرب قومية، وأيضاً في بعض مراحلها كانت حرب أهلية، بينما الحرب الأولى في إسبانيا عام 1808 كانت حرب قومية تماماً، أما الحرب في إسبانيا عام 1823 كانت صراعاً جزئياً في المعتقدات وليست صراعاً قومياً، فأعطى ذلك فرقاً هائلاً في النتائج.

[66] إسلاديليون: منطقة واقعة بين بلدة قادس وبين شبه الجزيرة الإيبيرية، تحصن فيها وفي قادس الليبراليون الإسبان عام 1823 لمواجهة الجيش الملكي الفرنسي حيث كانوا قد سجنوا الملك الإسباني الذي انقلبوا عليه الملك فيرناندو السابع.

بالإضافة لذلك نفّذ دوق أنغولم[67] حملته بشكل جيد، فبدلاً من الهجوم على الحصون عمل بما يتفق مع المبادئ المذكورة آنفاً. تقدم بسرعة نحو نهر إبرة[68]، وهناك قسّم قواته للسيطرة (عند مصادر العدو) على جميع عناصر قوة العدو، وقاموا بذلك بشكل آمن حيث كانت محفوظة من قبل السكان. لو أنه تمسك بأوامر الوزارة في السيطرة على البلاد والحصون بين النهر وجبال البرانس[69] بشكل ممنهج بغرض توفير قاعدة عمليات فمن الأرجح أنه كان سيفشل، أو على الأقل لأصبحت الحرب طويلة الأمد وتحولت إلى حرب دموية، وذلك بإثارة الروح القومية لاحتلال الأرض بشكل مشابه للحال في عام 1807.

كان متشجعاً بالاستقبال الحار من الشعب، فأدرك أن العملية سياسية أكثر من كونها عسكرية، وأن الأمر يقتضي إنهاء الأمر بسرعة. في ثلاثة أشهر وصل الجيش إلى أسوار قادس[70].

إذا كانت الأحداث في شبه الجزيرة الإيبيرية قد أثبتت أن القيادة كانت غير قادرة على استثمار النجاح لإيجاد ترتيب مناسب ومتين للأوضاع؛ فإن الخطأ ليس في الجيش ولا في قياداته، بل في الحكومة الإسبانية التي خضعت للآراء الرجعية الباطشة الغير قادرة على الارتقاء بمهمتها. فيرناندو السابع[71] (الذي هو الفيصل بين التيارين العظيمين المتصادمين) رمى نفسه على نحو أعمى في أيادي من يزعمون تبجيلهم العميق لعرشه.[72] ولكن في حقيقتهم هم يريدون استغلال سلطته الملكية لتنمية إنجازاتهم الخاصة بغض النظر عن العواقب، وبقيت الأمة منقسمة بين معسكرين متصادمين، ولم يكن من المستحيل تهدئتهما والإصلاح بينهما مع مرور الوقت. ولقد وقع صدام جديد بين هذين المعسكرين كما توقعت

---

[67] دوق أنغولم: هو لويس التاسع عشر اسمه لويس أنطوان (6 أغسطس 1775 - 3 يونيو 1844) كان الابن الأكبر لتشارلز العاشر ملك وآخر ملك من سلالة دوفين من فرنسا 1824-1830. وكان من الناحية الفنية ملك فرنسا و نافار لمدة أقل من 20 دقيقة قبل أن يتنازل عن العرش، بسبب تنازل والده خلال ثورة يوليو عام 1830. قاد الفيالق الفرنسية في حرب 1823 في اسبانيا وانتصر فيها في معركة تروكاديرو.

[68] نهر إِبْرُه أكثر أنهار إسبانيا منسوبا. يبلغ طوله 928 كم تبلغ مساحة حوضه 80.093 كم². يقع في شمال شرقي إسبانيا ينبع من جبال القلاع ويجرى نحو الجنوب الشرقي على طول حضيض جبال البرانس مارا بسرقسطة ليصب في بحر الظلمات بدلتا واسعة.

[69] جبال البرانس، البيريني أو البرينيو سلسلة جبلية تقع جنوب غرب أوروبا، بين فرنسا وإسبانيا وتمثل الحدود الطبيعية بينهما. تمتد لمسافة قدرها 430 كلم من خليج بسكاي بالمحيط الأطلسي في الغرب إلى البحر المتوسط في الشرق.

[70] غادِش أو قادس واحدة من أعرق المدن الإسبانية الساحلية في جنوب الأندلس وهي عاصمة مقاطعة قادس ومبنية على شبه جزيرة ضيقة وطويلة تمتد إلى داخل خليج

[71] فيرناندو السابع: ملك إسبانيا، وبسببه حدث غزو إسبانيا عام 1823، كان مدعوماً من الملكية الفرنسية في ذلك الوقت وهذه الحرب أعادته لحكم إسبانيا بعد أن حرروه من قبضة الإسبان الليبراليين

[72] يقصد الملك لويس الثامن عشر ملك فرنسا

في فيرونا[73] عام 1823. درس قاسي يتعلم منه الجميع أنه لن يُترَك أحد ليتمتع بهذه الأرض الجميلة البائسة. بالرغم من أن التاريخ لم يخلو من الأمثلة التي تثبت أن ردّات الأفعال العنيفة (أعنف من الثورات) ليست عناصر بناء وجمع. اللهم ابعث لنا من هذا الصراع العنيف ملكية قوية ومحترمة، تقف من كل الأطراف على مسافة واحدة وتعتمد على جيش منضبط وتقوم على المصالح العامة للبلاد، ملكية تستقطب الدعم لهذه الأمة الإسبانية العويصة، التي محاسنها ليست أقل من مساوئها، التي كانت دائماً مشكلة لمن كان في أفضل موقع لمعرفتها.

الموضوع الثامن: الحروب القومية [الوطنية]

أشرنا سابقاً في الحروب القومية في الكلام عن الغزو، وهي أشد أنواع الحروب جميعها. ينطبق هذا الاسم فقط على الحروب التي تُشَن على شعب موحد أو ضد فئة كبيرة منه فيدفعهم الشعور النبيل والتصميم للحفاظ على استقلالهم. في هذه الحرب يصبح كل شبر من الأرض مُتنازَعٌ عليه، الجيش لا يملك إلا أرض معسكره وإمداداته لا تأتي إلا بحد السيف (بالقوة)، وقوافله في كل مكان مهددة أو يتم أسرها.

حدوث الثورة الشعبية التلقائية [العفوية] أمرٌ نادر، رغم ما فيها من السمو والنبل التي تثيران إعجابي، فإن العواقب رهيبة جداً إلى درجة أني لا أرغب برؤية هذا المشهد أبداً، وذلك لمصلحة الإنسانية. يجب أن لا يُلتبَس بين الثورة وبين الدفاع القومي [الوطني] التابع لمؤسسات الدولة والموجه من الحكومة.

هذا النهوض قد ينتج من الأسباب الأشد تناقضاً، قد يثور العبيد [الأقنان][74] في الجملة استجابة لنداء حكومتهم وأسيادهم، متأثرين بالمحبة النبيلة لبلادهم وملوكهم حيث يعتبروهم كقدوات. وبشكل مشابه يتسلح الشعب المتعصب دينياً بتحريض من القساوسة، أو الشعب المتحمس لمعتقداته السياسية، أو يتم تحريضه بالحب المقدس لمؤسساته حيث يتحرك بسرعة لملاقاة الأعداء للدفاع عن أعز ما يملك.

---

[73] فيرونا: بلدة إيطاليا تقع في شمال إيطاليا

[74] هم العبيد الفلاحون في الأرض الإقطاعية

السيطرة على البحار لها أهمية كبيرة في نتائج الغزو القومي. إذا كان الشعب يمتلك شريطاً طويلاً ساحلياً، وكانوا أسياد البحار أو على تحالف مع دولة ذات قوة بحرية كبيرة؛ فإن قوتهم ستتضاعف خمسة مرات، ليس بسبب سهولة تموين تمردهم أو سهولة إنذارهم عن جميع نقاط عدوهم التي يسيطرون عليها فقط، ولكن حتى للصعوبات التي سيواجهها الأعداء في تموينهم عبر البحار.

طبيعة البلاد تساهم في تيسير سبل الدفاع القومي. في البلاد الجبلية الشعب دائماً هو الأقوى، وبعد ذلك تأتي البلاد المغطاة بمساحات واسعة من الغابات.

مقاومة السويسريين للنمسا ولدوق بوروغندي[75]، ومقاومة الكتالونيين في إسبانيا عام 1712[76] وعام 1809[77]، والصعوبات التي واجهها الروس في إخضاع قبائل القوقاز، وأخيراً محاولات التمرد المتكررة للتيروليين (قاطني مقاطعة تيرول في النمسا). كل هذه النماذج تظهر بوضوح أن قاطني المناطق الجبلية دوماً قاوموا لفترات أطول من قاطني مناطق السهول؛ ذلك لاختلاف الخصائص والأعراف والتقاليد والاختلاف في الخصائص الطبيعية للبلاد.

ونخلص مما سلف أن شُعَب الجبال والغابات الكثيفة والأراضي الصخرية تيسر هذا النوع من الدفاع. البوكاج[78] في فندي (الشهيرة جداً) تثبت أن أي أرض تسهل الدفاع القوي حتى لو كانت مقسمة بأسوار من الأشجار والخنادق أو القنوات فقط.



البوكاج

[75] بوروغندي: منطقة تاريخية كانت مؤلفة من أربع محافظات، تقع حاليا في وسط فرنسا
[76] وذلك في حرب الخلافة الإسبانية
[77] وذلك في حرب شبه الجزيرة الإيبيرية
[78] البوكاج: هي الأرض الخليطة من الغابات والمراعي

الصعوبات التي تعترض الجيوش في الحروب العقائدية كثيرة جداً، وكذلك في الحروب القومية، وتجعل الإدارة الشاملة لهذه الحروب صعبة جداً. فالأحداث التي ذكرناها للتو وصراع هولندا مع فيليب الثاني[79] وأمريكا مع إنكلترا تقدم براهين قاطعة لحقيقة هذه الصعوبات. لكن الصراعات الأشد هولاً كان صراع فيندي مع الجمهورية الفرنسية وصراع البرتغال وإسبانيا وتيرول مع نابليون[80]، وأخيراً صراع شبه جزيرة مورية (جنوب اليونان) مع الأتراك، وصراع نافاري (منطقة شمال إسبانيا) مع الأميرة كريستينا، هذه الصراعات كشفت عن نماذج أكثر إثارة للصدمة.

تتعاظم الصعوبات عندما يكون الشعب مدعوماً من قبل نواة قوة أساسية منظمة. في حين يمتلك الغزاة جيشاً واحداً، يمتلك أصحاب الأرض جيشاً وشعباً مسلحاً بأكمله أو معظمه. ويصنعون وسائل للمقاومة من كل شيء. في هذه الحالة يكون كل الشعب متفق على عدو واحد، حتى الغير مقاتلين لهم مصلحة في إهلاك العدو والتعجيل بذلك بكل وسيلة متاحة. أما الجيش الغازي فبالكاد يمسك الأرض التي يعسكر فيها، وكل شيء خارج حدود المعسكر عدو، وتتضاعف الصعوبات آلاف المرات في كل خطوة يخطوها خارج المعسكر.

يصبح اجتياز هذه العوائق من المعجزات عندما تكون البلاد ذات طبيعة صعبة، يعرف سكانها المسلحين أصغر الطرق فيها وإلى أين تؤدي، إضافة إلى أنهم يملكون أقارب وأصدقاء يساعدونهم في كل مكان. كذلك القادة يعرفون البلاد بشكل جيد، ويعلمون بشكل فوري أي تحرك للغزاة، وبإمكانهم استعمال أفضل الوسائل لإحباط مخططات العدو. بينما الغزاة أشبه بالرجل الأعمى، حيث لا معلومات لديهم عن تحركات السكان المسلحين، وليسوا في وضع يسمح لهم بإرسال مفارز للحصول على المعلومات، ولم يبقى لديهم وسيلة للحصول على المعلومات سوى باستخدام السلاح، ونسبة قليلة من الأمان حيث توجد حشود أرتاله؛ ولذلك تفشل جميع إعداداته.

---

[79] الثورة الهولندية (1568- 1648) كانت ثورة ناجحة للسبع مقاطعات البروتستانتية الشمالية الكبرى في البلاد الواطئة ضد حكم الملك فيليب ملك الروماني الكاثوليكي، الذي كان قد ورث المنطقة (السبعة عشر محافظة) من دوقية بورجوندي البائدة. (انضمت المحافظات الجنوبية الكاثوليكية في البداية للثورة وانضمت فيما بعد إلى إسبانيا) و قد تصاعد "صدام الثقافات" الدينية تدريجيا على شكل موجات من العنف ضد قمع ملك هابسبورغ. لقد أدت هذه التوترات إلى تشكيل الجمهورية الهولندية المستقلة. وكان وليام أورانج هو أول زعيم، تبعه عدد من ذريته ومعارفه. الأقاليم نفسها.

[80] التمرد التيرولي عام 1809 هو تمرد من الفلاحين في مقاطعة تيرول بقيادة أندرياس هوفر ضد احتلال وطنهم من قبل القوات الفرنسية والبافارية في سياق حرب التحالف الخامسة ضد نابليون الأول .

وعندما يقوم الغزاة بتحركات مرسومة بحذر شديد، وتقدم سريع جداً ومتعب، ويظن قائد الغزاة أنه على وشك إنجاز مهمته، يتفاجأ بضربة رهيبة، ولا يجد أي علامة على تواجد العدو سوى النيران في معسكره. بينما يقوم هو بالهجوم على طواحين الهواء (مثل دونكيشوت) فإن عدوه على خطوط مواصلاته يبيد مفارز حمايتها، ويباغت قوافله ومراكز تموينه، ويشن حرب كارثية على الغزاة مما يضطره للاستسلام مع مرور الوقت.

في إسبانيا كنت شاهداً على مثالين بشعين من هذا النوع، ذلك حينما تم تبديل فيالق ميشال نيي[81] مع فيالق جان دو ديو سول[82] في لاكورونيا[83]، فخيمت بسرايا المدفعية التي تجرها الأحصنة بين بيتانزوس[84] ولاكورونيا، وسط أربعة ألوية، وبعيدة عن المخيم مسافة تقدر من 2 إلى 3 فرسخ[85]، ولم نشاهد على مسافة 50 ميلاً[86] أي قوات إسبانيّة. كان سول يحتل مدينة سانتياغودي كومبوستيلا[87]، وفرقة موريس ماثيو[88] كانت في فيرول[89] ولوغو[90] وفرقة مارشان[91] في لاكورونيا وبيتانزوس. وفي إحدى الليالي اختفت سرايا المدفعية التي تجرها الأحصنة بكامل طواقمها من جنود وأحصنة. ولم نتمكن من معرفة ما حدث لهم. تمكّن عريف واحد مصاب من الهروب، وأبلغنا أن الفلاحين يقودهم الناسكين والقساوسة قاموا بالهجوم عليهم مما اضطرهم للهروب. بعد أربعة أشهر قادَ ميشال نيي فرقة لاحتلال أستورياس[92] من جهة وادي نافيا[93]، بينما خرج كيلرمان[94] من ليون[95] على طريق أوفيدو[96].

---

[81] ميشال نيي دوق إلشينغين و أمير موسكوفا و مارشال الدولة الفرنسية. ولد في العاشر من كانون الثاني يناير عام 1769 في سارلويس في منطقة لورين (مقاطعة موزيل عام 1790 وجزء من سارلاند ألألمانية حاليا).قتل رميًا بالرصاص في السابع من كانون الثاني يناير عام 1815 في باريس. عسكري فرنسي و قائد خلال حروب الثورة و الإمبراطورية.

[82] جان دو ديو سول (29 آذار 1769-16 تشرين الثاني 1851): عسكري وسياسي فرنسي. دوق دالماسي، وماريشال إمبراطوري. كان واحداً من ماريشالات نابليون القلائل القادرين على قيادة جيش بعيدا عن الامبراطور.

[83] لاكورونيا: هي مدينة تقع في شمال غرب إسبانيا، هي عاصمة مقاطعة لاكرونيا، وهي أيضاً عاصمة منطقة غاليسيا.

[84] بيتانزوس: هي إحدى بلديات مقاطعة لاكرونيا إحدى مقاطعات إسبانيا، و التي تقع في منطقة جليقية شمال غرب إسبانيا.

[85] في ذلك الوقت كان طول الفرسخ 3.25 إلى 4.68 كم

[86] 80كم تقريبا

[87] هي إحدى بلديات مقاطعة لاكرونيا إحدى مقاطعات إسبانيا، و التي تقع في منطقة جليقية شمال غرب إسبانيا .

[88] ديفيد-موريس-جوزيف ماثيو دي سانت-موريس دي لا ريدورت أو موريس ماثيو (20 فبراير 1768 - 1 مارس 1833) أصبح قائد فرقة في جيوش نابليون.

[89] فيرول: هي إحدى بلديات مقاطعة لاكرونيا إحدى مقاطعات إسبانيا، و التي تقع في منطقة جليقية شمال غرب إسبانيا.

[90] لوغو: إحدى مقاطعات إسبانيا، و التي تقع في منطقة جليقية شمال غرب إسبانيا.

[91] لويس-جوزيف-نارسيس مارشان (ولد في باريس، 28 مارس 1791، توفي في، 19 يونيو 1876) كان الخادم المخلص نابليون بونابرت والمرشح لخلافته من بعده.

[92] أستورياس: منطقة تقع في شمال غرب إسبانيا عاصمتها هي مدينة أوفييدو.

[93] نافيا: هو نهر في شمال اسبانيا يتدفق من الجنوب إلى الشمال من غاليسيا حتى أستورياس. تصريفها في خليج بسكاي من خلال مصب يسمى ريا دي نافيا.

[94] فرانسوا إيتيان دي كيلرمان (4 أغسطس 1770 - 2 يونيو 1835) كان جنرال سلاح الفرسان الفرنسي عُرف بجرأته ومهارته خلال الحروب النابليونية.

تقدم جزء من فيالق الجنرال الإسباني لارومانا[97] التي كانت تحمي أستورياس، خلف المرتفعات العالية المحيطة بوادي نافيا بمسافة لا تزيد عن فرسخ واحد من أرتالنا، وذلك دون أن يعرف ميشال نيي أي شيء عن ما يحدث. وبينما كان يدخل خيخون[98]، هاجم جيش لارومانا قلب أفواج فرق مارشان التي كانت متوزعة لحماية غاليسيا[99]. وبالكاد استطاعوا الهروب وذلك بفضل العودة العاجلة لميشال نيي إلى لوغو. أظهرت هذه الحرب آلاف الحوادث الصادمة كهذه. لم يكن ليكفي كل ذهب المكسيك للحصول على معلومات استخباراتية موثوقة لصالح فرنسا، إلا بقدر ما يستدرجها للوقوع في فخاخ أكثر.

لا يمكن لجيش (مهما كان منضبطاً) أن يواجه بشكل ناجح أسلوب قتالي مطبق من قبل أمة عظيمة، إلا إذا كان الجيش قوياً بما يكفي لمسك جميع النقاط الأساسية في البلاد، ومغطياً لجميع الطرق، وبنفس الوقت يجهز قوة فعالة كافية للقضاء على العدو أينما ظهر. إذا كان للعدو جيشاً نظامياً ذا حجم معتبر ليكون نواة لتستقطب الشعب في كل مكان، فأي قوة كافية للتغلب عليهم في كل مكان وضمان تأمين الطرقات ضد بضعة أفراد؟

يجب الاعتناء بدراسة الحرب في شبه الجزيرة الإيبيرية، وذلك لمعرفة جميع العوائق التي من الممكن أن تواجه الجنرالات وقواتهم الشجاعة في احتلال أو فتح بلاد جميع سكانها مسلحين، وما هي المتاعب التي واجهت قوات نابليون وضباطه (ماسينا[100] وسول ونيي وسوجت[101]) وما قدموا من صبر وشجاعة للحفاظ على المكتسبات وعلى أنفسهم على مدار ستة سنوات أمام ثلاثمائة أو أربعمائة ألف مسلح من الإسبان والبرتغاليين مدعومين بالجيوش النظامية لولنغتن وبيرسفورد وبليك ولارومانا وكوستا وكاستافيوس وريدنج وبايستروس[102].

---

[95] تقع في مقاطعة قشتالة وسط شمال إسبانيا .

[96] أوفيدو: هي مدينة تقع في شمال غرب إسبانيا تأسست في القرن الثامن ميلادي، وهي عاصمة منطقة أستورياس.

[97] دون بيدرو كارو رومانا (2 أكتوبر 1761 - 23 يناير 1811) جنرال اسباني في حرب شبه الجزيرة الإيبرية

[98] خيخون: هي مدينة تقع في منطقة أستورياس شمال غرب إسبانيا، تطل على بحر كانتابريا.

[99] غاليسيا منطقة تقع في شمال غرب إسبانيا. عاصمتها هي مدينة سانتياغو دي كومبوستيلا

[100] أندريه ماسينا (6 مايو 1758 - 4 أبريل 1817) كان قائدا عسكريا فرنسيا خلال الحروب الثورية الفرنسية والنابليونية.

[101] لويس-غابرييل سوشيت (2 مارس 1770 - 3 يناير 1826)، دوق ألبوفيرا، هو مارشال من فرنسا وأحد جنرالات نابليون الأكثر براعة.

[102] هؤلاء ضباط إسبانيون وبريطانيون قادوا جيوشا لمقاتلة الفرنسيين في إسبانيا خلال حرب شبه الجزيرة الإيبيرية



إذا كان النصر ممكناً في هذه المعركة، فإن الأسلوب التالي من المرجّح أن يحقق هذا النصر. قم بتجهيز قواتك عدداً وعدة بشكل يتناسب مع العوائق والمقاومة المحتملة لمواجهتها، قم بتهدئة الغضب الشعبي بكل وسيلة متاحة، واستنفذ هذا الغضب بالوقت والصبر، وأظهر لهم المجاملة واللباقة، ووفّق بين الشدة واللين، وتعامل معهم بالعدل. إن ما قام به هنري الرابع في حرب العصبة[103]، والمارشال بيرويك في كتالونيا[104]، وسوجت في

---

[103] هنري الرابع ملك فرنسا (13 كانون الأول / ديسمبر 1553 - 14 أيار / مايو 1610)، حكم مملكة فرنسا من عام 1589 إلى 1610، كان من أفضل الملوك الذين تربّعوا على عرش فرنسا، وقد بذل قصارى جهده للتوفيق بين الكاثوليك والبروتستانت في المملكة التي مزقتها الحرب الأهلية التي ورثها عام 1589م. وكان شخصياً من البروتستانت، ولكنه في عام 1593م اعتنق المذهب الكاثوليكي في محاولة لرأب الصدع . وكانت تلك إحدى السبل لوضع حدًّ للحرب الأهلية، ذلك بأن البروتستانت كانوا راضين عن تحّوله إلى كاثوليكي. ومع علمهم أنه سيسمح لهم ببقائهم على معتقدهم ، فإن الكاثوليك شعروا بأنهم لا يستطيعون الوثوق به. وفي عام 1598م أصدر مرسوم نانت الشهير الذي منح بموجبه الحقوق للبروتستانت أو الهوغونو كما يُعرفون في فرنسا.

[104] وذلك في حصار برشلونة بين عامي 1713 و1714 وهي معركة وقعت في ختام حرب الخلافة الإسبانية(1714-1701) ، أدت إلى إقصاء وهزيمة الإمبراطور الروماني المقدس كارل السادس) الذي تدعمه مملكة بريطانيا العظمى وهولندا (على يد فيليب الخامس ملك إسبانيا) الذي تدعمه فرنسا(، لتحسم صراعاً سياسياً طويلاً على العرش الإسباني. وكان بيرويك كان قائد الجيش الإسباني، وفاوض الكتالونيين أثناء الحصار مما أقنعهم بالاستسلام في الأخير.

أراغون وفالنسيا[105]، وهوتش في فونديه[106] يعتبر من النماذج ذات الأسلوب الناجح، ويمكن أن يطبق هذا الأسلوب حسب الظروف وبفرص متساوية في النجاح. إن النظام والانضباط البديعين في جيشي ديفيتش وفاسكيفيتش في الحروب الأخيرة، كانتا نماذج جيدة، ولم تكن أقل نجاحاً من مشاريعهم ومصالحهم الخاصة.

العوائق الهائلة التي تواجه القوات الغازية في مثل هذه الحروب، دعت بعض المفكرين أو المنظرين أن يأملوا ألاّ تحدث مثل هذه الحروب، وبذلك ستصبح الحروب نادرة والفتوحات أصعب، مما يقلل من إغراء هذه الفتوحات للقادة الطموحين. هذا التفكير منطقي أكثر من كونه جامد [متحجر]. وحتى نُسلّم بجميع هذه العواقب؛ فمن الضروري دائماً توفر القدرة على تحفيز الشعب لحمل السلاح، ومن الضروري أيضاً الاقتناع أن حروب المستقبل هي حروب احتلال فقط، فكل شرعية عبر الحروب الثانوية (التي هي لغرض الحفاظ على التوازن السياسي أو الدفاع عن المصالح العامة) لن تحدث مرة ثانية، وإلا فكيف نعرف متى وكيف نحمّس الشعب لحمل السلاح لخوض معركة قومية؟

على سبيل المثال: إذا عبر مئة ألف جندي ألماني نهر الراين ودخلوا فرنسا، وذلك لمنع فرنسا من احتلال بلجيكا، دون وجود أي مشروع ذا طابع آخر، فهل من الممكن حدوث حالة تستوجب حمل الشعب رجالاً ونساءً وأطفالاً للسلاح في مقاطعات الألزاس واللورين[107] وشمبينيا[108] وبورغندي؟ وجعل كل مدينة مسورة سرقسطة ثانية[109]؟ إن لم يقم الشعب بذلك فإن الألمان كنتيجة للانتصار سيحتلون هذه المقاطعات. هل من الممكن أن نقول أنهم لن يسعوا بعد ذلك لإعلان امتداد سلطانهم على جزء من هذه المقاطعات، حتى لو لم يفكروا في هذا الأمر منذ البداية؟

[105] أسقطهما مارشال سوجت بالحصار والمفاوضات خلال حرب شبه الجزيرة الإيبيرية وتقعان شمال شرق اسبانيا
[106] قاد الجنرال هوتش الجيش الثوري لقمع الملكيين في فونديه 1795 وقضى عليهم
[107] مقاطعة شرق فرنسا لها حدود مع بلجيكيا وألمانيا ولوكسمبورغ
[108] مقاطعة تقع شمال شرق فرنسا
[109] حاصرت فرنسا سرقسطة خلال حرب شبه الجزيرة الإيبيرية أواخر 1808 حتى فبراير 1809 وكان حصاراً دموياً نتج عنه أكثر من 60000 قتيل من الطرفين

صعوبة الإجابة على هذه الأسئلة يبدو أنه جدالٌ لصالح الحرب القومية. لكن ألا يوجد وسائل أخرى للتصدي للغزو دون التسبب بانتفاضة شعبية وحرب إبادة؟ ألا يوجد أسلوب وسطي في هذه الصراعات بين أسلوب القتال الشعبي وبين أسلوب القتال بالجيوش التقليدية؟

ألن يكون كافياً حتى يكون دفاع البلاد متيناً أن نقوم بتنظيم ميليشيا، وتكون موحدة، وتُستدعى من الحكومات للخدمة، وتقوم بدور الشعب في الحروب، وهذا التنظيم يضع حداً لوحشيتها؟

أنا أجيب عن ذلك بنعم، وبتطبيق هذا النظام المختلط لهذه الحالات المذكورة سابقاً، أنا أضمن أن 50.000 جندي فرنسي نظامي مدعوم بحرس وطني [قومي] في المناطق الشرقية سيتغلبون على الجيش الألماني الذي عبر جبال الفوج[110]، وبسبب تقليص عدد الجنود إلى 50.000 نتيجة المفارز الكثيرة. وعند الاقتراب من نهر الميز أو الوصول إلى أراغون سيكون تعداد الجيش الفرنسي 100.000 جندي بسبب القوات الاحتياطية الوطنية.

لتوفير هذه الوسيلة يجب أن نولي الاهتمام بتحضير احتياطي وطني جيد للجيش، يكون أقل تكلفة في السلم، ويضمن الدفاع عن البلاد في حالة الحرب. هذا النظام استخدم من قبل فرنسا عام 1792 وقلدته النمسا عام 1809 واستخدمته أيضاً ألمانيا عام 1813.

ألخِّص هذا النقاش بالتأكيد على الأمر التالي، ودون أن نكون إنسانيين مثاليين أو على العكس من ذلك بأن نكون مرتزقة، بأن الرغبة في إقصاء حروب الإبادة من قانون الأمم والدفاع عن الأمم، يمكن أن تتحقق بواسطة الميليشيات المنضبطة وبمساعدة تحالفات سياسية جيدة، وهذا سيكون كافياً لضمان استقلالها.

كجندي يفضل الحرب النبيلة والصالحة على الاغتيال المنظم، وإذا كان من الضروري أن أختار، فأنا أقر بأني انحاز لصالح الحروب القديمة الصالحة، حيث كان الحرس الانكليزي والفرنسي يدعون بعضهم البعض بأدب لإطلاق النار، كما في معركة "فرونتينوي"[111].

---

[110] جبال الفوج هي مجموعة من الجبال المنخفضة في شرق فرنسا، بالقرب من الحدود مع ألمانيا. وهي تمتد على طول الجانب الغربي من وادي الراين وتأخذ اتجاهاً شمالياً وشمالياً شرقياً، وبشكل عام من بلفور إلى سافرنه.

[111] فرونتينوي: معركة حدثت في بلجيكا عام 1745 بين انكلترا وفرنسا

مفضلاً هذا على الجيل الرهيب من القساوسة والنساء والأطفال بجميع أنحاء إسبانيا وهم يدبرون المكيدة لقتل الجنود المنعزلين.

الموضوع التاسع: الحروب الأهلية والحروب الدينية

عندما لا ترتبط الحروب الداخلية بصراعٍ خارجي، فهي على الأرجح ستكون نتيجة صدام في العقائد السياسية أو المذهبية الدينية. في العصور الوسطى كانت الحروب مرتبطة أكثر مع الصدام بين الأطراف الإقطاعية. الحروب الدينية من بين جميع الحروب هي الأشد بؤساً.

نستطيع تفهّم لجوء الدولة أو الحكومة إلى استخدام القوة ضد رعيتها أو مواطنيها إذا كان الغرض من ذلك القضاء على أي جماعة قد تضعف من سلطة الدولة، أمّا أن تقتل مواطنيها لتجبرهم على تلاوة صلواتهم باللغة الفرنسية أو اللاتينية، أو للاعتراف بسيادة حبر أعظم [بابا] خارجي فمن الصعب تقبّل ذلك.

لم يكن هناك ملك يُرثَى له أكثر من الملك لويس الرابع عشر، الذي ظلم الملايين من الصناع البروتستانت. تصبح الحروب الطائفية مرعبة ومريعة عندما تختلط بحروبٍ خارجية أو عندما تتحول إلى صراعات عائلية. يجب أن يكون تاريخ فرنسا في عهد العصبة درساً أبدياً للأمم والملوك. فمن الصعب تصديق أن النبلاء وأصحاب الشهامة خلال فترة حكم الملك فرنسيس الأول قد انحدروا خلال عشرين عام نحو حالة بائسة من الوحشية.

إعطاء المواعظ في مثل هذه الحروب هو أمر عبثي. هناك قاعدة واحدة يتفق عليها كل المفكرين في مثل هذه الحروب وهي: من الواجب توحيد الطرفين المتنازعين لطرد المحتلين الأجانب من البلاد، وبعد ذلك يكون الصلح بين الطرفين بمعاهدة يتم فيها الاتفاق على الأمور أو الحقوق المتنازع عليها. ومن المؤكد أن تدخُّل قوة ثالثة في نزاع ديني غرضه فقط تحقيق أطماعها ومصالحها.

قد تحاول الحكومات التدخل بحسن نية لمنع انتشار مرض سياسي تهدد مبادئه الأمن الاجتماعي، وبالرغم أن هذه المخاوف مبالغ فيها، وعادة ما تكون مجرد تبريرات للتدخل، إلاّ أنه من الممكن أن تَعتَبر الدولة أن مؤسساتها مهددة من قبل هذا التوجه السياسي. لكن في

النزاع ديني ليس الوضع كذلك؛ فيليب الثاني لم يكن لديه هدف من التدخل في علاقات التحالف الكاثوليكي أكثر من إخضاع فرنسا أو فكها منه.

الموضوع العاشر: الحروب المزدوجة وخطر خوض حربين في نفس الوقت

الحكمة الرومانية الشهيرة تدعو لعدم خوض حربين عظيمتين في نفس الوقت، وهذه الحكمة مشهورة جداً وقيّمة بما يغني عن شرحها وتوضيح المغزى منها.

قد تُجبر الدولة على خوض حرب ضد دولتين متجاورتين، إلّا أن موقفها سيكون سيء للغاية إن لم يكن معها حليف يساندها، وذلك تبعاً لأمنها الخاص وللحفاظ على التوازن السياسي. **من النادر أن يكون للدول المتحالفة ضد دولة واحدة نفس المصالح من خوض الحرب،** وأن تدخل كل تلك الدول بجميع طاقاتها ومواردها. وإذا كانت إحدى هاتين الدولتين تعمل كمساعد فقط فستكون الحرب عادية.

لويس الرابع عشر وفريدريك العظيم والإمبراطور ألكسندر ونابليون، خاضوا حروباً ضخمة ضد أوربا وهي موحدة ضدهم. عندما تحدث نزاعات كهذه نتيجة عدوان إرادي من الدولة، فهذا دليل على ارتكاب خطأ فادح من جانب الدولة التي دعتهم لمثل هذه الحرب، ولكن إذا نشبت الحرب نتيجة ظروف قاهرة حاكمة لا مفر منها، فيجب مقابلة هذا الوضع بالبحث عن التحالفات أو دول معارضة لمثل هذا العدوان، وبذلك ينشأ توازناً بين أطراف الصراع.

التحالف الكبير الذي تشكّل ضد لويس الرابع عشر اتخذ من تدخله في الشأن الداخلي الإسباني ذريعةً للتحالف ضده. إلّا أنّ السبب الحقيقي كان نتيجة لأعماله العدوانية السابقة التي نبّهت الدول المجاورة من خطره. من بين القوات الأوروبية المتحالفة ضد لويس الرابع عشر التي كان يستطيع مواجهتها فقط هي الحلف المخلص لناخب بافاريا، والقائد المتخبط دوق سافوي الذي سارع بالانضمام إلى أعدائه. استطاع فريدريك الاستمرار في حرب ضد أقوى ثلاثة ممالك في أوروبا، والذي ساعده في الاستمرار هو دعم إنكلترا، إضافة إلى خمسين ألف جندي من ستة دول حليفة له. **إلّا أن أقوى حليف له كان انقسام وغباء أعدائه.**

هاتين الحربين والحرب التي خاضها الإسكندر عام 1812 كان من المستحيل تجنبها. فرنسا جعلت أوروبا تقف على أناملها عام 1793، نتيجة الاستفزازات المتكررة من قبل نادي العاقبة، والأفكار الإنسانية للجيرونديين، التي تفاخرت أنها بدعم من أساطيل إنكلترا سيتحدّون جميع ملوك العالم. نتيجة هذه الحسابات الحمقاء انتفضت أوربا ضد فرنسا انتفاضة مرعبة، نجت منها فرنسا بأعجوبة.

يعتبر نابليون إلى حد ما الحاكم الوحيد المعاصر الذي خاض بإرادته حربين أو ثلاثة حروب كبيرة في نفس الوقت، وكانت حروبه ضد إسبانيا وإنكلترا وروسيا. في حربه مع روسيا توقّع مساعدة من النمسا وبروسيا، ناهيك عن تركيا والسويد التي اعتمد عليهما بشدة، لذلك فإن نابليون لم يكن يرى أنه كان مجازفاً أو متهوراً في مشروعه.

من الملاحظ أن هناك فرق كبير بين حرب تشن على دولة واحدة تساندها دولة ثالثة بدور مساعد، وبين حرب تشن ضد دولتين عظيمتين، وفي جهتين مختلفتين وتوظف كل طاقاتها ومواردها في هذه الحرب. على سبيل المثال: فإن حرب نابليون ضد النمسا وإسبانيا تساندهما إنكلترا كانت مختلفة تماماً عن الحرب ضد النمسا تساندها قوة احتياطية محدودة. تعتبر الحرب الأخيرة من الحروب العادية.

بناء على ما سبق، وبشكل عام يجب تجنب خوض حرب مزدوجة ما أمكن ذلك. وإذا حدث اعتداء من إحدى دولتين وكان سبباً لخوض حرب، فمن الحكمة تجاهل هذه الاعتداءات التي صدرت من أحدهما لحين ظهور الفرصة المناسبة للتعامل مع هذه الاعتداءات. لكن هذه القاعدة لها استثناءات، فتسلسل القوى والمناطق واحتمالية إبرام تحالف لاستعادة التوازن (إلى حد ما) في القوى بين الأطراف كلها ظروف تؤثر على دولة مهددة. الآن أنجزنا واجبنا في توثيق هذه المخاطر وتبيان وسائل تداركها.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

السياسة العسكرية

لقد شرحنا في بداية الفصل الأول ما نعني بهذا العنوان. تتضمن السياسة العسكرية الإعدادات العقلية [الفكرية] المتعلقة بعمليات الجيوش. إذا كانت الاعتبارات السياسية التي تكلمنا عليها آنفاً أيضاً عقلية [فكرية]، فهناك أيضاً اعتبارات أخرى تؤثر إلى حدٍ ما في إدارة الحرب، وهي لا تنتمي للسياسة ولا للاستراتيجية ولا حتى للتكتيكات، بل نضعها تحت عنوان السياسة العسكرية.

يمكننا القول بأن السياسة العسكرية تتضمن جميع الإعدادات لأي حرب متوقعة، ما عدا الإعدادات التي تتعلق بفن الدبلوماسية والاستراتيجية، ولأن الإعدادات كثيرة فإن تفصيل كل إعداد منها بمقال منفصل سيجعل هذا الكتاب كبيراً جداً، وقد يخرج بنا عن المقصود من الكتاب، فليس المقصود كتابة مقالة عن كل موضوع منها، بل سنكتفي بالإشارة لعلاقاتها بالعمليات العسكرية.

في الواقع نضع في هذه الفئة حماس الأمة التي سنقاتلها، والنظام العسكري فيها، ووسائلهم الحالية واحتياطاتهم والموارد المالية وارتباطهم بحكومتهم أو مؤسساتهم، وأيضاً صفات قائدهم وقادة الجيوش وقدراتهم العسكرية، ومدى تأثير المجلس الوزاري أو المجلس الحربي[112] في العاصمة على عملياتهم، إضافةً إلى نظام الحرب المتوافق مع عمل هيئة أركانهم، والقوة المؤسسة من قبل الدولة وتسليحها والجغرافية العسكرية والإحصائيات الخاصة بالدولة المراد غزوها، وأخيراً مختلف الموارد والعوائق المحتمل ملاقاتها.

القاعدة الثابتة الوحيدة في مثل هذه المواضيع هي: أن على الحكومة جمع كل المعلومات المتعلقة بهذه المواضيع وعدم إغفال أي معلومة، ومن الضروري أخذ هذه المعلومات بعين الاعتبار عند ترتيب جميع الخطط. وسنضع النقاط الأساسية التي ينبغي لها أن توجه في هذا النوع من الإعدادات.

[112] المجلس الحربي: هي مجالس تُعقَد عادة في وقت الحرب لغرض تحديد مسار العمليات العسكرية. عادة ما يتم اتخاذ القرار فيها من قبل الجنرال الآمر ويتم نقل الأوامر عبر ضباط الأركان إلى الضباط المرؤوسين وفي بعض الأمور يتم التصويت.

الموضوع الحادي عشر: الإحصائيات العسكرية والجغرافية

من خلال الإحصائيات نستطيع أن نتعرف على عناصر قوة العدو وموارده العسكرية بصورة شاملة، بينما تتضمن الجغرافية التوصيف الطبوغرافي والاستراتيجي لمسرح الحرب بكل ما فيها من عوائق طبيعية أو اصطناعية التي يُحتمل مواجهتها، ومعاينة النقاط الحاسمة الدائمة المتواجدة على امتداد الحدود أو البلاد. يجب أن تُمنح هذه المعلومات لوزير الحرب وللجنرال الآمر ولرئيس الأركان بشكل فوري وإلا يوضع المقصر في ذلك تحت طائلة المسائلة والمحاسبة، لأن هذا التقصير قد يؤدي إلى تقديرات خاطئة في الخطط العسكرية، كما يحدث عادة في أيامنا هذه بالرغم من الخطوات المتقدمة التي قامت فيها الأمم المتحضرة لتطوير العلوم الطبوغرافية والجغرافية والدبلوماسية والإحصائية.

سأضرب مثالين كنت شاهد عليهما: في عام 1796 دخل جيش موريو[113] الغابات السوداء (بلاك فوريست)[114] وكان يتوقع أن يجد جبالاً شاهقة وشعاباً وغابات مرعبة، إلاّ أنه تفاجئ بعد تسلقهم منحدرات الهضبة المائلة نحو نهر الراين، أن هذه المنحدرات بنتوءاتها الصخرية كانت هي الجبال الوحيدة. وهذه البلاد من منابع نهر الدانوب حتى دوناوفورت[115] منطقة غنية طبيعياً وسهلية منبسطة.[116]

المثال الثاني في عام 1813: كان يَعتقد نابليون وجيشه أن التضاريس الداخلية لبوهيميا جبلية، لكن تبيّن له فيما بعد أنها الأكثر انبساطاً في أوروبا، وذلك بعد عبور حزام الجبل المحيط بها، ويمكن عبورها بمسير متصل[117].

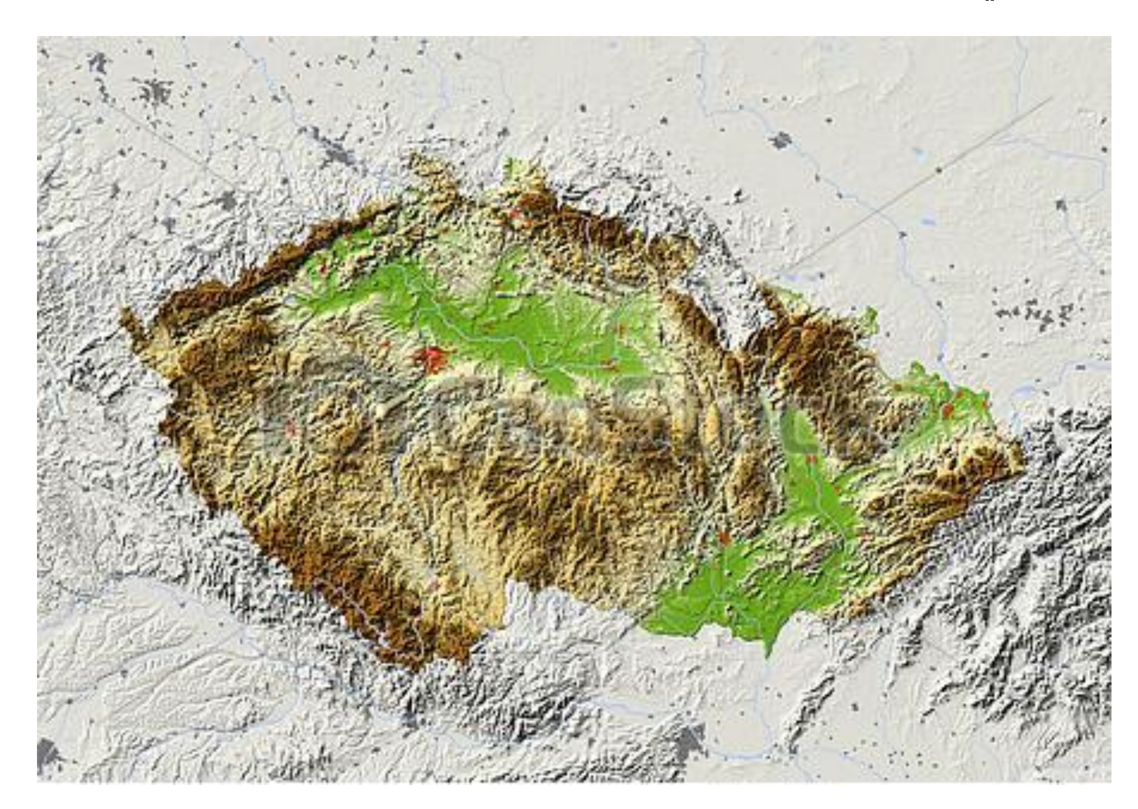
[113] جيان فيكتور ماري موريو (14فبراير 1763 - 2 سبتمبر1813) جنرال فرنسي ساعد نابليون بونابرت في الوصول إلى السلطة، لكنه أصبح فيما بعد منافساً له ونفي إلى الولايات المتحدة.

[114] الغابة السوداء: عبارة عن منطقة غابات جبلية في جنوب غرب ألمانيا حالياً، وتقع في ولاية بادن فورتمبيرغ. سميت بالسوداء نظراً لغاباتها المهيبة المتشحة بالسواد وخاصة في الليل بسبب كثافة أشجارها الصنوبرية المخضرة طوال السنة. تمتد الغابة على شكل مستطيل تقريباً، يبلغ امتدادها نحو 200 كم طولاً و60 كم عرضاً، أي أن مساحتها تقارب 12 ألف كم مربع.

[115] دوناوفورت: هي مدينة وعاصمة محافظة دوناوريس في سوابيا، بافاريا، ألمانيا. تقع المدينة بين ميونيخ ونورمبرغ، على بعد 46 كم شمال أوغسبورغ.

[116] كان هذا التحرك إبان حرب التحالف الأولى حيث كان الجيش الفرنسي وعلى إثرها حقق اختراقا نحو المانيا وانتصر فيها في عدة معارك وعزمت القيادة على الانسحاب إلى فرنسا قبل قدوم الجيش النمساوي وحقق موريو انسحاباً باهراً سُجِّل له وكانت كذلك عبر الغابة السوداء.

[117] وذلك إبان حرب التحالف السادسة أو ما تعرف في ألمانيا بحرب تحرير ألمانيا.



خريطة بوهيميا الطوبوغرافية

كل الضباط الأوربيين كان لديهم نفس الآراء الخاطئة بما يتعلق بالقوة التركية والبلقانية وخاصة بطبيعة التضاريس الداخلية. كان الاعتقاد أن مقاطعة القسطنطينية حاجزٌ منيع وأقوى ما في الإمبراطورية العثمانية، وذلك خطأ لم أتقبّله أثناء تواجدي في جبال الألب.

من الآراء المسبقة المتجذّرة أيضاً هي الاعتقاد أن السكان المسلحين سيشكلون حتماً ميليشيا كبيرة، وسيدافعون عن أنفسهم حتى أخر رمق. أثبتت التجربة –مبنية على هذا الرأي– أن النظام القديم في الإمبراطورية العثمانية (الذي وَضَع النخبة الانكشارية[118] في المدن الحدودية على الدانوب) قد جعل من سكان المدن الحدودية عسكريين أكثر من سكان مدن الداخل. وفي الواقع اضطرت مشاريع الإصلاح في عهد السلطان محمود[119] للتخلص من هذا النظام القديم، ولم يكن هناك وقت لاستبداله بنظام أحدث مما جعل الإمبراطورية بلا دفاع.

[118] هي قوات النخبة من مشاة الجيش العثماني، شكلوا الحرس الخاص للسلطان العثماني. تأسست قوات الانكشارية في عهد السلطان مراد الأول (1362-1389) وكان للانكشارية تنظيماً خاصاً بهم في ثكناتهم العسكرية وشاراتهم ورتبهم وامتيازاتهم، وهم أقوى فرق الجيش العثماني وأكثرها نفوذاً. غير أن هذه الأهمية الكبيرة لفرقة الانكشارية تحولت إلى مركز قوة نغّص حياة الدولة العثمانية، وعرضها لكثير من الفتن والقلاقل. في يوم 9 من ذي القعدة 1241هـ 15=حزيران/يونيو 1826 قضت قوات السلطان محمود الثاني على الانكشارية.

[119] السلطان محمود خان الثاني بن عبد الحميد الأول (20 يوليو1785- 1 يوليو1839) هو السلطان الثلاثون للدولة العثمانية، وهو ابن السلطان عبد الحميد الأول شهد عصره خطوات إصلاحية واسعة.

أثبتت التجربة دائماً أن حشود المقاتلين الشجعان المسلحين بكافة أنواع الأسلحة غير كافية لوحدها ليُكَوّنَ هؤلاء المقاتلون جيشاً قوياً أو دفاعاً قومياً.

وبالعودة للحديث عن أهمية المعرفة الجيدة عن الجغرافية العسكرية والإحصائية، فإن هذه العلوم غير مشروحة في البحوث ولم يتم تطويرها بعد. قام لويد[120] بكتابة مقالة عن هذه الأمور واصفاً حدود الدول العظمى في أوروبا. لم يكن لويد موفقاً في توقعاته أو في استخلاص الفوائد، كان يرى العوائق في كل مكان، واعتقدَ أن الحدود النمساوية على نهر الإن (بين تيرول وباساو[121]) منيعة، بينما قام نابليون وموريو بالمناورة على هذه الحدود وانتصروا بجيوشهم المؤلفة من 150000 جندي في الأعوام 1800 و1805 و1809.

ولكن إذا كانت هذه العلوم لا يتم تعليمها على نطاق واسع فمن المرجّح أننا سنجد معلومات قيّمة متعلّقة بهذه العلوم في وثائق هيئات الأركان الأوروبية (على الأقل في مدارس هيئات الأركان الخاصة). ونحن بانتظار الوقت الذي سيقوم به ضابط مجتهد بشرح جغرافية أوروبا الاستراتيجية والعسكرية مستعيناً بالوثائق المنشورة والغير منشورة. لدينا القدرة على سد هذه الحاجة جزئياً (بفضل التطور الكبير في الطبوغرافية خلال السنوات الأخيرة) بخرائط ممتازة انتشرت في جميع البلدان الأوروبية في العشرين سنة الأخيرة. في بداية الثورة الفرنسية كانت الطبوغرافيا في طفولتها، باستثناء ما قام به فرانسوا كاسيني[122] عندما رسم خريطته النصف طبوغرافية، وكذلك أعمال باكنبرغ فهي لوحدها تستحق هذا الاسم.

على أية حال تعتبر مدارس الأركان النمساوية والبروسية جيدة، وقد قطفوا ثمرة ذلك منذ مدة. الخرائط المنشورة آنفاً في فيينا وبرلين وميونيخ وشتوتغارت[123] وباريس، وكذلك المنشورة من قبل معهد هردر في فريبورغ[124] تُبشِّر الجنرالات في المستقبل بمصادر معلومات كبيرة لم تكن معروفة لمن سَبَقهم.

[120] هنري همفري ايفانز لويد (1718 - يونيو 1783) كان ضابط في الجيش الويلزي وكاتب العسكري. وقد قاتل مع الفرنسيين ضد النمساويين، كتاباته في النظرية العسكرية درسها جورج واشنطن وجورج باتون، واستخدمها فولر لتأسيس علم الحرب.
[121] باساو: هي بلدة تقع جنوب شرق ألمانيا الحالية.
[122] فرانسوا كاسيني: هو عالم فلك فرنسي ورسام خرائط (17 يونيو 1714- 4 سبتمبر 1784)
[123] شتوتغارت: هي عاصمة ولاية بادن فورتمبرغ في جنوب ألمانيا الحالية
[124] فريبورغ مدينة تشكل عاصمة مقاطعة فريبورغ السويسرية حالياً، وتقع على نهر سارين

حظ الإحصاء العسكري من المعرفة ليس بأوفر من الجغرافية. كل ما لدينا هي تقارير غير واضحة وسطحية عن تقديرات الجيوش والقوات البحرية، وكذلك عن الإيرادات التي تمتلكها الدولة، وهذه المعلومات غير كافية لوضع خطط للعمليات. ليس هدفنا هنا شرح هذه المواضيع المهمة بالتفصيل، بل سنكتفي بالإشارة إلى أهميتها للمساعدة في إنجاح العمليات العسكرية.

الموضوع الثاني عشر: أسباب أخرى لها تأثير على الانتصار في الحرب

يعتبر الغضب الشعبي بحد ذاته عدو قوي دائماً، وعلى كل من الجنرال والحكومة بذل قصارى جهدهم لتهدئة الشعب. كنا قد شرحنا بما فيه الكفاية عن هذا الموضوع تحت عنوان الحروب القومية [الوطنية].

من جهة ثانية على الجنرال أن يعمل جاهداً على إثارة حماسة جنوده، وأن ينقل إليهم الحماس التي يحاول كبته في أعدائه. جميع الجيوش تتأثر بهذه الروح، الحماس في بداية العمل والوسائل لتحقيق ذلك، وتختلف الجيوش فقط في الهوية القومية. البلاغة في الخطابات العسكرية هي إحدى هذه الوسائل وهي موضوع الكثير من البحوث. تصريحات نابليون وباسكوفيتش[125]، وخطابات سواروف هي نماذج من هذه الأنواع المختلفة. بلاغة خطابات المجالس المحلية الإسبانية[126] ومعجزات عامود العذراء (مادونا)[127] تؤدي لمثل هذه النتائج بوسائل متباينة بشكل كبير.

بشكل عام الوسائل التي تؤدي إلى إثارة حماس الجنود لتحقيق النصر هي قضية يضحي من أجلها الجنود، والثقة التي يمنحها الجنرال في نفوس جنوده من خلال نجاحاته السابقة. يجادل البعض مشككين في فوائد إثارة الحماس، ويفضلون رباطة الجأش والهدوء في المعركة. في الحقيقة كلا الأمرين لهما فوائد ومضار جليّة وواضحة، فالحماسة تحثُّ على

[125] إيفان فيودوروفيتش باسكوفيتش (19 مايو 1782 – 1 فبراير 1856) كان قائد الجيش الإمبراطوري الروسي. حصل على رتبة مشير في الجيش الروسي، وبعد ذلك في الجيش البروسي والنمساوي.
[126] المجالس المحلية الإسبانية: كانت أثناء حرب شبه الجزيرة الإيبيرية خلال مقاومة الاحتلال الفرنسي
[127] هو مزار يقدسه النصارى في سرقسطة أقيمَ على نهر الإبرو يُزعَم أنه مكان تجلي مريم عليها السلام للحواري يعقوب الكبير

القيام بأعمال عظيمة، لكن الصعوبة تكمن في الحفاظ عليها كما هي، وعندما يحدث التثبيط تنتشر الفوضى بسهولة.

زيادة الفعالية أو نقصانها وجرأة قادة الجيوش كلها عوامل نجاح أو فشل وهي لا تخضع لقواعد معينة. يجب على مجلس الوزراء والقادة أن يأخذوا بعين الاعتبار القيمة الفعليّة لجنودهم، والقيمة الناتجة من تنظيمهم بالمقارنة مع عدوهم. الجنرال الروسي الذي يقود أقوى تنظيم من الجنود في أوروبا لا يخاف من مواجهة جنود غير منظمين وغير منضبطين في الأراضي المفتوحة مهما كانوا شجعان كأفراد[128]. **التناغم في الأعمال يصنع القوة، والتنظيم يصنع التناغم، والانضباط يصنع التنظيم وبدون الانضباط والتنظيم يكون النصر غير ممكن.** إلا أن الجنرال الروسي لن يكون بنفس الجرأة أمام القوات الأوروبية التي تمتلك نفس التعليمات ونفس الانضباط عكس القوات الغير منضبطة. في النهاية فإن الجنرال سيجرب مع الجنرال ماك[129] كعدو ما يُعتبَر جنوناً إذا جرّبه مع نابليون.

تؤثر أعمال مجلس الوزراء فيما يخص التحكم بالجيوش على إقدام عملياتهم. فالجنرال الذكي المقيّد من قبل مجلس حكم على بعد 500 ميل هو غير قادر على مواجهة جنرال له حرية العمل ومتساوي معه في بقية الصفات.

بالنسبة للتفوّق في المهارات فإنها من أهم العوامل التي تؤدي إلى النصر، هذا إذا تساوت بقية العوامل. صحيح أن بعض الجنرالات العظماء هُزِموا من قبل جنرالات ضعفاء، ولكن الشواذ لا تصنع قاعدة.

سوء فهم أمر أو حدث غير متوقع قد يمنح الأعداء كل فرص النجاح، وهي الفرص التي يصنعها الجنرال الماهر بمناوراته، لكن هذه المخاطر لا يمكن توقعها أو تجنبها. هل من المعقول عند الأخذ بهذا الحسبان إنكار تأثير العلم والمبادئ العسكرية في الأحوال العادية؟

[128] قال المؤلف: القوات الغير منظمة والمدعومة بقوات منظمة قد تكون قيمتها أعلى وذلك بتدميرها للقوافل وقطعها لطرق الامداد والمواصلات وتجعل انسحاب العدو كارثياً كما حدث للفرنسيين في إسبانيا عام 1812. ولعل المؤلف يقصد بالقوات الغير المنضبطة في نص الكتاب (لا الهامش) القوات العثمانية التي قاتلت الروس لإشارته لهم سابقاً بأنهم غير منضبطين بالرغم من شجاعتهم, بدليل أن المؤلف أشار بعدها إلى أن الترتيب الانضباطي للقوات الروسية يجب أن يكون مختلفاً أمام القوات الأوروبية.

[129] كارل فريهر ماك فون ليبيريش (25 أغسطس 1752 – 22 ديسمبر 1828) ضابط نمساوي، كان قائد القوات النمساوية التي استسلمت لجيش نابليون في معركة أولم في عام 1805.

بالتأكيد لا. ويبرهن هذا الخطر على صحة هذه المبادئ، لأنه كان يجب أن تطبق على العدو، فطُبّقَت صدفة على الطرف الذي كان من المفترض أن يطبّقها على عدوه، وهذا سبب نجاحها. عند الاعتراف بهذه الحقيقة قد يُقال أن هذا الجدال ضد العلم؛ لكن هذا الاعتراض لا أساس له من الصحة، لأن علم الجنرال يتضمن خلق الفرص التي يُحتمل النجاح فيها بشكل كبير، ولا يتضمن طبعاً التدخل بالقدر. حتى لو كان عدد المعارك التي تم النصر فيها باستخدام التكتيكات بمهارة لا يتجاوز عدد المعارك التي تم النصر فيها بالصدفة فلن يغير هذا الأمر رأيي.

إذا كانت مهارة الجنرال هي إحدى أضمن العوامل المؤدية للنصر، فإن الاختيار الصحيح للجنرال سيكون أكثر النقاط حساسية في اختيارات الحكومة ومن أكثر الأجزاء أساسية في السياسة العسكرية للدولة. من المؤسف أن هذا الاختيار يتأثر بكثير من العوامل منها المشاعر التافهة والفرصة والرتبة والعمر والتفضيل والروح الحزبية وكذلك المصلحة العامة والعدل. هذا الموضوع من الأهمية بمكان بحيث سنفرد له مقال آخر.

الموضوع الثالث عشر: المؤسسات العسكرية

من أكثر الأمور أهمية في السياسة العسكرية للدولة هي طبيعة مؤسساتها العسكرية، فالجيش ذو القدرات الجيدة بقيادة جنرال ذو قدرات عادية قد يحقق إنجازات كبيرة، أما إذا كان الجيش سيء القدرات تحت قيادة جنرال جيد فقد يكون أداؤه بشكل جيد، ولكن هذا الجيش نفسه سيكون أداؤه أفضل بكثير في حال الجمع بين قدرات الجيش العالية وتفوق الجنرال.

يجب أن يتوفر في الجيش اثنا عشرة شرطاً حتى يكون جيشاً مثالياً وهي:

1. أن يكون له نظام تجنيد جيد
2. منظم بشكل جيد
3. وجود نظام جيد لتنظيم قوات الاحتياط
4. تعليمات جيدة من الضباط والرجال في التدريب العسكري والواجبات الداخلية وكذلك في الحملات العسكرية

5. انضباط صارم (لا يصل لمستوى الإهانة) تعززه روح الانتماء والالتزام بالمواعيد، وذلك على أساس القناعة وليس تماشياً مع شكليات الخدمة العسكرية.
6. نظام جيد مقبول للمكافآت، ومناسب لإثارة روح التنافس.
7. التدريب الجيد على الأسلحة الخاصة من الهندسة والمدفعية.
8. التسليح المتفوق (حسب الإمكانيات) على تسليح العدو، سواءً بالأسلحة الدفاعية أو الهجومية
9. رئيس أركان حرب قادر على استخدام هذه العناصر، ولديه ترتيبات مدروسة للنهوض بالتعليم النظري والعملي لأركانه.
10. نظام جيد للتموين والمستشفيات والإدارة العامة.
11. نظام جيد لتولي القيادة، وتوجيه العمليات الرئيسية للحرب.
12. القدرة على إثارة الروح العسكرية للشعب والحفاظ عليها.

ويمكن أن نضيف إلى هذه الشروط شرط توفر نظام جيد للملابس والمعدات، ورغم أن هذا الشرط أقل أهمية فيما يتعلق بميدان المعركة، إلاّ أنّ له تأثير كبير في الحفاظ على القوات، وإنّه لأمرٌ عظيم أن نحافظ على أرواح وصحة الجنود.

لا يمكن إهمال هذه الشروط الاثنا عشر دون التعرُّض لمصاعب شديدة. المثال على ذلك سقوط بروسيا تحت ضربات نابليون في خمسة عشر يوماً رغم أنّ الجيش البروسي مدرب ومنضبط بشكل جيد، إلاّ أنه لا يملك قوات احتياط وذو قيادة سيئة. من ناحية أخرى كثيراً ما يُنظَر إلى حجم الفائدة التي ستجنيها الدولة في حال امتلاكها جيش جيد. كان لرعاية ومهارة فيليب[130] والإسكندر المقدوني[131] في تشكيل وتوجيه كتائبهم وجعلها خفيفة الحركة وسريعة المناورة، دورٌ كبير في إخضاع المقدونيين للهند وبلاد فارس وذلك بجزء من قواتهم النخبوية. كان للحب المفرط الذي أظهره فريدريك الأول لجنوده دورٌ عظيم في منح ابنه فريدريك العظيم جيشاً قادر على تنفيذ مشاريعه العظيمة.

---

[130] فيليبوس الثاني المقدوني ولد 382 ق.م. ، حكم مقدونيا القديمة من سنة 359 ق.م إلى وفاته سنة 336 ق.م. وهو والد الإسكندر الأكبر.

[131] الاسكندر المقدوني (الأكبر): هو أحد ملوك مقدونيا الإغريق، ومن أشهر القادة العسكريين والفاتحين عبر التاريخ .وُلد الإسكندر في مدينة پيلا قرابة سنة 356 ق.م توفي سنة 323 ق.م، قيل أنه هو المذكور في القرآن بذي القرنين.

الحكومة التي تهمل جيشها تحت أي ذريعة هي مذنبة في أعين الأجيال القادمة، لأنها بهذا الإهمال تعرّض البلاد ومصالحها للخطر والذل بدلاً من إعداد الجيش للانتصار. نحن نرفض القول بأن الحكومة يجب أن تضحي بكل شيء للجيش، لأن هذا سيكون منافياً للعقل، ولكن يجب أن تولي الجيش الرعاية المستمرة. وإذا كان الأمير لم يتلقى التعليم العسكري فسيكون من الصعب جداً أن يؤدي واجبه في هذا الباب. في هذه الحالة – التي من المؤسف أنها تحدث كثيراً– يجب أن تُسد هذه الثغرة من قبل مؤسسات خبيرة، تبدأ بوضع نظام جيد لهيئة أركان الحرب، ونظام جيد للتجنيد، ونظام جيد من قوات الاحتياط.

هناك في الواقع أشكال من الحكم لا تسمح للحاكم بسلطة لاعتماد أفضل النظم للجيش. إذا كانت جيوش الجمهوريات الرومانية والفرنسية وجيوش لويس الرابع عشر وفريدريك العظيم تثبت أنه من الممكن إيجاد نظام عسكري جيد، وتوجيه العمليات بمهارة في ظل الحكومات الأشد معارضة من حيث المبدأ، فإنه لا يمكن التشكيك – في حالة العالم الحالية– بأن شكل الحكومة له تأثير كبير في تطوير القوة العسكرية للأمة وفي فعالية قواتها.

عندما تكون الأموال العامة في أيدي المتأثرين بالمصلحة المحلية أو الروح الحزبية، فإنهم قد يبالغوا في التدقيق والحرص على عدم الإنفاق، بحيث ينتزعوا كامل الصلاحيات في شن الحروب من الحاكم الذي يعتبره معظم الشعب عدواً لهم وليس حاكماً يرعى مصالحهم الوطنية.

قد تساهم الإساءة في استخدام الحريات العامة المُسَاء فهمها بهذه النتيجة البائسة، وبالتالي سيكون من المستحيل على الإدارة التي تخطط للمدى البعيد أن تُعدّ البلاد لحرب كبيرة، سواءً كان هدف هذه الحرب المطالبة بأهم مصالح البلاد في المستقبل، أو إن كان هدفها مقاومة ضرورية وفورية لعدوان مفاجئ.

هلّا توقّف أعضاء الهيئة التشريعية المنتخبة (ومعظمهم لن يكونوا مثل الكاردينال ريشيليو[132] ولا بيتس ولا حتى لوفويز[133]) عن محاولاتهم الخائبة في كسب الشعبية المبنية على فهم

[132] كاردينال ريشيليو (9 سبتمبر 1585 - 4 ديسمبر 1642 م) هو رجل دولة ودين ومن النبلاء الفرنسيين. كان وزير الملك الفرنسي لويس الثالث عشر. أصبح كاردينالاً سنة 1622م ومن ثم أصبح سيد الوزراء لدى لويس الثالث عشر سنة 1622م حتى وفاته سنة 1642م هو من

خاطئ للاقتصاد، وبدلاً من ذلك يساهموا في إيقاف انهيار المؤسسات الضرورية لجيش منضبط جيد التجهيز؟ وهلّا توقفوا عن إقناع أنفسهم وناخبيهم (المخدوعين بالدعاوي المغرية للإنسانية المفرطة) بأنّ حلاوة السلام أفضل دائماً من استعدادات رجل الدولة للحرب؟

أنا أبعد ما يكون عن الرأي القائل بأنه يجب على الدول أن تضع يدها على السلاح دائماً، وأن تكون على استعداد للحرب بشكل دائم؛ لأن هذه الحالة ستجلب الكوارث للجنس البشري، ولن يكون هذا ممكناً إلّا في ظل ظروف غير متوفرة في جميع البلدان. أعني ببساطة أنه يجب على الحكومات المتحضّرة أن تكون دائماً على أهبة الاستعداد لشن الحرب في زمن قصير، في الوقت الذي لا ينبغي أبداً أن تكون غير مستعدة. خبرة مؤسسات الدولة قد تفعل الكثير في التحضير لذلك على قدر بُعد نظرها في إدارتها وتحسين نظامها للسياسة العسكرية. وإذا كانت تُعتبر الحكومات التي تخضع لجميع التغييرات من قبل هيئة تشريعية منتخبة (في الأوقات العادية) في ظل حكم الهيئات الدستورية أقل ملائمة من غيرها في إنشاء أو إعداد قوة عسكرية هائلة، إلا أنها في بعض الأزمات الكبيرة حققت هذه الهيئات التشاورية نتائج مختلفة تماماً، وساعدت في تطوير القوة الوطنية إلى أقصى حد. ومع ذلك، فإن العدد القليل لمثل هذه الحالات في التاريخ يجعلها في قائمة الحالات الاستثنائية التي استفادت فيها الجمعية المشاغبة والعنيفة (التي وُضِعَت تحت ضغط الحاجة الملحة للاحتلال أو الهلاك) من الحماس الاستثنائي للأمة لإنقاذ البلاد وأنفسهم في نفس الوقت وذلك باللجوء إلى أكثر الإجراءات فظاعة، وطلب المساعدة من سلطة دكتاتورية مطلقة أطاحت بالحرية والقانون بحجة الدفاع عنها. هذه هي الدكتاتورية أو الاستيلاء المطلق والوحشي على السلطة بدلاً من طريقة الجمعيات المنتخبة، الذي هو السبب الحقيقي لإظهار القوة. ما حدث في المؤتمر بعد سقوط روبسبيري[134] ولجنة السلامة العامة[135] الرهيبة يثبت ذلك، فضلاً عن

خريجي السوربون ومؤسس أكاديمية اللغة الفرنسية. امتاز ريشيليو بالحنكة السياسية، وبتأكيد سلطة الملك والضرب على أيدي النبلاء، وكان يؤمن بأن الدين لا ينشر بالدماء، وفي أيامه انحسر النفوذ السياسي لطبقة النبلاء وخسروا كثيراً من مصالحهم.

[133] فرانسوا ميشيل لوتيلييه ماركيز دو لوفويز (18 يناير 1641 – 16 يوليو 1691) كان وزير الدولة الفرنسي للحرب لفترة طويلة من عهد لويس الرابع عشر. قام لوفواز ووالده ميشيل لو تيلييه بزيادة عدد الجيش الفرنسي إلى 400.000 جندي، وهو جيش من شأنه أن يقاتل في أربع حروب بين 1667و1713. يعرف اختصاراً باسم "لوفويز".

[134] ماكسميليان روبسبير أو روبسبيار (1794 - 1758)، محامي وزعيم سياسي فرنسي، أصبح أحد أهم الشخصيات المؤثرة في الثورة الفرنسية، وأحد الوجوه الرئيسية في عهد الإرهاب. في عام 1790 انتخب رئيسا لنادي اليعاقبة، وازدادت شعبيته كعدو للملكية ونصير للإصلاحات الديمقراطية . وعقب سقوط الملكية في فرنسا عام 1792 انتخب روبسبير أول مندوب لباريس للمؤتمر الوطني الذي ألح فيه على مطلب إعدام الملك لويس السادس عشر وعائلته وهو ما تحقق عام 1793م وسرعان ما انتخب روبسبير عضواً في الهيئة التنفيذية العليا ولجنة السلامة العامة. في غياب أي مقاومة له، أصبح هو المسيطر على الحكومة الفرنسية، حيث كانت فرنسا وقتذاك تعاني من الإضرابات السياسية والاجتماعية.

مجلس النواب في عام 1815. الآن، إذا كانت تعتبر السلطة الدكتاتورية (السلطة التي تُوضَع في أيدي قلة) دائماً أنها خشبة النجاة في الأزمات الكبيرة، فمن الطبيعي أن نستنتج أن البلدان التي تسيطر عليها المجالس الانتخابية تكون أضعف سياسياً وعسكرياً من الملكية المطلقة، على الرغم من أنها تقدم مزايا أخرى في جوانب أخرى.

من الضروري بصفة خاصة مراقبة وحماية الجيوش في فترات السلم الطويلة، وذلك حتى لا تتدهور هذه الجيوش وتصاب بالضعف، وهذا محتمل جداً في فترات السلم الطويلة. ومن المهم تعزيز الروح العسكرية في الجيوش وممارستها لمناورات تدريبية كبيرة، وحتى إن كانت تحاكي الحرب الفعلية بشكل ضعيف إلّا أنها تبقى ميزة مهمة في إعدادهم للحرب. ولا تقل أهمية في منعهم من أن يصبحوا مخنثين، وهو ما يمكن القيام به من خلال توظيفهم في جهود مفيدة للدفاع عن البلاد.

انعزال القوات في حاميات على شكل أفواج هي واحدة من أسوأ النظم الممكنة، ويبدو أن النظام الروسي والبروسي المتمثل بالفرق والفيالق الدائمة أفضل بكثير. وبصفة عامة يمكن الآن تقديم الجيش الروسي كنموذج يقتدى به من نواح كثيرة، وإن كانت عاداته في كثير من الأمور عديمة الفائدة وغير قابلة للتطبيق في أماكن أخرى، فلا بد من الاعتراف بأن العديد من مؤسساته الجيدة يمكن تقليدها.

أما بالنسبة للمكافآت والترقية، فمن الضروري تقدير الخدمة الطويلة، وفي الوقت نفسه فتح وسيلة التميّز. فيجب أن تكون ثلاثة أرباع الترقيات في كل رتبة وفقاً لقائمة الخدمة الطويلة، والربع الباقي محفوظ لأولئك المتميزين بالجدارة والحماس. وعلى العكس من ذلك في وقت الحرب، ينبغي تعليق أوامر الترقيات العادية أو تخفيضه على الأقل إلى ثلث الترقيات، تاركاً الثلثين الآخرين للسلوك الرائع والخدمة المميزة أثناء الحرب.

وبهدف استعادة النظام في البلاد وتقليل خطر الغزو الخارجي، بدأ روبسبير في القضاء على كل من اعتبرهم "أعداء الثورة" فأعدم معظم زعماء الثورة الفرنسية، وهو ما عرف بعهد الإرهاب وكان لا يزال يتمتع بتأييد المجتمع الباريسي، ولذلك انتخب رئيساً للمؤتمر الوطني. في غضون ذلك ازدادت الإعدامات، حتى وصل عدد المعدومين إلى ستة آلاف شخص في ستة أسابيع، وأدت خطب روبسبير النارية إلى خوف عدد من كبار أعضاء المؤتمر الوطني على سلامتهم الشخصية، ولذلك دبرت مؤامرة ضد روبسبير وأعوانه، واتفق كل من (باراس - دتاليان) متزعمي المؤامرة وهما من رجال الثورة الذين كانا خائفين على ما يفعله روبسبير ومن معه، لذلك عزما على التخلص منه وجهزا قوة عسكرية واقتحما بها دار البلدية التي تمترس بها روبسبيير، ونجحت إحدى الرصاصات التي أطلقت عليه في أن تصيب فكه، ومن ثم قيدوه وأخذوه إلى المقصلة مع مائة من أتباعه وأعدموهم جميعهم، ما أنهى عهد الإرهاب.

[135] لجنة السلامة العامة : أنشئت في مارس 1793 من قبل المؤتمر الوطني الفرنسي ثم أعيدَ هيكلتها في يوليو 1793، شكلت حكومة الأمر الواقع التنفيذية في فرنسا خلال عهد الإرهاب(1794-1793) ، وهي إحدى مراحل الثورة الفرنسية.

التفوق في التسليح قد يزيد من فرص النصر في الحرب، إذ هو في حد ذاته ليس سبباً في كسب المعارك، وإنما هو عامل كبير في النصر. كلنا نذكر كيف كاد الفرنسيون أن يَهلكوا في معركة إيلاو[136] ومارنجو[137] نتيجة ضعفهم الشديد في سلاح المدفعية. ويمكننا أيضاً أن نشير إلى المكاسب الكبيرة التي حققها سلاح الفرسان الفرنسي الثقيل لما عادوا لارتداء الدروع التي تركوها لفترة طويلة. كل واحد منا يعرف الميزة الكبيرة للرماح، ومما لا شك فيه فإن الخيالة الخفيفة (hussar)[138] أفضل من الرماح في المبارزة بين شخصين، ولكن عند الانقضاض على شكل نسق فالعكس صحيح. كم من الجنود الفرسان الشجعان كانوا ضحية التحامل الذي يضمرونه ضد الرماح لأنها كانت أكثر صعوبة في حملها من السيف الضالع (Saber)[139]!



درع

[136] معركة إيلاو هي معركة دموية حدثت في 7-8 فبراير عام 1807 بين جيش نابليون وجيش روسيا القيصرية قرب بلدة إيلاو في بروسيا الشرقية خلال حرب التحالف الرابعة ولم تسفر عن نصر حاسم.

[137] معركة مارنجو هي معركة وقعت بين فرنسا والنمسا في عام 1800م وانتصرت في هذه المعركة الجيوش الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت مما أجبر النمسا على توقيع معاهدة لونفيل في عام 1801م وكانت النتائج استيلاء فرنسا على كل الحدود الواقعة بينها وبين نهر الراين وانسحاب النمسا من إيطاليا نهائياً.

[138] Hussar: نوع من الانواع الفرسان الخفيفة، ظهرت في أوروبا الشرقية وأوروبا الوسطى في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وانتشرت في أنحاء أوروبا بعدها.

[139] السيف الضالع أو المُنصُل أو السيف المنحني أو كَتّارَه هو نوع من السيوف وحيدة الحد التي عادةً ما تتمتع بشفرة مقوسة وأحادية الحد ومزودة بوقاء لليد كبير نسبيًا، حيث يغطي براجم اليد إلى جانب الإبهام والسبابة. وللعلم فالhussar في جيش نابليون كانوا مسلحين بهذا النوع من السيوف، بينما كان الhussar في أزمنة أخرى وجيوش أخرى مسلحين بالرماح عادة.



الخيالة الخفيفة hussar

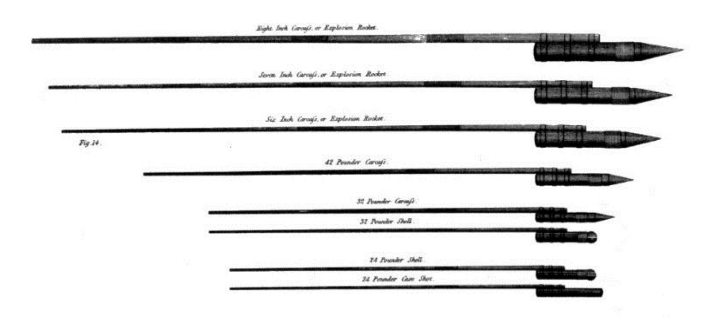


السيف الضالع / كتاره

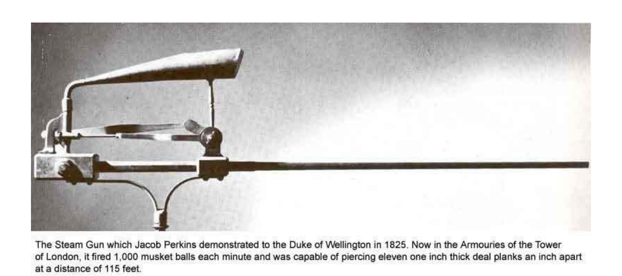
إن تسليح الجيوش قابل لإدخال تحسينات كبيرة عليه، فالدولة التي تأخذ زمام المبادرة في القيام بالتحسينات تضمن الحصول على مزايا كبيرة. بقي القليل من التحسينات المطلوبة للمدفعية، ولكن الأسلحة الهجومية والدفاعية للمشاة والفرسان تستحق اهتمام حكومة حسنة التدبير. ويبدو أن الاختراعات الجديدة في السنوات العشرين الماضية تهدد بثورة عظيمة في تنظيم الجيوش وتسليحها وتكتيكاتها. مع ذلك ستبقى الاستراتيجية وحدها دون تغيير مع المبادئ نفسها التي كانت في زمن سكيبيو[140] والقياصرة وفريدريك ونابليون، لأنها مستقلة عن طبيعة الأسلحة وتنظيم القوات.

[140] بابليوس كورنيليوس سكيبيو الإفريقي: يعرف أيضاً باسم سكيبيو الإفريقي أو سكيبيو الكبير أوأفريكانوس الكبير (240 ق.م - 183 ق.م) قنصل وقائد روماني خلال الحرب البونيقية الثانية، اشتهر بانتصاره على حنبعل في معركة زاما التي حسمت الحرب البونيقية الثانية، ومن هنا اكتسب لقبه "الإفريقي"، كما يلقب بـ"حنبعل الروماني"، ويعتبر واحد من خيرة القادة العسكريين في التاريخ، وأبرز معاركه التي أظهرت قدراته التكتيكية معركة إليبا.

وسائل التدمير تقترب من الكمال بسرعة مخيفة[141]. يُقال أن النمساويين الآن استطاعوا ضبط تأثير وتوجيه صواريخ الكونغريف[142]، ومدفع الهاوتزر المتشظي الذي يرمي علبة مليئة بالشظايا بمدى يقارب مدى الرصاصة[143]، ومدافع بيركنز البخارية[144] التي تطلق سيل من الكرات بعدد أفراد كتيبة، ستضاعف هذه الأسلحة فرص التدمير، كما لو أن مجازر إيلاو وبورودينو[145] ولايبزغ وواترلو[146] لم تكن كافية لتدمير النسل البشري في أوروبا.



صواريخ الكونغريف



The Steam Gun which Jacob Perkins demonstrated to the Duke of Wellington in 1825. Now in the Armouries of the Tower of London, it fired 1,000 musket balls each minute and was capable of piercing eleven one inch thick deal planks an inch apart at a distance of 115 feet.

مدفع بيركنز البخاري

إذا لم تتفق الحكومات في مؤتمر لحظر استخدام هذه الاختراعات المدمرة، فلن يكون هناك طريقة أخرى إلا بتجهيز نصف جيش يتكون من الفرسان ويلبسون الدروع، ذلك من أجل

---

[141] المترجمون الأمريكيون: مما يُذكر أن الكاتب كتب هذا منذ سنوات عديدة، ومنذ ذلك الوقت تم توجيه وتركيز العبقرية الابتكارية في ذلك العصر إلى تحسين الأسلحة النارية. وقد شهدت المدفعية التي أعتبرها قاربت الكمال تحسينات هامة، كما أن تحسين كفاءة الأسلحة الخفيفة ليس بأقل، في حين أننا لا نسمع شيئاً الأن عن بنادق بيركنز البخارية، وحتى الأن لم يتم تنظيم جيش عصري على الخطة التي يقترحها المؤلف لحرمان هذه الآلات المدمرة من كفاءتها.

[142] صاروخ كونغريف: هي صواريخ طورها الضابط البريطاني وليم كونغريف خلال بداية القرن التاسع عشر وتحمل المتفجرات. وزن بعض الصواريخ 27 كغ ويحلق إلى ارتفاع 2.5 كم.

[143] الهاوتزر هو نوع من أنواع المدفعية يتميز بسبطانة قصيرة نسبياً ويطلق قذائف صغيرة تصل لمسافات بعيدة بسرعة أبطئ بمسار منحنٍ للمقذوف بحيث يكون مسار المقذوف مقوس لضرب المواقع خلف الموانع بعكس المدفع الذي يستخدم المسار المستقيم بسرعة فوهية عالية جداً.

[144] مدفع اخترعه جاكوب بيركنز يعتمد على مبدأ الطاقة البخارية في إطلاق الرصاص.

[145] معركة بورودينو دارت رحاها بتاريخ 7 سبتمبر 1812 بين جيش نابليون بونابرت والجيش الإمبراطوري الروسي بقيادة الجنرال ميخائيل كوتوزوف، وهي إحدى أكبر معارك الغزو الفرنسي لروسيا التي نجم عنها خسارة 44,000 جندي روسي و35,000 جندي فرنسي بين قتيل وجريح وأسير، وقد قيل أنها كانت أكثر معارك الحروب النابليونية دمويةً بل ومن أكثر الحروب دموية في التاريخ البشري حتى ذلك الحين.

[146] معركة واترلو: معركة فاصلة وقعت في 18يونيو عام 1815م في قرية واترلو قرب بروكسل عاصمة بلجيكا، وهي آخر معارك الامبراطور الفرنسي نابليون بونابرت هزم فيها هزيمة مريرة غير متوقعة لقائد بعبقرية نابليون، وهذا ما جعل الإنجليز يصفون فيما بعد الشخص الذي يعاني من حظ سيئ جداً بأنه صادف واترلو.

اغتنام هذه الآلات بسرعة كبيرة. وحتى المشاة سيكونون ملزمين بالعودة لارتداء دروع العصور الوسطى، التي من دونها ستُدمَّر الكتيبة قبل الاشتباك مع العدو. في حين أن هناك شك في إمكانية تحقق هذه المخاوف، إلّا أنّه من المؤكد أن المدفعية والتقانة النارية (علم وصناعة الصواريخ النارية) أحرزت تقدماً يجبرنا على التفكير في تعديل التشكيل المعقّد المستعمل بشكل سيء من قبل نابليون. وسنعود إلى هذا الموضوع في فصل التكتيكات.

سنكرر هنا في كلمات مختصرة القواعد الأساسية للسياسة العسكرية التي ينبغي تبنيها من قبل حكومة خبيرة:

1. يجب أن يتلقى الأمير التعليم السياسي والعسكري، ومن المرجح أنه سيجد الرجال ذوي القدرة الإدارية من مستشاريه أكثر من ذوي القدرة السياسية أو العسكرية الجيدة، لذلك ينبغي جمع الأمرين (العسكري والسياسي) في شخصه.
2. إذا كان الأمير لا يقود جيوشه بشكل شخصي، سيكون من واجبه الأول والمصلحة الأقرب له أن يسد مكانه جيداً، بحيث يأتمن مجد سلطانه وسلامة دولته إلى جنرال أكثر قدرة منه على قيادة جيوشه.
3. يجب أن يتمتع الجيش الدائم بالمرونة من حيث زيادة العدد ولا يكون بعدد واحد فقط في جميع الظروف، فيجب أن يكون قادراً على مضاعفة عدده إذا لزم الأمر، فالاحتياط ينبغي أن يكون دائماً مستعد. وينبغي أن يكون تعليمه وانضباطه ذا طابع عالٍ فضلاً عن تنظيمه، وأن يكون تسليحه على الأقل بجودة جيوش الدول المجاورة، ومتفوقاً إن أمكن.
4. يجب أن تكون معدات الحرب أيضاً بأفضل جودة ومتوفرة. وينبغي تخزين الاحتياطيات في المستودعات والترسانات. وأن لا تمنعنا الغيرة الوطنية من اعتماد جميع التحسينات التي تمت إضافتها في بلدان أخرى إلى هذا المعدات.
5. من الضروري تشجيع دراسة العلوم العسكرية ومكافأة المتفوقين فيها، فضلاً عن الشجاعة والحماسة. يجب أن تُحترم الهيئة العسكرية العلمية وتُكرّم، هذه هي الطريقة الوحيدة لتأمين رجال في الجيش أصحاب جدارة وعبقرية.

6. في حالة السلم يجب توظيف هيئة أركان الحرب في الأعمال التحضيرية لجميع حالات الحروب الطارئة المحتملة. وتزويد أرشيفها بتفاصيل تاريخية عديدة عن الأحداث الماضية، وبجميع الأطروحات والمقالات الإحصائية والجغرافية والطوبوغرافية والاستراتيجية الحالية والمستقبلية. ومن ثم من الضروري أن يكون رئيس هذه الهيئات مع عدد من ضباطها مقيمين بشكل دائم في العاصمة في وقت السلم، وينبغي أن يكون في مكتب الحرب لهيئة الأركان قسم سري للوثائق السرية لإخفائها عن الأعضاء الثانويين من الهيئة.
7. يجب عدم إهمال الحصول على المعلومات الجغرافية والإحصائية العسكرية للدول الأخرى، لكي نعرف قدرتها المادية والمعنوية في الهجوم والدفاع، فضلاً عن المزايا الاستراتيجية للطرفين. وينبغي توظيف الضباط المتميزين في هذه الأعمال العلمية، ومكافأتهم عندما يبلون بلاءً حسناً بكفاءة مميزة.
8. عند اتخاذ قرار بشن الحرب، يصبح من الضروري إعداد خطة عمليات، ومن المستحيل أن تكون الخطة كاملة، بل يجب وضع نظام للعمليات في إطار هدف محدد لتوفير الأساس فضلاً عن جميع الوسائل المادية اللازمة لضمان نجاح العمل.
9. يجب أن يُحدّد نظام العمليات مسبقاً أهداف الحرب، وصفات قوات العدو، وطبيعة وموارد البلد، وشخصيات الأمم ورؤساؤها سواء من الجيش أو السياسيين. باختصار ينبغي أن يُبنَى نظام العمليات على أساس التعامل مع الوسائل المعنوية والمادية للهجوم أو الدفاع التي يمكن للعدو أن يستخدمها، ويجب أن يأخذ في الاعتبار التحالفات المحتملة التي يمكن أن تُعقد لصالح أو ضد أي من الطرفين خلال الحرب.
10. يجب أن تُوزن الحالة المالية للأمة من بين ميزانيات الحرب. ومع ذلك سيكون من الخطورة أن تنسب باستمرار إلى هذه الحالة الأهمية التي يوليها فريدريك العظيم في عصره. ربما كان على حق في عصره عندما تم تجنيد الجيوش اعتماداً على التجنيد التطوعي، عندما استقطبت الأجور العالية المزيد من الجنود، ولكن عندما تكون جبايات الدولة ذات تنظيم جيد، فلن يكون للمال نفس التأثير –على الأقل لحملة أو

حملتين-. وإن أثبتت إنكلترا أن المال سيجلب جنوداً ومساعدين، فقد أثبتت فرنسا أن حب البلد والشرف مثمران بنفس القدر، وأنه يمكن عند الضرورة شن حرب لدعم الحرب. وفرنسا في الواقع في خصوبة ترابها وحماسة قادتها تمتلك مصادر قوة مؤقتة ولا يمكن اعتمادها كأساس عام لنظام ما، ولكن نتائج جهودها لم تكن أقل تميزاً. وفي كل عام كانت تعلن التقارير المتعددة الصادرة عن مجلس الوزراء في لندن ولا سيما عن السيد د. يفرنويس أن فرنسا كانت على وشك الانهيار بسبب الإفلاس، في حين كان لدى نابليون 200.000.000 فرنك[147] في خزائن التويلري[148]، مع استيفاء نفقات الحكومة بما في ذلك أجور جيوشه.

قد تمتلك الدولة فائضاً من الذهب، ومع ذلك تدافع عن نفسها بشكل سيء للغاية. والتاريخ في الواقع يثبت أن أغنى دولة ليست الأقوى ولا الأسعد. الحديد يزن ما لا يقل عن الذهب في موازين القوة العسكرية، ومع ذلك يجب أن نعترف بأن الجمع الصحيح بين المؤسسات العسكرية الخبيرة والشعور الوطني العالي والمالية ذات التنظيم الجيد والثروة الداخلية والائتمان العام يزيد من قوة الأمة لتصبح أعظم قوة، ويجعلها أكثر قدرة على الاستمرار في حرب طويلة.

سنحتاج لمجلدات لمناقشة جميع الظروف التي يمكن أن تزيد قوة الأمة أو تضعفها، إما عن طريق الذهب أو الحديد، ولتحديد الحالات التي يتوقع فيها أن تدعم الحرب حرباً أخرى. لا يمكن الحصول على هذه النتيجة إلا عن طريق حمل الجيش إلى أراضي العدو، وليست جميع البلدان على قدم المساواة قادرة على توفير الموارد للمهاجم.

لا نحتاج إلى التوسع في البحث والشرح في هذه المواضيع التي لا ترتبط مباشرة بفن الحرب، وهدفنا هو أن نبين علاقاتها بحرب متوقعة، وسيكون على رجل الدولة تطوير التعديلات التي قد تحدثها الظروف والأوضاع في هذه العلاقات.

---

[147] قال المؤلف: كان هناك عجز في المالية الفرنسية عند سقوط نابليون، وكان ذلك نتيجة لطوامه والجهود الهائلة التي اضطر إلى القيام بها. لم يكن هناك عجز في عام 1811.

[148] التويلري: هو القصر الملكي ويقع في باريس.

الموضوع الرابع عشر: قيادة الجيوش والسيطرة العليا على العمليات

هل من صالح الدولة أن تُقاد جيوشها شخصياً من قبل الملك؟ مهما كان القرار في هذه النقطة، فمن المؤكد أنه إذا كان الملك يمتلك عبقرية فريدريك أو بيتر الكبير[149] أو نابليون فإنه لن يترك شرف القيام بالأعمال العظيمة لجنرالاته بل سيفعلها بنفسه، لأنه في ترك هذا الشرف سيكون خائناً لمجده ومصالح بلاده.



بيتر الكبير

ليس من مهمتنا أن نناقش مسألة ما إذا كان من الأفضل لأمة أن يكون لها أمير حرب أو أمير محب للسلام (وهو سؤال مثالي خارج عن موضوعنا)، كل ما سنقوله في هذه النقطة (مع المساواة في المزايا والفرص في الجوانب الأخرى) هو أن الملك يتفوق دائماً على الجنرال بكونه رئيساً للدولة. وبغض النظر عن السؤال القائل "هل هو مسؤول أمام نفسه فقط عن مجازفاته ومشاريعه الجريئة؟" فإنه يستطيع أن يفعل الكثير بيقين أنه قادر على التصرف في جميع الموارد العامة لتحقيق أهدافه، كما أنه يمتلك الأتباع الأقوياء لصالحه، والقدرة على إعطاء المخصصات والعقوبات، وسيكرّس الجميع لتنفيذ أوامره. ولضمان أكبر قدر من

[149] بطرس الأكبر أو بيتر العظيم أو بيتر الأول أو بيوتر ألكسييفيتش رومانوف (9 يونيو 1672 - 8 فبراير 1725) وقيصر روسيا الخامس ولد في الكرملين عام 1672. حكم روسيا من عام 1682 خلفاً للقيصر فيودر الثالث وحتى وفاته عام 1725. وقد كان يحكم روسيا بدايةً حتى 1696 مشاركاً لأخيه غير الشقيق القيصر إيفان الخامس في الحكم حيث أن الأخير كان يعاني المرض.

النجاح لمشاريعه؛ لن تتدخل غيرة الآخرين في تنفيذ مشاريعه، أو على الأقل ظهورها سيكون نادراً وفي العمليات الثانوية. ومما سبق دوافع كافية لحمل الأمير لقيادة جيوشه، وذلك إذا كان يمتلك القدرة العسكرية ووصل النزاع إلى حد يستحق منه التدخل. ولكن إذا لم تكن لديه القدرة العسكرية الكافية وشخصيته ضعيفة ويتأثر بسهولة، فإن وجوده مع الجيش يفتح الطريق لجميع أنواع المؤامرات ولن يتم تحقيق نتائج جيدة، فكل جنرال سيقدم مشاريعه وخططه له، إلّا أنّ رأيه سيميل غالباً إلى خطط ومشاريع الجنرال المقرب منه، وذلك لافتقاره للعلم والخبرة اللازمة لتقدير مشاريع وخطط الجنرالات حسب جدارتهم. وبذلك لن يستطيع الجنرال الذي يتدخل المَلِك في أعماله ويعارضه في جميع مشاريعه أن يحقق النجاح حتى وإن كان يملك القدرة والخبرة الكافية لتحقيق هذا النجاح.

قد يقال أنه يمكن للملك أن يرافق الجيش دون أن يتدخل بعمل الجنرال قائد الجيش، وعلى العكس يساعده في أداء مهامه بتأثير ثقل وجوده إلى جانب الجنرال، في هذه الحالة يكون وجوده سبباً لتحقيق نتائج جيدة، لكنه قد يؤدي أيضاً إلى إحراج كبير، وذلك إذا ما حدث التفاف على الجيش وانقطع إمداده، واضطروا إلى تخليص أنفسهم والسيف في اليد، فما أتعس النتائج التي تحدث من تواجد الملك في المقر العام للمعركة!

عندما يرى الأمير ضرورة نزوله إلى الميدان على رأس جيوشه، لكنه يفتقر إلى الثقة بالنفس اللازمة للإشراف الأعلى على الأمور، فإن أفضل طريقة ستكون هي التي اعتمدتها الحكومة البروسية مع بلوشر[150] وهي كالتالي: ينبغي أن يكون الأمير مصحوباً بأفضل جنرالين من ذوي القدرات العسكرية، أحدهم ذو قدرة إدارية والأخر ضابط أركان جيد التدريب. إذا كان هذا الثلاثي متناغماً فإنهم قد يحققوا نتائج ممتازة، كما هو الحال في جيش سيليزيا[151] في عام 1813.

وقد يطبق نفس النظام في الحالة التي يرى فيها الملك أنه من الأفضل أن يأتمن القيادة لأمير من عائلته كما كان يحدث كثيراً منذ عهد لويس الرابع عشر. وقد حدث في كثير من

[150] جيفهارد ليبرشت فون بلوشر، فورست فون فالستات (17 ديسمبر 1742- 12 سبتمبر 1819) كان ضابطا بروسيا برتبة مشير. أُشتهِر بعد قيادة جيشه ضد نابليون الأول في معركة الأمم في لايبزيغ في عام 1813 ومعركة واترلو في عام 1815 وانتصاره عليه.

[151] قاد بلوشر جيش سيليزيا في حرب التحالف السادسة وهزم جيش نابليون هزيمة ساحقة في معركة الأمم.

الأحيان أن الأمير يمتلك القيادة اسمياً فقط، وأن المستشار (الذي في واقع الأمر مأمور) يفرض الأوامر على الملك. كان هذا هو الحال مع دوق أورليانز[152]ومارسين[153] في معركة تورينو الشهيرة، وبعد ذلك مع دوق بورغندي[154] ودوق فندوم[155] في معركة أودينارد[156]، وأعتقد أيضاً في معركة أولم[157] مع أرتشدوق فرديناند[158] وماك. وهذا النظام يُرثى له، إذ لا يُوجِّه المسؤولية عن ما يحدث لشخص محدد. ومن المعروف أنه في معركة تورينو أظهر دوق أورليانز قدراً أكبر من الفطنة مقارنةً بمارسين، وأصبح من الضروري بالنسبة لهذا الأخير إظهار صك التفويض الكامل السري من قبل الملك قبل أن يقضي الأمير بقراره ويسمح بحدوث الهزيمة في المعركة[159]. حتى في معركة أولم أظهر أرتشدوق المهارة والشجاعة أكثر من ماك الذي كان مستشاره.

إذا كان الأمير يمتلك عبقرية وخبرة أرتشدوق تشارلز[160]، فينبغي أن تُستثمر بسلطة غير مقيدة، ويُسمح له باختيار كامل معداته. وإذا لم يكن قد حصل بعد على نفس ألقاب القيادة، فمن الممكن بعد ذلك تزويده بجنرال متعلم من هيئة الأركان، وجنرال آخر مميز بموهبته في الإنجاز. ولكن في أي حال من الأحوال ليس من الحكمة استثمار حكمة وعبقرية أي مستشار من المستشارين في السلطة بمنحه أكثر من صوت واحد في التشاور.

---

152 فيليب دي أورلينز هو فيليب الثاني دوق أورليان ابن فيليب الأول، دوق أورليان ابن الملك لويس الثالث عشر (2 أغسطس1674-2 ديسمبر 1723م) أمير فرنسي من الأسرة الملكية الفرنسية، عمُّه الملك لويس الرابع عشر، وقد جعله قبلَ وفاته على رأس مجلس الوصاية الذي حكم فرنسا منذ وفاة الملك لويس الرابع عشر إلى أن تولى خليفتُه لويس الخامس عشر المُلْكَ بنفسه، فظلّ الأمير فيليب دي أورلينز وصياً على العرش منذ 1715 إلى وفاته 1723م.

153 فرديناند كومت دي مارسين (أو مارتشين) (10 فبراير 1656 - 9 سبتمبر 1706) دبلوماسي فرنسي، وكان مارشال فرنسا.

154 لويس دوق بورغوندي (16 أغسطس 1682 - 18 فبراير 1712) المعروف بدوفين الأصغر، هو أمير فرنسي، أصبح دوفين فرنسا العشرون وأصبح دوق بورغندي، هو ابن لويس جراند دوفين وزوجته ماريا آنا فيكتوريا دوقة بافاريا.

155 دوق فندوم: لويس جوزيف دي بوربون (1 يوليو 1654 - 11 يونيو 1712) كان قائدا عسكرياً فرنسياً خلال حرب التحالف الكبير وحرب الخلافة الإسبانية، وكان مارشال فرنسا.

156 معركة أودينارد كانت معركة في حرب الخلافة الإسبانية حدثت في 11 يوليو 1708 بين قوات بريطانيا العظمى، والجمهورية الهولندية والإمبراطورية الرومانية المقدسة من جهة، وفرنسا من جهة أخرى. حدثت في أودينارد (الآن في بلجيكا) وكانت انتصاراً كبيرا للحلفاء.

157 معركة أولم حدثت في 16- 19 أكتوبر 1805 وهي سلسلة من المناوشات حدثت في نهاية حملة أولم، حيث أوقع نابليون الأول بالجيش النمساوي بأكمله تحت قيادة كارل فريهر ماك فون ليبيريش مع الحد الأدنى من الخسائر وأجبرهم على الاستسلام، على مقربة من أولم وهي مدينة تقع في جنوب ألمانيا الحالية.

158 أرتشدوق فرديناند كارل جوزيف من النمسا (25 أبريل 1781 - 5 نوفمبر 1850) هو الابن الثالث لأرشدوق فرديناند وزوجته الأميرة ماريا بياتريس ريكاردا دي إستي، الوريث الأخير لبيت الإستي. كان في قيادة الجيش النمساوي في معظم الحروب النابليونية.

159 كان أورليانز الأشد تأييداً لمهاجمة الحلفاء في حصن تورينو. وأغلبية القادة أيدت الهجوم، وكادوا ينفذون هذا الهجوم، إلا أن مارسين منعهم من ذلك, وأظهر للمجلس رسالة من لويس الرابع عشر تعطيه السلطة العليا في حالة حدوث معارضة ضمن القيادة، وبالتالي بقي الجيش الفرنسي في الخطوط.

160 أرتشدوق تشارلز من النمسا، دوق تيشين (5 سبتمبر 1771 - 30 أبريل 1847) كان هو المشير النمساوي، الابن الثالث للإمبراطور ليوبولد الثاني وزوجته ماريا لويزا من اسبانيا, وهو الأخ الأصغر لفرانسيس الثاني الإمبراطور الروماني المقدس. على الرغم من معاناته مع مرض الصرع، حقق تشارلز الاحترام كقائد وكمصلح للجيش النمساوي. كان يعتبر واحداً من أقوى أعداء نابليون.

لقد قلنا بالفعل أنه إذا لم يكن الأمير على جيوشه شخصياً، فإن أهم واجباته هي أن يكلف قائداً جيداً لهذا المنصب، وهو أمر لا يتم دائماً لسوء الحظ. من دون أن نعود إلى العصور القديمة سيكون كافياً أن نذكر الأمثلة الأقرب عهداً كما حدث في عهد لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر[161]. لم يُمنح الأمير يوجين التقدير المناسب لقيمته الحقيقية (القائد الأقدر في وقته) وذلك بسبب شكله المشوّه، وهذا ما دفعه للانضمام إلى صفوف العدو.

بعد وفاة لوفواز[162] شَغَل تالارد[163] ومارسين وفيليروي[164] مناصب تورين[165] وكوندي[166] ولوكسمبورج[167]، وبعد ذلك سوبس[168] وكليرمون[169] خلفاً للمارشال ساكس[170]. بين اختيار الرجال الأنيقين الخارجين من صالونات بومبادورس ودوباريس[171]، وبين تفضيل نابليون للجنود البسطاء، هناك العديد من التدرجات وهامش واسع بما فيه الكفاية لتوفير وسائل لجعل تعيينات المناصب عقلانية لأغبى حكومة. ولكن في جميع العصور مارست نقاط الضعف عند البشر تأثيرها بطريقة أو بأخرى، وغالباً ما كان المتحايل الماكر يظفر بالمنصب على الشخص الأقل جدارة أو المتردد الذي ينتظر دعوة رسمية لتقديم خدماته.

---

[161] لويس الخامس عشر ولد في 15شباط 1710 وتوفي في 10 أيار عام 1774 وهو ملك فرنسا منذ الأول من أيلول عام 1715 حتى 10 أيار 1774

[162] فرانسوا ميشيل لو تيلييه، ماركيز دو لوفواز (18 يناير 1641 - 16 يوليو 1691) كان وزير الدولة الفرنسي للحرب لفترة طويلة من عهد لويس الرابع عشر. ويشار إليه عادة باسم "الوفواز".

[163] كاميل دي هوستن دي لا بوم، دوك دي تالارد (14 فبراير 1652 - 20 مارس 1728) نبيل فرنسي ودبلوماسي وقائد عسكري، أصبح مارشال فرنسا.

[164] فرانسوا دي نيوفيل الثاني دوق فيليروي (7 أبريل 1644 - 18 يوليو 1730) وهو جندي فرنسي ترقى عام 1693 ليصبح مارشال فرنسا.

[165] كان هنري دي لاتور دي أوفيرغن، فيكومت دي تورين، وغالباً ما يلقب بتورين (11 سبتمبر 1611 - 27 يوليو 1675) المارشال العام الفرنسي وعضو الأكثر شهرة في عائلة لا تور دي أوفيرغن. انجازاته العسكرية خلال حياته المهنية لمدة خمسة عقود أكسبته سمعة باعتباره واحد من أعظم الجنرالات في التاريخ الحديث.

[166] لويس دي بوربون أو لويس الثاني أمير كوندي (8 سبتمبر 1621 - 11 ديسمبر 1686) كان جنرال فرنسي والممثل الأكثر شهرة عن كوندي في مجلس بوربون.

[167] فرانسوا هنري دي مونتمورنسي- بوتيفيل دوق لوكسمبورغ، يعرَف لوكسمبورغ (8 يناير 1628 - 4 يناير 1695) كان مارشال فرنسا رفيق وخلف للجنرال كوندي.

[168] تشارلز دي روهان أمير سوبس (16 يوليو 1715 - 1 يوليو 1787) مارشال فرنسا منذ عام 1758، كان رجلاً عسكرياً ووزيراً للملكين لويس الخامس عشر ولويس السادس عشر.

[169] لويس دي بوربون (ليس لويس الثاني المذكور سابقاُ في الهامش) (15 يونيو 1709 - 16 يونيو 1771) قائد القوات الفرنسية في ألمانيا خلال حرب السبع سنوات حيث تولى قيادة عام 1758 بعد الغزو الفرنسي الفاشل لهانوفر. لم يتمكن من اختراق جيش فرديناند الأنجلو ألماني واستولى على هانوفر.

[170] (موريس دي ساكس) (28 أكتوبر 1696 - 20 نوفمبر 1750) كان جندياً ألمانياً ثم دخل في الخدمة الفرنسية وأصبح مارشال ثم لاحقاً مارشال عام في فرنسا أيضاً، اشتهر بانتصاره الحاسم في معركة فونتينوي.

[171] يقصد بها صالونات أدبية فنية انشأتها عشيقتي لويس الخامس عشر وهما مدام دي بومبادور ومدام دو باري



الأمير يوجين

وبصرف النظر عن كل هذه الاعتبارات، سيكون من النافع أن نتساءل أي الجوانب تُعتبر صعبة في اختيار القائد، حتى عندما يكون المسؤول هو الأكثر حرصاً لوضع اختيار حكيم. في المقام الأول لاختيار الجنرال الماهر فإن ذلك إما أن يتطلب أن يكون الشخص الذي يقوم بالاختيار رجلاً عسكرياً قادراً على تكوين حكم سديد، أو أنّه ينبغي أن يسترشد بآراء الآخرين وهذا الأمر يفتح الطريق إلى التأثير غير السليم للتيارات المختلفة.

من المؤكد أن الحَرَج سيكون أقل عندما يكون هناك في متناول اليد جنرال مشهور بانتصاراته، ولكن بغض النظر عن الحقيقة القائلة بأن ليس كل جنرال انتصر في معركة هو قائد عظيم، (على سبيل المثال، جوردان[172]، شريرر[173] وغيرهم الكثير)، فليس الحال دائماً أن الجنرال المنتصر هو تحت تصرف الحكومة. قد يحدث بعد فترة طويلة من السلم أن لا يبقى جنرال واحد في أوروبا يتولى القيادة العليا للجيش. في هذه الحالة سيكون من الصعب أن تقرر ما إذا كان جنرال ما أفضل من آخر. سيكون الجنرالات الذين خدموا لفترة طويلة في السلم على رأس أسلحتهم أو فيالقهم، وستكون لديهم رتبة مناسبة لهذا المنصب، ولكن هل سيكونون قادرين على شغل هذا المنصب على الدوام؟ وعلاوة على ذلك فإن اللقاء بين رؤساء الحكومة مع مرؤوسيهم سيكون نادراً جداً وعابر، وليس من المدهش أن يواجهوا

[172] جان-بابتيست جوردان (29 أبريل 1762 - 23 نوفمبر 1833)، عمل في الجيش الملكي الفرنسي وترقى حتى وصل إلى قيادة الجيوش خلال الحروب الثورية الفرنسية، منحه الإمبراطور نابليون الأول لقب مارشال فرنسا في 1804 وقاتل أيضاً في الحروب النابليونية, وكان واحداً من أنجح قادة الجيش الثوري الفرنسي.

[173] بارتليمي لويس جوزيف شريرر (18 ديسمبر 1747 - 19 أغسطس 1804)، ولد في ديلي بالقرب من بلفور، وتسلم مهامه كجنرال فرنسي خلال الحروب الثورية الفرنسية، وقاد الجيوش في ثلاث وقائع.

صعوبة في تعيين الرجال في مواقعهم المناسبة. قد يخطئ الأمير في حكمه (تخدعه المظاهر ولو كان مخلصاً في نواياه) ويُغرَرَ في اختياراته.

يبدو أن أضمن وسيلة للتخلص من هذه البليّة هو في تحقيق رواية تيليماخوس الجميلة التي ألّفها المطران فينلون من خلال العثور على الأمين والمخلص والسخي فيلوكليس، الذي يقف بين الأمير وبين جميع الطامحين للقيادة، وهو من سيكون قادراً من خلال علاقاته المباشرة مع الجمهور أن ينير الملك في ما يخص اختيار أفضل الأفراد الموصى بهم لشخصياتهم وقدراتهم. ولكن هل هذا الصديق الأمين لا يميل أبداً لعواطفه الشخصية؟ هل سيكون دائماً بعيداً عن التحيّز؟ وقد رُفِضَ سوفوروف[174] من قبل بوتيمكين[175] بسبب مظهره، فحاولت كاترين[176] بجميع الطرق والأساليب تأمين فوج للرجل الذي حقق الكثير من الأمجاد للجيش الروسي.



سوفوروف

[174] أليكساندر فاسيليفتش سواروف (أو سوفوروف) هو كونت ريمنيك وأمير إيطاليا وكونت الإمبراطورية الرومانية المقدسة وقائد عام سابق في الإمبراطورية الروسية. يُعد سوفوروف أحد القادة القلة في التاريخ الذين يشهد لهم تاريخهم بأنهم لم يخسروا معركة قط. اشتهر سوفوروف بكتابه العسكري علم النصر (The Science of Victory) قدم مثالاً يُحتذى به لنتيجة التخطيط الاستراتيجي المفصل والدقيق.

[175] الأمير جريجوري ألكساندروفيتش بوتيمكين تافريتشكس هو قائدًا عسكريًا روسيًا ورجلاً من رجال الدولة ونبيلاً، كما كان مفضلاً عند كاثرين العظيمة . ومات أثناء مفاوضات معاهدة جاسي، التي وضعت نهاية للحرب التي شهدها ضد الإمبراطورية العثمانية.

[176] إمبراطورة وأوتوقراطة كُل الروس كاترين الثانية ألكسيڤنا بنت كريستيان أغسطس أمير آنهالت الشهيرة باسم كاترين الكبيرة أو كاترين العظيمة هي إحدى أبرز وأهم وأكبر حُكَّام روسيا عبر التاريخ، وأعظم شخصيَّة حكمت البلاد الروسيَّة في التاريخ الحديث، ومن أطول النساء الحاكمات عهداً، إذ امتدَّ عصرُها من سنة 1762م حتَّى وفاتها سنة 1796م عن عُمرٍ يُناهز 67 سنة، كما أنَّها من بين أشهر النساء الحاكمات عبر التاريخ ومن أعظمهنَّ شأناً وتأثيراً.

يُعتقد أن الرأي العام هو أفضل دليل وموجّه، ولكن لا شيء يمكن أن يكون أكثر خطورة من هذا الأمر. فالشعب صوتوا لدوموريز ليكون قيصراً وكان جاهلاً فيما يخص العمليات الكبرى للحرب. هل كان الرأي العام سيضع نابليون بونابرت على قيادة جيش إيطاليا عندما كان معروفاً من قبل اثنين من مسؤوليه فقط؟ ومع ذلك لا بد من الاعتراف بأنه يجب احترام العاطفة الشعبية وعدم احتقارها وإن لم تكن معصومة، لا سيما إذا بقيت حية بعد أزمات كبيرة ومعاناة من الأحداث.

الصفات الأساسية للجنرال يجب أن تكون دائماً على النحو التالي:

1. شجاعة معنوية [فكرية] عالية، قادرة على اتخاذ قرارات كبيرة[177].
2. شجاعة جسدية لا تبالي للخطر.

أما معرفته العلمية أو العسكرية فهي أمور ثانوية مقارنةً بالخصائص المذكورة أعلاه، وإن كان صاحب علم واسع فسيقدم هذا الأمر خدمة قيمة. ليس من الضروري أن يكون رجلاً واسع الاطلاع، قد تكون معرفته محدودة ولكن يجب أن تكون شاملة، ويجب أن يكون على معرفة تامة بمبادئ وأسس فن الحرب. **تُعتبَر صفاته الشخصية الأمر التالي في الترتيب من حيث الأهمية. الرجل الشهم والعادل والحازم والمستقيم والقادر على تقدير الكفاءة لدى الآخرين بدلاً من أن يكون غيوراً منهم، والجنرال الماهر في جعل هذه الجدارة تساهم في الوصول إلى مجده الخاص يُعَد جنرالاً جيداً دائماً أو حتى عظيماً. ولسوء الحظ فإن المعاملة بالعدل في تقدير وتقييم مزايا الآخرين ليس بالصفة الشائعة، فالعقول الوضيعة دائماً غيورة، وتميل إلى أن تحيط صاحبها بأشخاص ضعيفي القدرات، مع الخوف من أن تظهر بأنها تُقاد، ولا تدرك أن القائد الشكلي للجيش دائماً يتلقى معظم مجد نجاحه، حتى عندما يُشار له بالمشاركة في المعركة بأقل قدر.**

كثيراً ما نوقش هذا السؤال، ما إذا كان من الأفضل تعيين قائد عام من ذوي الخبرة الطويلة في الخدمة مع القوات، أو ضابط من هيئة الأركان ولديه خبرة عامة ولكن قليلة في إدارة القوات. ومما لا شك فيه أن الحرب هي علم مستقل بحد ذاته، وأنه من الممكن تماماً أن

[177] أي جرأة في التفكير.

تكون قادراً على الجمع بين العمليات بمهارة دون أن تكون لك خبرة سابقة في قيادة فوج ضد عدو في ما مضى. بطرس الكبير وكوند وفريدريك ونابليون هم أمثلة على ذلك. ومن ثم لا يمكن إنكار أنه يمكن لضابط من الأركان أو من مكان آخر أن يثبت نفسه أنه جنرال عظيم، ولكنه لن يكون جنرالاً عظيماً قادراً على القيام بالقيادة العليا لأنه اعتادَ على القيام بواجبات ضابط التموين والإمدادات، بل لأن لديه عبقرية طبيعية للحرب ويمتلك الخصائص المطلوبة. كذلك قد يقدر ضابط من صفوف المشاة أو الفرسان على قيادة حملة مثل أكثر الضباط براعة في التكتيك الحربي. وبالتالي فإن هذا السؤال لا يعطي إجابة محددة إيجاباً أو نفياً، لأنه في الغالب يعتمد على الصفات الشخصية للأفراد. والملاحظات التالية ستكون مفيدة في التوصل إلى نتيجة منطقية:

1. يكون الجنرال الذي يتم اختياره من هيئة الأركان أو المهندسين أو المدفعية (من الذين قادوا فرقاً أو فيالق) متفوقاً على من له خدمة طويلة في سلاح واحد أو خدم في واحدة من الفيالق الخاصة (مع تساوي الفرص).
2. يكون الجنرال الذي كان على جبهة ما، والذي درس علم الحرب مناسباً للقيادة بشكل مساوي.
3. الصفات الشخصية للرجل فوق كل المتطلبات الأخرى للقيادة العامة.

مما سبق نستخلص أن الجنرال يكون جيداً إذا وجدت فيه الخصائص الشخصية المطلوبة والمعرفة الشاملة لمبادئ فن الحرب. وقد أدت الصعوبة الدائمة في اختيار الجنرال المناسب إلى تشكيل هيئة أركان جيدة، وتكون هذه الهيئة قريبة من الجنرال الذي يستشيرهم، وبالتالي تمارس تأثيراً نافعاً على العمليات. وتعتبر هيئة الأركان المدربة تدريباً جيداً من أكثر الهيئات فائدة، ولكن يجب أن نحرص على منع إدخال مبادئ خاطئة عليها، كما في الحالة التالية فقد تؤدي إلى خطأ قاتل.

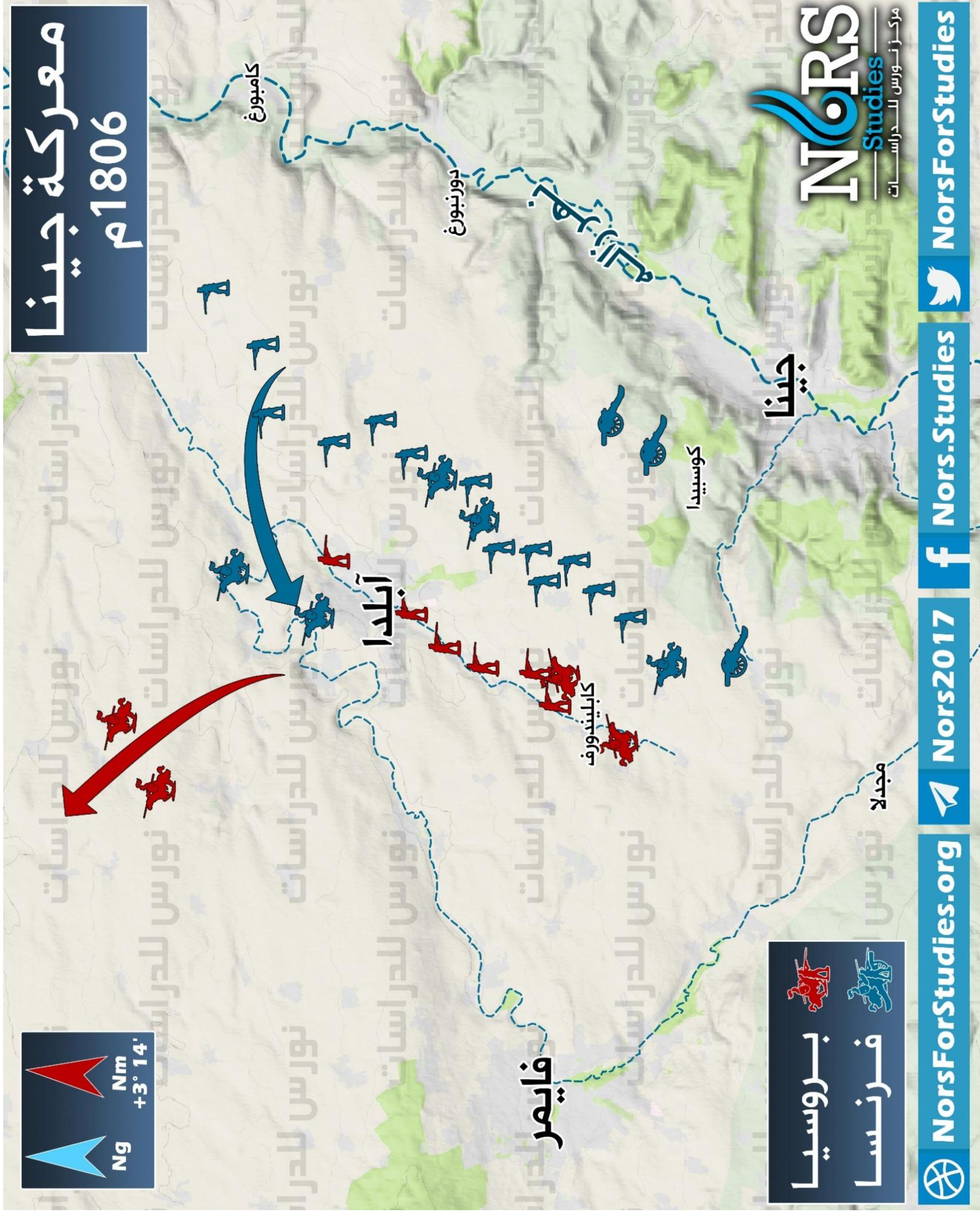
عندما أنشأ فريدريك مدرسة عسكرية في بوتسدام[178]، لم يخطر في باله أن ذلك سيؤدي إلى إصدار أمر "الكتف [الجناح] الأيمن إلى الأمام" من قبل الجنرال روشيل[179]، وإلى التنصيص

[178] بوتسدام عاصمة ولاية براندنبورغ الفيدرالية في ألمانيا الحالية وتقع على نهر هافل في المنطقة الجنوبية الغربية من برلين .وهي جزء من المنطقة الحضرية لبرلين/ براندنبورغ.

في المقررات الدراسية العسكرية بأن النظام المائل هو القاعدة المضمونة لكسب كل المعارك. ما أصح المثل القائل بين العلو والتفاهة خطوة![180]

[179] المؤلف: رأى الجنرال روشيل في معركة جينا أنه من الممكن إنقاذ الجيش من خلال إعطاء الأمر لدفع الكتف الأيمن من أجل تشكيل خط مائل.

[180] النظام المائل هو تكتيك عسكري حيث يركز الجيش المهاجم قواته لمهاجمة أحد أجنحة العدو. قائد القوة يركز غالبية قوته على جناح واحد ويستخدم الباقي لتثبيت خط العدو. وهذا يسمح للجيش الأقل عدداً أو المساوي بتحقيق التفوق المحلي في الأرقام. ثم يمكن القوة من هزيمة العدو. وقد تم استخدام هذا التكتيك من قبل العديد من الجنرالات الناجحين. لكن تطبيقه في معركة جينا من قبل قوات الإمداد البروسية بقيادة روشيل أدت لتلقينه هزيمة منكرة من قبل القوات الفرنسية لنجاح الخيالة الفرنسية بالالتفاف على الجناح الأيسر.



في معركة جينا استطاع جيش نابليون بعد إبادة الجيش البروسي الأول بقيادة الجنرال هوهنلوه وملاحقة ما تبقى منه (الخيالة البروسية الهاربة) أن يلتف على الخط المائل الذي شكلته التعزيزات البروسية بقيادة روشيل (الممتد من آبلدا حتى كابلينورف) وتمكن من إبادتهم.

علاوة على ذلك، ينبغي أن يكون هناك انسجام تام بين الجنرال ورئيس أركانه، ويجب أن يكون هذا الأخير رجلاً صاحب قدرات عسكرية معروفة، ومن الأفضل أيضاً أن يكون للجنرال حرية اختيار مستشاريه، ففرض رئيس أركان على الجنرال سيخلق فوضى ونقص في الانسجام، ومن ناحية أخرى فالسماح له باختيار رجل عديم الكفاءة لهذا المنصب سيكون أكثر خطورة؛ لأنه إذا كان رجلاً ضعيف القدرات وتم اختياره لهذا المنصب لمصلحة أو ثروة، فقد يكون هذا الاختيار قاتلاً. وأفضل وسيلة لتجنب هذه الأخطار هي إعطاء الحرية للجنرال للاختيار من بين عدد من الضباط المحددين، وكلهم من ذوي القدرات المعروفة.

من المتوارث عليه في معظم الجيوش أن المجالس الحربية المتكررة (من خلال مساعدتها للقائد بمشورتهم) تعطي المزيد من الثقل والتأثير في توجيه العمليات العسكرية. مما لا شك فيه أنه حتى لو كان القائد هو سوبيس أو كليرمون أو ماك فسيجد في المجلس الحربي آراء قيمة أكثر من رأيه، فقد تكون أغلبية الآراء المعطاة أفضل من رأيه، ولكن ما هو النجاح الذي يمكن توقعه من عمليات يقوم بها أفراد غير الذين وضعوا خطتها وترتيبها؟ ماذا ستكون نتيجة عملية غير مفهومة جزئياً من قبل القائد، لأنها ليست من تفكيره الخاص؟

لقد خضعت لتجربة يُرثى لها كمُلَقِّن في مقرات القيادة العامة، ولم يُقدِّر أحد قيمة هذه الخدمة أكثر مني، ولا سيما ضمن المجلس الحربي حيث كان العمل عبثياً سخيفاً. **وكلما زاد عدد الرتب العسكرية التي يتكون منها المجلس الحربي كلما ازدادت صعوبة انتصار الحقيقة والعقل، مهما كان مقدار المعارضة ضئيلاً.**

ماذا كان يمكن أن يكون موقف المجلس الحربي من قرار نابليون في خوض معركة أركولا[181]، أو عبور سان بيرنارد[182]، أو المناورات في أولم أو التي حدثت في جيرا وجينا[183]؟ الجبناء من هذا المجلس كانوا سيعتبرون هذه الأعمال تسرعاً لحد الجنون،

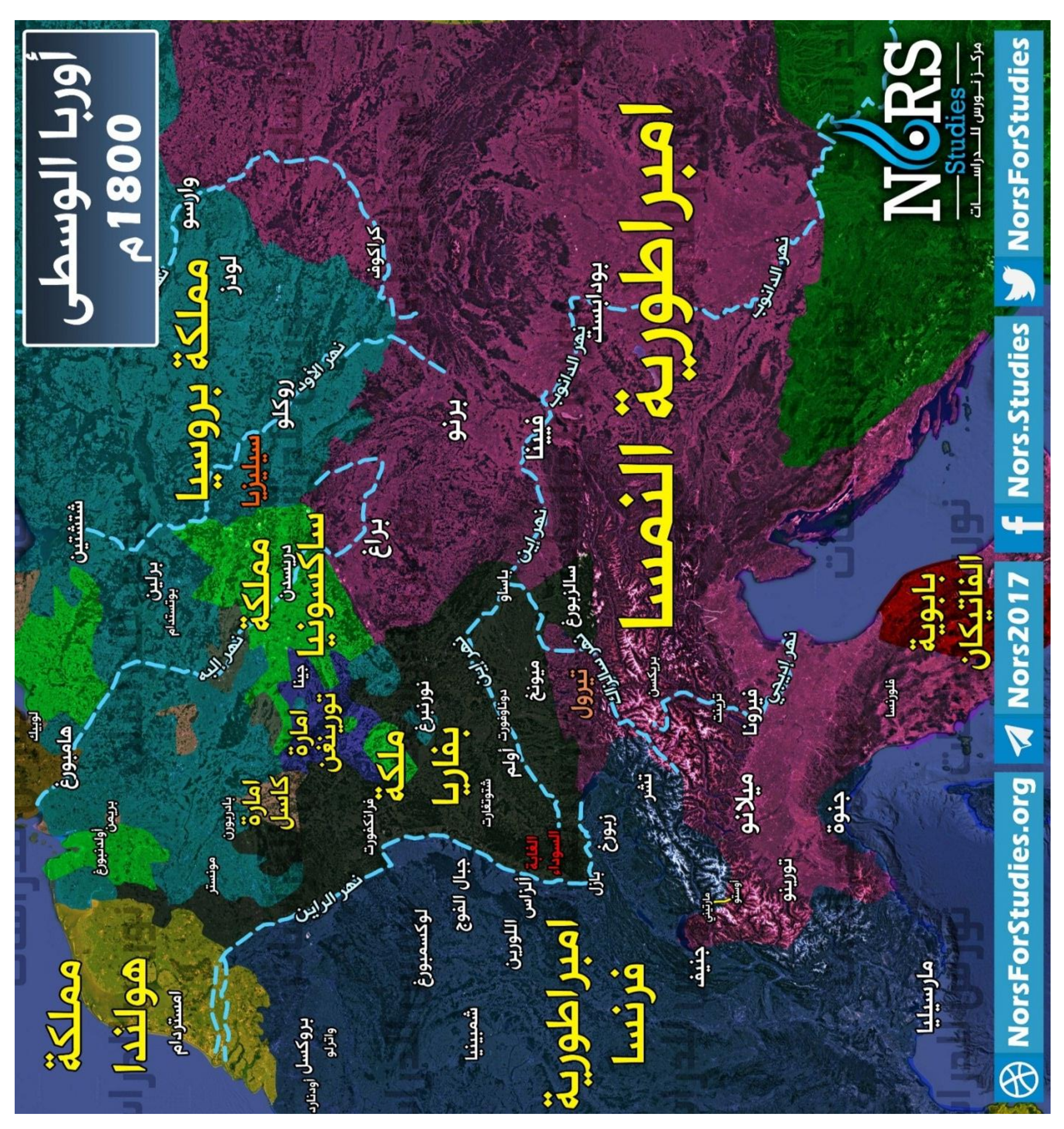
---

[181] كانت معركة أركول أو معركة أركولا (15-17 نوفمبر 1796) معركة بين القوات الفرنسية والنمساوية على بعد 25 كيلومتراً (16 ميل) جنوب شرق فيرونا خلال حرب التحالف الأولى، وهي جزء من الحروب الثورية الفرنسية.

[182] هوعبور حققه نابليون بجيشه في أيار عام 1800 عبر جبال الألب من خلال ممر سان بيرنارد واستطاع من خلاله الالتفاف على الجيش النمساوي محققاً نصراً ساحقاً عليهم في معركتين وهما مونتيبيلو ومارنجو وإنقاذ القوات الفرنسية المحاصرة في جنوة.

[183] حدثت معركة جينا في 14 أكتوبر 1806 على الهضبة الغربية لنهر سالي (زاله) في ألمانيا الحالية، بين قوات نابليون الأول من فرنسا وفريدريك وليام الثالث من بروسيا. قبل المعركة ظن نابليون أن الجيش البروسي متمركز في بلدة جيرا فاكتشف بمناورة استطلاعية أن الجيش البروسي الرئيسي متمركز في جينا مما أدى إلى حدوث هذه المعركة. تكبّدَ الجيش البروسي فيها هزيمة ساحقة وخضعت مملكة بروسيا لفرنسا.

وآخرون قد يرون آلاف الصعوبات التي قد تعترض التنفيذ، ولكان الجميع سيرفضون هذه الأعمال. وإذا كان قد حدث العكس مما سبق، فكان رأي المجلس الحربي هو الموافقة على تنفيذ هذه العمليات على يد شخص غير نابليون، أليس من المؤكد أنها ستتحول جميعها إلى إخفاقات؟



نجح نابليون بالمرور من ممر سان بيرنارد الجبلي الوعر المغطى بالثلوج في شهر مايو عام 1800 الممتد من بلدة مارتيني حتى اوستو وباغت القوات النمساوية المحاصرة للقوات الفرنسية بقيادة ماسينا في جنوة، مما اضطرهم الى إنهاء الحصار وإخلاء سبيل الفرنسيين إلى خارج جنوة.

برأيي إنّ المجالس الحربية مصدر بؤس، ولا يمكن أن تكون مفيدة إلّا عندما تتفق في الرأي مع القائد، وفي هذه الحالة قد تعطيه هذه المجالس مزيداً من الثقة في حكمه، وبالإضافة إلى ذلك تضمن له أن مساعديه (كونهم على رأيه) سيستخدمون كل الوسائل لضمان نجاح التحركات التي أمر بها. وهذه هي الميزة الوحيدة للمجلس الحربي، ويجب أن يكون هذا المجلس استشاري فقط وليس له أي سلطة أخرى. وإن لم يحدث اتفاق بين المجلس الحربي والقائد (ويجب أن يحدث الاختلاف في الرأي) فإن ذلك سيؤدي حتماً لنتائج مؤسفة. وبناءً على ذلك، أعتقد أنه من الآمن أن نلخّص أفضل وسيلة لتنظيم قيادة الجيش، في حال غياب جنرال ذي خبرة مثبتة بالنقاط التالية:

1. إعطاء القيادة لرجل صاحب شجاعة مُجرَّبة، جريءٌ في القتال، وثبات لا يتزعزع في المخاطر.
2. تعيين رجل كرئيس لأركانه يتمتع بقدرة عالية وشخصية منفتحة وصريحة وأمينة ومخلصة وبينه وبين القائد انسجام تام.

سيحصل المنتصر على الكثير من المجد مما يجعله قادراً على أن يمنح بعضه لزملائه الذين ساهموا معه في تحقيق انتصاره. وبهذه الطريقة حصل بلوشر (بمساعدة غيسيناو[184] ومفلنغ[185]) على المجد الذي ربما لم يكن قادراً على الحصول عليه لوحده. صحيح أن القيادة المزدوجة أمر مبغوض [يكثر عليه الاعتراض] أكثر من القيادة الواحدة مثل نابليون أو فريدريك أو سوفوروف، ولكن عندما لا يكون هناك جنرال عظيم لقيادة الجيوش فبالتأكيد هذا هو النظام الأفضل للقيادة.

قبل إنهاء هذا الفرع الهام من الموضوع، هنا وسائل أخرى للتأثير في العمليات العسكرية – أعني لمجلس حربي يجلس في مقر الحكومة – تستحق التنويه. وجَّه لوفويز القابع في

[184] أغسطس ويلهلم غيسناو (27 أكتوبر 1760 - 23 أغسطس 1831) مشير بروسي. وكان شخصية بارزة في إصلاح الجيش البروسي وحرب التحرير.

[185] فريدريش كارل فرديناند فريهر فون مفلنغ، يدعى وايس (12 يونيو 1775 - 10 يناير 1851) كان مشيراً بروسياً ومنظر عسكري. شغل منصب ضابط الاتصال لبلوشر في مقر ولينغتون خلال معركة واترلو وهو واحداً من المساهمين في الانتصار النهائي على نابليون. وساهم بشكل رئيسي في تطوير الأركان العامة البروسية كرئيس. وتخصص مفلنغ أيضاً في الطبوغرافية العسكرية ورسم الخرائط.

باريس جيوش لويس الرابع عشر لفترة طويلة وحقق النصر. ومن باريس أيضاً وجه كارنو[186] جيوش الجمهورية في عام 1793 أحسن توجيه وأنقذ فرنسا. في بداية حملات عام 1794 كان عمله سيء للغاية، لكنه أصلح أخطاءه بعد ذلك عن طريق الصدفة. في عام 1796 كان مخطئاً تماماً[187]. ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أن كلاً من لوڤويز وكارنو قادوا لوحدهما الجيوش، ولم يكن معهما مجلس حربي. وكثيراً ما كان يُعهد إلى مجلس الحكم الذي كان يجلس في فيينا (عاصمة النمسا) واجب توجيه عمليات الجيوش النمساوية، ولم يعارض أي أحد أبداً في أوروبا بشأن التأثير القاتل لمثل هذا التوجيه. وسواء كان هذا الرأي صحيحاً أم خاطئاً، فإن الجنرالات النمساويين وحدهم كانوا قادرين على اتخاذ قرار. ورأيي الخاص هو أن مهام هذه الهيئة في هذا الصدد ينبغي أن تقتصر على اعتماد خطة عامة للعمليات. أعني لا يجب أن تُرسم خطة الحملة بالتفصيل، وتقيد الجنرالات بها وتجبرهم على خوض معركة دون الاعتبار لظروفها، ولكن يجب أن تحدد الخطة هدف الحملة وطبيعة العمليات، وإذا ما كانت هجومية أم دفاعية، أو الوسائل المادية التي يتعين استعمالها في هذه المبادرات الأولى، ثم الاحتياطيات، وأخيراً الضرائب التي قد تكون ضرورية في حالة غزو البلد. هذه النقاط من الصحيح أن تُناقش في مجلس يتكون من الجنرالات والوزراء، وتكون سيطرة المجلس محدودة إلى هذه النقاط؛ لأن المجلس لن يأمر الجنرال القائد بأن يسير إلى فيينا أو إلى باريس فقط، بل ينبغي أن يكون لديه أيضاً حسبان للإدلاء بالأسلوب الذي ينبغي أن يناور به الجنرال من أجل تحقيق الهدف. من المؤكد أن الجنرال التعيس سيُهزم، وستقع مسؤولية انتكاساته على أكتاف أولئك الذين أخذوا على عاتقهم واجب توجيه الجيش على بعد مئات الأميال البعيدة. مهمة التوجيه صعبة للغاية على أي شخص حتى لو كان في مسرح العمليات.

[186] لازار نيكولا مارغريت، الكونت كارنو (13 مايو 1753 - 2 أغسطس 1823) هو سياسي ومهندس فرنسي وماسوني وعالم رياضيات. كان يعرف باسم منظم النصر في الحروب الثورية الفرنسية.

[187] حدث ذلك إبان حرب التحالف الأولى، اخفاقات كارنو عام 1796 كانت بسبب خطة كارنو التي تقضي بتوجيه جيشين فرنسيين على طول الراين للهجوم على اجناب الجيش النمساوي، يقول دودج وهو أحد المعلقين العسكريين: الخطة تضمنت عناصر الفشل وذلك لتوجيه جيشين على خطين منفصلين نحو الشمال.

الموضوع الخامس عشر: الروح العسكرية للأمم ومعنويات الجيوش

إن اعتماد أفضل القوانين لتنظيم الجيش سيكون عديم الفائدة إذا لم تقم الحكومة في الوقت نفسه بزراعة الروح العسكرية في مواطنيها. قد يكون الحال كذلك في بريطانيا، التي هي عبارة عن جزيرة محمية من الغزو بفضل أساطيلها الهائلة. حيث لقَبَ المصرفي الغني فيها أرفع من الأوسمة العسكرية، ولكن الأمة القارية [الأوروبية] المشبعة بأحاسيس التجار الرقيقة وعاداتهم في لندن أو المصرفيين في باريس ستصبح عاجلاً أم آجلاً فريسة لجيرانها. **اكتسب الرومان العظمة نتيجة رعاية مؤسساتهم لامتزاج الروح العسكرية مع مزايا الروح المدنية، وعندما فقدوا هذه الفضائل ولم يعد يُنظَر للخدمة العسكرية كشرف وواجب، وتنازلوا عن ذلك للمرتزقة القوطيين والغال أصبح سقوط الإمبراطورية واقع لا مفر منه.** ومما لا ريب فيه أنه لا ينبغي إهمال أو احتقار أي أمر يرفع من ازدهار البلد؛ فمن الضروري أيضاً تكريم فروع الصناعات التي هي الأدوات الأولى لهذا الازدهار، إلا أنه يجب أن تكون دائماً ثانوية بالنسبة للمؤسسات الكبرى التي تشكل قوة الدول عن طريق تشجيع تربية فضائل الرجولة والبطولة. وتتفق السياسة والعدالة على هذه النقطة؛ لأنه مهما قال بوالو[188] فمن المؤكد أن مواجهة الموت على خطى القياصرة أكثر مجداً وفخراً من التغذي على مآسي العامة عن طريق المقامرة بتقلبات الائتمان الوطني. **ومن المؤكد أن المصائب تقع على البلاد التي تعلو فيها ثروة جامعي الضرائب أو المضاربين بالأسهم الجشعين (في تقدير العامة) فوق زي الرجل الشجاع الذي يضحي بحياته أو صحته أو ثروته للدفاع عن بلده.**

إن الوسيلة الأولى لتشجيع الروح العسكرية هي استثمار الجيش بكل المحافل الاجتماعية والشعبية، والوسيلة الثانية هي إعطاء الأفضلية للذين استوفوا الخدمة العسكرية للدولة في ملء أي وظائف شاغرة في الدوائر الإدارية للحكومة، أو حتى المطالبة بمدة معينة من الخدمة العسكرية كمؤهلات لبعض الوظائف. المقارنة بين المؤسسات العسكرية القديمة في روما مع مؤسسات روسيا وبروسيا تستحق الاهتمام الجاد، ومن المثير للاهتمام أيضاً مقارنتها مع مذاهب المنظّرين المعاصرين الذين يعارضون توظيف ضباط الجيش في

188 نيكولا بوالو المعروف باسم بوالو (1 نوفمبر 1636، باريس - 13 مارس 1711، باريس). هو كاتب وشاعر وناقد فرنسي في العصر الكلاسيكي، كان معروفا بشعر الهجاء.

الوظائف العامة الأخرى، ولا يرضون إلا بتوظيف أصحاب البلاغة والبيان في مكاتب الإدارة الهامة[189]. صحيح أن العديد من الوظائف العامة تتطلب دورة دراسية خاصة، ولكن ألا يمكن للجندي (في وفرة من الراحة والسلام) أن يُعدّ نفسه لمهنة يفضلها بعد أن استوفى خدمته العسكرية لبلده؟ إذا كانت هذه المكاتب الإدارية تمنح وظائف للضباط المتقاعدين من الجيش من رتبة نقيب فما فوق، ألن تكون هذه الوظائف حافزاً للضباط من أجل بلوغ تلك الرتبة؟ ألن يمنعهم ذلك (في الحاميات) من البحث عن التسلية في أماكن أخرى غير المسارح والنوادي العامة؟

قد تؤدي سهولة التحول من الخدمة العسكرية إلى الخدمة المدنية ضرراً بدلاً من زيادة الروح العسكرية، وقد يُتّخذ من تشجيع هذه الروح وسيلة لرفع مهنة الجندي فوق الآخرين. وقد طُبِّق ذلك بشكل مبكر عند المماليك[190] والانكشارية، حيث كانوا يشترون الجنود العبيد من ذوي أعمار سبع سنوات، ويعلّموهم فكرة الموت وفقاً لمعاييرهم. حتى الإنكليز –الغيورون جداً على حقوقهم– وقعوا عقود تجنيد ملزمة لطول حياتهم، وفترة التجنيد لدى الروس خمسة وعشرين سنة، أي نظير ما يفعله الانكليز تقريباً. وفي مثل هذه الجيوش وكذلك في الجيوش التي تعتمد على التجنيد التطوعي، قد لا يكون من المستحسن التسامح مع هذا الاندماج بين الوظائف العسكرية والمدنية، ولكن عندما تكون الخدمة العسكرية واجب مؤقت على الشعب فإن القضية مختلفة. والقوانين الرومانية القديمة التي تتطلب خدمة عسكرية مسبقة لمدة عشر سنوات لأي طامح للوظائف العامة تبدو أفضل طريقة محسوبة للحفاظ على الروح العسكرية، وخاصة في هذا العصر عندما يكون تحقيق الراحة المادية والرفاهية هو شغف الناس. **ومع ذلك أرى أنه في ظل جميع أشكال الحكومات أنه من الحكمة تكريم الوظيفة العسكرية، من أجل تشجيع حب المجد وتشجيع جميع المزايا العسكرية، تحت طائلة احتقارنا من قبل الأجيال القادمة ومعاناة الإهانة والتبعية.**

[189] المؤلف: على سبيل المثال في فرنسا، بدلاً من استبعاد جميع الضباط من امتياز حق التصويت في الانتخابات، ينبغي أن تُعطى لجميع من حصل على رتبة عقيد، وينبغي أن يكون الجنرالات جديرين بالانتخاب في الهيئة التشريعية. لن يكون معظم النواب الناخبين المرتشين من السلك العسكري.

[190] الدَّولَةُ المَملُوكِيَّةُ أو السَّلطَنَةُ المَملُوكِيَّةُ أو دَولَةُ المَمَالِيك أو سلطنةُ المَمَالِيك هي إحدى الدُول الإسلاميَّة التي قامت في مصر خِلال أواخر العصر العبَّاسي الثالث، وامتدَّت حُدُودها لاحقًا لِتشمل الشَّام والحجاز، ودام مُلكُها مُنذُ سُقُوط الدولة الأيوبيَّة سنة 648هـ المُوافقة لِسنة 1250م حتَّى بلغت الدولة العُثمانيَّة ذُروة قُوَّتها وضمَّ السُلطان سليم الأوَّل الديار الشَّاميَّة والمصريَّة إلى دولته بعد هزيمة المماليك في معركة الريدانيَّة سنة 923هـ المُوافقة لِسنة 1517م.

تعزيز الروح العسكرية بين أفراد الشعب ليس كافياً، والأهم من ذلك هو تعزيزها في نفوس أفراد الجيش. ما هي الفائدة من تكريم الزي العسكري في البلاد، واعتبار الخدمة في الجيش واجبة، في حين أن المزايا العسكرية مفقودة؟ سيكون حجم القوات كبير ولكنها ستفتقد للبسالة، فحماسة الجيش وروحه العسكرية هما أمران مختلفان تماماً ينبغي عدم الخلط بينهما، على الرغم من أنهما تنتجان نفس الآثار. فالحماس هو تأثير العواطف ويكون مؤقتاً بشكل أو بآخر (له طبيعة سياسية أو دينية على سبيل المثال) أو تنتج من محبة كبيرة للوطن. في حين أن الروح العسكرية للجيش تعتمد على مهارة القائد وتنتج من دور المؤسسات العسكرية، وهي الأكثر دواماً مقارنةً بالحماس، وتتأثر بالظروف بشكل أقل، وينبغي أن تكون موضع اهتمام كل حكومة بعيدة النظر[191]. يجب مكافأة الشجعان وتكريمهم، واحترام المكانات المختلفة للرتب، ويجب أن يكون الانضباط في المشاعر والقناعات لا المظاهر الخارجية فقط.

يجب أن يقتنع الضباط أن الانقياد والشجاعة والاهتمام الصادق بالواجب فضائل لا يمكن بدونها تحقيق المجد وجعل الجيش جدير بالاحترام، وأن الحزم [التماسك أو الثبات] خلال النكسات هو أكثر شرفاً من الحماس عند الانتصار، لأن الشجاعة وحدها ضرورية للهجوم على موقع، في حين أن الانسحاب الصعب أمام عدو منتصر ومقدام ويتطلب بطولة مع مواجهة العدو بجبهة صلبة غير منكسرة ومستمرة. ويجب مكافأة الانسحاب الجيد كما يُكافَأُ الانتصار العظيم.

من خلال تمرس الجيوش للعمل والجهد، ومن خلال الحفاظ عليها من الركود في الحامية في أوقات السلم، ومن خلال غرس فكرة تفوقهم على أعدائهم في أذهانهم (من دون الاستخفاف الزائد بالأعداء)، ومن خلال إثارة حب المفاخر العظيمة — بمعنى آخر من خلال إثارة حماسهم بكل الوسائل بما يتفق مع العقل، ومن خلال تكريم الشجعان ومعاقبة الضعفاء وفضح الجبناء— نتوقع الحفاظ على روح عسكرية عالية.

---

191 المؤلف: من المهم بشكل خاص أن تنتشر هذه الروح في الضباط وضباط الصف، فإن كانوا مؤهلين واتصفت الأمة بالشجاعة فلا خوف من العدو.

التخنّث كان هو السبب الرئيسي لدمار الفيالق الرومانية ؛ جيل الجنود الذين حملوا الخوذ والتروس والدروع في زمن سكيبيو تحت الشمس الحارقة في أفريقيا، وجدها الجيل الذي بعدهم ثقيلة جداً في المناخات الباردة في ألمانيا وبلاد الغال، وكان نتيجة ذلك هزيمة الإمبراطورية.

لاحظت أنه من السيء المبالغة في احتقار العدو والتقليل من شأنه، وذلك خشية أن تهتز الروح المعنوية للجندي إذا واجه مقاومة عنيفة. في معركة جينا خاطب نابليون بونابرت قوات لانس مادحاً قوة أعدائه الفرسان البروسيين[192]، لكنه قلل من شأن وقوة المصريين[193].

يجب تحذير الضباط والقوات من لحظات الذعر المفاجئ التي غالباً ما تصيب أشجع الجيوش عندما تفقد الانضباط، وعندها لا يدرك الجيش بأن النظام هو أوثق وسيلة مؤدية للسلامة. لم يكن الخوف هو السبب في تعرض مائة ألف جندي من الأتراك للهزيمة في بيتروداردين على يد الأمير يوجين[194]، وفي كاجول على يد رومانزوف[195]. كان السبب في هذه الهزائم أنه بمجرد صد هجماتهم الفوضوية يُترَك كل جندي منهم لاجتهاداته الشخصية، ولأنهم ينقضُّون بشكل فردي لا بكتل وتنظيم. تشبه حالة الذعر في الجيوش حالة الإحباط [انهيار المعنويات]، لأنه بمجرد حدوث الاضطراب في صفوف الجيش يصبح أي عمل متضافر من جانب الأفراد مستحيلاً، ويتعذر سماع نداء وأوامر الضباط، ولا يمكن تنفيذ أي مناورة لاستئناف المعركة، وليس هناك ملجأ إلا الهروب المخزي.

الأمم التي لديها مخيلة [أوهام] واسعة هي عرضة للذعر أكثر من غيرها، ولا تستطيع المؤسسات القوية ولا القادة المهرة علاج ذلك. حتى الفرنسيين المعروفين بامتلاكهم قادة يتمتعون بامتيازات عسكرية لا يمكن التشكيك فيها، كثيراً ما ارتكبوا أخطاء نتيجة الذعر

---

[192] لانس هو قائد ميمنة جيش نابليون الكبير في معركة جينا وهو جان لانس دي سيويرز (10 أبريل 1769 - 31 مايو 1809)، كان مارشال فرنسا، وهو واحداً من جنرالات نابليون الأكثر جرأة والموهوبين، حذر نابليون جنوده من قوة الخيالة البروسية قبيل معركة جينا

[193] وذلك إبان الحملة الفرنسية على مصر، وهي حملة عسكرية قام بها الجنرال نابليون بونابرت على مصر والشام (1798-1801م) بهدف إقامة قاعدة في مصر تكون نواة لإمبراطورية فرنسية في الشرق من ناحية، وقطع الطريق بين بريطانيا ومستعمراتها في الهند من ناحية أخرى وأيضاً لاستغلال مواردها في غزواته في أوروبا، استمرت الحملة 3 سنوات وفشلت وأسفرت عن عودة القوات الفرنسية إلى بلادها.

[194] كانت معركة بيتروفارادين أو بيترواردين انتصاراً حاسماً للجيش الإمبراطوري للإمبراطورية الرومانية المقدسة في الحرب بين أرشدشية النمسا الإمبراطورية الرومانية المقدسة والإمبراطورية العثمانية (1716-1718)، في بتروفارادين (جزء من جبهة عسكرية، وأرشدشية من النمسا؛ اليوم جزء من نوفي ساد، فويفودينا، صربيا).

[195] بيوتر أليكساندروفيتش روميانتسيف (أو رومانزوف) (15 يناير 1725 - 19 ديسمبر 1796) كان واحدا من أشهر الجنرالات الروس في القرن الثامن عشر. قاد الجيش الروسي في معركة كاجول في أغسطس عام 1770 التي حدثت إبان الحرب الروسية التركية (1768-1774) وانتصر انتصارا ساحقا على العثمانيين.

وكانت أخطاءً سخيفة للغاية. قد نشير إلى الذعر الغير لائق الذي ساد مشاة المارشال فيلارس[196] بعد أن انتصر في معركة فريدلينغن في عام 1704[197]. وحدث الشيء نفسه لمشاة نابليون بعد انتصار فاغرام عندما كان العدو في انسحاب كامل[198]. كانت هناك حالة تدعو للاستغراب وهي هروب نصف اللواء[199] 97 والبالغ عددهم ألف وخمسمائة من الجنود الأقوياء الفرنسيين في حصار جنوة أمام فصيلة من الفرسان. وبعد يومين استولى هؤلاء الرجال أنفسهم على حصن دايموند في واحدة من أقوى الاقتحامات المذكورة في التاريخ الحديث[200].

ومع ذلك فيبدو أنه من السهل إقناع الرجال الشجعان بأن الموت أسرع وأكثر وقوعا في حالة الهروب الفوضوي من حالة البقاء متكاتفين والتقدم على العدو في جبهة ثابتة، أو في حالة التحشد بسرعة في لحظة انكسار الخطوط.

وفي هذا الصدد يمكن أن يُتّخَذ الجيش الروسي نموذجاً يُقتدى به من قبل الآخرين، فالحزم الذي أظهره في جميع الانسحابات يعود إلى التساوي في الشعور القومي بين أفراد الجيش، والغريزة الطبيعية للجنود، والمؤسسات المنضبطة الممتازة. والواقع أن الخيال الحيوي ليس سبباً لإحداث الفوضى بشكل دائم، فغالباً ما كانت العادات الفوضوية للجنود تتسبب في ذلك، وعدم وجود الاحتياطات من جانب الجنرالات للحفاظ على هذا النظام يسهم في ذلك. وكثيراً ما استغربت من لامبالاة معظم الجنرالات بشأن هذه النقطة. ولم يقتصر الأمر على عدم اتّخاذ أي تدابير وقائية بإعطاء التوجيه الصحيح للمفارز الصغيرة أو الرجال المتفرقين، وعدم اعتماد أي إشارات لتسهيل عملية تجميع الجنود المتناثرين لكل فرقة في لحظات الذعر

---

196 كلود لويس هيكتور فيلارس (1653-1734) هو مارشال فرنسا، ومن ألمع القادة العسكريين في عهد لويس الرابع ولد ڤيلارس في مولان Moulins بفرنسا وتوفي في تورينو Turino بإيطاليا

197 حدثت معركة فريدلينجن في عام 1702 بين فرنسا والإمبراطورية الرومانية المقدسة. قاد القوات الإمبراطورية لويس وليام ومارجريف بادن - بادن، بينما كان قائد القوات الفرنسية كلود لويس هيكتور فيلارس. وانتصر الفرنسيون إلا أن الانتصار كان باهظ الثمن. ونود الإشارة إلأى أن المؤلف أخطأ في تاريخ المعركة إذ نص عليها في الكتاب بأنها حدثت 1704 في الوقت الذي تشير فيه جميع المصادر على وقوعها عام 1702.

198 كانت معركة فاغرام (5-6 يوليو 1809) مواجهة عسكرية ضمن الحروب النابليونية التي انتهت بانتصار حاسم للجيش الفرنسي بقيادة الإمبراطور نابليون الأول ضد الجيش النمساوي تحت قيادة أرشدوق تشارلز من النمسا. أدت المعركة إلى تفكك التحالف الخامس، التحالف النمساوي والبريطاني ضد فرنسا. ضَعُف انضباط الجيش الفرنسي بعد المعركة نتيجة الإرهاق وانتشار حالات السكر بين الجنود.

199 مصطلح النصف لواء يقصد به الفوج, واستعمل إبان الثورة الفرنسية لغرض هجر والتمييز عن مصطلحات النظام الملكي القديم, تم العودة إلى مصطلح الفوج عام 1803 بأمر من نابليون.

200 حدث ذلك في حصار الجيش النمساوي للجيش الفرنسي بقيادة ماسينا في جنوة عام 1800 حيث دفع سلاح الفرسان النمساوي القوات الفرنسية عن بعض الحصون في البداية, تمكنت القوات بعد ذلك بيومين من استرجاع حصن دايموند.

أو في انقضاض لا يمكن دفعه من العدو، ولكنهم استاءوا من مجرد التفكير باقتراح هذه الاحتياطات. ومع ذلك فإن الأشد شجاعة والأكثر انضباطاً غالباً ما يكون عاجزاً عن علاج الفوضى الكبيرة وهو ما يمكن أن يتفاداه لحد كبير باستخدام إشارات التجميع لمختلف الفرق. وهناك حالات التي تكون فيها جميع الطاقات البشرية غير كافية للحفاظ على النظام، كما لو كان الإرهاق الجسدي للجنود كبيراً جداً لجعلهم يتجاهلون جميع النداءات، وعندها يجد الضباط أنه من المستحيل القيام بأي شيء لتنظيمهم، وهذا ما حدث في انسحاب عام 1812[201]. منعاً لهذه الحالات الاستثنائية فإن العادات الجيدة للتنظيم، والاحتياطات اللوجستية الجيدة للحشد والتجميع والانضباط الجيد كلها مجتمعة تؤدي إلى النجاح في معظم الأحيان، فإن لم تمنع حدوث الاضطراب، تعالجه على الفور في حال حدوثه.

لقد آن الأوان لإنهاء هذا الفصل، الذي أردت من خلاله بيان خطوطه العريضة، والمضي قدماً في معاينة المواضيع العسكرية البحتة.

[201] يقصد به انسحاب نابليون بجيشه الكبير من موسكو ومن روسيا ابتداء من اكتوبر عام 1812 حتى ديسمبر من نفس العام، وكان انسحابا مذلا حيث لم يتبق من جيش نابليون الكبير البالغ تعداده قبل الحملة على روسيا 690000 جندي إلا 93000 جنديا.


خريطة معارك
أوربا
امبراطورية فرنسا الأولى
مملكة بروسيا
امبراطورية النمسا
امبراطورية روسيا
مملكة فرنسا
الامبراطورية الرومانية المقدسة
الامبراطورية العثمانية
مملكة هولندا المتحدة
مملكة هانوفر
المملكة المتحدة
دوقية براونشفايغ
دوقية ناساو
دوقية القرم
معركة بورودينو 1812 ضد
معركة إيلاو 1807 ضد
معركة لايبزغ 1813 ضد
معركة جينا 1806 ضد
معركة واترلو 1815 ضد
معركة فاغرام 1809 ضد
معركة فريدلينغن 1702 ضد
معركة أركول 1796 ضد
معركة مارينجو 1800 ضد
معركة بيتروفاردين 1716 ضد
معركة كاجول 1770 ضد
نهر فيستولا
نهر الإلبه
نهر الأودر
نهر الراين
نهر اين
نهر الدانوب
نهر سالزاك
نهر اديجي
NorsForStudies.org
Nors2017
Nors.Studies
NorsForStudies
NORS Studies
مركز نورس للدراسات

الفصل الثالث



الفصل الثالث

الاستراتيجية

<u>تعريف الاستراتيجية والمبادئ الأساسية للحرب:</u>

يتكون فن الحرب –القصد عسكرياً بمعزل عن علاقاته بالسياسة والمعنويات– من خمسة أجزاء رئيسية وهي:

1. الاستراتيجية
2. التكتيكات الكبرى
3. اللوجستيات
4. تكتيكات الأسلحة المختلفة
5. فن الهندسة

سنتعامل مع الفروع الثلاثة الأولى ونبدأ بتعريفها. **ولكي نفعل ذلك سنتّبع ترتيب إجراءات الجنرال عندما تُعلن الحرب، فيبدأ الجنرال بالنقاط ذات الأهمية القصوى كخطة الحملة، ثم ينزل إلى التفاصيل اللازمة. بينما في التكتيكات يكون الترتيب على العكس من ذلك، حيث يبدأ بالتفاصيل ويصعد إلى الإعدادات والمبادئ العامة اللازمة لتشكيل وتجهيز جيش كبير.**

سنفترض أن الجيش يمسك الميدان. أول ما يجب أن يعتني به القائد هو الاتفاق مع رئيس الدولة على طابع الحرب، ثم يجب أن يدرس بعناية مسرح الحرب، ويختار أنسب قاعدة عمليات، مع مراعاة حدود (جبهات) الدولة وحلفاءها.

يُساعد اختيار قاعدة العمليات والهدف المقترح في اختيار منطقة العمليات. يستولي الجنرال على نقطة الهدف الأولى، حيث يقوم باختيار خط العمليات المؤدي إلى النقطة (قد يكون الخط مؤقتاً أو دائماً)، على أن يكون اختيار الطريق هو الأفضل بين الطرق المتاحة، وأعني بأفضل طريق هو الذي يوفر أكبر قدر من الفرص وأقل قدر من المخاطر.

يمتلك الجيش المتقدم على خط العمليات جبهتين وهما جبهة العمليات والجبهة الاستراتيجية، وتحتل الفيالق مواقع استراتيجية وهي عبارة عن مواقع مؤقتة على جبهة العمليات أو خط الدفاع.

بالقرب من نقطة الهدف الأولى وعندما يجابه الجيش مقاومة، فإما أن يقوم الجيش بالهجوم على العدو أو المناورة لإجباره على الانسحاب. ولتحقيق ذلك سيعتمد الجيش على خط أو خطين من المناورات الاستراتيجية، التي قد تنحرف إلى حد ما عن الخط العام لسير العمليات بشكل مؤقت، على أن لا يؤدي ذلك لحدوث أي ارتباك. ولربط الجبهة الاستراتيجية مع القاعدة عند التقدم، يتم إنشاء خطوط إمداد ومستودعات وما إلى ذلك.

إذا كان خط العمليات طويلاً، فإن وجود أي قوات معادية قريبة من خط العمليات يشكّلُ تهديداً للعمليات، وبالتالي يجب مهاجمة هذه القوات وتشتيتها أو وضعها تحت المراقبة فقط، أو متابعة تنفيذ العمليات ضد العدو دون أي اعتبار لتلك القوات. وإذا تم المضي بالخيار الثاني (وهو مراقبتهم)، فستكون النتيجة هي جبهة استراتيجية مزدوجة وسيتم تخصيص مفارز كبيرة للمراقبة.

إذا واجه العدو جيشنا عند اقترابه من نقطة الهدف الأولى فستبدأ معركة، وإذا كانت المعركة غير حاسمة، سَيُستأنف القتال وستحدث معركة أخرى، فإذا كسب الجيش المعركة، فإنه سيقوم بتثبيت نقطة الهدف الأولى أو سيتقدم نحو النقطة الثانية. إذا كان الهدف الأول هو السيطرة على حصن هام، فسيبدأ بفرض الحصار عليه، وإذا لم يكن الجيش قوياً بما فيه الكفاية لمواصلة مسيرته بعد تخصيص قوة كافية لمواصلة الحصار، فسيتخذ موقعاً استراتيجياً لحماية (تغطية واستمرار) الحصار. كما حدث مع الجيش الفرنسي في إيطاليا عام 1796، وكان تعداده أقل من 50000 جندي، لم يستطيعوا ترك خمسة وعشرين ألف مقاتل من الأعداء محاصرين (قوات النمسا) داخل مانتوفا Mantua بجزء من القوات ويتوجهوا بالجزء الباقي إلى النمسا، حيث كان ينتظرهم في الطريق أيضاً أربعين ألف مقاتل من الأعداء على خطي تيرول Tyrol وفريولي Friuli. وإذا كان الجيش قوياً بما فيه الكفاية

لتحقيق أفضل استغلال لانتصاره، أو لم يكن هناك حصار يقوم به، فيستطيع الجيش متابعة التقدم نحو نقطة الهدف الثانية والأكثر أهمية.[202]



موقع فريولي وتيرول من مانتوفا

[202] وهو حصار مانتوفا، الذي استمر من 4 يوليو 1796 إلى 2 فبراير 1797 مع انقطاع قصير، حاصرت القوات الفرنسية تحت قيادة نابليون بونابرت (الذي كان إبان تلك الفترة مجرد قائد جبهة عسكرية) حامية نمساوية كبيرة في مانتوفا لعدة أشهر حتى استسلمت. هذا الاستسلام في نهاية المطاف، جنبا إلى جنب مع الخسائر الفادحة التي تكبدتها النمسا خلال أربع محاولات لفك الحصار غير الناجحة، أدت بشكل غير مباشر لتوقيع النمساويين للسلام في عام 1797. حدث الحصار خلال حرب التحالف الأولى، الذي هو جزء من الحروب الثورية الفرنسية.

إذا كانت النقطة الثانية بعيدة، سيكون من الضروري إنشاء نقطة وسطية للدعم، وستكون المدينة أو المدن الآمنة التي تم الاستيلاء عليها قاعدة مؤقتة eventual base. عندما لا تَتوفّر وسيلة لتأمين الدعم بهذه الطريقة يتم إنشاء احتياطي استراتيجي strategic reserve صغير يحمي مؤخرة الجيش وكذلك يتم إنشاء التحصينات الميدانية المؤقتة لحماية المستودعات. عندما يعبر الجيش مجاري أنهار كبيرة، فإنه سينشئ رأس جسر tetes de pont، وإذا كانت الجسور داخل المدن المسورة، فيجب القيام بأعمال الحفر الهندسية لإنشاء خنادق ولزيادة وسائل الدفاع وضمان سلامة القاعدة المؤقتة أو الاحتياطي الاستراتيجي الذي قد يحتل هذه المواقع.

إذا خسر الجيش المعركة فإنه سيتراجع إلى قاعدته، ليتم تعزيزه بمفارز من القوات أو ما يعادله، ويتم حمايته بالدخول إلى المواقع والمعسكرات المحصنة، مما يجبر العدو على وقف هجومه أو تقسيم قواته.

عندما يقترب الشتاء، إما سترحل الجيوش إلى مساكنها (ثكناتها)، أو سيتابع الجيش الذي حقق نجاحاً حاسماً في الميدان عملياته محاولاً تحقيق أقصى استفادة من تفوقه. هذه الحملات الشتوية متعبة جداً لجيوش الطرفين، ولكنها في جوانب أخرى لا تختلف عن الحملات العادية، إلا في الحاجة لزيادة الجهد والطاقة لتحقيق الانتصار السريع.

هكذا يكون المسار الطبيعي للحروب، وعلى هذا النحو سوف ننظر فيه، في حين سنناقش كذلك تراكيب من هذه العمليات.

<u>تتضمن الاستراتيجية النقاط التالية:</u>

1. اختيار مسرح الحرب، ومناقشة التراكيب المختلفة التي ممكن أن تتألف منها.
2. تحديد النقاط الحاسمة في هذه التراكيب، والاتجاه الأكثر ملاءمة للعمليات.
3. اختيار وإنشاء قاعدة ثابتة ومنطقة عمليات.
4. اختيار نقطة الهدف، سواء كانت هجومية أو دفاعية.
5. الجبهات الاستراتيجية وخطوط الدفاع وجبهات العمليات.
6. اختيار خطوط العمليات المؤدية إلى نقطة الهدف أو الجبهة الاستراتيجية.

7. أفضل خط استراتيجي لتنفيذ عملية معينة والمناورات المختلفة اللازمة لاستيعاب هذه الخطوط في أي تراكيب محتملة.
8. قواعد العمليات المؤقتة والاحتياطيات الاستراتيجية.
9. مسيرات الجيوش باعتبارها مناورات.
10. العلاقة بين موقع المستودعات ومَسير الجيش.
11. الحصون باعتبارها وسائل استراتيجية، وكملجأ للجيش، أو بكونها عقبة أمام تقدم الجيش عندما يتوجب حصارها وتغطية (حماية واستمرار) الحصار.
12. مواقع المعسكرات المحصنة ورؤوس الجسور والخ.
13. التضليل الذي يتعين القيام به والمفارز الكبيرة المطلوبة.

هذه النقاط ذات أهمية أساسية في تحديد الخطوات الأولى للحملة، ولكن هناك عمليات أخرى ذات طبيعة مختلطة، مثل المرور على مجاري الأنهار والانسحاب والمباغتة والإنزال (البحري) والقوافل ومساكن (ثكنات) الشتاء وهذه التكتيكات تنتمي لتنفيذ ومفهوم وترتيب الاستراتيجية.

إن مناورة الجيش في ساحة المعركة والتشكيلات الهجومية المختلفة للقوات تشكّلان التكتيكات الكبرى. وتعتبر اللوجستيات فن تحريك الجيوش، وتتألف من ترتيب وتفاصيل المسير والمعسكرات، وقوات الإيواء والإمداد، كل ذلك نختصره بجملة واحدة، هي تنفيذ المبادرات الاستراتيجية والتكتيكية.

ونقول مرة أخرى أنّ الاستراتيجية هي فن صنع الحرب على الخريطة، وفهم مسرح العمليات بأكمله. التكتيكات الكبرى هي فن نشر القوات في ميدان المعركة وفقاً للمجريات على الأرض، ووضعها في العمل، وفن القتال على الأرض، على عكس التخطيط على الخريطة (الاستراتيجية). وقد تمتد عملياتها على مساحة عشرة أو اثني عشر ميلاً في المدى. وتحتوي اللوجستيات على الوسائل والترتيبات التي تحدد خطط الاستراتيجية والتكتيكات.

تقرر الاستراتيجية مكان العمل، تجلب اللوجستيات القوات إلى هذه النقطة، أما التكتيكات الكبرى فتحدد أسلوب التنفيذ وتوظيف القوات.

صحيح أن العديد من المعارك قد حسمتها تحركات استراتيجية، وكانت في الحقيقة مجرد نتيجة حتمية لها، إلّا أنّ هذا يحدث في حالة استثنائية فقط وتتمثل في الجيوش المنتشرة dispersed، حيث المثال العام للمعارك الضارية (المرتبة)[203] يكفيها التعريف السابق.

إن التكتيكات الكبرى، بالإضافة إلى أعمال التنفيذ الميداني، تتعلق بالمواضيع التالية:

1. اختيار المواقع والخطوط الدفاعية للمعركة.
2. الهجوم في معركة دفاعية.
3. أنظمة المعركة المختلفة، أو المناورات الكبرى المناسبة للهجوم على خطوط العدو.
4. اصطدام الجيشين عند المسير، أو المعارك الغير متوقعة.
5. مباغتة الجيوش في الأرض المفتوحة.
6. ترتيبات توجيه القوات نحو المعركة.
7. الهجوم على المواقع والمعسكرات المحصنة.
8. تنفيذ الضربات الخاطفة coups de main.[204]

ويمكن اعتبار جميع العمليات الأخرى المتعلقة بالقوافل والغارات التموينية foraging-parties، ومناوشات حراس المقدمة أو المؤخرة، وهجمات المواقع الصغيرة وأي شيء تنجزه مفرزة أو فرقة واحدة يمكن اعتبارها داخلة ضمن عمليات الكر والفر pitty warfare[205]، وليست ضمن العمليات الكبيرة.

[203] معركة ضارية أو مرتبة: هي معركة يلتحم فيها جيشان التحاما قويا ووثيقا بعد اتخاذ الأماكن والمواقع الملائمة من أجلها وبعد الاستعداد التام لها.

[204] الضربات الخاطفة: هي هجمات تعتمد على عنصري المفاجأة والسرعة لتحقيق الأهداف بضربة واحدة.

[205] لا نقصد بالضرورة بهذه الحرب حرب العصابات، إذ هنا يتكلم المؤلف عن الجيوش النظامية، وقد وصف حرب العصابات في عصره تعليقا على حرب الشبه الجزيرة الإيبيرية التي خاضها نابليون بالحرب القومية في الفصول السابقة. وقد تتشابه هذه الحرب مع حرب العصابات في التكتيكات كالإغارة والمناوشات وغيرها، إلا أنها تختلف في ظروف من أهمها تطبيق الأولى لهذه التكتيكات من قبل جيوش نظامية، والثانية تحتاج إلى حاضنة شعبية لتقوم.

المبادئ الأساسية للحرب:

إن المبدأ العظيم الذي تقوم عليه جميع عمليات الحرب ويجب اتباعه في جميع التراكيب الجيدة متضمنة في القواعد العامة التالية:

- توجيه القائد للجزء الأكبر من القوات بتحركات استراتيجية بالتتابع نحو النقاط الحاسمة في مسرح العمليات، ونحو مواصلات العدو وذلك دون تعريض خطوط مواصلاتنا للخطر.

- قيام القائد بالتخطيط لمناورة تمكنه من أن يشتبك بالجزء الأكبر من قواته ضد الأجزاء ضعيفة من قوات العدو والقضاء عليها.

- القيام بمناورة تكتيكية أثناء المعركة تمكنه من حشد الجزء الأكبر من قوته لزجها نحو النقطة الحاسمة في ساحة المعركة أو في خطوط مواصلات العدو إذا كانت ذات أهمية كبرى.

- عدم الاكتفاء بزج القوة الأكبر في المنطقة الحاسمة فقط، بل القيام بتوزيعها وفق تخطيط مسبق للاشتباك في الوقت المناسب وفي وقت نشاط الجند لتحقيق قيامها بجهد مضاعف ومتزامن.

يفنّد هذا المبدأ أي انتقاد له نتيجة بساطته الشديدة، إلاّ أنه قد يعترض أحدهم قائلاً بأنه من السهل التوصية بتوجيه الجزء الأكبر من القوات نحو نقاط حاسمة، ولكن الصعوبة تكمن في معرفة وتحديد تلك النقاط. هذه الحقيقة واضحة ومن السُخف أن نعلن عن هكذا مبدأ عام دون أن نُرفقه بكل ما يلزم من تفسيرات وشروحات لتطبيقه في الميدان.

وسنقوم بوصف هذه النقاط الحاسمة في الموضوع التاسع عشر، وفي المواضيع من الثامن عشر حتى الثاني والعشرين سنناقش علاقاتها مع التراكيب المختلفة. إنّ الطلاب الذين يمعنون النظر إلى ما ذكرناه في هذه المواضيع، ثم يعتبرون أنّ تحديد هذه النقاط مشكلة ليس لها حل، هؤلاء الطلاب من المحال تماماً أن يستوعبوا الاستراتيجية.

نادراً ما يحتوي المسرح العام للعمليات على أكثر من ثلاث مناطق، وهي الميمنة والميسرة والمركز أو القلب. وتتضمن كل منطقة جبهة عمليات، وموقع استراتيجي، وخط دفاع، وكذلك كل خط في المعركة له نفس التقسيمات، الطرفين (ميمنة وميسرة) والمركز (الوسط أو القلب). والتركيز على واحدة من هذه الثلاثة سيحقق الغاية المرجوة دائماً، وسيكون التركيز على أحد الاتجاهين المتبقين أقل فائدة، في حين أن الاتجاه الثالث سيكون غير قابل للاستخدام كلياً. وعند النظر في الهدف المقترح مع الأخذ بالاعتبار مواقع العدو وجغرافية الأرض سيظهر السؤال أي اتجاه أفضل للحركة؟ هل إلى اليمين أم اليسار أم إلى الأمام؟ ويظهر هذا السؤال دائماً عند القيام بأي حركة استراتيجية أو مناورة تكتيكية. لا يمكن جعل أمر اختيار واحد من هذه الخيارات الثلاثة البسيطة أحجية. **فإن أساس الاستراتيجية هو فن التوجيه الصحيح للأجزاء الكبيرة من الجيش، مع ذلك لا ينحصر فن الحرب في هذا الشيء.** المواهب التنفيذية والمهارات والطاقات والبصيرة العسكرية Coup d'œil[206] لطبيعة الأرض وللأحداث المهمة لتنفيذ أي تراكيب تم ترتيبها مسبقاً.

سوف نطبق هذا المبدأ العظيم على مختلف حالات الاستراتيجية والتكتيكات، ثم نعرض ذلك من خلال تاريخ عشرين حملة عسكرية مشهورة مع بعض الاستثناءات القليلة، فإن أكثر النجاحات الباهرة وأكبر الهزائم نتجت عن الالتزام بهذا المبدأ في حالة الانتصارات، ومن إهماله في حالة الهزائم.

[206] **Coup d'œil**: مصطلح فرنسي عسكري يقصد به الإدراك السريع بلمح البصر لإيجابيات وسلبيات الأرض.

التراكيب الاستراتيجية

الموضوع السادس عشر: نظام العمليات

ما أن يتم اتخاذ قرار الحرب، فالأمر الأول الذي يتم البت فيه هو ما إذا كانت الحرب ذات طابع هجومي أم دفاعي، وسوف نوضح أولاً ما هو المقصود بهذه المصطلحات.

هناك عدة حالات من الهجوم:

1. إذا كان الهجوم ضد دولة كبيرة (كلها أو جزء كبير من أراضيها) فهو غزو.
2. إذا كان الهجوم على مقاطعة فقط، أو خط دفاع متوسط المدى فهو هجوم عادي.
3. إذا كان الهجوم على موقع للعدو ومقتصر على عملية واحدة فيسمى هذا الهجوم الأخذ بالمبادرة.

من الناحية المعنوية والسياسية، فإن الهجوم في معظم الأحيان أفضل من الدفاع، فهو يشعل الحرب في أرض أجنبية، ويحفظ بلد المهاجِم من الدمار، ويزيد من موارده ويقلل من موارد عدوه، ويرفع معنويات جيشه، ويضعف معنويات العدو عموماً. لكن يحدث أحياناً أن الغزو يثير الحماس والطاقة للخصم، وخاصة عندما يشعر أن استقلال بلده مهدد.

من الناحية العسكرية، فإن للهجوم جوانبه الإيجابية والسلبية. فمن الناحية الاستراتيجية، يؤدي الغزو إلى جعل خطوط العمليات ممتدة، وهي دائماً معرضة للخطر في بلد معادي. كل العقبات في بلد العدو من الجبال والأنهار والشعاب والحصون مواتية للدفاع، في حين أن السكان وسلطات البلاد أبعد ما تكون من دعم الجيش الغازي ومعادية عموماً. ومع ذلك، إذا حدث الانتصار، وضُرِب العدو في نقطة حيوية، فقد حُرِم من موارده وسيضطر لإنهاء الحرب بسرعة.

معظم الهجمات التي تكون بعملية واحدة والتي أطلقنا عليها الأخذ بزمام المبادرة مفيدة وخاصة في الاستراتيجية. في الواقع، إذا كان فن الحرب يتمثل في توجيه الأجزاء الكبيرة من الجيوش على النقاط الحاسمة، فسيتطلب القيام بذلك الأخذ بزمام المبادرة. يعرف الطرف المهاجم ما سيقوم به وما يريده، ويقود الأجزاء الكبيرة من جيشه إلى النقطة التي يريد أن

يضرب فيها. بينما الطرف المدافع لا يعلم أي جزء من قواته ستكون محور هجوم العدو بقواته الكبيرة، فهو لا يعلم أين ينوي الخصم مهاجمته، ولا الطريقة التي يجب أن يصد بها هجومه.

من الناحية التكتيكية، فإن الهجوم يمتلك أيضا مزايا ولكنها أقل إيجابية، لأن العمليات تجري في مساحة محدودة، ولا يمكن للطرف الآخذ بزمام المبادرة أن يخفيها عن العدو الذي قد يكشف مخططاته، ويتمكن بفضل قواته الاحتياطية الجيدة من إفشال وصد الهجوم.

يعمل الطرف المهاجم بالرغم من السلبيات الناشئة عن العوائق التي يجب عبورها قبل الوصول إلى خط العدو. ويأخذ في الحسبان ضرورة الموازنة بين إيجابيات وسلبيات الهجوم التكتيكي. وأياً كانت الإيجابيات التي يمكن الحصول عليها سياسياً أو استراتيجياً من خلال الهجوم، فقد لا يكون من الممكن الاحتفاظ بها طوال وقت الحرب؛ لأن الحملة التي كانت هجومية في البداية قد تصبح دفاعية قبل أن تنتهي.

لا تخلو الحرب الدفاعية من الإيجابيات إذا نُفِّذَت بذكاء. قد يكون الدفاع سلبياً أو وقد يكون نشطاً مع القيام بهجمات في بعض الأحيان. ويُعتبَر الدفاع السلبي منهكاً دائما، أما الدفاع النشط فقد يحقق نجاحات كبيرة. إن الهدف من الحرب الدفاعية هو حماية البلد لأطول فترة ممكنة من تهديدات العدو، يجب أن تُعَدّ جميع العمليات لتأخير تقدمه، ولإزعاجه في مخططاته عن طريق زيادة العوائق والصعوبات في طريقه، دون أن تتعارض مع تحركات جيشنا. الذي يبدأ الغزو يقوم بذلك نظراً لتفوقه بعض الشيء، ثم يسعى إلى إنهاء الحرب في أسرع وقت ممكن. أما الطرف المدافع يكون على العكس من ذلك فهو يسعى لإطالة الحرب حتى يضعف خصمه بإرسال المفارز، ومن خلال المسيرات، والحرمان والتعب الذي يصيب المهاجم.

يقتصر الجيش على الدفاع في حالة الهزائم أو في حالة الضعف الشديد فقط. ومن ثم يسعى لدعم الحصون، والحواجز الطبيعية أو الاصطناعية، ووسائل استعادة التوازن بزيادة العوائق في طريق العدو. عندما لا تُنفذ هذه الخطة إلى أقصى درجة فإنها قد تحقق الكثير من النجاحات بشرط إذا كان الجنرال يعي ضرورة عدم تحويل الدفاع إلى سلبي، **حيث يجب أن**

لا يبقى في موقعه لتلقي كل الضربات من قبل خصمه. فيجب عليه على العكس من ذلك أن يضاعف نشاطه، وأن يكون في حالة تأهب مستمر لاستغلال جميع الفرص من أجل الهجوم على نقاط ضعف العدو. يمكن أن تسمى هذه الخطة الحربية بالخطة الدفاعية الهجومية، وقد يكون لها محاسن استراتيجية وكذلك تكتيكية، فهي تجمع بين محاسن كلا النظامين. حيث ينتظر عدوه على أرض معدة سلفاً، بكل ما لديه من موارد في متناول اليد، فهو يقاتل على أرضه بجميع ما فيها من مزايا، ويأمل لأخذ زمام المبادرة في حالة نجاحه، ويكون قادراً تماماً على اختيار متى يضرب وأين.

خلال الحملات الثلاث الأولى من حرب السنوات السبع كان فريدريك العظيم هو المهاجم. في الأربعة المتبقية كان سلوكه نموذجاً مثالياً للحرب الهجومية الدفاعية. وأيضاً كان يستغل بشكل رائع أخطاء خصومه التي منحته الفرص المناسبة للقيام بالهجمات الناجحة في أكثر من مرة وقتما يريد. كان أسلوب ويلنغتون Wellington في البرتغال واسبانيا وبلجيكا شبيهاً بأسلوب فريدريك، وكان هو الأسلوب الأنسب في ظروفه.[207] يبدو من الواضح أن واحدة من أعظم مواهب الجنرال هي معرفة كيفية استخدام (قد يكون بالتناوب) هذين النظامين (الدفاعي والهجومي)، وذلك ليكون قادراً على الأخذ بزمام المبادرة خلال التقدم في حرب دفاعية.

[207] حدث ذلك إبان حرب شبه الجزيرة الإيبرية 1808-1813 وحقق ولنغتون (وهو آرثر ويلزي قائد عسكري وسياسي بريطاني من أصل إيرلندي) انتصارات كثيرة على الفرنسيين ساهمت بطردهم من أسبانيا.

الموضوع السابع عشر: مسرح العمليات

يشمل مسرح الحرب كل الأراضي التي يمكن للطرفين أن يهاجما بعضهما عليها، سواءً كانت هذه الأراضي لهم أو لحلفاءهم، أو تعود لدول ضعيفة قد تجتذب إلى الحرب بسبب الخوف أو بداعي المصلحة. عندما تكون الحرب بحرية أيضاً، قد يضم المسرح نصفي الكرة الأرضية، كما حدث في النزاعات بين فرنسا وإنجلترا منذ زمن لويس الرابع عشر.[208] وبالتالي فإن مسرح الحرب قد يكون غير محدد المكان، ويجب ألا يخلط بينه وبين مسرح عمليات جيش أو آخر. وقد يقتصر مسرح الحرب القارية (الأوروبية) بين فرنسا والنمسا على الأراضي الإيطالية، أو قد يمتد لألمانيا إذا شاركت في الحرب.

يمكن للجيوش أن تعمل بالتنسيق فيما بينها أو يكون عملها بشكل مستقل: في الحالة الأولى يمكن اعتبار المسرح بكامله ميداناً واحداً تقوم فيه الاستراتيجية بتوجيه الجيوش من أجل بلوغ غاية محددة. وفي الحالة الثانية سيكون لكل جيش مسرح مستقل لعملياته. **يشمل مسرح العمليات للجيش جميع الأراضي التي ترغب الجيوش في غزوها أو التي من الضروري الدفاع عنها**. إذا كان الجيش يعمل بشكل مستقل، فإنه لا ينبغي أن يقوم بأي مناورة خارج مسرحه الخاص، (مع ذلك يجب أن يترك مسرحه إذا تعرض لخطر التطويق)، حيث أن المفترض أنه لا يوجد أي تنسيق في العمل مع الجيوش العاملة على الميادين الأخرى. أما إذا كان هناك تنسيق بين الجيوش فإن مسرح عمليات كل جيش بمفرده ليس سوى منطقة عمليات واحدة من مناطق العمليات في الميدان العام، تحتلها كتل كبيرة من الجيوش من أجل تحقيق هدف مشترك.

بغض النظر عن السمات الطبوغرافية لمسرح العمليات الذي يعمل فيه جيش أو أكثر فإنه يتكون بالنسبة للطرفين على النحو التالي من:

1. قاعدة ثابتة للعمليات
2. نقطة الهدف الرئيسية
3. جبهات العمليات والجبهات الاستراتيجية وخطوط الدفاع

---

[208] يقصد بامتداد الحرب حتى العالم الجديد في وقتها إبان حرب الخلافة الأسبانية وسميت هناك بحرب الملكة آن (1713—1702)

4. مناطق وخطوط العمليات
5. الخطوط الاستراتيجية المؤقتة وخطوط المواصلات
6. العوائق الطبيعية أو الاصطناعية التي يمكن التغلب عليها أو التي يمكن وضعها في طريق تقدم العدو
7. النقاط الاستراتيجية الجغرافية، التي يعتبر السيطرة عليها أمر مهم، سواء للهجوم أو للدفاع
8. القواعد العرضية (المؤقتة) للعمليات الواقعة بين نقطة الهدف والقاعدة الأولية
9. نقاط اللجوء في حالة الهزيمة

للتوضيح، دعونا نفترض أن فرنسا تغزو النمسا بجيشين أو ثلاثة جيوش مجتمعة تحت إمرة قائد واحد، وتبدأ بالتحرك بشكل متتالي من ماينز (مايينس) Mayence ومن الراين الأعلى ومن سافوي Savoy أو من جبال الألب البحرية Martitime alps. في هذه الحالة يمكن اعتبار أي جزء يجتازه كل من هذه الجيوش منطقة من الميدان العام للعمليات. ولكن إذا ذهب الجيش الإيطالي إلى أديجي Adige دون تنسيق مع جيش الراين، فإن ما كنا نعتبره مجرد منطقة عمليات سابقاً هو الأن في حالة الجيش الإيطالي مسرحاً للعمليات.

في كل حالة يجب أن يكون لكل مسرح قاعدته الخاصة به، ونقطة الهدف الخاصة به، ومناطقه وخطوط العمليات التي تربط نقطة الهدف مع القاعدة، سواء في الهجوم أو الدفاع.

السائد في التدريس والمنشورات بأن الأنهار هي خطوط عمليات من الطراز الأول. في واقعنا يجب أن يحتوي الخط على طريقين أو ثلاثة طرق لنقل الجيوش ضمن نطاق عملياتها، وخط واحد على الأقل من أجل الانسحاب، بينما يحاول بعض المعاصرين التشبه بموسى عليه السلام واعتبار الأنهار خطوط انسحاب، وحتى خطوط مناورة. الأكثر دقة أن نقول أنَّ الأنهار خطوط إمداد، ومساعد قوي في إنشاء خط جيد للعمليات، ولكنها ليست خط عمليات بحد ذاتها أبداً.

كما أنه من السائد في التدريس والمنشورات أنه لجعل الأرض مسرح حرب ممتاز، ينبغي تجنب بناء الطرق متقاربة لأنها تيسر الغزو!!! لكل بلد عاصمته ومدنه الغنية بالصناعات

أو التجارة، ومن الطبيعي جداً أن تكون هذه المدن مراكز طرق متقاربة. إذن فلتتحول ألمانيا إلى صحراء لتشكل مسرح للحرب يرضي قائد ما، ومع ذلك ستظهر المدن التجارية والمراكز وستلتقي الطرق من جديد في هذه المدن. وعلاوة على ذلك، ألم يتمكن أرشيدوق تشارلز من التغلب على جوردان في عام 1796 من خلال استخدام الطرق المتقاربة؟ إضافةً إلى ذلك فإن هذه الطرق هي أكثر ملاءمة للدفاع من الهجوم، لأنه من الممكن لفرقتين منسحبتان على هذين الخطين الشعاعيين أن يندمجا بشكل أسرع من جيشين يطاردانهما، وقد ينتصران على كل جيش يطاردهما على حدا.[209]



الأرشيدوق تشارلز

[209] حدث ذلك في حملة الراين عام 1796 حيث انطلق في هذا العام 3 جيوش فرنسية غربا اثنان منها عبرا نهر الراين باتجاه النمسا والثالث اتجه نحو إيطاليا تحت قيادة الجنرال نابليون حينها بهدف حصار فيينا وإجبار عائلة هابسبورغ على الاعتراف بالجمهورية الفرنسية، و كانت هذه الحملة ضمن ما عرف لاحقا بحروب التحالف الأولى. قاد الجيش الفرنسي الأول الجنرال جان باتيست جوردان و هدفه عبور الراين الأدنى في الشمال و قاد الجيش الفرنسي الثاني الجنرال جان فيكتور ماري موري و هدفه عبور الراين الأعلى الواقع جنوبا بينما قاد نابليون جيش إيطاليا و هو جيش مكون من جنود فرنسيين ولكن استمد اسمه من مكان تواجده على الحدود الإيطالية. وكان على الطرف الآخر الارشيدوق تشارلز الابن الصغير لإمبراطور النمسا ليوبولد الثاني و المشهور بمواهبه العسكرية. وحدثت بيت تشارلز وجوردان معركة ورزبرغ في 3 أيلول كانت بدايتها لصالح جوردان الذي ابتدا المعركة بهجوم قوي على النمساويين حتى وصلت الإمدادات النمساوية (عن طريق الطرق المتقاربة) و دعمت جيش النمسا وتغيرت النتيجة.
حدث كذلك الأمر في معركة آمبيرغ وهي الأهم و حدثت في 23 آب، وقتها كان تشارلز يراقب مورو حتى اكتشف جنرال وارتنزليبون النمساوي أخطاء بتشكيلة جوردان و طلب من الارشيدوق القدوم (حيث كان منفصلاً عنه في جيش آخر فقدم تشارلز باستخدام الطرق المتقاربة) على رأس 12000 جندي و بالتالي صار عدد جيش النمسا 48000 والجيش الفرنسي 45000 وانتهت المعركة لصالح تشارلز.

يرى بعض الكُتَّاب أن الأراضي الجبلية تكثر فيها المواقع الاستراتيجية، فيما يرى آخرون أن هذه المواقع (على العكس من ذلك) أقل في جبال الألب مما هي عليه في السهول، إلا أنه كل ما كانت المواقع أكثر ندرة كانت أكثر أهمية وأكثر حسماً.

ويعتبر بعض الكُتَّاب أن السلاسل الجبلية العالية (في الحرب) حواجز لا يمكن الوصول إليها. وكان لنابليون رأي مغاير من خلال حديثه عن جبال الألب الرهتي حيث قال "الجيش يمكن أن يصل إلى أي مكان حيث يمكن لرجل أن يضع قدمه فيه".

ويتفق مع نابليون في هذا الرأي جنرالات لا يقلون عنه خبرة في حروب الجبال، حيث اعترفوا بالصعوبة البالغة في شن حرب دفاعية في مثل هذه المواقع ما لم يتم الجمع بين مزايا الحرب الغير نظامية (البارتيزن، أو حروب الأنصار)[210] والحرب النظامية فالأولى تحرس المرتفعات وتضايق العدو، والثانية للقيام بمعركة في النقاط الحاسمة، حيث تقاطعات الوديان الكبيرة.

أشرنا لهذه الاختلافات في الرأي هنا لنظهر للقارئ أن (كون هذا الفن بعيد كل البعد عن الكمال) هناك العديد من النقاط قابلة للنقاش.

وسنناقش أهم الخصائص الطوبوغرافية أو الاصطناعية التي تشكل مسرح الحرب من حيث قيمتها الاستراتيجية وذلك في الأجزاء التالية من هذا الفصل، ولكن هنا قد يكون من الملائم أن نقول أن هذه القيمة تعتمد كثيراً على حيوية ومهارة الجنرال. القائد العظيم (نابليون) الذي عبر ممر سانت بيرنارد وأمر بمرور سبلوجين كان بعيداً عن الاعتقاد في مناعة هذه السلاسل الجبلية. لكنه كان أيضا بعيداً عن التفكير في أن ساقية موحلة وجدار مسور يمكن أن يغير مصيره في واترلو.

[210] البارتيزان: تسمية أصلها كلمة إنكليزية partisan وتعني الأنصار، وحروب الأنصار تعني حروب العصابات



معركة واترلو حدثت عام 1815 وأنهت سيرة نابليون العسكرية بهزيمة مرة نفي على إثرها من فرنسا، تظهر في خريطة المعركة الوادي (الساقية الموحلة) بين الجيش الفرنسي والجيش البريطاني التي تسببت بتأخر جيش نابليون عن العمل بضع ساعات غيرت مصير المعركة، ويظهر كذلك مزرعتي لاهاي وهوغمونت اللتين استعصتا على جيش نابليون. هذه الأمور تسببت في تأخير حسم المعركة حتى مجيئ جيش بلوشر من جهة بلانسينوت ملتفا على الجيش الفرنسي مما تسبب بانهياره وبالهزيمة الساحقة لنابليون.

الموضوع الثامن عشر: قواعد العمليات

قاعدة العمليات هي جزء من الأرض (البلد) الذي يحصل فيها الجيش على تعزيزاته وموارده، والذي يبدأ منها شن الهجوم، ويتراجع إليها عند الضرورة، وأيضاً يتم دعم الجيش من هذه القاعدة عندما يتخذ الجيش موقعاً دفاعياً عن الأرض. قاعدة العمليات مسؤولة بشكل عام عن الإمداد، على الأقل فيما يتعلق بالطعام (وقد لا يكون ذلك بالضرورة)؛ كما في المثال الآتي، يمكن أن ينطلق الجيش الفرنسي من وستفاليا Westphalia أو فرانكونيا Franconia ، ولكن قاعدته الحقيقية ستكون بالتأكيد على نهر الراين.

عندما تحتوي الحدود على حواجز طبيعية أو اصطناعية جيدة، فقد تُستخدَم بالتبادل كقاعدة ممتازة للعمليات الهجومية، أو كخط دفاع للعمليات الدفاعية ضد الغزو. وفي الحالة الثانية (الدفاع) من الأفضل ومن الحذر أن تكون هناك قاعدة ثانية في الخلف دائماً؛ لأنه على الرغم من أن الجيش في بلده سيجد نقطة دعم في أي مكان، إلّا أن هناك فرق كبير بين الأراضي أو المناطق في البلاد التي تحتوي على تحصينات للمواقع ووسائل وإمكانيات

عسكرية متاحة، مثل الحصون والترسانات والمستودعات المحصنة وبين أراضي أخرى لا تحتوي. والمناطق أو المواقع المحصنة التي تمنح الجيش إمكانيات ووسائل عسكرية هي وحدها التي يمكن اعتبارها قواعد آمنة للعمليات. قد يمتلك الجيش عدداً من القواعد المتتالية، على سبيل المثال القاعدة الأولى للجيش الفرنسي في ألمانيا ستكون في الراين، وقد يكون لديه قواعد أخرى بعدها، أينما كان الحلفاء أو خطوط الدفاع الدائمة؛ ولكن إذا تم دفع الجيش عبر الراين غرباً ستكون له قاعدة في ميوز Meuse أو موسيل Moselle وقد تكون له ثالثة في السين Seine ورابعة في لوار Loire.



ليس من الضروري أن تكون هذه القواعد المتعاقبة موازية تماماً للأولى أو شبه موازية. بل على العكس من ذلك، فقد يصبح من الضروري إحداث تغيير كامل في الاتجاه. فإذا تم دفع الجيش الفرنسي وراء نهر الراين فقد يجد قاعدة جيدة في بيفورت Befort أو بيسانكون Besancon, وعند مزيرس Mezieres أو سيدان Sedan، كما فعل الجيش الروسي عند مغادرة موسكو، حيث غادر القواعد التي في الشمال والشرق وأقام قواعد أخرى على خط أوكا Oka والمقاطعات الجنوبية. **هذه القواعد الجانبية المتعامدة مع جبهة الدفاع غالباً ما تكون حاسمة في منع العدو من الاختراق نحو قلب البلاد، أو على الأقل تجعل بقائه مستحيلاً في حال دخوله البلاد.** قاعدة تقع على نهر عريض وسريع الجريان وتقع على ضفتيها حصون هي أفضل ما يكون.

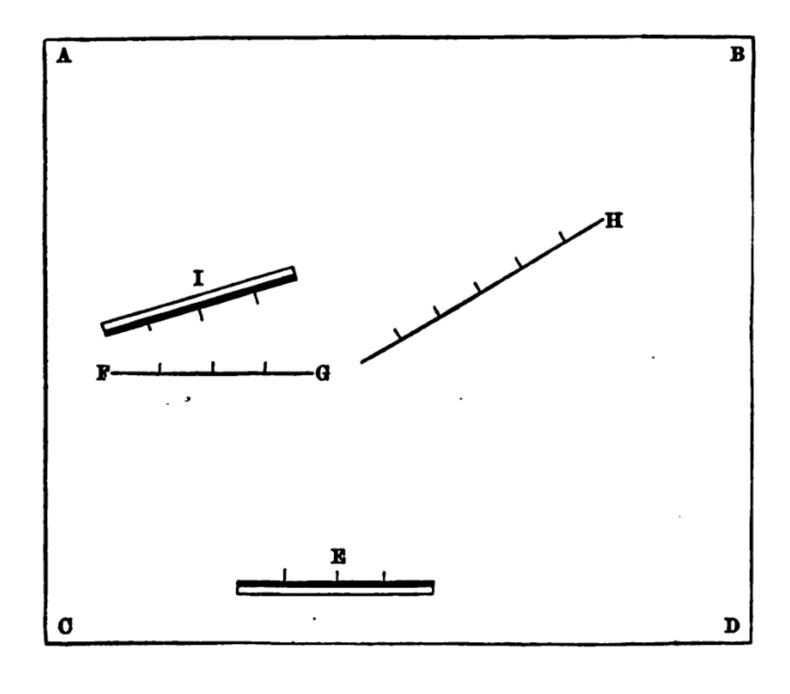


وكلما ازدادت مساحة القاعدة زادت الصعوبة في حمايتها، لكن لصالح المدافع ستزداد الصعوبة في عزلهم عنها. ولا يمكن اعتبار العاصمة المنعزلة والقريبة جداً من الجبهات (الحدود) قاعدة مناسبة لحرب دفاعية كالعاصمة التي تقع في العمق.

ولكي تكون القاعدة مثالية ينبغي أن يكون فيها نقطتين أو ثلاث محصنة ذات استيعاب كافي لإنشاء مستودعات للإمداد. ويجب أن يكون هناك رأس جسر على كل نهر فيها غير قابل للعبور.

يتفق الجميع على هذه المبادئ، ولكن تتباين وجهات النظر على نقاط أخرى. وقد أكد البعض أن القاعدة المثالية يجب أن تكون موازية للعدو. رأيي هو أن القواعد المتعامدة على اتجاه العدو أكثر إفادة، وخاصة إذا كانتا على جهتين متعامدتين تقريباً وتشكلان زاوية مقعرة، وبالتالي يجب تأمين قاعدتين إذا لزم الأمر، ويكون ذلك من خلال السيطرة على جهتين من الميدان الاستراتيجي، وبذلك نضمن خطي انسحاب متباعدين، وتسهل أي تغييرات ضرورية في خط العمليات في حال حدوث أي تحوُّل غير متوقع في المجريات.

الاقتباس التالي هي من أطروحتي عن العمليات العسكرية الكبرى: "التكوين العام لمسرح الحرب قد يأثر بشكل كبير على اتجاه خطوط العمليات، وبالتالي على اتجاه القواعد".



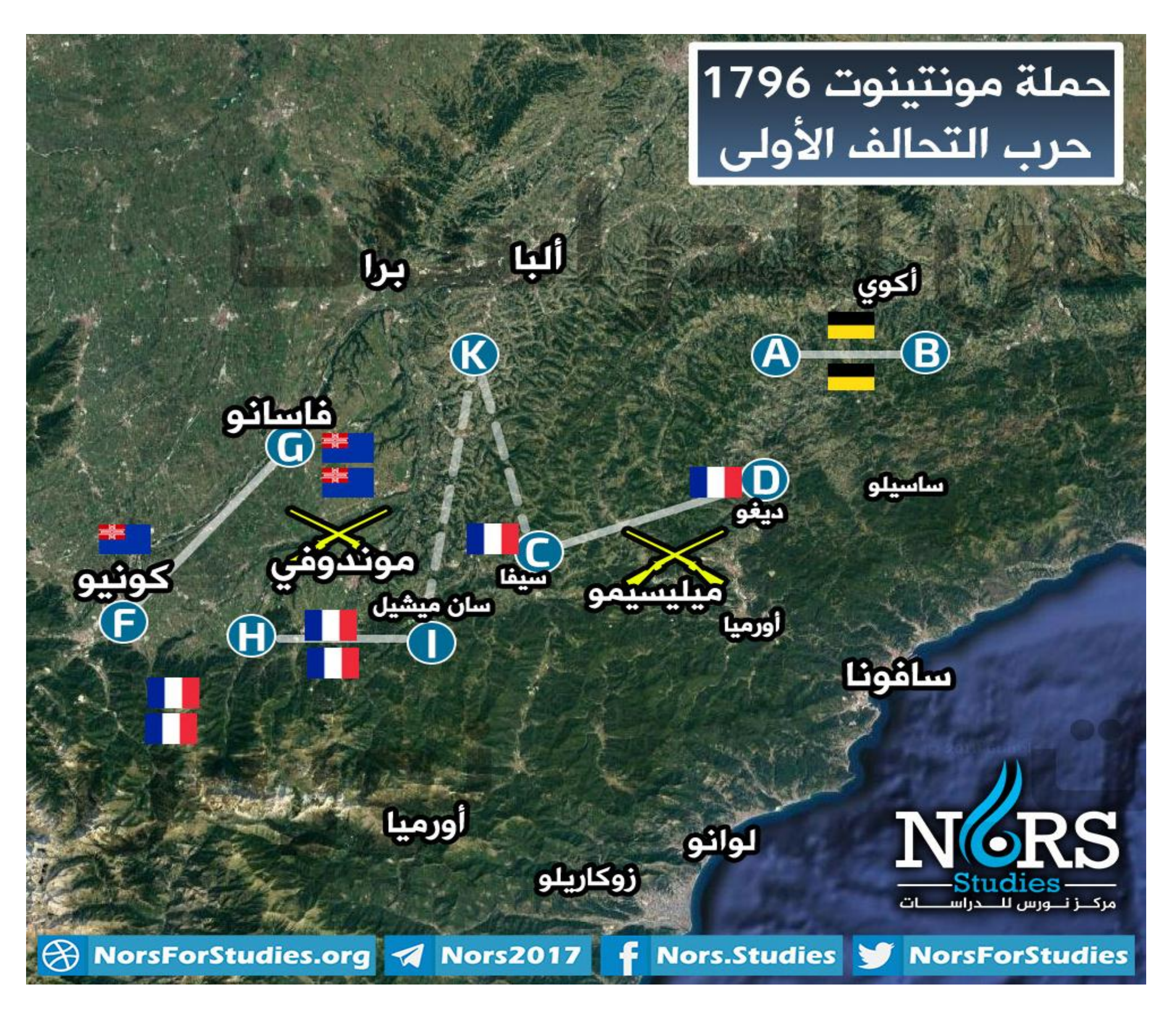
الشكل (1)



إسقاط الشكل 1 على خرائط حقيقية

"إذا كان كل مسرح للحرب يأخذ شكلاً هندسياً من أربعة أوجه بشكل منتظم تقريباً، فإن أحد الجيوش عند بداية الحملة سيكون متواجداً في إحدى هذه الأوجه وربما في وجهين، في حين يحتل العدو وجهاً ثالثاً، والوجه الرابع تغلقه عوائق لا يمكن التغلب عليها. تشكل الطرق المختلفة لاحتلال هذا المسرح إلى تراكيب مختلفة واسعة من الاستراتيجيات. لتوضيح ذلك سنستشهد بمسرح الحرب للجيوش الفرنسية في وستفاليا Westphali من 1757 إلى 1762، ونابليون في 1806، وكلاهما ممثلا في الشكل 1. في الحالة الأولى كان الجانب

A B هو بحر الشمال وB D هو خط نهر فيزر Weser وقاعدة دوق فرديناند، وخط C D هو نهر الماين Main وقاعدة الجيش الفرنسي، وA C هو خط الراين، وهو أيضاً تحت حراسة القوات الفرنسية. كان الفرنسيون يحكمون السيطرة على وجهين، وبحر الشمال هو الوجه الثالث، وكان من الضروري بالنسبة لهم السيطرة فقط على المنطقة B D من خلال المناوارت ليحكموا السيطرة بذلك على جميع الأوجه، بما في ذلك قاعدة وطرق مواصلات العدو. يستطيع الجيش الفرنسي بدءاً من قاعدته C D مقيما جبهة عمليات F G H أن يقطع جيش التحالف I عن قاعدته B D. وسيتم دفعه حتى الزاوية A التي شكلتها خطوط الراين وإمس والبحر، في حين أن الجيش E يمكنه التواصل مع قواعده في الماين والراين[211].

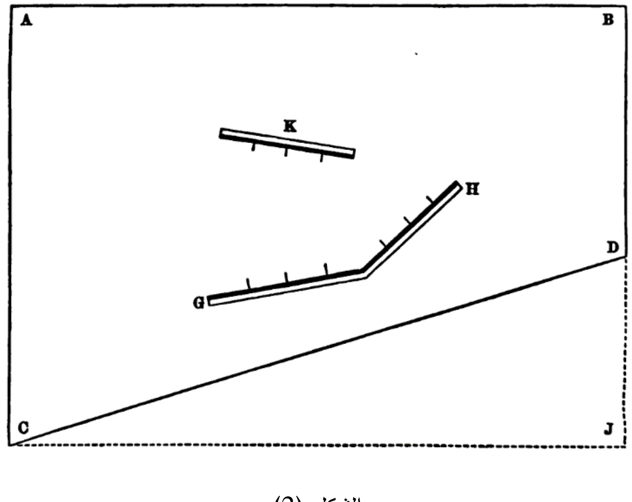


[211] كان هذا مسرح الحرب إبان حرب السبع سنوات في مملكة البورون الفرنسية وبين مملكة بروسيا وكان الجيش البروسي تحت قيادة فردناد أمير برونسفيك-لونبورغ (1721-1792) الذي نجح في منع الفرنسيين من الاستيلاء على إمارة هانوفر.

كانت حركة نابليون في 1806 على نهر سالي (زاله) saale مماثلة. احتل في جينا Jena ونومبورغ Naumburg الخط F G H، ثم تقدم من جهة هالي Halle وديساو Dessau لدفع الجيش البروسي I نحو البحر ممثلاً بالوجه A B والنتيجة معروفة جيداً.

إذن يكمن فن اختيار خطوط العمليات في إعطاء هذه الخطوط الاتجاهات للاستيلاء على طرق مواصلات العدو دون أن تفقد طرقك. الخط F G H من خلال موقعه الممتد والملتف على مواقع العدو، يحمي دائماً الطرق مع قاعدة C D، وهذه هي بالضبط المناورات التي حدثت في مارينجو وأولم وجينا.

"إذا كان مسرح الحرب غير متاخم لبحرٍ ما، سيكون على حدوده حتماً دولة محايدة وقوية تحرس حدودها وتغلق جهة من الساحة. قد لا تكون هذه الدولة عائقاً لا يمكن التغلب عليها مثل البحر، ولكن يمكن اعتبارها عائقاً يمثل خطراً عند الانسحاب إليها في حال الهزيمة، وبالتالي من المفيد دفع العدو لانتهاك حدود هذه الدولة المحايدة، ولا يمكن أن يمر هذا الانتهاك دون عقاب بسبب الاعتداء على أرض دولة تستطيع حشد مائتي ألف جندي أو مئة وخمسين ألف في الميدان. وإذا كان الجيش المهزوم سيحاول ذلك فسينعزل عن قاعدته. في حال وجود دولة ضعيفة على حدود مسرح الحرب فسيتم استيعابها (امتصاصها) في هذا المسرح، وستتوسع الساحة حتى تصل إلى حدود دولة قوية، أو إلى البحر. في مخطط الحدود قد يعدل الشكل الرباعي بحيث يجعله يقترب من شكل متوازي الأضلاع أو شبه المنحرف، كما هو الحال في الشكل 2. في كلتا الحالتين، إن الجيش الذي يسيطر على جهتين أو زاويتين من الشكل 2، ويمتلك القوة لإنشاء قاعدتين عليهما هو الجيش الأكثر قدرة على الحسم، لأنه بهذه الوضعية على المسرح سيكون من السهل عليه قطع طريق مواصلات العدو من الجانب القصير، كما كان الحال مع الجيش البروسي في 1806، مع الوجه B D J من المتوازي الاضلاع التي شكلتها خطوط الراين وأودرOder وبحر الشمال والحدود الجبلية لفرانكونيا Franconia".



الشكل (2)

يثبت اختيار بوهيميا كقاعدة في عام 1813 رأيي الصائب. لأنه كان متعامداً على اتجاه حركة الجيش الفرنسي، مما مكّن الحلفاء من تحييد المزايا الهائلة لخط إلبه التي كانت من الممكن أن توفرها لنابليون، وتحوّلت الحملة لصالحهم.[212] وبالمثل في عام 1812، من خلال تأسيس قاعدتهم بشكل متعامد على خط أوكا Oka وكالوغا Kalouga مما مكّن الروس من التقدم بأجنحتهم على ويازما Wiazma وكراسنوي Krasnoi.[213]

يتحقق المزيد من الإثبات لهذه الحقائق عبر النظر إلى حقيقة أن القاعدة المتعامدة مع اتجاه العدو تجعل جبهة العمليات موازية لخط العمليات، وأنها ستسهل من مهاجمة خطوط مواصلات وخط انسحاب العدو.

وقد ذكرنا أن القواعد المتعامدة مناسبة بشكل خاص للدولة التي تسيطر على جبهتين (جهتين من الحدود) كما في الأشكال الأخيرة. قد يعترض النقاد لتناقض هذا مع ما تحدثنا عنه في مكان آخر فيما يخص الحدود (الجبهات) التي هي على شكل نتوءات بالنسبة العدو[214]، وضد خطوط العمليات الثنائية مع التساوي في القوة. (الموضوع الحادي والعشرون). إن هذا الاعتراض لا أساس له من الصحة؛ فأكبر ميزة من هذه القواعد

[212] حدث ذلك إبان حرب التحالف السادسة التي هُزم فيها نابليون عام 1813.

[213] حدث ذلك إبان الغزو الفرنسي الفاشل لروسيا عام 1812.

[214] **النتوء** (Salient) هي أحد ظواهر التكتيكية على أرض المعركة الناجمة عن تحرك القوات والتقدم في مواجهة خطوط العدو دافعة إياها للتقهقر للوراء في الوقت نفسه تصبح محاطة فيه بالقوات المعادية من ثلاث جهات مما يُعرّض القوات المهاجمة والتي قامت بإنشاء هذا النتوء للخطر، على صعيد أخر يُطلق على القوات المعادية المواجهة مباشرة لهذا النتوء، وهي القوات التي سبق لها التقهقر للوراء ومن ثمّ تشير زاوية التقاء صفوف القوات المعادية إلى الداخل، باسم **الممر** (Re-entrant)، كما إن النتوءات العميقة تتيح فرصة اقتلاعها من الخلف من قِبل القوات المعادية ومن ثمّ تُحاصر القوات المهاجمة التي أنشأت النتوء من جميع الجهات فيما يُعرف باسم **الجيب** (Pocket) فتصبح منعزلة عن باقي القوات ويسهل تدميرها بصورة شبه تامة من قِبل القوات المعادية.

المتعامدة تتمثل في حقيقة أنها تشكل مثل هذه النتوءات، والتي تساعد على الالتفاف على مسرح العمليات من الخلف. ومن ناحية أخرى فإن القاعدتين الواقعتين في جهتين لا تتطلب بأي حال من الأحوال أن تكونا كلتاهما مشغولتين بقوة كبيرة، بل على العكس من ذلك، فإن إحداهما سيكون من الكافي احتواءها على بعض النقاط المحصنة تحميها قوات صغيرة، في حين يوضع الجزء الأكبر من القوة على الجهة الثانية، وقد تم ذلك في حملات 1800 و1806. شكلت الجزء من القوة الموجودة في الراين زاوية تقارب التسعين درجة من كونستانس Constance إلى بازل Basel ، ومن ثم إلى كيهل Kehl، مما أعطى للجنرال موريو Moreau قاعدة واحدة موازية وأخرى متعامدة مع قاعدة خصمه. ووجه فرقتين من ميسرته نحو كيهل إلى القاعدة الأولى لجذب انتباه العدو إلى تلك النقطة، بينما وجه تسع فرق على الطرف العمودي نحو شافهاوزن Schaffhausen، والتي حملته في غضون أيام قليلة إلى مشارف أوغسبورغ Augsburg (الفرقتين المرسلتين انضمتا إليه في ذلك الحين).[215]

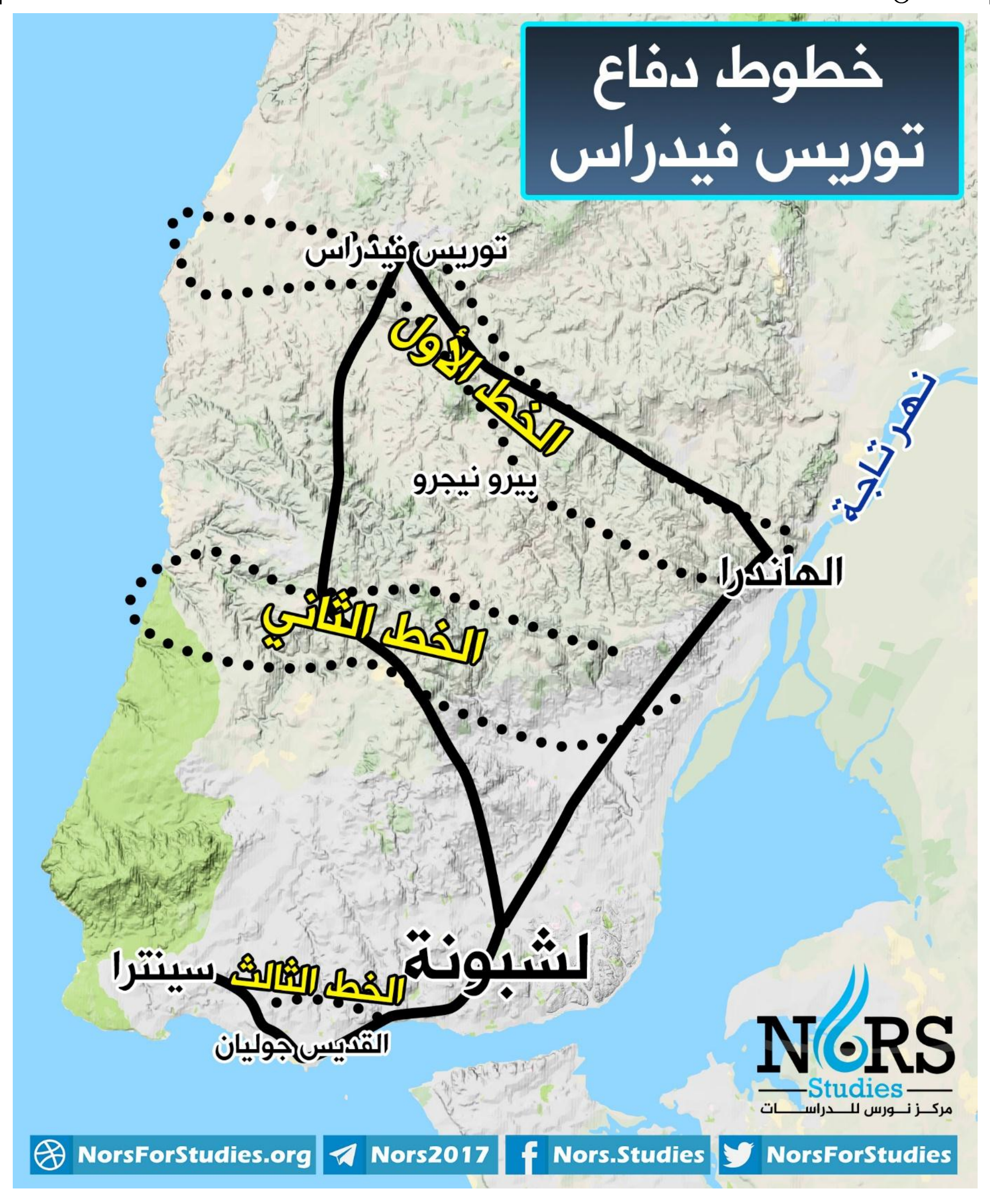
في عام 1806 أيضا كان لنابليون قاعدتين متعامدتين على الراين والماين، وشكلتا زاوية منعكسة (ممر) re-entrant angle قائمة تقريبا. ترك مورتييه على أول القاعدة الأولى الموازية للعدو، بينما كان هو ومعظم قواته في أقصى قاعدة عمودية بالنسبة للعدو، وبالتالي اوقف البروسيين في جيرا ونومبورغ من خلال قطع خط انسحابهم.[216]

تثبت الكثير من الحقائق المهمة أن القواعد الأفضل هي التي تكون على اتجاهين، أحدهما متعامد تقريباً مع العدو، والجدير بالذكر أنه في حالة عدم وجود مثل هذه القواعد، يمكن توفير بعض مزاياها من خلال تغيير الجبهة الاستراتيجية، كما سنناقش ذلك في الموضوع العشرين.

[215] قام الجنرال جان فيكتور مورو بتجنيد جيش مجهز بشكل متواضع مكون من 137 ألف جندي فرنسي إبان حرب التحالف الثانية. خطط مورو لعبور نهر الراين بالقرب من بازل حيث يتدفق النهر من الجنوب إلى الشمال. سيموه الرتل الفرنسي كراي عن نوايا مورو الحقيقية عن طريق عبور نهر الراين من الغرب. من خلال سلسلة من الالتفافات المعقدة على جيش "كراي" استطاع مورو وضع جيشه على المنحدر الشرقي للغابة السوداء ، بينما كانت أجزاء من جيش كراي لا تزال تحرس الممرات على الجانب الآخر واستطاع مورو قطع طرق إمداد كراي حتى طريقه نحو فيينا.

[216] حدث ذلك في معركة جينا في أكتوبر 1806 ضمن حرب التحالف الثالثة وقد ذكرناها سابقا في الفصل الثاني، وكان مورتييه يقود الفيلق الثامن متوجها غرب الجيش البروسي نحو هانوفر هيسي-كاسل لتحريرهما.

وثمة نقطة أخرى هامة جداً فيما يخص الجهة الصحيحة للقواعد المنشأة على الساحل البحري. وقد تكون هذه القواعد جيدة في بعض الظروف وغير مفيدة في ظروف أخرى، كما يمكن رؤية ذلك بسهولة مما سبق. إن الخطر المتمثل بدفع الجيش نحو البحر من السهل تفاديه بإنشاء قاعدة بحرية (هذه القواعد مناسبة للدول البحرية فقط)، إذ إنه من المدهش أن نسمع في أيامنا من يشيد بمثل هذه القواعد. من أفضل القواعد التي حصل عليها ولنجتون Wellington (الذي جاء مستقدماً أسطولاً لإسبانيا والبرتغال) هي مدينة لشبونة Lisbon أو بالأحرى شبه جزيرة توريس فيدرس Torres–Vedras، التي كانت تغطي جميع الطرق إلى العاصمة من الجانب البري. ولم يحمي البحر ونهر تاجة Tagus كلا الجناحين فحسب، بل أمَّن سلامة وحماية خط انسحابه الوحيد نحو أسطوله.



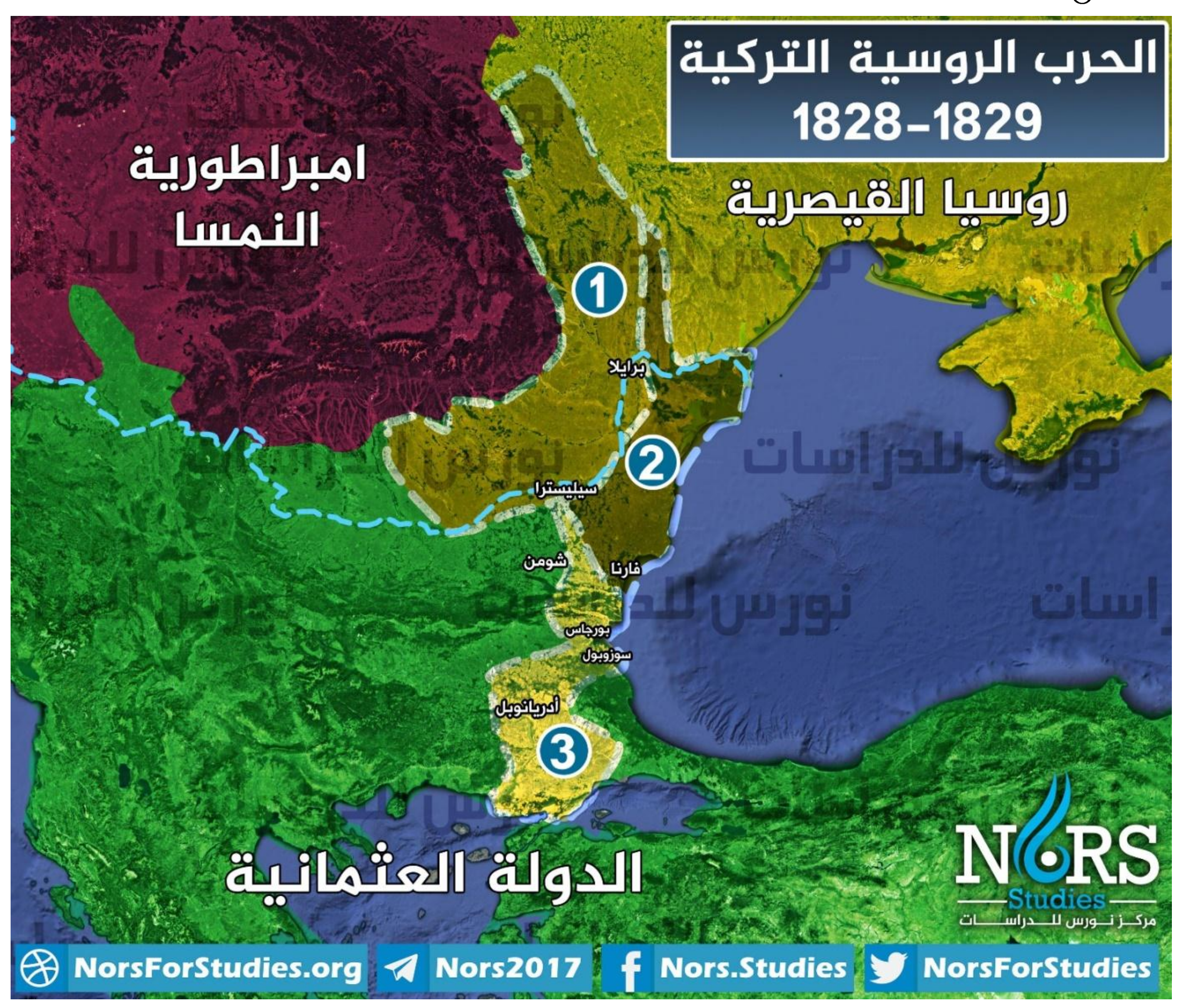
من جانب أخر يجادل الكثير من الجنرالات بأنه لا توجد قواعد جيدة غير تلك التي تقام على السواحل والتي تسهّل وصول الإمدادات واللجوء وتأمّن جانبي القاعدة، متأثرين في ذلك بمزايا المعسكر المحصن المقام من قبل الإنجليز في منطقة توريس فيدرس، ولا يعزون هذه المزايا إلى مسبباتها الحقيقية. منبهرا بنفس الفكرة، أكد العقيد كاريون – نيزاس أنه في عام

1813 كان ينبغي على نابليون أن ينشر نصف جيشه في بوهيميا، ويوجه مائة وخمسين ألف جندي من رجاله على مصب نهر إلبه باتجاه هامبورغ (تصب في بحر الشمال)، ونسي أن المبدأ الأول للجيش القاري (البري) هو إنشاء قاعدته على الجبهة الأبعد من البحر، وذلك لضمان الاستفادة من جميع عناصر قوته التي قد يُقطَع عليها طريق الإمداد إذا أقام قاعدته على الساحل.

إن القوة الجزرية والبحرية التي تقاتل في القارة ستتخذ مساراً معاكساً تماماً، ولكنها تتبع من نفس المبدأ وهو: **إنشاء القاعدة على النقاط التي يمكن إيصال إمدادات إليها من جميع موارد البلد، وفي نفس الوقت تضمن انسحاباً آمناً.**

إن الدولة القوية في البر والبحر معاً، وتسيطر أساطيلها على البحر المتاخم لمسرح العمليات، قد تضع جيشاً مكوناً من أربعين أو خمسين ألف جندي على الساحل، حيث بذلك تضمن انسحابها عن طريق البحر واستمرار الإمدادات بشكل جيد، ولكن إقامة قاعدة لجيش قاري (بري) من مائة وخمسين ألف جندي على الساحل تواجهه قوة منضبطة ومتكافئة تقريباً يعد ضرباً من الجنون.

ومع ذلك (لكل قاعدة شواذ) هناك حالة قد يكون من المقبول فيها وضع جيش قاري (بري) على الساحل وهي: عندما تكون قوة خصمك على البر غير كبيرة، وفي نفس الوقت تكون أنت مسيطراً على البحار وبإمكانك تزويد الجيش بالإمدادات عبر البحر بسهولة أكثر من التزويد عبر البر. نادراً ما نرى هذه الشروط يتم استيفاؤها، على أية حال فقد تَحققَ ذلك خلال الحرب التركية عامي 1828 و1829. وجّه الروس تركيزهم كله إلى فارنا وبورغاس، في حين كانت شوملا (شومن) تحت المراقبة فقط، وهي خطة لم يكن من الممكن اتباعها في ظل وجود جيش أوروبي (حتى مع السيطرة على البحر) دون التعرض لخطر التدمير.



بالرغم من كل ما قيل من قبل العابثين الذين يتظاهرون باتخاذ قرار بشأن مصير الامبراطوريات فهذه الحرب شُنَت على نحو حسن بشكل عام. غطى الجيش على قواته من خلال الاستيلاء على حصون برايلوف وفارنا وسيليستريا، وأيضاً من خلال إنشاء مستودع في سيزبيولي. وبمجرد تثبيت القاعدة بشكل جيد تم نقلها إلى أدريانوبل، ولو تم ذلك في وقت سابق لكان ضرباً من الجنون. إن الحرب كانت ستنتهي مع الحملة الأولى لو كان هذا الموسم أطول ببضعة أشهر أو لو لم يقطع الجيش مسافة كبيرة جداً في عام 1828. وإلى جانب القواعد الدائمة التي تنشأ عادة على حدود بلادنا أو في إقليم حليف أمين، توجد أيضاً قواعد وسطية أو مؤقتة تنجم عن العمليات في بلد العدو، ونظراً لأن هذه نقاط دعم مؤقتة فسنناقشها في الموضوع الثالث والعشرين لتجنب الالتباس.

الموضوع التاسع عشر: الخطوط والنقاط الاستراتيجية والنقاط الحاسمة في مسرح الحرب ونقاط الهدف للعمليات

توجد أنواع مختلفة من الخطوط والنقاط الاستراتيجية، يحصل بعضها على هذا التوصيف من موقعها، مما يعطيها كل أهميتها وهي **النقاط الاستراتيجية الجغرافية الدائمة**، والبعض الآخر لها قيمة بسبب العلاقات التي تربطها بمواقع الكتل الكبيرة للقوات المعادية والمبادرات التي قد توجه ضدها، وهي عبارة عن **نقاط استراتيجية للمناورة** وتعتبر نقاطاً مؤقتة. وأخيراً هناك نقاط لها أهمية ثانوية فقط، وغيرها من النقاط التي تكون أهميتها ثابتة وهائلة، وتسمى الأخيرة **نقاط استراتيجية حاسمة.**

إن كل نقطة من مسرح الحرب ذات أهمية عسكرية بسبب موقعها كمركز اتصال (تقاطع طرق) أو بسبب وجود مؤسسات أو تحصينات عسكرية تعتبر نقطة استراتيجية جغرافية.

يرى جنرال مرموق أن هذه النقطة لن تكون بالضرورة نقطة استراتيجية ما لم تُوضَع في الاتجاه الصحيح ضمن خطة عملية مدروسة. بالنسبة لي أرى غير ذلك، فإن النقطة الاستراتيجية هي استراتيجية بطبيعتها، وبغض النظر عن مدى بعدها عن مكان المبادرات الأولى، تتدرج في الميدان بسبب حدث غير متوقع فتكتسب أهميتها الكاملة، وبالتالي نقول (تحرياً للدقة) **ليست جميع النقاط الاستراتيجية بالضرورة نقاطاً حاسمة.**

تكتسب الخطوط أهميتها الاستراتيجية من موقعها الجغرافي أو من علاقتها بالمناورات المؤقتة، ويمكن تقسيم الصنف الأول (الجغرافي) على النحو التالي:

1. الخطوط الجغرافية التي تنتمي إلى النقاط الحاسمة[217] لمسرح الحرب حسب أهميتها الدائمة.
2. الخطوط التي لها لا تنبع قيمتها إلا من ربطها بين نقطتين استراتيجيتين.

[217] المؤلف: قد أُلام على عدم الدقة في التعبير، حيث أن الخطوط ليست بنقاط، ومع ذلك اسمي الخطوط بنقاط حاسمة أو نقاط هدف. من البديهي أن نقول أن نقاط الهدف ليست نقاط هندسية، ولكن هذا الاسم هو شكل من أشكال التعبير المستخدمة لتعيين الهدف الذي يرغب الجيش في الوصول إليه.

ولمنع الالتباس سنقوم بمناقشة الخطوط الاستراتيجية المتعلقة بالمناورات في مواضع أخرى من الكتاب والاقتصار هنا على الخطوط المتعلقة بالنقاط الحاسمة ونقاط الأهداف لمنطقة العمليات التي تحدث عليها المبادرات.

على الرغم من أن هذه النقاط مرتبطة ارتباطاً وثيقاً، إذ أن كل نقطة هدف يجب أن تكون بالضرورة نقطة حاسمة على مسرح الحرب، إلا أن العكس غير صحيح؛ فليست كل نقطة حاسمة بالضرورة نقطة هدف. وسنحدد الأول لنتمكن من تحديد الثاني.

أعتقد أن تسمية النقطة بالنقطة الاستراتيجية الحاسمة ينبغي أن تُعطى لكل نقطة تستطيع أن تؤثر تأثيراً ملحوظاً إما على نتيجة الحملة أو على مبادرة واحدة. جميع النقاط التي تسمح بالهجوم أو الدفاع عن جبهة العمليات أو خط الدفاع بسبب موقعها الجغرافي ومزاياها الطبيعية أو الاصطناعية هي مشمولة ضمن هذه النقاط، والحصون الكبيرة الواقعة في مكان جيد تحتل أهمية في المرتبة الأولى فيما بينها.

تقسّم النقاط الحاسمة في مسرح الحرب إلى عدة أنواع:

1. النوع الأول: هي النقاط الجغرافية والخطوط التي تكون أهميتها دائمة وناتجة من طبيعة (طوبوغرافية) الأرض. على سبيل المثال نأخذ غزو الفرنسيين لبلجيكا: المسيطر على خط نهر ميوز Meuse سيكون له الأفضلية في الاستيلاء على البلاد، لأنه سيلتف على خصمه وسيحاصره بين نهر ميوز وبحر الشمال ويعرّضه لخطر التدمير الكامل إذا خاض معه معركة بمحاذاة البحر، وبالمثل فإن وادي الدانوب يقدم سلسلة من النقاط الهامة التي تجعلها مفتاح جنوب ألمانيا[218].

   من النقاط الجغرافية الحاسمة أيضاً النقاط التي من شأنها أن تمنح السيطرة على تقاطع عدة وديان ومركز تقاطع طرق الاتصال الرئيسية في بلد ما. على سبيل المثال تعد ليون نقطة استراتيجية مهمة، لأنها تسيطر على وادي الرون Rhone ووادي ساون Saone، وهي في مركز تقاطع طرق الاتصالات بين فرنسا وإيطاليا وبين الجنوب والشرق، ولكنها لن تكون نقطة حاسمة ما لم يتم تحصينها جيداً أو أن تحتوي على مخيم ممتد مع رأس

[218] المؤلف: هذا ينطبق فقط على الجيوش القارية (البرية) لا على الإنجليز (الجزرية) الذين لن يخشوا من احتلال خط نهر ميوز وذلك لوجودهم في أنتويرب Antwerp أو أوستند Ostend.

جسر. ليبزج (لايبزش) Leipzig هي بالتأكيد نقطة استراتيجية نظراً لكونها تقاطع جميع طرق مواصلات ألمانيا الشمالية. فإذا تم تحصينها وشغلت ضفتي النهر، فسيجعلها أقرب ما تكون كمفتاح البلد (إذا كان للبلد مفتاح أو إذا كان هذا التعبير يعني أكثر من مجرد نقطة حاسمة).

تعتبر جميع العواصم نقاطاً استراتيجية لسببين، السبب الأول لأنها مراكز تقاطع طرق الاتصال، والثاني لأنها مركز السلطة والحكومة. في البلدان الجبلية تعتبر شعب الجبال الطرق السالكة الوحيدة لخروج الجيوش، وهذه قد تكون حاسمة في ما يخص أي مبادرة عسكرية في هذه البلدان. ومن المعروف جيداً مدى أهمية شُعب بارْد Bard، التي تحميها قلعة صغيرة واحدة في عام 1800.

2. النوع الثاني من النقاط الحاسمة: هي النقاط العرضية للمناورة، تنجم عن مواقع قوات الطرفين. عندما كان ماك Mack في أولم Ulm عام 1805 في انتظار زحف الجيش الروسي عبر مورافيا Moravia، كانت النقطة الحاسمة في الهجوم عليه في دوناوفورت Donauwerth أو نهر ليخ الأسفل Lower Lech؛ لأنه إذا سيطر خصومه على إحداهما قطعوا عليه وعلى الجيش الذي يعتزم دعمه خط الانسحاب.



معركة أولم والنقاط الحاسمة العرضية للمناورة ظاهرة فيها

على العكس من ذلك، لم يتوقع كراي Kray في عام 1800 (في نفس الموقع) أي مساعدات من بوهيميا، بل توقعها من تيرول Tyrol ومن جيش ميلاس Melas في إيطاليا، وبالتالي فإن النقطة الحاسمة في الهجوم عليه لم تكن دوناوفورت Donauwerth بل على الجانب الآخر من قبل شافهاوزن Schaffhausen، وهذا من شأنه أن يعكس جبهة العمليات وإلا انكشف خط انسحابه، وقطعه عن الجيش المساند وكذلك عن قاعدته، وإجباره على التوجه نحو الماين Main. في نفس الحملة كانت نقطة الهدف الأولى لنابليون تقع على ميمنة ميلاس Melas قرب ممر سانت بيرنارد Saint bernard، والاستيلاء على خط الإمداد، ومن هنا كانت سانت بيرنارد وإيفريا Ivrea وبياتشنزا Piacenza نقاطاً حاسمة فقط بسبب مسير الجنرال ميلاس Melas نحو نيس Nice.

يمكن أن نضع مبدأ عام أن **نقاط المناورة الحاسمة تقع على جناح العدو الذي يمكن أن يقطعه خصمه عن قاعدته وقواته الداعمة بسهولة كبيرة دون أن يتعرض لنفس الخطر.** الجهة المعاكسة (المقابلة أو الأبعد) للبحر هي المفضلة دائماً، لأنها تعطي فرصة لدفع العدو نحو البحر. والاستثناء الوحيد في ذلك هو في حالة وجود جيش جزري (بحري) وجيش على البر ضعيف، حيث يمكن إجراء محاولة (وإن كانت خطيرة) لقطعه عن أسطوله.

إذا كانت قوات العدو موزعة على مفارز، أو ممتدة على مساحة واسعة، فإن النقطة الحاسمة هي مركزه، وعن طريق خرق المركز تصبح قواته أكثر انقساماً وتزداد ضعفاً، والأجزاء الصغيرة يمكن سحقها كلٌ على حدة.

وتحدد النقطة الحاسمة لساحة المعركة تبعاً لـ:

1. طبيعة (طوبوغرافية) الأرض.
2. العلاقة بين طبيعة الأرض والهدف الاستراتيجي النهائي.
3. المواقع التي تحتلها كل قوة.

وستناقش هذه الاعتبارات في الفصل المتعلق بالمعارك.

نقاط الأهداف Objective points:

هناك فئتان من نقاط الأهداف:

1. نقاط الهدف للمناورة objective points of maneuver.
2. نقاط الهدف الجغرافي geographical objective points.

قد تكون نقطة الهدف الجغرافي حصناً هاماً أو خط النهر أو جبهة العمليات التي توفر خطوطا دفاع جيدة أو نقاط دعم جيدة للمبادرات البعيدة المدى. ما يميز نقاط الهدف للمناورة عن النقاط الجغرافية أنها تستمد أهميتها من مواقع الأجزاء الكبيرة Masses للقوات المعادية، وكذلك تعتمد مواقعها على مواقع تلك الكتل.

في الاستراتيجية يحدد هدف الحملة نقاط الأهداف. وإذا تم اتخاذ القرار بعدم الاستيلاء على العاصمة، فإن نقطة الهدف قد تكون جزءاً من جبهة العمليات أو خط الدفاع حيث يوجد حصن هام يؤمن احتلال أرض مجاورة. على سبيل المثال: إذا كانت فرنسا ستغزو إيطاليا في حرب ضد النمسا فإن نقطة الهدف الأولى ستكون خطي نهري تيسينو Ticino وبو Po، والنقطة الثانية ستكون مانتوفا Mantua وخط نهر أديج Adige. في الدفاع تصبح نقطة الهدف هي الدفاع عن نقطة ما بدلاً من الاستيلاء عليها، وتكون العاصمة (التي تعتبر مقراً للسلطة) نقطة الهدف الرئيسية للدفاع، ولكن قد تكون هناك نقاط أخرى مثل الدفاع عن الخط الأول والقاعدة الأولى من العمليات. وهكذا إذا تراجع الجيش الفرنسي للدفاع وراء الراين، فسيكون هدفه الأول هو منع مرور العدو عبر النهر، سيسعى إلى نجدة الحصون في الألزاس Alsace إذا نجح العدو في المرور عبر النهر وحصار الحصون. الهدف الثاني هو تغطية القاعدة الأولى من العمليات على نهر ميوز Meuse أو موسيل Moselle، والتي يمكن تحقيقها من قبل الدفاع الجانبي وكذلك بالدفاع الأمامي.

فيما يتعلق بنقاط الأهداف للمناورات، أي تلك التي تتعلق على وجه الخصوص بتدمير أو تفكيك القوات المعادية، فإن الأهمية التي يمكن أن يُنظر إليها قد ذكرناها. إن أعظم موهبة للجنرال وأكثرها رفعاً لفرص الانتصار، تكمن إلى حد ما في الاختيار الجيد لهذه النقاط. وكانت هذه هي الميزة الأكثر وضوحاً في نابليون. رفض نابليون الأنظمة القديمة التي تقتنع

بالاستيلاء على نقطة أو نقطتين أو باحتلال مقاطعة مجاورة، كان مقتنعاً بأن أفضل وسيلة لتحقيق نتائج عظيمة تتمثل في طرد وتدمير الجيش المعادي، لأن الولايات والأقاليم تسقط من تلقاء نفسها عندما لا تكون هناك قوة منظمة لحمايتها. **البصيرة العسكرية التي تكشف عن المزايا النسبية التي تقدمها كل منطقة عمليات مختلفة Coup d'œil، وتركيز الأجزاء الكبيرة من الجيش على النقاط التي توفر أعلى فرص للانتصار، والنفس الطويل في التحقق من الموقع التقريبي للعدو، والهجوم بسرعة البرق على مركز العدو إذا كانت جبهته ممتدة بصورة كبيرة، أو على الجناح الذي يمكّنه من أن يستولي على طرق إمداده واتصاله بسهولة والالتفاف عليه وقطع خطوطه ومطاردته حتى النهاية، وتفريق قواته وتدميرها. هذا هو النظام الذي اتبعه نابليون في حملاته الأولى، وأثبتت هذه الحملات أن هذا النظام هو من أفضل الأنظمة.**

عندما تم تطبيق هذه المناورات في السنوات اللاحقة على المسافات البعيدة والمناطق المقفرة في روسيا لم تكن ناجحة جداً كما هو الحال في ألمانيا، ومع ذلك يجب أن نتذكر أنه إذا كان هذا النوع من الحروب ليست مناسبة لجميع القدرات (الطاقات) أو المناطق أو الظروف، تبقى فرص نجاحها كبيرة جداً وتقوم على مبدأ. نابليون أساء استخدام هذا النظام، ولكن هذا لا ينفي مزاياه الحقيقية إذا تم وضع ضوابط مناسبة لمبادرات وفق هذا النظام وتم تنفيذها بشكل يتناسب مع الظروف الخاصة بكل من الجيوش والدول المجاورة. فالضوابط التي ينبغي أن تُعطَى لهذه العمليات الاستراتيجية الهامة مدرجة بالكامل تقريباً في ما قيل عن النقاط الحاسمة، وما سيتم ذكره في الموضوع الحادي والعشرين في مناقشة اختيار خطوط العمليات.

فيما يتعلق باختيار نقاط الأهداف، فإنه يعتمد عموماً على هدف الحرب والطابع الذي يمكن أن تعطيه الظروف السياسية أو غيرها من الظروف، وأخيراً على المرافق (المنشآت أو التسهيلات) العسكرية للطرفين. في الحالات التي توجد فيها أسباب قوية لتجنب كل المخاطر، قد يكون من الحكمة أن نهدف إلى محاولة كسب تفوق جزئي فقط، مثل الاستيلاء على عدد قليل من البلدات أو حيازة الأراضي المجاورة. وفي حالات أخرى عندما نمتلك الوسائل لتحقيق مكاسب كبيرة من خلال تحمل مخاطر كبيرة، فقد نحاول تدمير الجيش

المعادي كما فعل نابليون. المناورات في أولم وجينا لا يمكن أن يُؤمَر بها جيش هدفه الوحيد هو حصار أنتويرب Antwerp. وبعكس الأسباب تماما لا يمكن أن يؤمر الجيش الفرنسي بعد نهر نيمان Neman (Niemen) على بعد خمسمائة فرسخ (حوالي 1500 كم) من حدوده بمثل هكذا مناورات لرجحان كفة الخسائر على كفة المكاسب.[219] هناك فئة أخرى من النقاط الحاسمة التي يجب ذكرها، والتي يتم تحديدها من ناحية الاعتبارات السياسية أكثر من الاستراتيجية، فهي تلعب دوراً كبيراً في معظم التحالفات، وتؤثر على عمليات وخطط مجالس الوزراء (الاستشارية) cabinets. ويمكن أن يطلق عليها نقاط الأهداف السياسية political objective points.

في الواقع فأنه إلى جانب الصلة الوثيقة بين السياسية والحرب في مقدماتها، يجري في معظم الحملات القيام ببعض المبادرات العسكرية للوصول لنتيجة سياسية تكون في بعض الأحيان مهمة جداً، وفي كثير من الأحيان غير منطقية. وكثيرا ماً تؤدي إلى ارتكاب أخطاء كبيرة في الاستراتيجية. ونذكر مثالين على ذلك: المثال الأول هو حملة دوق يورك York إلى دونكيرك Dunkirk عام 1793، التي اقترحتها وجهات النظر التجارية القديمة على إنجلترا، حيث جعلت عمليات الحلفاء على اتجاهات متباعدة مشتتة مما تسبب في فشلها، فلذلك كانت نقطة الهدف هذه سيئة من وجهة النظر العسكرية.[220]

المثال الثاني كان الحملة التي قام بها الأمير نفسه إلى هولندا في عام 1799، بسبب وجهات نظر مجلس الوزراء (الاستشاري) الإنكليزي، التي عززتها نوايا النمسا في بلجيكا، لم تكن هذه الحملة أقل سوءاً من سابقتها؛ لأنها أدت إلى سير أرتشدوق تشارلز من زيوريخ Zurich إلى مانهيم Manheim، في عملية معاكسة تماماً في ذلك الوقت الذي تم القيام به

[219] يشير هنا المؤلف إلى الموازنة بين الأهداف والكلفة، ففي المثال الأول إذا كان الهدف ببساطة حصارة مدينة قريبة على فرنسا فإنها لا تستحق التضحيات الجسام كالتي حدثت في أولم Ulm وجينا Jena، بينما في المثال الثاني (بعد عبور نهر نيمان Neman قرب روسيا) فإن التضحيات ستفوق الأهداف والإمكانيات بالتأكيد.

[220] وقع حصار دونكيرك في خريف عام 1793 عندما قامت القوات البريطانية بالاشتراك مع القوات الهانوفيرية والنمساوية وقوات امارة هيس-كاسل تحت قيادة الأمير فريدريك دوق يورك ، بحصار ميناء دونكيرك الحدودي الفرنسي المحصن كجزء من حملة فلاندرز الفرنسية. فشل الحصار بعد هزيمة التحالف في معركة هوندشوتثي Hondshootethey وانسحبوا نحو شمال شرق.
من الأسباب الرئيسية في فشل هذه الحملة أن اختيارها جاء بتوجيه من ساسة بريطانيا لا من العسكريين، إذ لم تكن ذا فائدة عسكرية تذكر.
ومن أسباب فشل الحملة كذلك تأخر الأسطول البحري مما أضعف من قوة الحصار، وتشتت قوات الحصار حول أسوار دونكيرك، واتيان المؤازرات الفرنسية بعدد وتركيز كبير من القوات دفعت قوات الحلفاء نحو شمال الشرق.

للمصالح القائمة للجيوش المتحالفة. تثبت هذه الأمثلة التوضيحية أن نقاط الأهداف السياسية ينبغي أن تكون خاضعة للاستراتيجية على الأقل، حتى بعد تحقيق نجاح كبير.

هذا الموضوع واسع ومعقد جداً حتى أنه من العبث محاولة اختصاره في بضعة قواعد. ونشير الى قاعدة واحدة فقط وهو أنه **يجب اختيار نقاط الأهداف السياسية وفقا لمبادئ الاستراتيجية، أو يجب تأجيل النظر فيها لما بعد الإنتصارات الحاسمة للحملة.** وبتطبيق هذه القاعدة على الأمثلة التي أعطيت للتو، سيظهر أنه كان يجب غزو دنكيرك من كامبراي أو من قلب فرنسا في عام 1793 وتسليم هولندا في عام 1799؛ وبعبارة أخرى، من خلال توحيد كل قوة الحلفاء للقيام بمحاولات كبيرة لاحتلال النقاط الحاسمة من الحدود. وعادة ما يتم تضمين مثل هذا النوع من العمليات في موضوع عمليات المشاغلة الكبرى (grand diversions)، وسنتكلم عنها في موضوع مستقل.

الموضوع العشرين: جبهات العمليات والجبهات الاستراتيجية وخطوط الدفاع والمواقع الاستراتيجية

هناك بعض المواضيع في العلوم العسكرية متشابهة جداً ومترابطة ارتباطاً وثيقاً، وغالباً ما يحدث فيها التباس على الرغم من أنها مستقلة تماماً عن بعضها البعض. وهي جبهات العمليات والجبهات الاستراتيجية وخطوط الدفاع والمواقع الاستراتيجية. ومن الأفضل في هذا الموضوع أن نبين الفرق فيما بينها ونوضح العلاقات بين بعضها البعض.

أولاً– جبهات العمليات والجبهات الاستراتيجية:

عندما يتم نشر الأجزاء الكبيرة من الجيوش (الكتل masses) في منطقة العمليات، فإنها تحتل مواقع استراتيجية عادة. وتُسمَّى مساحة الجبهة المتخذة كمواقع استراتيجية باتجاه العدو بالجبهة الاستراتيجية. أما جبهة العمليات فهي تلك الأجزاء من مسرح الحرب التي يحتمل أن يصل العدو من خلالها إلى هذه الجبهة في مسيرة يومين أو ثلاثة.

أدى التشابه بين هاتين الجبهتين إلى الخلط والالتباس بينها من قبل العسكريين، فكانوا يطلقون على جبهة العمليات بالجبهة الاستراتيجية والجبهة الاستراتيجية بجبهة العمليات.

على أية حال إذا توخينا الدقة في التعبير **فإننا نعني بالجبهة الاستراتيجية تلك المواقع التي تتشكل من المراكز الفعلية التي تحتلها الكتل الكبيرة من الجيش (الكتل masses)، في حين أن جبهة العمليات تشمل المساحة التي تفصل بين الجيشين، ويمتد مقدار مسيرة يوم أو يومين من طرف الجبهة الاستراتيجية لكل جيش، وتشمل الأرض التي من المرجح أن تتصادم الجيوش عليها.** فعندما تكون عمليات الحملة على الوشك البدء، يقرر أحد الطرفين انتظار هجوم الطرف الآخر، ويقوم بإعداد خط دفاع، وقد يكون خط الدفاع إما على الجبهة الاستراتيجية أو إلى الوراء أكثر. وبالتالي قد تتطابق الجبهة الاستراتيجية مع خط الدفاع، كما كان الحال في عامي 1795 و1796 على نهر الراين، الذي كان خط الدفاع للنمساويين والفرنسيين وفي الوقت نفسه الجبهة الاستراتيجية وجبهة العمليات. هذه الصدفة التي تحدث في بعض الأحيان لهذه الخطوط تؤدي بلا شك إلى الخلط بينهما، في حين أنها بالفعل مختلفة تماماً[221].

ليس من الضرورة أن يمتلك الجيش خط دفاع، على سبيل المثال: عند الغزو تتمركز الكتل الكبيرة من الجيش في موقع واحد، وليس لها جبهة استراتيجية، ولكن لا يمكنها أبداً أن تكون بلا جبهة عمليات.

ويوضح المثالان التاليان الفرق بين هذه المصطلحات:

المثال الأول: عندما استُؤنف القتال في عام 1813، امتدت جبهة العمليات لنابليون في البداية من هامبورغ Hamburg إلى فيتنبرغ Wittenberg، ومن ثم امتدت على طول خط الحلفاء نحو غلوغاو Glogau وبريسلاو Breslau (على يمينه لوينبرغ Löwenberger)، وحتى على طول حدود بوهيميا Bohemia إلى دريسدن Dresden. كانت قواته متمركزة على هذه الجبهة الكبرى في أربع كتل، وكانت مواقعها الاستراتيجية داخلية ومركزية ومطلة على ثلاث جهات مختلفة، وفي وقت لاحق انزوى خلف نهر إلبه Elbe. كان خطه الدفاعي الحقيقي ممتداً من فيتنبرغ Wittenberg إلى دريسدن Dresden فقط، مع انحناء إلى الخلف نحو مارينبرغ Marienberg، بينما هامبورغ Hamburg وماغدبورغ Magdeburg

[221] في الخامس من أبريل سنة 1795 تم توقيع اتفاقية بازل للسلام بين بروسيا وفرنسا اعترفت بموجبها بروسيا بسيادة فرنسا على الضفة الغربية لنهر الراينعلى أثرها أصبح نهر الراين خط دفاعي بينهما.

كانت خلف الميدان الاستراتيجي، وكان من شأنه أن يتعرض لهزيمة قاتلة إذا ما امتدت عملياته نحو هذه النقاط[222].



المثال الثاني: هو موقع نابليون قرب مانتوفا Mantua في عام 1796. جبهة عمليات هناك امتدت من جبال بيرغامو Bergamo إلى البحر الأدرياتيكي Adriatic Sea، في حين كان خط الدفاع الفعلي على نهر أديج Adige، بين بحيرة غاردا Garda وليغناغو Legnago، وبعد ذلك امتدت على مينسيو Mincio بين بيشيرا Peschiera ومانتوفا Mantua، في حين اختلفت الجبهة الاستراتيجية له وفقاً لمواقعه.

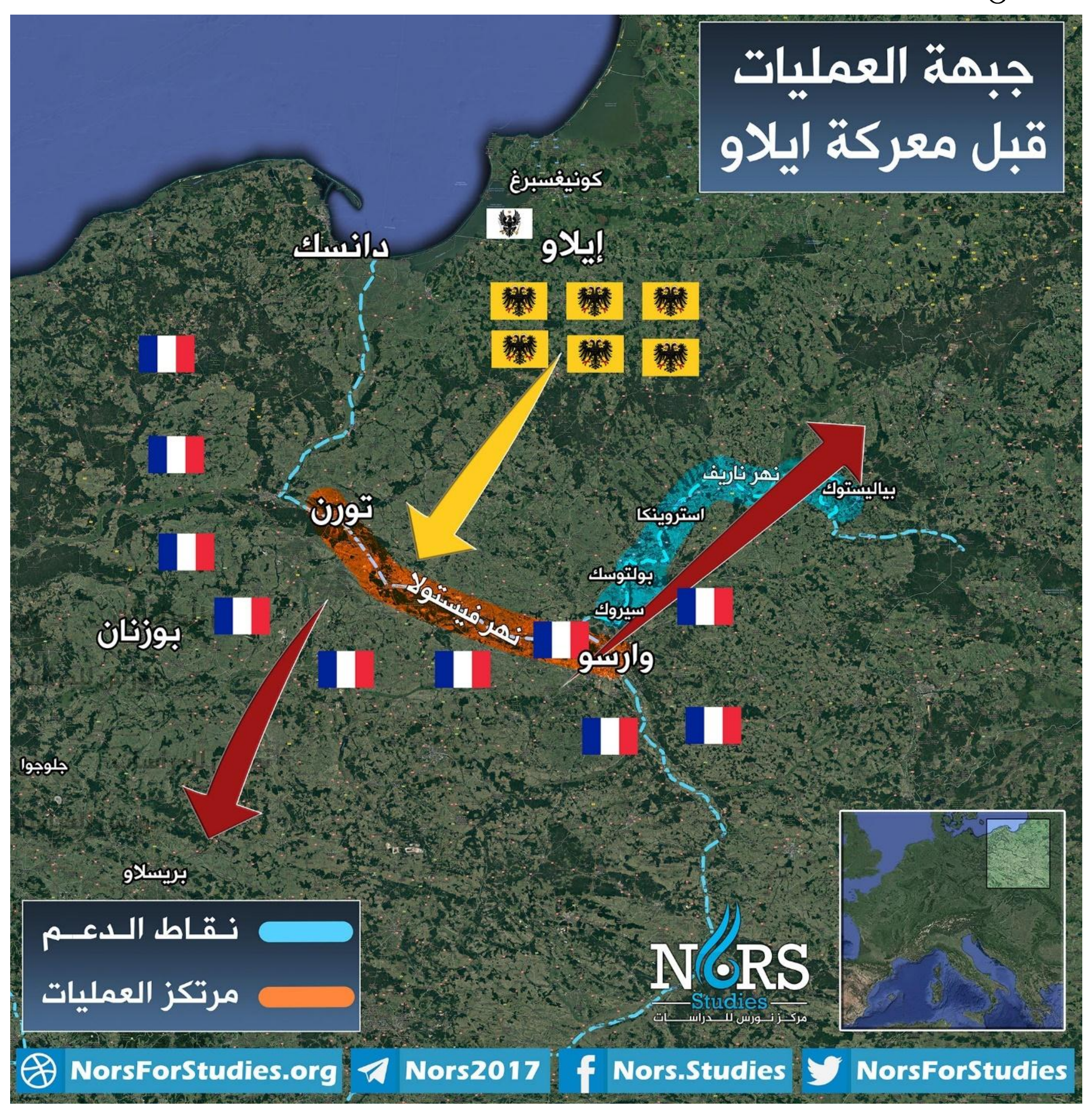
[222] استؤنفت الأعمال القتالية في حرب التحالف السادسة بعد انقضاء الهدنة المؤقتة التي استمرت من 6 حزيران حتى 14 من أغسطس على أثرها استعاد نابليون شيئا من زمام المبادرة واستطاع تحقيق انتصار كبير في معركة درسدن في 26 و27 من أغسطس.



جبهة العمليات بكونها تفصل بين الجيشين، وهي الجبهة التي يحدث عليها القتال، فإنها عادة ما تكون موازية لقاعدة العمليات. وستكون الجبهة الاستراتيجية لها نفس الاتجاه، ويجب أن تكون عمودية على خط العمليات الرئيسي (الأولي)، وأن تمتد إلى حد كاف على أي من الجناحين لتغطية هذا الخط بشكل جيد. إلّا أنه قد يختلف هذا الاتجاه إما بسبب المخططات المراد القيام بها أو بسبب هجمات العدو. في كثير من الأحيان يكون من الضروري أن تصبح الجبهة متعامدة مع القاعدة وموازية للخط الرئيسي (الأولي) من العمليات. مثل هذه التغييرات في الجبهات الاستراتيجية هي واحدة من أهم المناورات الكبرى، وهذا يعني أن السيطرة على وجهين من المجال الاستراتيجي يمكن تحقيقها، مما

يعطي الجيش الأفضلية بما يشبه امتلاكه لقاعدة على جهتين (انظر الموضوع الثامن عشر).

تُظهر الجبهة الاستراتيجية لنابليون في مسيرته إلى إيلاو Eylau (إسمها الحديث باغراشينوفسك) هذه الأمور بوضوح. كانت مرتكز عملياته هي وارسو Warsaw وثورن Thorn، مما جعل فيستولا Vistula قاعدة مؤقتة، فأصبحت الجبهة موازية لنهر ناريو (ناريف) Narew من حيث انطلقت مدعومة من سيروك Sierock وبولتوسك Pultusk وأوسترولينكا Ostrolenka للمناورة بميمنته، ودفع الروس نحو إلبينغ Elbing وبحر البلطيق Baltic. **في مثل هذه الحالات إذا كان من الممكن الحصول على نقطة دعم في الاتجاه الجديد، فإن الجبهة الاستراتيجية تعطي المزايا المشار إليها أعلاه. وينبغي أن يوضع في الاعتبار في مثل هذه المناورات أن الجيش يضع في الحسبان ضمان استعادة قاعدته المؤقتة إذا لزم الأمر، بعبارة أخرى ينبغي تمديد هذه القاعدة خلف الجبهة الاستراتيجية مع حمايتها.** عندما سار نابليون من ناريو Narew عبر ألنشتاين allenstein (تسمى حديثا Olsztyn أولشتين) نحو ايلاو eylau، كان خلف ميسرته ثورن Thorn وبعيداً عن جبهة الجيش رأس الجسر من براغا Praga ووارسو Warsaw، حيث أن طرق مواصلاته كانت آمنة، بينما بنينغسن Benningsen أجبر على مواجهته وجعل خطه بموازاة البلطيق Baltic، مما عرضه لخطر قطعه عن قاعدته وأجبره على التراجع نحو مصب نهر فيستولا Vistula. نفذ نابليون تغييراً هاماً آخر في الجبهة الاستراتيجية في مسيرته من جيرا Gera نحو جينا Jena ونومبورغ Naumburg في 1806. مورو Moreau قام بتحرك آخر مهم بميمنته نحو أوغسبورغ Augsburg وديلينجن Dillingen مواجهاً بجبهته الدانوب وفرنسا، فأجبر كراي Kray على إخلاء معسكره الحصين intrenched camp في أولم Ulm. قد يكون تغيير الجبهة الاستراتيجية إلى موقع متعامد مع القاعدة حركة مؤقتة تستمر بضعة أيام، أو لأجل غير مسمى من أجل الاستفادة من المزايا الهامة التي توفرها بعض المناطق، أو لغرض توجيه ضربات حاسمة، أو للحصول على خط دفاع جيد ومرتكزات جيدة لعمليات الجيش، وهو ما يعادل تقريباً قاعدة فعلية.



تظهر الخريطة تحركات نابليون الاستراتيجية في محاولة لقطع خط إمداد جيش الحلفاء عن طريق استدراجه للهجوم على مسيرته فيما يحاول بميمنته الالتفاف

كثيراً ما يحدث أن يجبر الجيش على وضع جبهة استراتيجية مزدوجة، إما بسبب طبيعة تضاريس مسرح الحرب، أو لأن كل خط للعمليات الهجومية يتطلب حماية على جانبيه. وكمثال على ذلك يمكن الاستشهاد بجبهات تركيا وإسبانيا، فمن أجل عبور البلقان أو نهر إيبرو Ebro سيضطر الجيش لوضع جبهة مزدوجة، في الحالة الأولى (تركيا) لمواجهة وادي الدانوب، وفي الثانية (إسبانيا) لمواجهة القوات القادمة من سرقسطة Saragossa أو ليون Leon.

تستلزم جميع البلدان ذات المساحة الواسعة نفس الدرجة تقريباً من الاحتياطات. وسيحتاج الجيش الفرنسي في وادي الدانوب إلى جبهة مزدوجة بمجرد أن يرسل النمساويون قوات كافية نحو تيرول أو بوهيميا لإثارة أي قلق. إن تلك البلدان التي تشكل حدوداً (جبهات) ضيقة مع العدو هي الاستثناء الوحيد، حيث أن القوات التي تتحرك من على الحدود (الجبهات) لمضايقة أجنحة العدو يمكن أن يتم قطع طرق امدادها وأسرها. إن ضرورة وجود جبهات استراتيجية مزدوجة هي واحدة من أخطر مصاعب الحرب الهجومية لأنها تتطلب مفارز كبيرة، وهي دوماً خطرة (انظر الموضوع السادس والثلاثين).

إن كل ما سبق يتعلق بالحرب النظامية، أمّا في الحروب الوطنية (القومية) أو الداخلية (حرب عصابات) فالبلد كله مسرح للعمليات القتالية. ومع ذلك فإن كل كتلة كبيرة من الجيش لها هدف محدد سيكون له الجبهة الاستراتيجية الخاصة به التي تحددها تضاريس البلاد والمواقع التي تحتلها الكتل الكبيرة للعدو. وهكذا كان لكل من سوجت Suchet في كاتالونيا Catalonia ولماسينا Massena في البرتغال جبهة استراتيجية، في حين أن الجبهة لبعض الفيالق الأخرى من الجيش لم تكن محددة بوضوح.

ثانياً- الخطوط الدفاعية:

تصنف خطوط الدفاع إلى خطوط استراتيجية وخطوط تكتيكية، وكذلك تنقسم خطوط الدفاع الاستراتيجية إلى فئتين:

1. خطوط الدفاع الدائمة وهي جزء من النظام الدفاعي للدولة، مثل خط الجبهة (الحدود) المحصنة.
2. خطوط الدفاع المؤقتة المتعلقة بالموقع المؤقت للجيش فقط.

تعتبر الجبهات (الحدود) خط دفاع دائم إذا كانت تتميز بنظام جيد ومتصل من العوائق الطبيعية والصناعية مثل نطاقات الجبال والأنهار الواسعة والحصون. وبالتالي فإن نطاق جبال الألب بين فرنسا وبييمونتي Piedmont هي خط الدفاع، حيث تعتبر الممرات القابلة للعبور المحمية بالحصون عقبات شديدة في طريق الجيش، لأن منافذ الشعب في وديان

بييمونتي Piedmont محمية من قبل الحصون الكبيرة. ويمكن اعتبار نهر الراين وأودر Oder والألبه Elbe أيضاً خطوط دفاع دائمة وذلك لوجود حصوناً هامة عليها.

ويمكن اعتبار الأنهار ذات العرض الكبير، وكل سلسلة جبال وكل شعب (مع وجود نقاط الضعف فيها تغطيها التحصينات المؤقتة) خطوط دفاع مؤقتة استراتيجية وتكتيكية على حد سواء. ويعود اعتبارها كخطوط دفاع مؤقتة استراتيجية وتكتيكية لأنها قد توقف لبعض الوقت تقدم العدو، أو قد تجبره على التحول إلى اليمين أو اليسار بحثاً عن نقطة أضعف، في هذه الحالة الميزة الواضحة استراتيجية. في حين إذا كان هجوم العدو أماماً، فإن الخطوط تمثل ميزة تكتيكية واضحة، حيث أن دفع الجيش من موقعه وراء النهر، أو من نقطة محصنة طبيعياً أو اصطناعيا يعتبر أكثر صعوبة من مهاجمته في سهل مفتوح. ومن ناحية أخرى لا ينبغي اعتبار هذه الميزة حاسمة، خشية أن نتمسك بنظام المواقع الذي كانت سبب دمار الكثير من الجيوش؛ لأنه مهما كانت وسائل الموقع الدفاعي قوية، فمن المؤكد أن الطرف الذي يبقى فيه ليدافع بشكل سلبي ويتلقى جميع هجمات خصمه سينتهي به الأمر إلى الاستسلام[223]. بالإضافة إلى ذلك، فإن أي موقع محصن طبيعياً[224] يصعب الوصول إليه سيكون من الصعب الخروج منه، فقد يستطيع العدو بأقل قوة حبس الجيش من خلال حراسة جميع المنافذ، حدث هذا للساكسونيين في معسكر بيرنا Pirna[225] وورمزر Wurmser في مانتوفا Mantua.[226]

ثالثاً– المواقع الاستراتيجية strategic positions:

هناك ميل للجيوش لاستخدام هذا المصطلح لتمييزه عن المواقع التكتيكية أو مواقع للمعركة. المواقع الاستراتيجية هي المواقع التي تُتّخذ لبعض الوقت، والهدف منها تغطية جزء من جبهة العمليات أكبر بكثير مما يمكن تغطيته في معركة فعلية. **جميع المواقع خلف نهر أو على خط دفاع والمسافات الكبيرة التي تفصل بين فرق الجيش هي من هذه الفئة.**

---

[223] المؤلف: هنا لا نقصد المعسكرات المحصنة التي تحدث فارقاً كبيراً، وسنتكم عنها في الموضوع السابع والعشرين.

[224] المؤلف: المقصود هنا مواقع المعسكرات وليست مواقع المعركة. وسيعالج هذا الأخير في الفصل المكرس للتكتيكات الكبرى (الموضوع الثلاثون).

[225] وقع حصار بيرنا في عام 1756 كجزء من الغزو البروسي لساكسونيا بقيادة فريدرك الثاني خلال الحرب السليزية الثالثة (جزء من حرب السنوات السبع).

[226] وذلك في حصار النمساويين بقيادة ورمزر في مانتوفا من قبل الفرنسيين بقيادة نابليون عام 1796.

مثل مواقع نابليون في ريفولي Rivoli وفيرونا Verona وليغناغو Legnago لتغطية نهر أديجي Adige. كانت مواقعه في عام 1813 في ساكسونيا Saxony وسيليزيا Silesia قبل خط الدفاع استراتيجية. وكذلك كانت المواقع استراتيجية لدى الجيوش الأنجلو-بروسية على حدود بلجيكا قبل معركة ليغني Ligny (1814)[227]، وكذلك مواقع ماسينا Massena على ليمات Limmat وآر Aar في 1799.[228] حتى مساكن الشتاء عندما تكون متراصة وفي مواجهة العدو ولا تحميها الهدنة تعتبر مواقع استراتيجية. على سبيل المثال: مواقع نابليون على نهر الباسارج Passarge في 1807، والمواقع اليومية التي يتخذها جيش بعيداً عن متناول العدو والتي تُنشَر في بعض الأحيان إما لخداعه أو لتسهيل الحركة تعتبر من هذه الفئة.[229]

وتشمل هذه الفئة أيضاً مواقع يشغلها الجيش لتغطية العديد من النقاط وأيضاً المواقع التي تمسك بها الكتل الكبيرة من الجيش لأغراض المراقبة. **إن المواقع المختلفة المتخذة على خط الدفاع ومواقع المفارز على جبهة العمليات المزدوجة ومواقع مفارز حماية الحصار والجيش الرئيسي العامل على نقطة أخرى في الوقت نفسه جميعها مواقع استراتيجية. في الواقع يمكن اعتبار جميع المفارز الكبيرة أو الأجزاء الصغيرة من الجيش أنها تشغل مواقع استراتيجية.**

أما الضوابط التي تُعطَى على النقاط السابقة فهي قليلة، حيث أن الجبهات وخطوط الدفاع والمواقع الاستراتيجية تعتمد عموماً على العديد من الظروف التي تؤدي إلى تنوع غير محدود. وفي كل حالة فإن القاعدة العامة الأولى هي أن تكون الاتصالات مع مختلف نقاط خط العمليات مضمونة بشكل كامل.

[227] معركة ليغني حدثت عام 1815 حزيران، ولعل المؤلف قد سها. كانت معركة ليغني Ligny (16 يونيو 1815) آخر انتصارات العسكرية لنابليون بونابرت. في هذه المعركة هزمت القوات الفرنسية تحت قيادة نابليون جزءًا من جيش بروسي تحت قيادة الجنرال بلوشر Blücher، بالقرب من ليغني Ligny في بلجيكا الحالية.

[228] هذه المواقع اتخذها ماسينا في وادي آر aare بعد الانسحاب من معركة زيورخ الأولى ثم اتخذ في وادي ليمات في معركة زيورخ الثانية (25-26 سبتمبر 1799) حيث حقق الجيش الفرنسي الجمهوري انتصارا حاسما في سويسرا على قوة نمساوية وروسية بقيادة ألكسندر كورساكوفنير زيوريخ ومحى الانكسار الذي تسببت بها المعركة الاولى. وأدى الانتصار إلى انسحاب روسيا من التحالف الثاني. وقعت معظم المعارك على ضفتي النهر ليمات حتى وصلت إلى أبواب زيورخ ، وداخل المدينة نفسها.

[229] بعد معركة إيلاو استراح جيش نابليون في مساكن الشتاء على ضفاف نهر الباسارج مقابل جيش العدو على الضفة الأخرى.

وفي الدفاع من المُحبّذ أن تقدم على الجبهات الاستراتيجية وخطوط الدفاع على كلا الجناحين وفي الأمام عوائقاً طبيعية أو اصطناعية هائلة كنقاط دعم. وتسمى نقاط الدعم على الجبهة الاستراتيجية مرتكزات العمليات pivots of operations ، وهي قواعد مؤقتة عملية، ولكنها مختلفة تماماً عن مرتكزات المناورة.[230] على سبيل المثال: في عام 1796 كانت فيرونا مرتكزا ممتازاً للعمليات لجميع مبادرات نابليون حول مانتوفا Mantua لمدة ثمانية أشهر. وفي عام 1813 كانت دريسدن Dresden مرتكزه.

مرتكزات المناورة هي مفارز القوات المكلفة بحراسة النقاط التي من الضروري إمساكها، في حين أن الجزء الأكبر من الجيش يسير إلى تحقيق بعض الأهداف الهامة، وعندما تُنجَز المهام لا يكون لمرتكز المناورة أي أهمية. كان فيلق ناي Nay مرتكز مناورة نابليون حول دوناوفورت Donauwerth وأوغسبورغ Augsburg لقطع ماك Mack عن خط انسحابه، ومرتكز العمليات على العكس من ذلك هو نقطة مادية ذات أهمية استراتيجية وتكتيكية بمثابة نقطة الدعم ويستمر طوال حملة.

إن أكثر أنواع خطوط الدفاع المرغوبة هي خطوط الدفاع الأقصر قدر الإمكان، وذلك لسهولة تغطيتها من قبل الجيش إذا اضطر إلى الدفاع. من المهم أيضاً ألا يكون حجم الجبهة الاستراتيجية كبيراً بحيث يمنع التركيز الفوري لأجزاء من الجيش عند نقطة حاكمة (مفيدة أو مميزة).

لا ينطبق الشيء نفسه تماماً على جبهة العمليات؛ لأنه إذا كانت ضيقة جداً فإنه سيكون من الصعب على الجيش أثناء الهجوم القيام بمناورات استراتيجية محسوبة لتحقيق نتائج عظيمة، حيث يمكن بسهولة تغطية جبهة قصيرة من قبل الجيش الدفاعي المعادي، كما يجب ألا تكون جبهة العمليات طويلة جداً. هذه الجبهة غير مناسبة للعمليات الهجومية، حيث أنها تعطي العدو (إن لم يكن خط دفاعي جيد) مساحة كافية للتملص من نتائج المناورة الاستراتيجية للمهاجم حتى لو تم التخطيط لها بشكل جيد. وهكذا فإن العمليات الباهرة لمارينغو Marengo وأولم وجينا لم تكن لتعطي نفس النتائج على مسرح بحجم مسرح

[230] تختلف مرتكزات العمليات عن القواعد المؤقتة بأن الأولى تدعم عدة خطوط عمليات على عكس القواعد المؤقتة التي تدعم كل منها خطا واحدا.

الحرب الروسية في عام 1812، حيث أن العدو حتى لو قُطِع خط انسحابه، فسيجد خط آخر من خلال اعتماد منطقة عمليات جديدة.

إن الشروط الأساسية لكل موقع استراتيجي هي أنه ينبغي أن يكون أكثر تركيزاً compact من القوى المعادية، وأن جميع أجزاء الجيش يجب أن يكون لديها وسائل مضمونة وسهلة للتركيز بعيدة عن تأثير العدو. وهكذا بالنسبة للقوى المتساوية بشكل تقريبي تكون جميع المواقع المركزية أو الداخلية أفضل من المواقع الخارجية؛ لأن الجبهة في الحالة الأخيرة ستكون بالضرورة أكثر امتدادا وستؤدي إلى تقسيم خطير للقوة. إن القدرة العالية على الحركة والنشاط من جانب القوات التي تحتل هذه المواقع ستكون عنصراً قوياً في الأمن أو التفوق على العدو، لأنهما تجعلان التركيز السريع ممكناً في نقاط مختلفة ومتلاحقة من الجبهة.

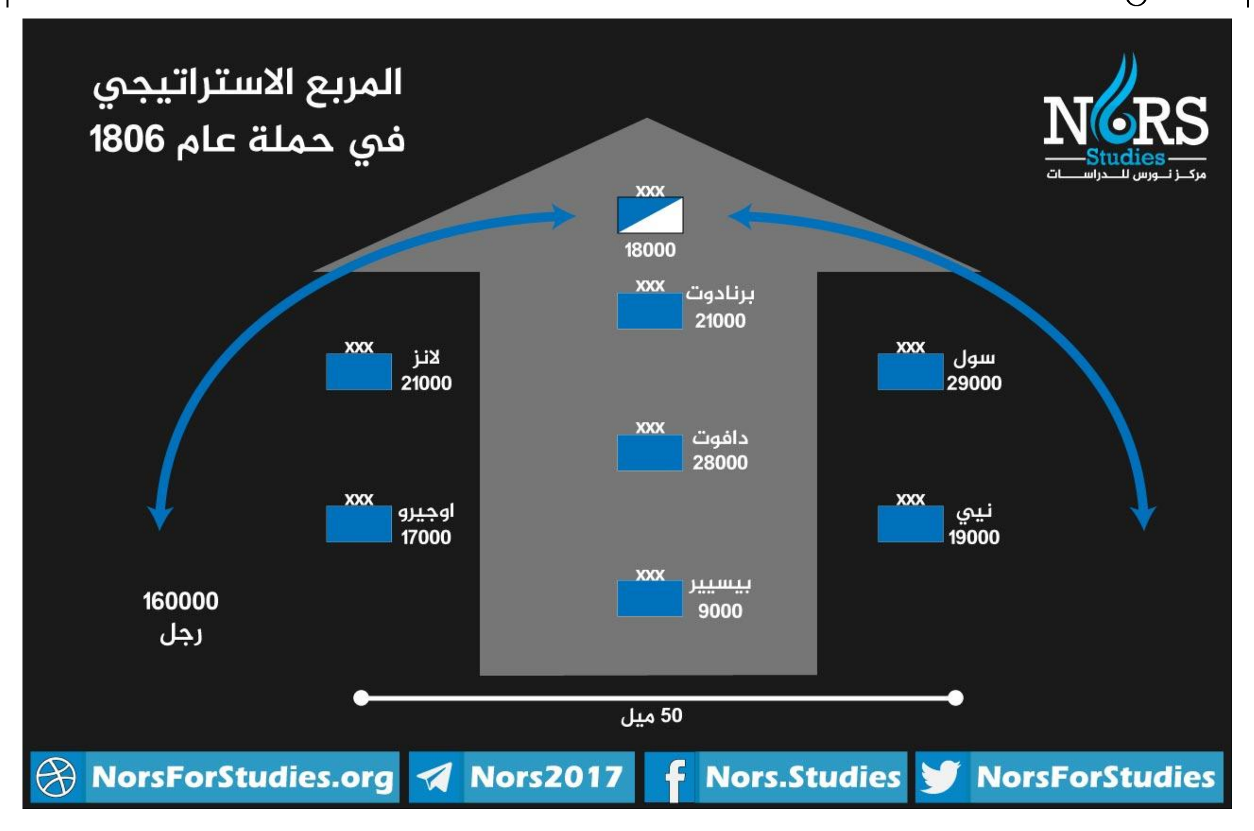
يجب على الجيش أن لا يحتل أي نقطة استراتيجية لفترة طويلة دون اختيار موقع واحد أو موقعين تكتيكيين، بغرض تركيز كل القوة المتاحة، والقيام بمعركة ضد العدو عندما يكون قد كشف عن مخططاته. بهذه الطريقة أعد نابليون ميادين ريفولي Rivoli وأوسترليتز Austerlitz، وأعد ولينغتون Wellington واترلو Waterloo، وأعد أرشيدوق تشارلز واغرام Wagram.[231]

عندما يخيم الجيش أو يأوي إلى مساكن الشتاء، يجب على الجنرال أن يكون حذراً من امتداد الجبهة لمسافات طويلة. يبدو أن التنظيم الذي يمكن تسميته بالمربع الاستراتيجي هو أفضل تنظيم، ويقدم ثلاثة وجوه متساوية تقريباً، بحيث تكون المسافة التي يجب أن تقطعها فرق الجيش متساوية للتركيز بهجوم على نقطة هدف مشترك.[232]

---

[231] في هذه المعارك يعد أحد الطرفين احتياطيا لقواته ويحتفظ بها ويركزها في اللحظة المناسبة في المعركة لتحقيق انتصار حاسم
في معركة ريفولي عام 1796 (وهي المعركة الرابعة في تصدي الفرنسيين لمحاولة النمساويين لفك الحصار عن مانتوفا) جوبرت Joubert تولى التصدي للنمساويين، أرسل نابليون قوة مؤازرة بقيادة ماسينا لتركيز خط دفاعي مع قوات جوبرت ضد النمساويين مما أدى لانتصار الفرنسيين.
في معركة اوسترليتز عام 1805 اطبق قلب وميمنة الفرنسيين على ميسرة قوات الحلفاء مما أدى تدميرها تدميرا كاملا وانهارت قوات الحلفاء.
قبل معركة واترلو waterloo 1815 حاول نابليون أبعاد القوات النمساوية بقيادة بلوشر عن قوات البريطانية بقيادة ولنغتون والقضاء على البريطانيين على حدة في واترلو. إلا أن وصول النمساويين وتركيزهم على قوات نابليون قلب الموقف لصالح الحلفاء وقضى على نابليون نهائيا.
في معركة فاغرام 1809 حاول تشارلز تطبيق فك الكماشة على جيش نابليون وكاد ذلك أن يدمر الميسرة لكن نابليون أفشل الهجوم وتولى القيام بهجوم مضاد باستخدام الاحتياطي من الفرسان و المدفعية لتقوية الميسرة.

[232] مربع الاستراتيجي strategic square يقصد به ترتيب قطعات الجيش من فيالق وفرق على شكل مربع متساوي الأضلاع تقريبا، حيث يفصل بين فرقة أو فيلق وآخر مسيرة يوم. يساعد هذا التشكيل في حالة عدم معرفة اتجاه العدو بدقة، حيث يسهل عملية التركيز والالتفاف على العدو في أي اتجاه يظهر. وطبق نابليون هذا التشكيل في معركة جينا ومعارك أخرى.



استخدم نابليون المربع الاستراتيجي في حملة عام 1806 وحقق انتصارا كبيرا باستخدام هذا المربع في معركة جينا

يجب أن يكون لكل خط دفاعي استراتيجي نقطة تكتيكية يمكن التحشد فيها للدفاع إذا اجتاز العدو الجبهة الاستراتيجية. على سبيل المثال: الجيش الذي يحرس أحد ضفاف النهر ولا يستطيع أن يسيطر على الخط بكامله، يجب أن يكون له موقع دائم في المؤخرة من النقطة المختارة، والذي تتجمع فيه كل الفرق لمواجهة العدو عند نجاحه في العبور.

بالنسبة للجيش الذي يدخل إلى أرض بهدف الاحتلال المؤقت أو الدائم فمن الحكمة دائماً (مهما حقق من نجاحات باهرة) أن يُجهِّز خطاً دفاعياً كملاذ في حال الانسحاب. وُضعت هذه الملاحظة لإنهاء الموضوع: الخطوط نفسها مرتبطة بشكل وثيق مع قواعد مؤقتة، وسيتم مناقشتها في الموضوع الثالث والعشرين.

الموضوع الحادي والعشرين: مناطق وخطوط العمليات

منطقة العمليات هي جزء معين من مسرح الحرب كله، والذي قد يجتازه الجيش لتحقيق هدفه، سواء كان يعمل منفرداً أو بالتنسيق مع الجيوش الأخرى. على سبيل المثال: في خطة حملة عام 1796، كانت إيطاليا هي منطقة الميمنة وبافاريا Bavaria هي القلب وفرانكونيا Franconia هي الميسرة.

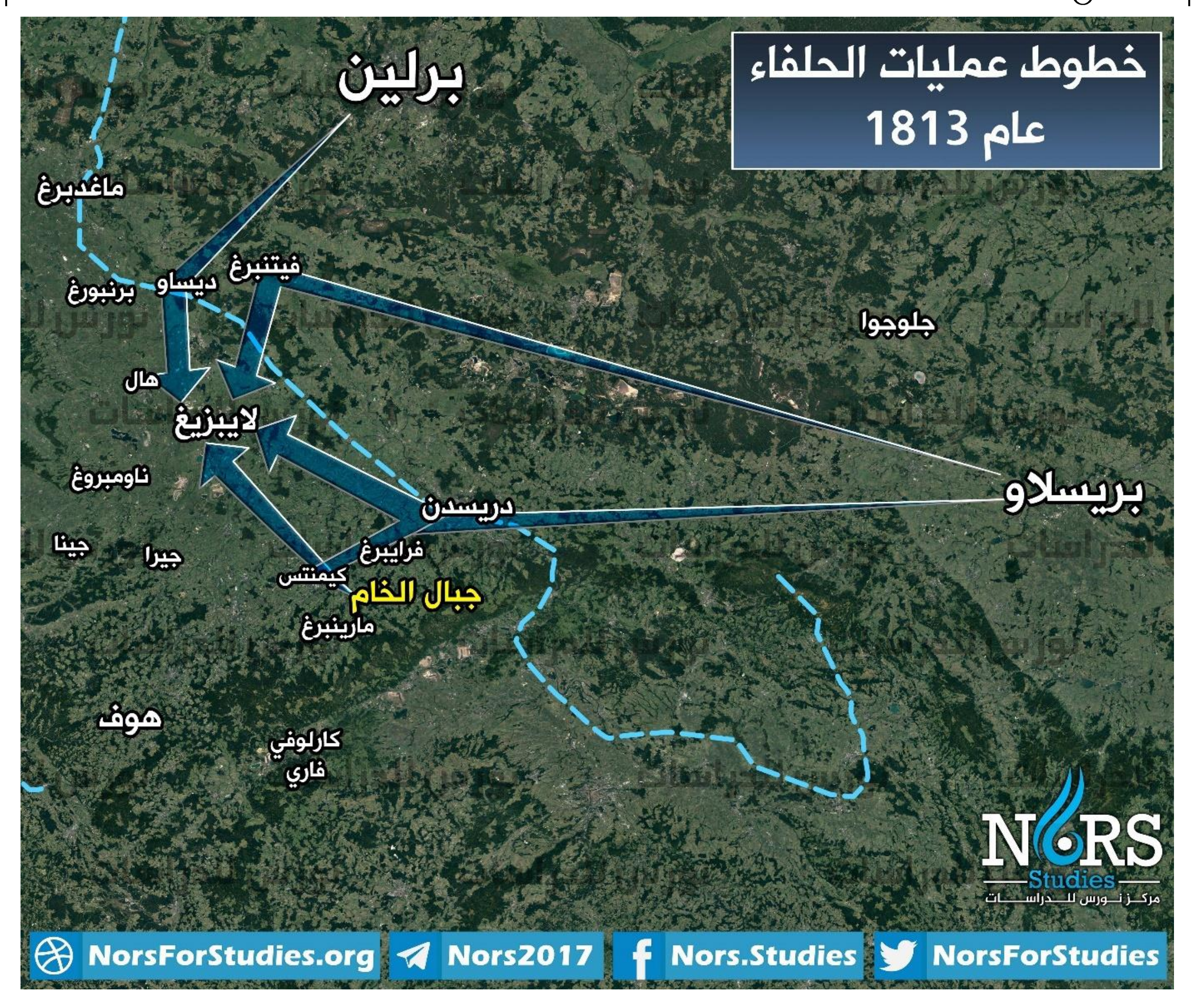
قد تكون منطقة العمليات في بعض الأحيان مجرد خط واحد للعمليات، إما بسبب تكوين البلد أو بسبب قلة الطرق السالكة للجيش المتواجد هناك. ولكن بشكل عام توجد في منطقة العمليات عدة خطوط عمليات، يعتمد عددها جزئياً على خطط الحملة، وعلى عدد طرق الاتصال الكبيرة الموجودة في مسرح العمليات.

لا ينبغي أن نفهم من ذلك أن كل طريق بحد ذاته هو خط عمليات، رغم أنه من المؤكد أن أي طريق جيد يتحول لخط عمليات في ظل تغيير معين في الأحداث في لحظة معينة. ولكن طالما أنها تُجتاز من قبل المفارز فقط، وتقع خارج نطاق المبادرات الرئيسية، فلا يمكن اعتبارها خط عمليات حقيقي. وعلاوة على ذلك فإن عدة الطرق المؤدية إلى نفس جبهة العمليات، والمسافة بين طريق وآخر بمقدار مسيرة يوم أو يومين ولأنها طرق اتصال فرق جيش واحد، فلا يمكن اعتبار كل طريق خط عمليات منفصل، بل إن المساحة المحصورة بين الفرق تشكل خط عمليات واحد.

يُطلق مصطلح منطقة العمليات على قسم كبير من المسرح العام للحرب. مصطلح خطوط العمليات يعني جزء من هذا القسم الذي يجري عليه الجيش مبادراته.

ويُطلق مصطلح الخطوط الاستراتيجية على تلك الخطوط المهمة التي تربط النقاط الحاسمة لمسرح العمليات إما مع بعضها البعض أو مع جبهة العمليات (سواء كانت مساراً واحداً أو عدة مسارات)، وللسبب نفسه نعطي هذا الاسم للخطوط التي سيتّبعها الجيش للوصول إلى واحدة من هذه النقاط الحاسمة، أو لإنجاز مناورة مهمة تتطلب انحرافاً مؤقتاً عن خط العمليات الرئيسي. يشير مصطلح خطوط الاتصالات للطرق السالكة بين الأجزاء المختلفة من الجيش التي تحتل مواقع مختلفة في جميع أنحاء منطقة العمليات.

على سبيل المثال: في عام 1813 بعد انضمام النمسا إلى التحالف السادس الكبير، كانت هناك ثلاث جيوش متحالفة في الغزو، تغزو الأولى ولاية سكسونيا Saxony والثانية بافاريا Bavaria والثالثة إيطاليا، بحيث شكلت ساكسونيا أو بالأحرى الأرض الواقعة بين درسدن Dresden وماغديبورغ Magdeburg وبريسلو (فروتسواف) Breslau منطقة عمليات الكتلة الأكبر من القوات. كان لهذه المنطقة ثلاثة خطوط من العمليات تؤدي إلى لايبزش (لايبزج) كهدف، الأول كان خط جيش بوهيميا المؤدي من جبال الخام Erzgebirge عبر دردسن وكيمنتس Chemnitz نحو لايبزش (لايبزج). والثاني هو خط جيش سيليزيا، والذاهب من بريسلاو عبر اتجاه درسدن أو فتنبيرغ Wittenberg نحو لايبزش (لايبزج). كان الثالث لأمير بيرنادوت Bernadotte السويدي من برلين عبر ديساو Dessau إلى نفس الهدف. سار كل جيش من هذه الجيوش على طريقين متوازيين متقاربين أو أكثر، ولكن لا يمكن القول بأن عدد خطوط العمليات مساوي لعدد الطرق. الخط الرئيسي للعمليات هو الذي يتّبعه الجزء الأكبر من الجيش وتتواجد فيه مستودعات المؤن والذخائر والإمدادات الأخرى المصفوفة، والتي تنسحب إذا ما اضطرت لذلك.



إذا كان اختيار منطقة العمليات لا يتضمن تراكيب واسعة، حيث لا توجد أكثر من منطقتين أو ثلاث للعمليات في كل مسرح أبداً، والمزايا تنتج عموماً عن الموقع (طوبوغرافيتها)، فالأمر مختلف إلى حد ما في خطوط العمليات، حيث يتم تقسيمها إلى فئات مختلفة وفقا لعلاقاتها مع المواقع المختلفة للعدو، وطرق الاتصال على الميدان الاستراتيجي، وإلى المبادرات التي يُعدّها القائد.

خطوط العمليات البسيطة Simple lines of operation هي التي يتنقّل بها جيش من الجبهة (الحدود) عندما لا يُقسَم إلى فيالق مستقلة كبيرة.

خطوط العمليات المزدوجة Double lines of operation هي لجيشين مستقلين ينطلقان من نفس الجبهة (الحدود)، أو لجيشين متساويين تقريباً يقودهما نفس الجنرال، ولكنهما منفصلان بمسافات طويلة، وبفواصل زمنية كبيرة[233].

خطوط العمليات الداخلية interior lines of operation هي تلك التي يتخذها جيش أو جيشين لمواجهة عدة كتل معادية، واتجاهها يمكن الجنرال من تركيز كتل جيشه والمناورة بكل قوته في فترة زمنية أقصر مما يتطلبه العدو لحشد قوة أكبر[234].

خطوط العمليات الخارجية exterior lines of operation على عكس ذلك، فهي تلك التي يشكلها جيش يعمل على جانبي العدو في نفس الوقت أو ضد عدة كتل له.

خطوط العمليات التراكزية concentric lines of operation هي تلك التي تبدأ من نقاط متفرقة على نطاق شاسع وتجتمع في نفس النقطة إما أمام أو خلف القاعدة.

أما خطوط العمليات المتباعدة divergent lines of operation هي التي يتحرك عليها الجيش من نقطة معينة للتوجه لعدة نقاط مختلفة. هذه الخطوط بالطبع تتطلب تقسيماً للجيش.

هناك أيضا الخطوط العميقة Deep lines of operation، وهي ببساطة خطوط طويلة.

مصطلح خطوط المناورة maneuver lines أطلقها أنا على الخطوط الاستراتيجية المؤقتة، غالباً ما تُطلق على مناورة واحدة مؤقتة، ولا ينبغي بأي حال من الأحوال الخلط بينها وبين خطوط العمليات الحقيقية.

[233] المؤلف: تعرض هذا التعريف للانتقاد، ولأنه قد أُسيء فهمه فمن الضروري شرحه: في المقام الأول يجب ألا يغيب عن الأذهان أنها مسألة خطوط مناورة (أي هي من إحدى أنواع الخطوط الاستراتيجية) وليست طرق كبيرة. وأيضاً الإقرار بأن طريقين أو ثلاثة يسير عليها الجيش بالقرب من بعضهما البعض حيث يمكن جمعهم في نقطة واحدة في غضون يومين لا تُعتبر خطين أو ثلاث للعمليات. عندما دخل كل من مورو وجوردان ألمانيا بجيشين قوام كل منهما 70.000 جندي، كان كل منهما مستقل عن الآخر، وكان هناك خط عمليات مزدوج، لكن تحرك مفرزة فرنسية من الراين الأسفل إلى نهر الماين وتحرك خمس أو ست فيالق أخرى من الراين الأعلى إلى أولم لن يكون لهما خط عمليات مزدوج بالمعنى الذي استخدمه في المناورة. عندما ركز نابليون سبعة فيالق عبر بامبرغ Bamberg نحو جيرا، في حين أن مورتير Mortier سار بفيلق واحد نحو كاسيل Cassel لاحتلال هيس Hess والالتفاف على المبادرة الرئيسية، كان لديه خط إقليمي (موقعي) territorial line للعمليات فقط مع مفرزة إضافية. كان الخط يتألف من ذراعين أو نصفي قطر لكن خط العمليات لم يكن مزدوجا.

[234] المؤلف: زعم بعض الكتاب الألمان أنني أخلط بين المواقع المركزية central positions مع خط العمليات، وهنا أؤكد أنهم مخطئون. قد يشغل الجيش موقعاً مركزياً في وجود كتلتين معاديتين مع عدم امتلاك خطوط داخلية للعمليات، فكل منهما مختلف تمامًا عن الآخر. يعتقد البعض الآخر أنه كان من الأفضل استخدام مصطلح نصف قطر radii ساحة العمليات للتعبير عن فكرة الخطوط المزدوجة. هذا الكلام منطقي في حالة تصورنا أن شكل مسرح العمليات دائري؛ لكن مهما يكن بالنهاية نصف القطر هو خط، وكل هذا الكلام مجرد خلاف في استعمال الكلمات.

خطوط العمليات الثانوية secondary lines of operation هي خطوط جيشين يعملان لتوفير الدعم المتبادل لبعضهما البعض، في عام 1796 كان جيش سامبري وميوز Sambre and meuse ثانوياً بالنسبة لجيش الراين، وفي عام 1812 كان جيش باجرشن Bagration ثانوياً بالنسبة لجيش باركلي Barclay.

خطوط العمليات العرضية (الانتهازية أو الفرص) accidental lines of operation هي تلك التي تنتجها أحداث الحملة والتي تغير الخطة الأصلية وتعطي اتجاهاً جديداً للعمليات، وهذه الخطوط ذات أهمية قصوى. لا يعرف الفرصة المناسبة لاستخدام هذه الخطوط إلا أصحاب العقول الكبيرة النشطة.

بالإضافة إلى ذلك توجد خطوط العمليات التمهيدية والنهائية (الحاسمة). يقصد بالأولى الخط الذي يستخدمه الجيش في مبادرة أولية حاسمة، وبعد ذلك يكون له الحرية في اختيار خط أكثر إفادةً أو مباشرةً. ويبدو أن هذه الخطوط تنتمي إلى فئة الخطوط الاستراتيجية المؤقتة بمقدار انتمائها لخطوط العمليات.

توضح هذه التعريفات كيف أختلف عن هؤلاء المؤلفين – لويد Loyd وبولو Bulow – الذين سبقوني، فهما لا ينسبان إلى هذه الخطوط أي عمل مهم إذا لم يكن يخص مستودعات الجيش، ويؤكد بولو على عدم وجود هذه الخطوط في حالة خيم الجيش بالقرب من مستودعاته.

المثال التالي يدحض هذا التناقض: دعونا نفترض وجود جيشين، الأول في الراين الأعلى، والثاني متقدم على دوسلدورف Dusseldorf أو أي نقطة أخرى من الجبهة، وتقع مستودعاتهما الكبيرة مباشرة خلف نهر الراين، وبالتأكيد هذا المكان للمستودعات هي الأكثر أمناً وأقربها وأكثرها فائدة لهم والتي يمكن اعتمادها. سيكون لهذه الجيوش هدفاً هجومياً أو دفاعياً، ومن المؤكد أنه سيكون لديها خطوط عمليات، تنجم عن المبادرات المزمعة المختلفة، سيكون هناك نوعين من الخطوط:

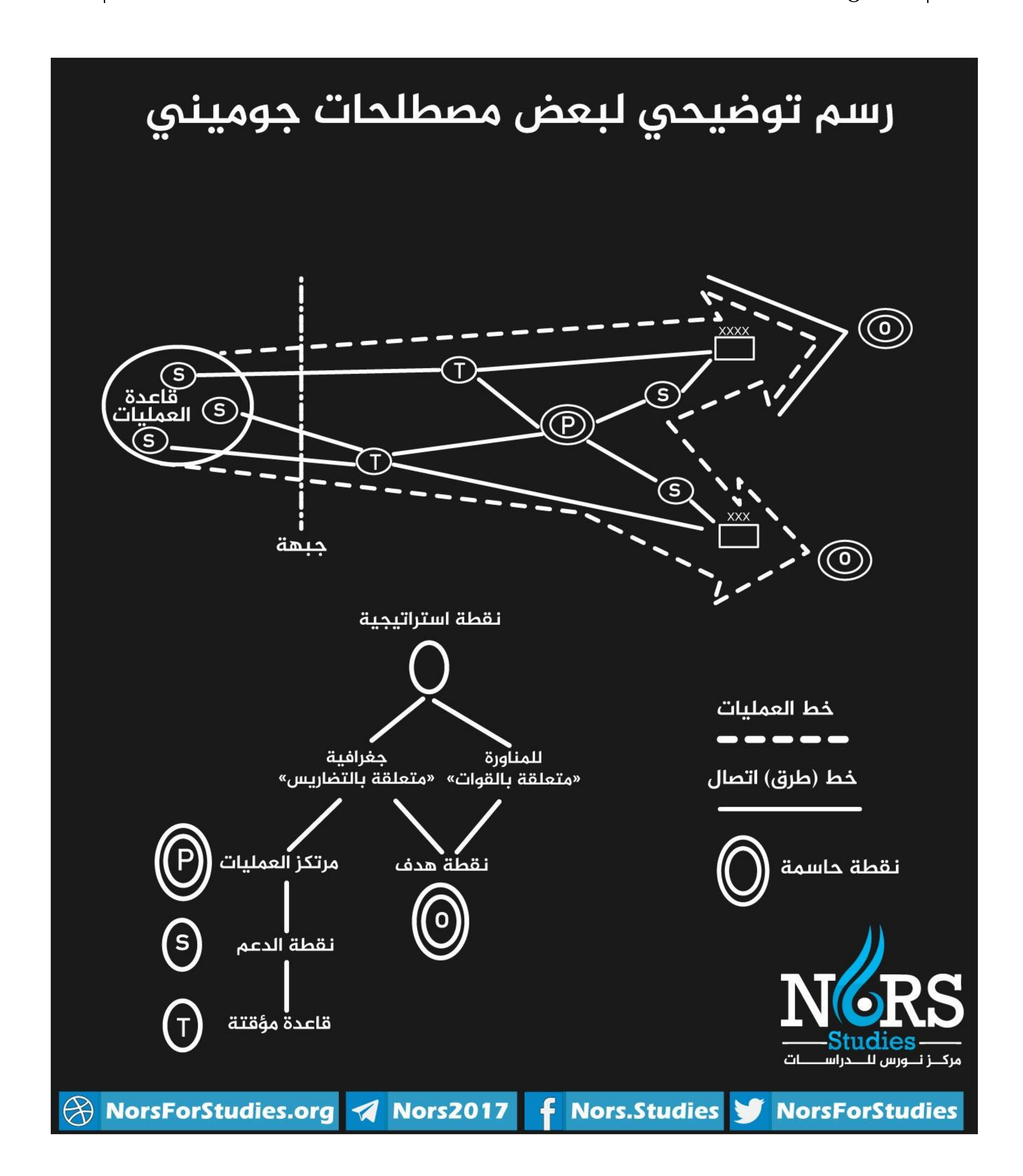
1. الخط الإقليمي (الموقعي) الدفاعي[235] سيكون بدءاً من قاعدتهم، ويمتد إلى الخط الثاني الذي سيصلون إليه ويغطونه، وسوف يتم قطع هذين الخطين إذا استطاع العدو الوصول إلى المسافة بينهما. حتى لو كان ميلاسMelas [236] قد امتلك مؤن لعام كامل في أليساندريا Alessandria، لكان قُطع عن قاعدته في مينسيو Mincio بمجرد احتلال العدو المنتصر خط نهر البو Po.[237]
2. خط المناورات سيكون مزدوجاً، بينما خط العدو مفرد إذا ركز قواته لهزيمة هذين الجيشين على التوالي؛ من ثم سيكون خط المناورات خارجياً مزدوجاً، بينما خط العدو داخلي مزدوج إذا قسم قواته إلى كتلتين، مما يعطيهم اتجاهات تمكنهم من تركيز جميع قواتهم قبل أن يتحد الجيشان المشار إليهما أولاً.

كان بالو Bulow أقرب للصواب لو أشار بأن الجيش في وطنه أقل اعتماداً على خط عملياته الأولي مما لو كان في أرض أجنبية، لأنه يجد في كل اتجاه نقاط الدعم وبعض المزايا المطلوبة لإنشاء خطوط العمليات. قد يفقد الجيش خط عملياته دون التعرض لخطر كبير، ولكن هذا ليس سبباً في انعدام خط العمليات.

[235] الخط الإقليمي (الموقعي): هو خط العمليات التي تفرضه تضاريس الأرض الطبيعية أو الصناعية (وفي المثال الوارد هو نهر الراين، والمثال الذي بعده هو نهر بو) ويقابله خطوط المناورة التي هي متعلقة بمواقع العدو

[236] المؤلف: هذا الرأي مختلف فيه وأرى أنه صحيح. لأن ميلاس حوصِر بين بورميدا Bormida وتانارو Tanaro وبو، ولم يتمكن من تعبئة جيشه، وبالكاد كان قادراً على الحفاظ على اتصال بواسطة المراسلين مع قاعدته، وبالتأكيد فقد اضطر إلى التملص من الحصار وإلا كان سيستسلم في حال لم يتم تعزيزه.

[237] حدث ذلك إبان حرب التحالف الثانية عام 1800، وقد ذكرنا سابقا أن نابليون استطاع مفاجأة ميلاس بالالتفاف عليه عبر ممر سانت بيرنارد مما أجبر ميلاس على إنهاء الحصار وترك الجيش الفرنسي تحت قيادة ماسينا داخل جنوة يخرج مقابل تعهد بعدم القتال لمدة عام. كان نابليون ذكيا فلم يعمد للهجوم مباشرة على النمساويين، بل اختار قطع طريق امداداتهم باحتلال ميلانو Milano (القريب من نهر بو) وبالتالي فقدوا الاتصال مع مينيسيو والعاصمة فيينا، مما أجبرهم على خوض معركة حاسمة في مارينغو انتهت بهزيمة النمساويين وسيطرة فرنسا على شمال إيطاليا.


رسم توضيحي لبعض مصطلحات جوميني
قاعدة العمليات
S
S
S
T
T
P
S
S
XXXX
XXX
O
O
جبهة
نقطة استراتيجية
للمناورة «متعلقة بالقوات»
جغرافية «متعلقة بالتضاريس»
مرتكز العمليات
نقطة الدعم
قاعدة مؤقتة
نقطة هدف
خط العمليات
خط (طرق) اتصال
نقطة حاسمة
NORS Studies
مركز نورس للدراسات
NorsForStudies.org
Nors2017
Nors.Studies
NorsForStudies

<u>بحث عن خطوط العمليات في حروب الثورة الفرنسية:</u>

في بداية هذا النضال الفظيع والمتقلب باستمرار، كانت بروسيا والنمسا هما العدوان الوحيدان الصريحان لفرنسا، وأدرجت إيطاليا في مسرح الحرب فقط لغرض المراقبة كونها بعيدة للغاية بالنسبة للمبادرات الحاسمة في ضوء الهدف المرجو. امتد المسرح الحقيقي من هونينغو Huningue إلى دونكيرك Dunkirk، وشمل ثلاث مناطق عمليات، أولها على طول نهر الراين من هونينغو Huningue إلى لانداو Landau، ومن ثم إلى موسيل والمنطقة الوسطى (القلب) للعمليات هي في المسافة الفاصلة بين ميوز وموسيل، والمنطقة الثالثة الميسرة كانت الحدود من غيفت Givet إلى دونكيرك.

عندما أعلنت فرنسا الحرب في أبريل عام 1792 كانت نيتها منع اتحاد أعدائها.[238] وكان لديها آنذاك مائة ألف جندي في المناطق التي ذكرناها للتو، في حين كان لدى النمسا خمسة وثلاثين ألف جندي في بلجيكا. من المستحيل أن نفهم بالضبط لماذا لم تغز فرنسا بلجيكا، عندما لم يكن هناك مقاومة فعلية. بعد أربعة أشهر من إعلان الحرب حشد الحلفاء قواتهم، ألم يكن من الممكن أن يكون غزو بلجيكا من شأنه أن يمنع غزو مقاطعة شمبانيا Champagne، ويعطي ملك بروسيا تصوراً عن قوة فرنسا، ويردعه عن التضحية بجيوشه من أجل مصالح ثانوية يطمع إليها وهي فرض نظام حكم (إعادة الملكية المطلقة) على فرنسا؟

عندما وصل البروسيون إلى كوبلنتز Coblentz في نهاية شهر يوليو، لم يعد الفرنسيون قادرين على الغزو وأخذ هذا الدور الحلفاء، ومن المعروف جيداً كيف قلب الحلفاء المعادلة.[239]

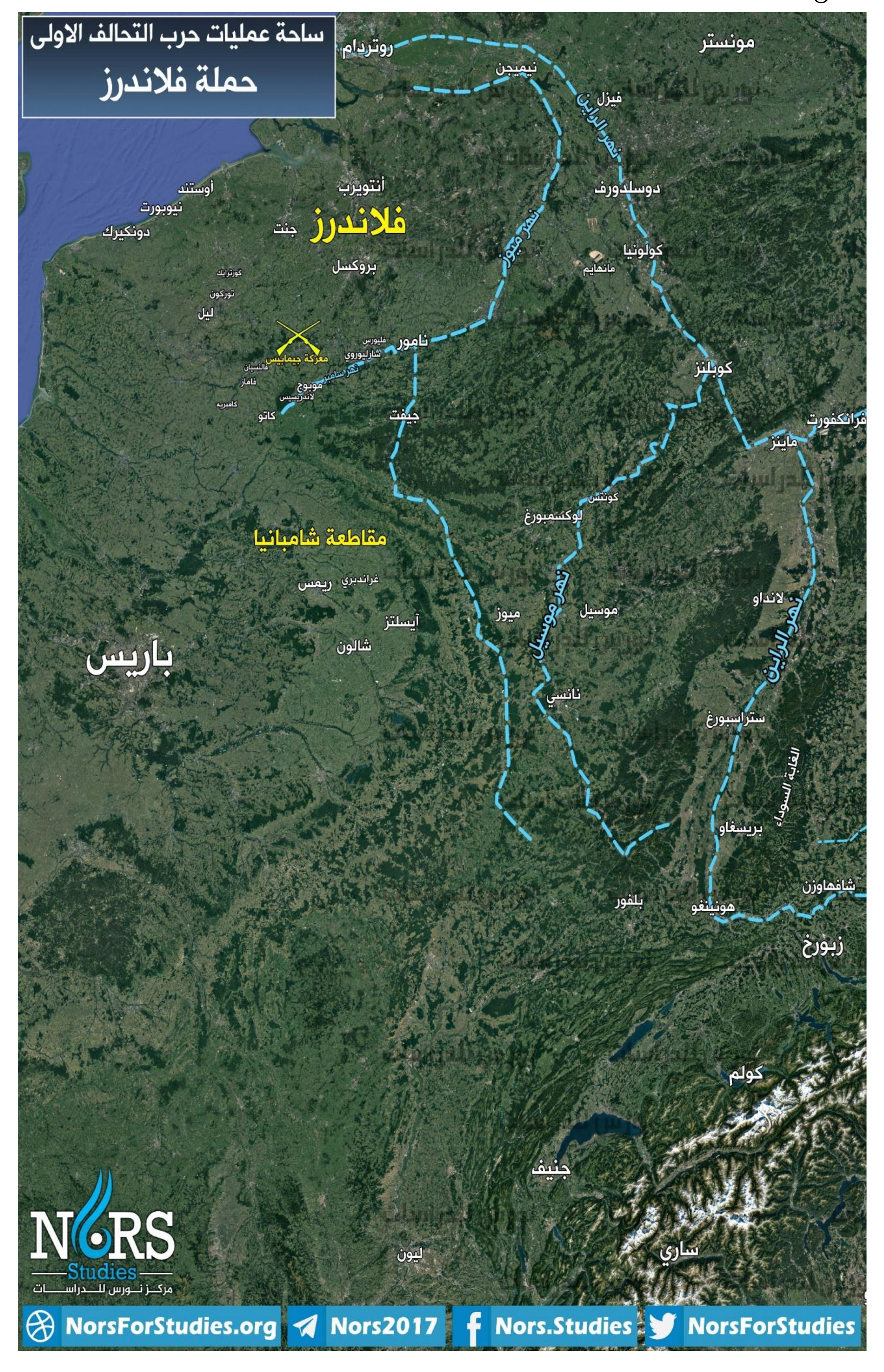
بعدها كانت القوة الكاملة للفرنسيين حوالي مائة وخمسة عشر ألف جندي. كانت مبعثرة على حدود (جبهة) تبلغ طولها مائة وأربعين فرسخاً (حوالي 700 كم)، وقسمت القوات إلى خمس

[238] أعلنت فرنسا الحرب على بروسيا والنمسا عام 1792 توقعا لنيتها للتدخل لإنقاذ السلالة الملكية البوروبنية الفرنسية التي كانت محتجزة بأيدي الثوار الفرنسيين (حيث أن زوجة الملك مارية أنتوني هي بنت الأمبراطور الروماني المقدس)، بإعلان فرنسا الحرب بدأت حروب الثورة الفرنسية التي امتدت حتى عام 1802، وبدأت معها حرب التحالف الأولى.

[239] كانت فرنسا تنوي غزو بلجيكا، إلا أن تأخرها في القيام بذلك أعطى للحلفاء فرصة للاستعداد والتحالف وحشدت بروسيا والنمسا جيشا جاوز80000 جندي لغزو فرنسا.

فيالق لم تكن قادرة على القيام بدفاع جيد. من أجل شل حركتهم ومنع تركيزهم كان من الضروري مهاجمة الوسط فقط. كانت الأسباب السياسية مؤيدة لخطة الهجوم هذه، فالهدف كان سياسياً ولا يمكن تحقيقه إلا باتخاذ أساليب سريعة وقوية. كان الخط الفاصل بين موسيل وميوز (الذي كان هو الوسط) أقل حصانة من بقية الجبهة، وبالإضافة إلى ذلك امتلك الحلفاء ميزة وهي حصن لوكسمبورغ Luxembourg الجيد كأنسب قاعدة. لقد أعدوا خطة الهجوم هذه بذكاء، لكن الجانب العملي كان مختلفاً عن الجانب النظري.

كان مجلس فيينا لديه مصالح كبرى من خوض تلك الحرب، منها أسباب عائلية، ومنها بسبب الأخطار التي قد تتعرض لها المقاطعات من السقوط بيد الفرنسيين. لسبب ما من الصعب إدراكه، شاركت النمسا بثلاثين كتيبة فقط، بينما بقي خمسة وأربعون ألف جندي كجيش للمراقبة في بريسغاو Brisgau على نهر الراين وفي فلاندرز Flanders. أين كانت الجيوش الضخمة التي عرضتها بعد ذلك؟ وما هو التصرف الأفضل الذي كان يمكن فعله من حماية أجنحة الجيش الغازي؟


ساحة عمليات حرب التحالف الاولى
حملة فلاندرز
روتردام
نيميجن
مونستر
فيزل
نهر الراين
أوستند
نيوبورت
دونكيرك
أنتويرب
فلاندرز
جنت
دوسلدورف
نهر ميوز
كولونيا
مانهايم
بروكسل
كورترايك
توركون
ليل
معركة جيمابيس
فالنسيان
فامار
كامبريه
فليورس
شارليوروي
نامور
نهر سامبر
موبوج
لاندريسيس
كاتو
جيفت
كوبلنز
فرانكفورت
ماينز
كونتش
لوكسمبورغ
مقاطعة شامبانيا
غراندبري
ريمس
آيسلتز
شالون
ميوز
نهر موسيل
موسيل
لانداو
باريس
نانسي
ستراسبورغ
الغابة السوداء
بريسغاو
شافهاوزن
بلفور
هونينغو
زيورخ
كولم
جنيف
ليون
ساري
NORS Studies
مركز نورس للدراسات
NorsForStudies.org
Nors2017
Nors.Studies
NorsForStudies

إن هذا السلوك الملفت للنظر من جانب النمسا والذي كلفها الكثير قد يفسر قرار بروسيا بالانسحاب وترك الميدان بعدها في وقت لاحق، كما فعلت في اللحظة التي كان يجب عليها أن تتدخل فيه. خلال الحملة لم يقم الجيش البروسي بالجهد المطلوب للانتصار، حيث أمضوا ثمانية أيام بلا فائدة في معسكر كونس Kons. لو تهيأوا لدوموريز Dumouriez في آيسلتز Islettes أو حتى بذلوا جهدا أكثر جدية لإبعاده عنها، لحافظوا بذلك على التفوق المتمثل بتركيز القوة ضد عدة فرق متفرقة، ولتمكنوا من منع التقائهم والإطاحة بهم كلٌ على حدة. كان فريدريك العظيم سيبرر تصريح دوموريز في غراندبري Grandpre، أنه لو كان خصمه الملك العظيم لدُفِع (يعني دوموريز) خلف بلدة شالونس Chalons.

أثبت النمساويون في هذه الحملة أنهم ما زالوا متعلقين بالنظام الفاشل لدون Daun ولساي Lascy، المتمثل بتغطية كل نقطة من أجل حماية كل نقطة.

إن حقيقة وجود عشرين ألف جندي في بريسغاو Brisgau في حين أن موسيل Moselle وساري Sarre لم تتم تغطيتهما تُظهر خوف النمساويين من مجرد فقدان قرية، وكيف أجبر هذا على تشكيل مفارز كبيرة والتي كانت غالباً سبباً في خراب الجيوش.

متناسين أن أضمن وسيلة للنصر تكمن في تقديم أكبر تركيز للقوة، واعتقدوا أنه من الضروري احتلال كامل طول الجبهة (الحدود) بهدف منع الغزو، والتي كانت بالضبط السبب في جعل الغزو على أي نقطة ممكناً.[240]

سأشير كذلك في هذه الحملة إلى تخلي دوموريز بحماقة عن ملاحقة الحلفاء لغرض نقل المسرح من الوسط إلى أقصى ميسرة الميدان العام. علاوة على ذلك لم يكن قادراً على إدراك النتائج العظيمة التي من الممكن أن تمنحها هذه الحركة، ولكنه هاجم جيش دوق تستشين Teschen من الأمام، بينما كان من الممكن من خلال النزول عبر نهر ميوز Meuse

[240] كان نظام دون ولساي (وهما جنرالان نمساويان) الذي طبقهما في حرب السبع سنوات وحرب الخلافة النمساوية متمثلا في احتلال كل بقعة أرض بعدد من الجنود وإرسال مفارز كثيرة، تمسك النمساويون بهذا النظام إبان بداية حروب الثورة الفرنسية، مما أضعفهم وقلل تركيز قواتهم بعد أن كانت قد جاوزت ال80000 في بداية الحملة بقي منهم لقتال دوميروز أقل من 40000، وأدى بذلك لانكسارهم في أول معركة مع الفرنسيين بعد الثورة الفرنسية وهي معركة فالمي في 20 من سبتمبر مما أعطى دفعة نفسية هائلة للثورة الفرنسية في أرجاء أوروبا.

حتى نامور Namur دفع العدو نحو بحر الشمال باتجاه نيوبورت Nieuport أو أوستند Ostend، وتدميرهم بالكامل في معركة أكثر نجاحاً من معركة جيمابيس Jemmapes.[241]

تعطي حملة 1793 مثالاً جديداً لتأثير الاتجاه الخاطئ للعمليات. انتصر النمساويون واستردوا بلجيكا، لأن دوموريز مدد بشكل سيء جبهة عملياته حتى أسوار روتردام Rotterdam. وإلى الآن يستحق سلوك الحلفاء الثناء، فقد بررت رغبة إعادة احتلال هذه المقاطعات الغنية هذه المبادرة، التي كانت موجهة بذكاء ضد أقصى ميمنة جبهة دوموريز الطويلة. ولكن لماذا تراخى الحلفاء ستة أشهر أمام عدة بلدات، وسمحوا للجنة السلامة العامة بتنظيم جيوش جديدة بعد أن تم طرد الفرنسيين تحت نيران الفالنسيين وكانوا في فوضى وعجز عن المقاومة؟ عند النظر في الوضع البائس لفرنسا والضيق الذي عانته بقايا جيش ديمبيير Dampierre، هل يمكن تفسير مواكب الاستعراض العسكري للحلفاء أمام الحصون في فلاندرز؟[242]

إن غزو البلاد التي تتركز قوتها بشكل رئيسي في العاصمة له أهمية خاصة. في ظل حكومة أمير قوي (ملكية مطلقة)، وفي الحروب النظامية فإن النقطة الأكثر أهمية هي المقر العام الرئيسي للجيش، ولكن في ظل حكم الأمير الضعيف (ملكية مقيدة) وفي جمهورية وفي أغلب الحروب العقائدية فإن العاصمة بشكل عام هي مركز السلطة (القوة) الوطنية[243]. إذا كان هناك أي شك في صحة هذا الكلام فهذا الشك منفي تماماً في الحدث التالي:

باريس كانت مركز قوة فرنسا إلى حد أن ثلثي الأمة الفرنسية فيها، ونهضت ضد الحكومة التي تضطهدهم. كان الحلفاء يستطيعون التقدم إلى الأمام لو أنهم (بعد هزيمة الجيش

---

[241] بعد انتصار فالمي توجه دوميروز شمالا نحو جنوب هولندا لغرض السيطرة عليها واشتبك مع دوق تشيتشين في معركة جيمابس وانتصر إلا أنه كان انتصارا مكلفا بالنظر إلى الفارق العددي الكبير لصالحه (3 مقابل واحد) حيث كانت خسائره ضعف خسائر النمساويين ثم سقطت جنوب هولندا فيما بعد.

[242] بعد معركة جيمابس انطلق الجيش الفرنسي بقيادة دوميروز لغزو بلجيكا بأكملها إلا إنه تكبد الهزائم في معركتي نيروين ولوفين في 18 و21 من مارس سنة 1793. مما دفعه في ابريل إلى الانشقاق والانضمام إلى الحلفاء، حيث كان يخشى تصفية لجنة السلامة العامة واليعاقبة له، حيث كان من الشائع في تلك الفترة الإعدام الضباط تخوينا لهم على تقصيرهم.
تولى ديمبيير من بعده قيادة الجيوش الفرنسية وعانى من هزائم متتالية انتهت بمقتله متأثرا بجراح أصيب لها في معركة رايزميس في 8 من مايو.
بدلا من استغلال الضعف الحاصل في الجيش الفرنسي تباطأ الحلفاء، وذلك يعود لعدة أسباب منها ميل بعضهم للاكتفاء بتسوية سياسية، جاهلين بالوضع المزري الذي وصل إليه الفرنسيون. بالرغم من ذلك تباطأ الغزو ومن ثم اكتفى بحصار بعض الحصون كحصن دونكيرك (الذي فشل كما ذكرنا انفا)

[243] المؤلف: حدد الاستيلاء على باريس من قبل الحلفاء مصير نابليون، ولكن هذا لا ينفي الرأي الذي ذكرته. لم يكن لدى نابليون جيش، وهوجم من قبل كل أوروبا، وبالإضافة لذلك كان الشعب الفرنسي قد فصل قضيته عن قضية نابليون. لو كان لدى نابليون أكثر من خمسين ألف جندي من جيشه القديم لأظهر أن العاصمة هي مقر قيادته العامة.

الفرنسي في فامار[244] Famars) تركوا الهولنديين والهونوفريين لمراقبة ما تبقى من الجيش الفرنسي، بينما كان الإنجليز والنمساويين يوجهون عملياتهم نحو ميوز Meuse وساري Sarre والموسيل Moselle بالتنسيق مع البروسيين وجزء من جيش الراين الأعلى الذي لا فائدة له، وهي قوة قوامها مائة وعشرون ألف رجل أجنحتها محمية بقوات أخرى. ومن المحتمل أنه كان بإمكان الهولنديين والهونوفريين أن يؤدوا واجب مراقبة بلدتي موبوج Maubeuge وفالنسيان Valenciennes، في حين يطارد معظم الجيش بقايا قوات دامبيري وذلك دون تغيير اتجاه الحرب أو التعرض لمخاطر كبيرة. ولكن بعد تحقيق الحلفاء لبضعة انتصارات وجهوا 200000 جندي لحصار بضعة مدن ولم يسيطروا على أي أرض جديدة. وبينما كانوا يهددون فرنسا بالغزو، وضعوا 15 أو 16 فيلقاً بشكل دفاعي لتغطية حدودهم (جبهتهم) الخاصة! عندما استسلمت فالنسيان ومانيز Mayence، بدل أن يهجموا بكل قواتهم على المعسكر كامبراي Cambray هاجموا على خطوط متباعدة دونكيرك Dunkirk من جهة ولنداو Landau من جهة أخرى.

الأكثر عجباً أنه بعد بذل جهودٍ كبيرة في بداية الحملة على ميمنة مسرح العمليات العامة، كان ينبغي عليهم نقل الجهد بعد ذلك إلى أقصى الميسرة، وهكذا بينما كان الحلفاء يعملون في فلاندرز لم يتم دعمهم من قبل الجيش على الراين بأي شكل من الأشكال، وعندما بدأ هذا الجيش في الهجوم بقي الحلفاء خاملين على نهر سامبر Sambre. ألا تشبه هذه التراكيب الخاطئة تلك التي قام بها سوبيز Soubise وبروغلي Broglie في عام 1761 وجميع عمليات حرب السنوات السبع؟[245]

في عام 1794 تغيرت الأحوال بالكامل، تحول الفرنسيون من الدفاع البائس إلى الهجوم الباهر. كانت تراكيب combinations هذه الحملة بلا شك مدروسة بشكل جيد، لكن من الخطأ تقديمها على أنها نظام جديد للحرب. لكي نثبت ذلك نحتاج فقط ملاحظة تشابه مواقع جيوش كل طرف في هذه الحملة على ما كانت عليه عام 1757، وكذلك اتجاه العمليات

[244] تضاف معركة فامار Famars إلى قائمة هزائم الفرنسيين في 28 من مايو عام 1793، إلا أن الحلفاء لم يحسنوا استغلال الانتصار فيها.

[245] سوبيز وبروغلي جنرالان فرنسيان في زمن الملك لويس الخامس عشر. قادا الدفاع ضد الغزو الروسي لفرنسا خلال عام 1761. بالرغم من تحقيقهم انتصارا كبيرا في غرونبيرغ آسرين الآلاف من الجيش البروسي إلا أنهما فشلا في استغلال هذا الانتصار وتوالت عليهما الهزائم.

كان مشابه تماماً. كان للفرنسيين جيشين مؤلفين بمجموعهما من أربعة فيالق، بينما كان جيش ملك بروسيا يحتوي على أربعة فرق موزعة في جيشين.

اتخذ الجيشان الكبيران اتجاهاً تراكزياً concentric يؤدي إلى بروكسل Brussels، كالتي اعتمدها فريدريك الثاني Frederick وشفيرين Schwerin في عام 1757 في براغ. والفرق الوحيد بين الخطتين هو أن القوات النمساوية في فلاندرز لم تكن متناثرة كثيراً مثل قوات براون Brown في بوهيميا. لكن من المؤكد أن هذا الاختلاف لم يكن لصالح خطة 1794، وكذلك لم يكن موقع بحر الشمال في صالحها.[246] للالتفاف على ميمنة النمساويين رمى بيتشجيرو Pichegru بنفسه بين البحر وكتلة العدو، وهو اتجاه خطير وخاطئ بالنسبة لعملية كبيرة كهذه. هذه الحركة هي نفس حركة بنينغسن Benningsen في الجزء الأسفل من فيستولا والتي كادت أن تدمر الجيش الروسي بأكمله في عام 1807.[247] إن مصير الجيش البروسي الذي قُطِع من اتصالاته ودُفِع على بحر البلطيق هو دليل آخر على هذه الحقيقة. لو أن أمير كوبورغ تصرف ببراعة (بصلاحيات كاملة) لكان بإمكانه بسهولة أن يجعل بيتشجيرو Pichegru يندم على هذه المناورة المتهورة، والتي حدثت قبل شهر من استعداد جوردان لمساندة أمير كوبورغ Coburg.[248]

كان وسط (قلب) الجيش النمساوي الكبير الذي كان ينوي القيام بالهجوم يقع قبل لاندريكس Landrecies. كان الجيش يتألف من مائة وست كتائب ومائة وخمسين سرية. على الميمنة كانت فلاندرز مغطاة من قِبل فيالق الجنرال كليرفايت Clairfayt (النمساوي)، وعلى الميسرة كانت شارليروي Charleroi يغطيها الأمير دي كونيتز de Kaunitz (النمساوي). الانتصار الذي حدث قرب أسوار لاندريكس أدى إلى فتح أبوابها؛ وبأسر الجنرال شابويس Chapuis انكشفت خطة الهجوم التضليلي على فلاندرز Flanders. تم إرسال اثني عشر كتيبة إلى كليرفايت Clairfayt فقط. بعد فترة طويلة وبعد أن انتصر الفرنسيون، سار فيلق

---

[246] في عام 1794 استعاد الفرنسيون المبادرة وحققوا انتصارات باهرة انتهت بالسيطرة على بلجيكا وأرض الراين وتوجهوا في نهاية العام نحو جنوب هولندا. إلا أن الحملة لم تخل من بعض الأخطاء العسكرية التي شابتها كما ذكر المؤلف.

[247] يقصد بحركة الجنرال الروسي بينغسن في يناير 1807 بتوجيه كتلة جيشه غربا نحو ميسرة نابليون في بروسيا الشرقية. حاول نابليون استدراجه وسحب ميسرته ببطئ لغرض الالتفاف بميمنته لقطع طريق إمداد الجيش الروسي ودفعه نحو بحر البلطيق، إلا أن هذه الخطة انكشفت بسبب وقوع مراسل نابليون حاملا هذه التعليمات لإحدى فيالقه بيد الروس مما دفع بينغسن للانسحاب السريع نحو شمال الشرق تجنبا للتطويق.

[248] الامير فريدريك كوبرغ (1737-1815) جنرال نمساوي قاد جيش التحالف من جبهة بلجيكا وتعرض لهزيمة نكراء على يد بيتشيجرو إبان حملة فلاندرز.

دوق يورك لإراحة كليرفايت Clairfayt، ولكن ماذا كانت الفائدة من باقي الجيش قرب لاندريكس Landrecies بعد أن اضطروا إلى تأخير الغزو بسبب إرسال دوق يورك؟ لقد ضيع بيتشجيرو Pichegru جميع فوائد موقعه المركزي، من خلال السماح للفرنسيين بالتركيز في بلجيكا والتغلب على جميع مفارزه الكبيرة كلٍ على حدة.[249]

أخيراً تحرك الجيش وترك فرقة في كاتو Cateau، وتم إرسال جزء إلى الأمير دي كونيتز في شارليروي (تشارلوري). لو أن الجيش الكبير تم توجيهه إلى توركون Turcoing بدلاً من تقسيمه لتمركزت مائة كتيبة ومائة وأربعون سرية، وماذا كانت ستكون نتيجة الهجوم التضليلي الشهير لبيتشجيرو Pichegru، معزولاً عن جبهته الخاصة ومحصوراً بين البحر وقلعتين معاديتين؟

لم تحتوي خطة الغزو التي تبناها الفرنسيون على خطأ جذري في الخطوط الخارجية فحسب، بل حدث فشل في التنفيذ أيضاً. حدث الهجوم التضليلي على كورتراي Courtray في 26 أبريل، ولم يصل جوردان Jourdan إلى شارليروي Charleroi حتى يوم 3 حزيران/يونيو،[250] أي خلال أكثر من شهر بعد الهجوم. هنا كانت فرصة رائعة للنمساويين لكسب المعركة من خلال موقعهم المركزي. لو أن الجيش البروسي ناور من الميمنة والجيش النمساوي من الميسرة (وكلاهما على نهر ميوز) لكان الوضع مختلفاً. من خلال تثبيت مواقعهم في مركز خط من القوات المنتشرة (تركيز قواتهم)، كان بإمكانهم منع تقاطع الأجزاء المختلفة للعدو. قد يكون من الخطورة في معركة ضارية مهاجمة وسط (قلب) خط متصل من قوات العدو عندما يكون العدو قادراً على دعم الخط مباشرة من قبل الأجنحة والاحتياط، لكن الأمر مختلف تماماً على خط يمتد طوله حتى ثلاثمائة ميل.

في عام 1795 انسحبت بروسيا وإسبانيا من التحالف، وتم تحويل المسرح الرئيسي للحرب من نهر الراين إلى إيطاليا، حيث فُتح ميدان جديد لأمجاد الجيوش الفرنسية. كانت خطوط

[249] أستطاع الجيش النمساوي حصار لاندريكس والسيطرة عليها يوم 30 أبريل 1794 وبعد أن صد محاولتين لفك الحصار تم أسر الجنرال شابيوس في الثانية بعد محاولته الهجوم على قوات حماية الحصار بقيادة دوق يورك وانكشفت خطة بيتشيجرو للقيام بهجوم تضليلي. كانت الخطة أن يقوم الفرنسيون بهجوم من محورين، المحور الأساسي هو المحور الشمالي من ناحية فلاندرز الغربية، بينما المحور الثانوي بقيادة جوردان يهجم نحو تشارلوري، الهجوم التضليلي يقوم به شابيوس لغرض فك الحصار عن لاندريكس. إلا أن إلا أن النمساويين فشلوا في الإستفادة من ذلك وجلسوا 11 يوما بعد تحرير لاندريكس من دون عمل حتى فوتوا فرصة الالتفاف على يتشيجرو في المحور الشمالي. بنهاية حزيران استعاد الفرنسيون لاندريكس فيما خسر النمساويون حتى بروكسل وسقطت بلجيكيا بيد الفرنسيين.

[250] يشير المؤلف إلى ضعف التنسيق بين قطعات الجيش الفرنسي

عملياتهم في هذه الحملة[251] مزدوجة، كانوا يرغبون في العمل منطلقين من دوسلدورف Dusseldorf ومانهايم Manheim. كان كليرفايت Clairfayt أكثر ذكاء من أسلافه، حيث ركز قواته بالتبادل على هذه النقاط، وحقق انتصارات حاسمة في مانهايم Manheim وعلى خط ماينز Mayence حتى أنها تسببت بعودة جيش سامبري Sambre وميوز Meuse الفرنسي وعبوره الراين لتغطية موسيل Moselle، وعودة بيشجرو Pichegru إلى لاندو Landau.

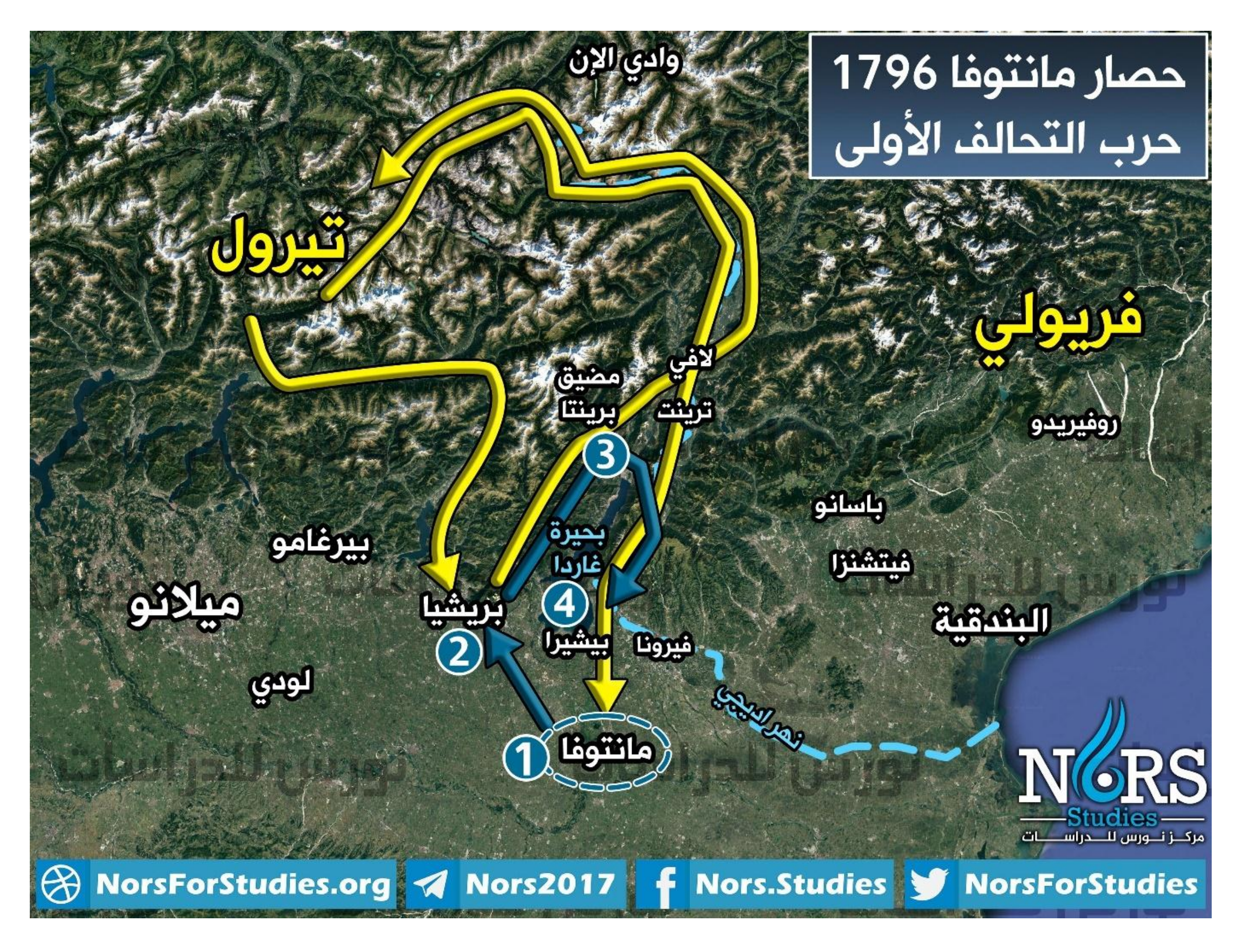
في عام 1796 تم تقليد خطوط العمليات على نهر الراين كتلك في 1757 وكتلك في فلاندرز 1794، ولكن حققت هذه الخطوط نتائج مختلفة. انطلق كل من جيش الراين وجيش سامبري Sambre وميوز Meuse من إحدى طرفي القاعدة على الطرق المتقاربة نحو الدانوب، كما في عام 1794 كانت الخطوط الخارجية. استفاد الأرشيدوق تشارلز الأكثر مهارة من أمير كوبورغ من خطوطه الداخلية من خلال تركيز قواته عند نقطة أقرب مما توقع الفرنسيون. ثم اغتنم الفرصة عندما منح نهر الدانوب غطاء لجيش لاتور Latour واختلس المسير نحو جيش مورو وهاجم جوردان وتغلب عليه، حيث حدثت معركة فورتسبورغ Wurzburg التي حددت مصير ألمانيا وأجبرت جيش مورو على الانسحاب.[252]

في تلك الأثناء بدأ نابليون في إيطاليا مسيرته العظيمة، تمثلت خطته بفصل الجيشين البيمونتي والنمساوي عن بعضهما البعض. نجح في معركة ميليسيمو Millesimo في إجبارهم على أخذ خطين استراتيجيين خارجيين، وانتصر عليهما في موندوفي Mondovi ولودي Lodi كل على حدة. جمع الحلفاء جيشاً هائلاً في تيرول لرفع الحصار عن مانتوفا Mantua، وارتكب هذا الجيش خطأً في السير، حيث سار بفيلقين تفصل بينهما بحيرة. كان نابليون أسرع من البرق، رفع الحصار وأخلى كل المناطق حول مانتوفا، ووجه الجزء الأكبر من قوته على الرتل الأول الذي ينساح بالقرب من بريشيا Brescia وتغلب عليه وأجبره على العودة إلى الجبال، ووصل الرتل الثاني إلى نفس الأرض وتعرض للهزيمة أيضاً، واضطر إلى الانسحاب إلى تيرول للحفاظ على الاتصال مع الميمنة.

[251] يقصد حملة الراين والتي لم تكن موفقة كالحملة على إيطاليا

[252] حدثت معركة فورتسبورغ في 3 سبتمبر 1796 بين جيش النمسا بقيادة أرشدوق تشارلز وجيش الجمهورية الفرنسية الأولى بقيادة جان بابتيست جوردان. هاجم الفرنسيون قوات الأرشيدوق ، لكنهم قاوموا حتى وصول التعزيزات (التي تأتي باستخدام الخطوط الداخلية) مما رجح كفة المعركة لصالح النمساويين. تراجع الفرنسيون غربًا نحو نهر الراين. فورتسبورغ تقع 95 كيلومترا (59 ميل) جنوب شرق فرانكفورت.

أراد وورمسر Wurmser (الذي لم يستفد من هذه الدروس) تغطية خطي روفريدو Roveredo وفيتشنزا Vicenza، بعد أن انتصر نابليون ودفع الجيش الأول نحو لافي Lavis غير اتجاه الميمنة منفتحاً من مضيق برينتا Brenta نحو الميسرة وتغلب على الجيش الثاني (النمساوي)، وأجبر بقاياه على اللجوء إلى مانتوفا، حيث أجبرت أخيراً على الاستسلام.



في الراين عام 1799 حين استؤنفت الأعمال القتالية من قبل الفرنسيين (الذين تعرضوا للهزيمة لتشكيلهم خطين خارجيين في عام 1796) ومع ذلك وضعوا ثلاثة خطوط خارجية على الراين والدانوب. راقب الجيش على الميسرة الراين الأسفل، بينما يسير القلب على الدانوب، نحو سويسرا ملتفاً على إيطاليا وشوابيا (شفابن) Swabia، بينما يحتل جيش ثالث إيطاليا وشوابيا بقوة تعادل قوة الجيشين الآخرين. يمكن أن تتركز الجيوش الثلاثة فقط في وادي إنّ Inn الواقع على بعد ثمانون فرسخاً (حوالي 400كم) من قواعد عملياتهم. لدى الأرشيدوق قوة عسكرية مساوية ركزها ضد قلب الفرنسيين، فهزمهم في شتوكاخ

Stockach، واضطر جيش سويسرا لإخلاء جريسونز Grisons وشرق سويسرا. والحلفاء بدورهم ارتكبوا نفس الخطأ، فبدلاً من متابعة نجاحهم على هذا الخط المركزي (الذي كلفهم ثمناً باهظاً للغاية) شكلوا خطاً مزدوجاً في سويسرا وعلى الراين الأسفل. تعرض الجيش الذي وصل سويسرا للهزيمة في زيورخ Zurich، في حين أن الآخر كان يضيّع وقته في مانهايم.

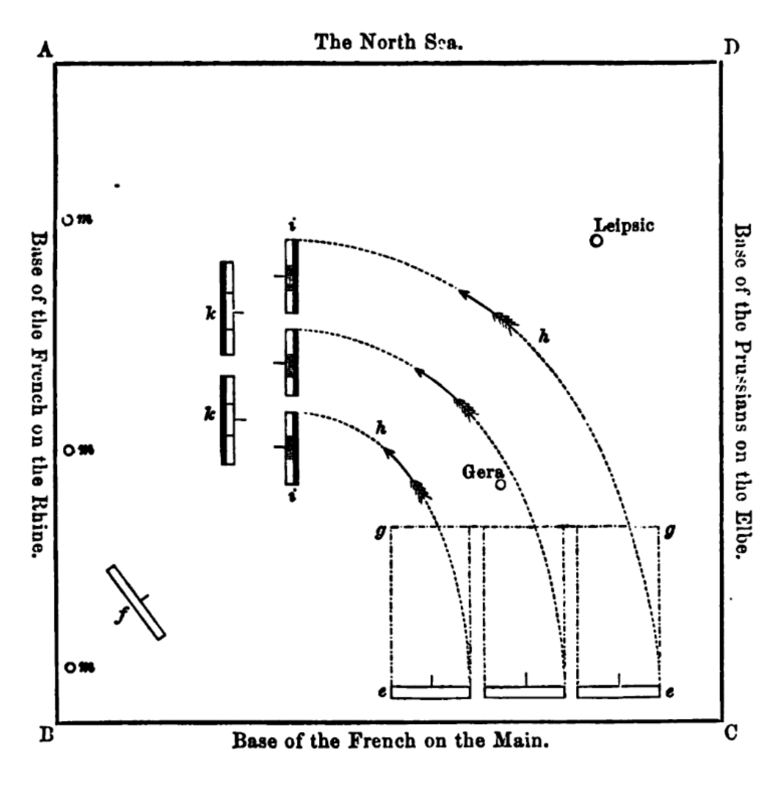
في إيطاليا قام الفرنسيون بمبادرة مزدوجة، تاركين 32 ألف جندياً في نابولي بلا فائدة، بينما على أديجي (حيث هي النقطة الحاسمة) كانت القوات ضعيفة للغاية وتتلقى هزائم ساحقة. عندما انسحب جيش نابولي إلى الشمال ارتكب خطأ آخر وذلك لاتخاذه اتجاه استراتيجي معاكس لاتجاه جيش مورو، بينما سواروف عن طريق موقعه المركزي والذي استغله أحسن استغلال لتحقيق الفائدة، تقدم ضد جيش نابولي وغلبه، في حين كان على بعد بضعة فراسخ منه جيش مورو.[253]

في عام 1800 عاد نابليون من مصر وقد كان كل شيء متغيراً مرة أخرى، قام بحملة قدّمت تركيبة جديدة من خطوط العمليات؛ تقدم مائة وخمسين ألف جندي على جناحي سويسرا وانساح أحد الجناحين على نهر الدانوب والآخر على نهر بو، حيث ضمن ذلك غزو مناطق واسعة. لا يوجد في التاريخ الحديث تراكيب مشابهة. الجيوش الفرنسية باستخدام الخطوط الداخلية قدموا دعماً متبادلاً، في حين أن النمساويين اضطروا إلى استخدام خط خارجي، مما جعل التواصل مستحيلاً بالنسبة لهم. وبترتيب ماهر لتقدمه، قام الجيش الاحتياطي بقطع العدو من خط عملياته، وفي الوقت نفسه بالحفاظ على اتصالاته الخاصة مع قاعدته ومع جيش الراين الذي يشكل خطه الثانوي.

يوضح الشكل 3 هذه الحقيقة ومواقف كلا الطرفين. تشير A وAA إلى جبهة عمليات جيوش نهر الراين والاحتياطي، بينما B وBB كراي وميلاس، فيما تمثل C C C C ممرات سانت بيرنارد وسيمبلون Simplon وسانت غوثارد Saint-Gothard وسبولجين Splugen، يشير D إلى خطي عمليات جيش الاحتياطي، وE إلى خطي انسحاب ميلاس.

[253] حدثت هذه الأحداث خلال الحملة السويسرية الإيطالية عامي 1799 و1800 خلال غياب نابليون في مصر. كان الجيش الفرنسي مقسما بين نابولي تحت قيادة ماكدونالد وبين شمال إيطاليا تحت قيادة مورو. امتاز جيش سواروف بسرعته الفائقة واستطاع إذاقة مورو مرارة هزيمتين على أثرها انسحب مورو من إيطاليا. حاول ماكدونالد إنقاذ الموقف بإحاطة جيش سواروف من الخلف بينما مورو من الأمام. لم يمهل سواروف ماكدونالد طويلا حتى قضى على جيشه وأكمل مورو انسحابه.

وتمثل H J K فرق الجيش الفرنسي الحامية لخط الانسحاب. وهكذا يمكن أن نرى أن ميلاس معزولاً عن قاعدته، وأنه على العكس فإن الجنرال الفرنسي لا يقوم بأي مخاطرة، لأنه يحافظ على جميع اتصالاته مع الجبهة والخطوط الثانوية.



الشكل (3)

يوضح الشكل 3 القاعدة رقم 3 من قواعد العمليات

يتحرك الجيش الفرنسي من قاعدته على الماين ، ويركز في g g ، خلف جبال فرانكونيا. ثم يحول جبهته الأمامية (h i) من أجل قطع البروسيين (k k) من قاعدتهم على نهر إلبه ، مع الحفاظ على اتصالاته الخاصة (hge).

إذا رمى البروسيون بأنفسهم بين k و e ، فإنهم يفتحون أمام الفرنسيين اتصالاتهم المباشرة مع نهر الراين (m m m).



إسقاط الشكل رقم 3 على خرائط حقيقية

إن تحليل الأحداث البارزة التي رسمناها تظهر بوضوح أهمية الاختيار الصحيح لخطوط المناورة في العمليات العسكرية. في الواقع قد يكون الاجتهاد في هذا الأمر من شأنه أن يصحح كوارث الهزيمة، ويدمر مزايا انتصار الخصم ويجعل غزوه فاشلاً أو يضمن احتلال مقاطعة.

من خلال المقارنة بين الإعدادات ونتائج الحملات الأكثر شهرة سيتبين أن خطوط العمليات التي أدت إلى النجاح قد تم تأسيسها وفقاً للمبدأ الأساسي الذي تمت الإشارة إليه بالفعل

وهي: **خطوط العمليات البسيطة والداخلية تمكن الجنرال من حركات استراتيجية تؤدي إلى تركيز قوة أكبر من قوة العدو في نقطة معينة.** قد يرضي الطالب نفسه أيضاً أن يتذكر أن أولئك الذين فشلوا في حملاتهم ارتكبوا أخطاء عارضوا فيها هذا المبدأ. عدد لا مبرر له من الخطوط يقسم القوات، ويسمح للعدو بسحق الكتل الصغيرة من القوات.

قواعد لخطوط العمليات:

من تحليل جميع الأحداث المشار إليها هنا، وكذلك العديد من الأحداث الأخرى، تم استنتاج القواعد التالية:

1. **إذا كان فن الحرب يتمثل بإحضار أكبر قدر ممكن من القوة نحو النقطة الحاسمة في مسرح العمليات؛ فإن اختيار خط العمليات (باعتباره الوسيلة الأساسية لتحقيق هذه الغاية) يمكن اعتباره الفكرة الأساسية في إعداد خطة جيدة للحملة.** أثبت نابليون هذا من خلال الاتجاه الذي أعطاه لجيوشه في عام 1805 في دوناوفورت ، وفي 1806 في جيرا وهي مناورات لا يمكن لكثير من العسكريين من استقراءها بسهولة.

   بالطبع من المستحيل رسم الحملة بأكملها مقدماً، سيتم تحديد نقطة الهدف عند التقدم (مسبقاً). الخطة العامة التي يجب اتباعها لتحقيق ذلك والمبادرة الأولى التي يتعين القيام بها لتحقيق هذه الغاية تعتمد على نتيجة العملية الأولى والمراحل الجديدة التي قد تنشأها.
2. يعتمد الاتجاه الذي سيعطى لهذه الخطوط على الوضع الجغرافي لمسرح العمليات، لكنه يعتمد أكثر على موقع الكتل المعادية في هذا الميدان الاستراتيجي. مع ذلك **يجب أن يتم توجيه الخطوط إلى القلب أو على أحد الأجنحة. فقط عندما تكون قوات الهجوم متفوقة بشكل كبير سيكون العمل على القلب والأجنحة في نفس الوقت وإلا سيعتبر ذلك خطأً فادحاً[254].**

   قد يتم وضع مبدأ عام يقضي بأنه إذا قسم العدو قواته على جبهة ممتدة (طويلة) فإن أفضل اتجاه لخط المناورة سيكون على القلب، ولكن في أي حالة أخرى (جبهة غير

[254] المؤلف: لا يعتمد ضعف أو تفوق الجيش على عدد الجنود فقط، حيث تعتبر القدرات العسكرية والمعنويات وقدرات القائد عناصر مهمة جداً.

طويلة) وعندما يكون ذلك ممكناً يجب أن يكون الاتجاه على أحد الأجنحة، ومن ثم يليها في الأفضلية الاتجاه نحو مؤخرة خط دفاع العدو أو جبهة عملياته.

تنبع ميزة هذه المناورة من الفرصة التي سنحت من خلال الاستيلاء على خط الدفاع من الاتجاه المعاكس، أكثر من حقيقة أن المهاجم الذي يستخدمها يتعامل مع جزء من قوة العدو فقط. وهكذا فإن جيش الراين في عام 1800 الذي استولى على أقصى ميسرة خط الدفاع عن الغابة السوداء، أجبر العدو على الاستسلام من دون جهد يُذكَر. خاض هذا الجيش معركتين على الضفة اليمنى من نهر الدانوب، والتي على الرغم من أنها لم تكن حاسمة إلا أنها من التوجيه العبقري لخط العمليات، وأدت إلى غزو شوابيا وبافاريا. كانت نتائج مسيرة جيش الاحتياطي عبر ممر سانت برنارد وميلانو نحو أقصى ميمنة ميلاس أكثر روعة.[255]

3. **حتى عندما يتم السيطرة على إحدى أجنحة جبهة عمليات للعدو، فإنه ليس من الآمن دائماً الهجوم على المؤخرة، حيث أن المهاجم في كثير من الحالات سيفقد اتصالاته الخاصة. لتجنب هذا الخطر ينبغي أن يكون لخط العمليات اتجاه جغرافي واستراتيجي بحيث يجد الجيش المهاجم دائماً خطاً آمناً للانسحاب إما من خلفه أو ميمنته أو ميسرته.** في هذه الحالة للاستفادة من أي خط انسحاب من إحدى الأجنحة يتطلب ذلك تغيير اتجاه خط العمليات (القاعدة 12).

القدرة على اتخاذ قرار بشأن هذا الاتجاه هي من بين أهم مؤهلات الجنرال، ويتم توضيح أهمية الاتجاه من خلال الأمثلة التالية:

بعد اجتياز ممر سانت بيرنارد في عام 1800، لو سار نابليون نحو أستي Asti أو ألساندريا Alessandria، وقاتل في مارينغو Marengo دون أن يحمي نفسه مسبقاً من جهة لومباردي ومن الضفة اليسرى لبو؛ لتم قطعه تماماً عن خط انسحابه وحتى أكثر من انقطاع ميلاس عن خط انسحابه، ولكن سيطرته على النقاط الثانوية من كاسال وبافيا Pavia على جانب سانت بيرنارد، وسافونا Savona وتيند Tenda (Tende)

[255] أشرنا اليها في الخريطة خلال حرب التحالف الثانية عندما استطاع مورو الالتفاف على النمساويين، بينما عبور سانت بيرنارد أشرنا إليه في الفصل الأول.

قرب جبال الأبينين Apennines ضمنت له استعادة فار Var أو فاليه Valais في حالة الهزيمة.



في عام 1806 لو تقدم نابليون من جيرا مباشرة نحو لايبزج، وانتظر الجيش البروسي العائد من فايمار Weimar لقُطِع عليه طريقه نحو قاعدته على نهر الراين مثل انقطاع دوق برونزويك عن قاعدته في إلبه، إلّا أنه من خلال تراجعه غرباً نحو فايمار وضع جبهته أمام الطرق الثلاثة في زالفلد Saalfeld و Schleiz شلايتس وهوف Hof، والتي أصبحت بالتالي خطوط اتصال مغطاة (محمية) بشكل جيد. حتى لو حاول البروسيون قطعه عن هذه الخطوط بالوصول للمنطقة بين جيرا وبايرويت Baireuth (Bayreuth) لكانوا قد فتحوا له خطاً آخر بكل بساطة، وهو الطريق الممتاز من لايبزج حتى

فرانكفورت Frankfort، وكذلك الطريقين اللذين يقودان من ساكسونيا Saxony عبر كاسيل Cassel إلى كلوبنتز وكولونيا Cologne وحتى فيزل Wesel.



4. يجب ألا يتم تشكيل جيشين مستقلين على الجبهة نفسها، حيث لا يمكن أن يكون هذا الترتيب سليماً إلا في حالة التحالفات الكبيرة، أو عندما تكون القوات التي تحت تصرفنا كبيرة جداً بحيث لا يمكن إدارتها كلها في نفس منطقة العمليات، وحتى في هذه الحالة فمن الأفضل أن تكون جميع القوات تحت إمرة قائد واحد يرافق الجيش الرئيسي.
5. نتيجة للقاعدة السابقة خط العمليات المفرد أفضل من الخط المزدوج مع وجود عدة كتل عسكرية متساوية على نفس الجبهة.

6. مع ذلك قد يصبح من الضروري إنشاء خط مزدوج إما نتيجة لطبوغرافية مسرح الحرب، أو بسبب اعتماد العدو خطاً مزدوجاً، وسيكون من الضروري وضع جزء من الجيش مقابل كل جزء من جيش العدو.
7. في هذه الحالة فإن الخطوط الداخلية أو المركزية ستكون أفضل من الخطوط الخارجية، حيث في الحالة السابقة يمكن تركيز أجزاء الجيش قبل (أمام) أجزاء جيش العدو، وبالتالي قد تُقرر مصير الحملة[256]. يمكن للجيش من خلال خطة استراتيجية موحدة جيدة، أن يتحد على أجزاء قوات الخصم ويتغلب عليها كل على حدة. لكي نضمن النجاح في هذه المناورات، يجب ترك قسم من الجيش للمراقبة أمام الجيش المراد صده، مع تعليمات لتجنب حدوث أي اشتباك جدي إلا لغرض تأخير العدو قدر الإمكان من خلال الاستفادة من الأرض، مع التراجع باستمرار للالتحاق بالجيش الرئيسي.
8. يمكن استخدام الخط المزدوج في حالة التفوق العددي الحاسم للقوة، بحيث يكون كل جيش كفؤ لأي قوة يمكن للعدو أن يوجهها ضده. في هذه الحالة سيكون هذا المساق مفيداً، لأن خطاً واحداً من شأنه أن يحشر القوى إلى حد يمنع الجميع من العمل بشكل مفيد. ومع ذلك سيكون من الذكاء دائماً دعم الجيش الذي سيُكلَف بأهم واجب للقيام به (بسبب طبيعة مسرح الحرب ومواقع الطرفين) جيداً.
9. الأحداث الرئيسية للحروب الحديثة تثبت صحة القاعدتين التاليتين:

- القاعدة الأولى: إن جيشين يعملان على الخطوط الداخلية ويدعمان بعضهما البعض بالتبادل ويواجهان جيشين متفوقين في العدد، لا ينبغي أن يُحشَرا ليزدحما في مساحة ضيقة جداً، حيث يمكن التغلب عليهما بسهولة. هذا ما حدث لنابليون في معركة لايبزش[257].
- القاعدة الثانية: هي أن الخطوط الداخلية لا ينبغي أن يُساء استعمالها من خلال مدها إلى مسافات بعيدة، وبالتالي إعطاء العدو فرصة للتغلب على فيالق المراقبة. ومع

---

[256] المؤلف: عندما يتم فصل أجزاء الجيش عن الجسم الرئيسي بمسير عدة أيام فقط وخاصة عندما لا يكون الهدف منها هو العمل بشكل منفصل خلال الحملة، فتُعتبَر مواقع استراتيجية مركزية وليست خطوط عمليات.

[257] المؤلف: في التحركات التي سبقت معركة لايبزش (لايبزج) مباشرة من المؤكد أن نابليون لم يكن له سوى خط واحد من العمليات، وكانت جيوشه في مواقع استراتيجية مركزية فقط. لكن المبدأ هو نفسه، وبالتالي فإن المثال يوضح خطوط العمليات.

ذلك يمكن تحمل هذه المخاطرة إذا كانت النهاية المرجوة حاسمة جداً في إنهاء الحرب، عندما يكون مصير هذه الكتل الثانوية أقل أهمية نسبياً.

10. وللسبب نفسه الخطوط المتراكزة أكثر فائدة من الخطوط المتباعدة، الأولى تتفق بشكل أفضل مع مبادئ الاستراتيجية، وتمتلك ميزة تغطية خطوط الاتصال والإمداد، ولكي تأمن من الخطر يجب أن تكون مرتبة بحيث لا تتعرض الجيوش التي تمر عليها بشكل منفصل على قوات العدو المتحدة قبل أن تتحد هي.

11. ومع ذلك، قد تكون الخطوط المتباعدة مفيدة عندما ينكسر قلب العدو وتتباعد قواته إما بسبب معركة أو بسبب الحركات الاستراتيجية، وفي هذه الحالة ستؤدي العمليات المتباعدة إلى تشتيت العدو. هذه الخطوط المتباعدة أشبه ما تكون بالخطوط الداخلية، حيث يمكن للمطارِدين التركيز بسهولة أكثر من المطارَدين.

12. في بعض الأحيان يحدث أن يكون الجيش ملزماً بتغيير خط عملياته في منتصف الحملة. هذه خطوة حساسة جداً ومهمة قد تؤدي إلى نجاحات كبيرة، أو إلى كوارث كبيرة إذا لم تُطبَق بحكمة، وتستخدم فقط لإنقاذ جيش من موقف محرج. أجرى نابليون العديد من هذه التغييرات في غزواته الجريئة، كان مزوداً بخطط جديدة لمواجهة الأحداث الغير متوقعة. في معركة أوسترليتز، إذا تعرض نابليون للهزيمة كان سيقرر اعتماد خط عمليات عبر بوهيميا نحو باساو أو راتيسبون، والتي كانت ستفتح بلداً جديداً وغنياً له بدل العودة من فيينا، وهو الطريق الذي يمر عبر بلد مدمَّر والذي كان الأرشيدوق تشارلز يحاول قطعه.[258]

---

[258] معركة أوسترليتز (الفرنسية: Bataille d'Austerlitz) أو معركة الأباطرة الثلاثة هي معركة تعد من أهم المعارك التي دارت في قارة أوروبا والمعروفة أيضا باسم معركة الأباطرة الثلاثة، وكانت أحد أهم النزاعات الحاسمة في الحروب النابليونية. وقعت معركة أوسترليتز في 2 ديسمبر 1805 بين قوات التحالف وهي الإمبراطورية الروسية بقيادة القيصر الروسي ألكسندر الأول والإمبراطورية الرومانية المقدسة بقيادة الإمبراطور فرانسيس الثاني. من جانب ومن الجانب الآخر الامبراطورية الفرنسية بقيادة الإمبراطور نابليون بونابرت انتهت المعركة بانتصار حاسم للفرنسيين .
في هذه المعركة تعمد نابليون استدراج العدو نحو ميمنته وأظهر ضعفها، بعد ان وقع تشارلز (الذي تولى هذا الهجوم وقاد ميسرة الحلفاء) بالفخ استطاع نابليون تثبيته مع طرد قلب وميمنة العدو بعد أن وصلت تعزيزاته واستطاع السيطرة على هضبة حاكمة في وسط السهل مما ألقى الرعب في ميسرة العدو وأدى إلى هروبهم بشكل عشوائي خوفا من التطويق ووقع الآلاف منهم في البحيرة المتجمدة مما أدى لهلاكهم وحقق نابليون انتصارا حاسما في المعركة.

نفذ فريدريك واحدة من هذه التغييرات في خط العمليات بعد رفع حصار أولموتز.[259] في عام 1814 بدأ نابليون في تنفيذ مناورة أكثر جرأة، إلا أنها مميزة من ناحية المواقع، كان من المقرر أن يتمركز على قلاع الألزاس واللورين تاركاً الطريق إلى باريس مفتوحة للحلفاء. لو انضمت إليه مورتيير ومارمونت وكان لديه زيادة في عدد الجنود قدرها خمسين ألف جندي، فإن هذه الخطة كانت ستحقق النتائج الأكثر حسماً وكانت ستضع النهاية لمسيرته العسكرية.[260]

13. كما ذكرنا من قبل فإن شكل الجبهة والطابع الجغرافي لمسرح العمليات لهما تأثيراً كبيراً على الاتجاه الذي سيُعطَى لهذه الخطوط، وكذلك على المزايا المكتسبة. المواقع المركزية الناتئة تجاه العدو (مثل بوهيميا وسويسرا) هي الأكثر إفادة؛ لأنها تؤدي تلقائياً إلى تبني الخطوط الداخلية وتسهيل مشروع الهجوم على العدو من الخلف. تصبح جوانب هذه الزاوية الناتئة مهمة للغاية بحيث يجب أن تُتَخذ جميع الوسائل لجعلها منيعة. وفي حالة عدم وجود مثل هذه المواقع المركزية فيمكن اكتساب مزاياها من خلال الاتجاهات النسبية لخطوط المناورة، كما سيوضح الشكل التالي. المناورة CD على ميمنة جبهة جيش AB، وHI على ميسرة جيش GF ستشكل خطين داخليين IK وCK على طرف الخطوط الخارجية AB وFG، والتي قد تتغلب عن طريق تركيز القوة على كل كتلة للعدو على حدة. كانت هذه نتيجة عمليات 1796 و1800 و1809.[261]

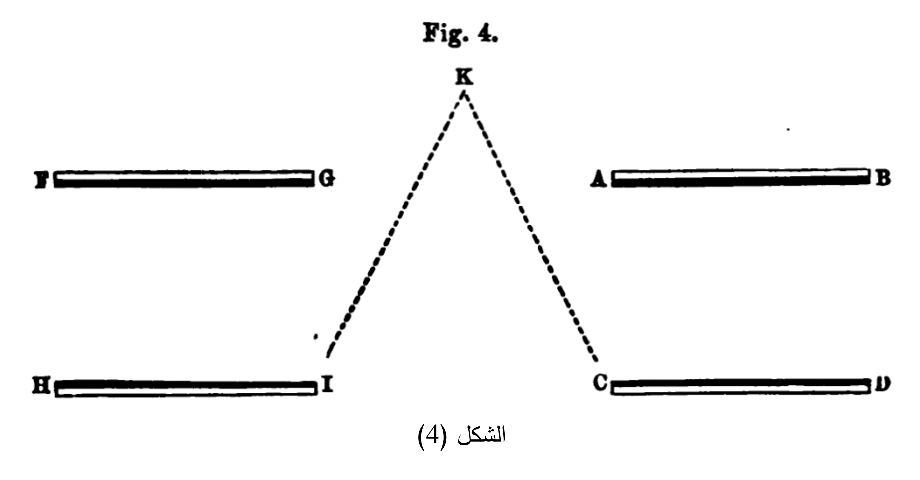
---

[259] تقع مدينة أولمتز Olmutz شرق التشيك الحالية، حدث هذا الحصار من قبل فريدريك الثاني على القوات النمساوية في الحرب السيليزية الثالثة خلال حرب السبع سنوات عام 1758، كان متوقعا أن يأتي فريدريك من جهة بوهيميا (غربا) إلا أنه أتى من اتجاه مورافيا (شرقا وجنوبا)، مع ذلك اضطر لإنهاء الحصار متجها نحو بوهيميا مغيرا خطا عملياته.

[260] كان هذا ضمن التصدي الأخير للتحالف السادس ضده إبان الحملة الفرنسية عام 1814 وانتهت بسيطرة التحالف على باريس واستسلام نابليون.

[261] في عام 1796 فصل نابليون بهذه الطريقة بين الجيشين النمساوي والبيدنومي في حرب التحالف الأولى، مما مهد بعد ذلك للقضاء على كل جيش على حدة. عام 1800 في حرب التحالف الثانية استطاع نابليون الفصل بين جيشي أوت وميليس (النمساويين) مؤقتا في إيطاليا، بعد الدخول في معركة مارينغو اضطر نابليون في البداية الانحساب بشكل منظم وتكتيكي لأن الجيشين النمساويين استطاعوا الاندماج، بعد الانتصار المؤقت للنمساويين تفرق النمساويين قليلا للراحة وانسحب ميلاس خلف نهر بو لمقره لإبلاغ العاصمة فيينا بانتصاره وتولى قيادة بقية الجيش الجنرال زاك. على حين غفلة من النمساويين أتت تعزيزات لنابليون من قبل ديساي وبودو (باستخدام الخطوط الداخلية) ونظم صفوفه نابليون من جديد ليسحق آلالف النمساويين ويأسر الآلاف وانتهت المعركة بانتصار تاريخي حاسم لنابليون.

عام 1809 في معركة واغرام Wagram التي حدثت فرب فيينا ضمن حرب التحالف الخامسة، استطاع نابليون تقسيم قوات الأرشيدوق شارلز النمساوية لثلاثة قوات استطاع هزيمة كل منها على حدة، أدت هذه المعركة في النهاية لاستسلام تشارلز وطلبه لمعاهدة صلح أخرجت النمسا من التحالف الخامس.



الشكل (4)

إسقاط الشكل على خرائط حقيقية

14. يؤثر الشكل العام للقواعد على الاتجاه الذي ستتخذه خطوط العمليات، حيث أن هذه الخطوط تعتمد بشكل طبيعي على القواعد. لقد بينا بالفعل أن التفوق الحقيقي الذي يمكن أن ينتج من اختيار القواعد هي عند جعل الجبهات موازية لخط عمليات العدو، مما يتيح فرصة الاستيلاء على هذا الخط وقطعه عن قاعدته. ولكن لو حدث بدلاً من توجيه العمليات نحو نقطة حاسمة، أن تم اختيار خط العمليات بشكل سيء فقد تضيع جميع مزايا القاعدة المتعامدة كما سيظهر بالإشارة إلى الشكل 1 الموجود في الصفحة. الجيش E يمتلك قاعدة مزدوجة في AC وCD، إذا سار باتجاه F بدلاً من الميمنة نحو GH، سيفقد كل المزايا الاستراتيجية لقاعدة CD.

إذن يكمن الفن العظيم لتوجيه خطوط العمليات بشكل صحيح في تأسيسها مستندة على القواعد وعلى مسيرات الجيوش للاستيلاء على خطوط اتصالات العدو دون تعريض خطوطنا للخطر، وهذه هي المشكلة الأكثر أهمية والأكثر صعوبة في الاستراتيجية.

15. هناك نقطة أخرى تمارس تأثيراً واضحاً على اتجاه خط العمليات، وهي عندما تكون المبادرة المبدئية (الأولية) للحملة هي عبور نهر كبير في ظل تواجد كثيف لعدو متجهز بشكل جيد.

في هذه الحالة لا يعتمد اختيار هذا الخط على رغبة الجنرال أو المزايا التي يمكن الحصول عليها من هجوم على نقطة أو أخرى؛ سيكون الاعتبار الأول هو التحقق من المكان الذي يضمن تنفيذ العبور بسلام، وحيث يمكن العثور على الوسائل والمعدات لتحقيق هذا الغرض. كان سبب عبور جوردان Jourdan لنهر الراين عام 1795 بالقرب من دوسلدورف Dusseldorf لنفس سبب عبور مارشال باسكوفيتش Paskevitch فيستولا Vistula عام 1831 بالقرب من أوسييك، وهو أنه في كلا الحالتين لم يكن هناك المعدات اللازمة لمد الجسور لهذا الغرض واضطر كلاهما للحصول على قوارب نهرية كبيرة اشتراها الفرنسيون في هولندا، والروس في ثورن Thorn ودانسك Dantzic. سمح حياد بروسيا بركوب النهر في الحالتين، وكان العدو غير قادر على منع ذلك. هذه الميزة التي لم تكن في الحسبان على ما يبدو ساعدت

الفرنسيين على الغزو مرتين في عامي 1795 و1796، والتي فشلت لأن خط العمليات المزدوج تسبب في هزيمة الجيوش كل على حدة. كان باسكافيتش أكثر ذكاء؛ حيث اجتاز نهر فيستولا الأعلى مع مفرزة صغيرة فقط وبعد أن وصل الجيش الرئيسي بالفعل إلى لويكز Lowicz.[262]

عندما يتم تزويد جيش بما فيه الكفاية من معدات مد الجسور تتضاءل فرص الفشل؛ ولكن كما هو الحال دائماً، من الضروري اختيار النقطة الأكثر إفادة إما باعتبار الطوبوغرافية أو باعتبار موقع العدو. يُعد الحوار بين نابليون ومورو حول عبور نهر الراين في عام 1800 أحد الأمثلة الأكثر غرابة عن التراكيب المختلفة التي قدمتها هذه المسألة من تراكيب استراتيجية وتكتيكية.

حيث أنه من الضروري حماية الجسور (على الأقل حتى يتم إحراز النصر) فإن نقطة العبور سوف تمارس تأثيراً على اتجاه عدد قليل من المسيرات بعد العبور مباشرة. النقطة المنتقاة في كل حالة للعملية الرئيسية للعبور ستكون مقابل قلب أو أحد مجنبات العدو.

إن جيشاً موحّداً قد صنع ممراً مقابل قلب خطٍ ممتد للعدو عليه أن يتخذ بعد العبور خطين متباعدين لاستكمال تشتيت العدو مما يمنعه من تركيز قوته ويمنعه من قطع الجسور.

خط النهر القصير جداً يجعل الجيش المعادي أكثر تركيزاً. ففي هذه الحالة إذا كان للجنرال وسيلة للسيطرة على جبهة متعامدة مع اتجاه النهر بعد المرور، سيكون من الأفضل العبور مقابل أحد مجنبات العدو من أجل دفع العدو بعيدا عن الجسور. سيتم الإشارة إلى هذا في الموضوع المتعلق بعبور الأنهار.

16. هناك مجموعة أخرى من خطوط العمليات التي يجب ملاحظتها. إنه الاختلاف الملحوظ في الفائدة بين خط العمليات في أراضي الوطن والآخر في بلد أجنبي. ستؤثر طبيعة البلد الأجنبي أيضاً على هذه الفرص. لنفترض أن جيشاً يعبر جبال الألب أو نهر الراين لمواصلة الحرب في إيطاليا أو ألمانيا، يصادف الجيش دولاً من الدرجة الثانية، **وحتى لو كانوا في تحالف، فهناك دائماً تنافسات أو تعارض في المصالح مما سيحرمهم مما توفره دولة واحدة قوية من الوحدة والقوة.** من ناحية أخرى فإن الجيش

[262] حملة باسكوفتش كانت عام 1831 للقضاء على الانتفاضة البولندية عامي 1830-1831

الألماني الذي يغزو فرنسا سوف يعمل على خط أكثر خطورة بكثير من خط الفرنسيين في إيطاليا، لأنه في الحالة الأولى يمكن أن تأتي القوة الكاملة الموحدة لفرنسا، المتفقة في الإرادة والمصالح والحس القومي. إن جيشاً في موقع دفاعي مع خط عملياته على أرضه لديه موارد في كل مكان وفي كل شيء، حيث السكان والسلطات والانتاج والمدن والمستودعات العامة والترسانات، وحتى المتاجر الخاصة كلها مناصرة للجيش على عكس كل ذلك في الخارج.

خطوط العمليات في المناطق الغنية والخصبة والصناعية تقدم للمهاجمين مزايا أكبر بكثير من المناطق القاحلة أو الصحراوية خاصة عندما لا يكون الشعب متفقاً في مناهضة المحتل. في الأقاليم الغنية سيجد الجيش الكميات الهائلة من الإمدادات الضرورية، بينما في المناطق القاحلة الأكواخ والقش هي الموارد الوحيدة. ربما قد تحصل الخيول على المراعي، لكن أي شيء آخر فيجب أن يحمله الجيش، وهذا يزيد من التعب بشكل كبير ويجعل العمليات الجريئة أكثر ندرة وخطورة. الجيوش الفرنسية التي اعتادت طويلاً على وسائل الراحة في شفابن Swabia ولومبارديا Lombardy، كادت أن تهلك في عام 1806 في أوحال بوتوسك Pultusk[263]، وهلكت كذلك في عام 1812 في غابات المستنقعات في ليتوانيا Lithuania.[264]

17. هناك نقطة أخرى في الإشارة إلى هذه الخطوط التي يصر الكثير من الكتاب على أهميتها، وهي إدعاؤهم ضرورة تطهير كل جانب من خط العمليات من جميع الأعداء لمسافة مساوية لعمق هذا الخط، وإلا فقد يهدد العدو خط الانسحاب. هذه القاعدة تُكَذِّبها وقائع الحروب في كل مكان. لا يمكن تقدير طبيعة البلد والأنهار والجبال ومعنويات الجيوش والشعب وقدرات القادة وطاقاتهم بواسطة الرسوم على الورق. صحيح أنه لا يمكن السماح لأي كتل كبيرة للعدو من الاقتراب من جانبي خط الانسحاب؛ لكن الامتثال لهذا المطلب من شأنه أن يحرم الجيش من كل الوسائل للمضي بخطوة واحدة في بلد

---

[263] وقعت معركة Pułtusk في 26 ديسمبر 1806 خلال حرب التحالف الرابعة بالقرب من بولتسيك Pułtusk في بولندا. حوالي 40000 جندي روسي مع 128 مدفعا تحت قيادة الجنرال بينغسن قاوموا 25.000 جندي من القوات الفرنسية الأولى تحت قيادة المارشال جان لانز. قرر بنغسن الانسحاب تجنبا لإحاطته من قبل بقية قوات نابليون ولم تسفر هذه المعركة عن نتيجة حاسمة. أعاقت الأمطار والثلوج والأوحال حركة الفرنسيين مما أحبط محاولة الفرنسيين في تحويل المعركة إلى معركة حاسمة.

[264] في الغزو الفرنسي على روسيا عام 1812 أثرت الطرق والبرد القارس على الجيش الفرنسي الذي يم يعدّ نفسه لهذا الشتاء القارس، كانت الطرق في ليثوانيا سيئة جدا نتيجة لضيقها وكثر الأوحال والطين عليها مما أعاق حركة عربات التموين بشدة.

العدو، وليس هناك حملة في الحروب الأخيرة أو في تلك التي قادها مارلبورو Marlborough ويوجين Eugene لا تتعارض مع هذا الرأي. ألم يكن الجنرال موريو Moreau على أبواب فيينا عندما كانت فوسن وشارنيتس وتيرول بأكملها في حوزة النمساويين؟ ألم يكن نابليون في Piacenza بياتشنزا عندما احتل جيش ميلاس مدينة تورينو Turin وجنوة Genoa وكول دي تيندا Col–di–Tenda؟[265] ألم يتقدم يوجن عن طريق ستراديلا Stradella وأستي Asti لإنقاذ تورينو Turin، وترك الفرنسيين على مينشيو Mincio على بعد بضع فراسخ من قاعدته؟[266]

بحث في الخطوط الداخلية – ما قيل في انتقادها–

تنازع بعض النقاد حول معاني الكلمات وفي التعاريف، البعض الآخر لامَ ووبّخَ لمجرد سوء الفهم، وآخرون على ضوء أحداث مهمة معينة أخذوا على عاتقهم إنكار مبادئي الأساسية، دون الاستفسار عما إذا كانت شروط الحالة التي قد تعدّل تطبيق هذه المبادئ لا تناقض فرضيتنا أو دون التفكر في هذا الأمر، حتى ومع الاعتراف بصحة ما يدعون إليه، فإن استثناءاً واحداً لا يمكنه دحض قاعدة تستند إلى خبرة قرون ومبادئ راسخة.

في محاولة لنقض قواعدي عن الخطوط الداخلية، استشهد البعض بالمسيرة الشهيرة والناجحة للحلفاء على لايبزش، يبدو هذا الحدث البارز (للوهلة الأولى) أنه يهز ثقة البعض بهذه المبادئ، إلّا أنها في أحسن الأحوال ليست سوى واحدة من تلك الحالات الاستثنائية التي لا يمكن فيها الاستدلال على شيء في وجه الآلاف من الحالات المقابلة. علاوة على ذلك من السهل إظهار أنه بدلاً من الإطاحة بهذه القواعد التي حاولوا معارضتها فإنها رسَّخت من صحتها. وبالفعل فقد نسي النقاد أنه قد أوصيت في حالة التفوق العددي الكبير بالخطوط المزدوجة من العمليات على أنها الأفضل، خاصة عندما تكون متراكزة ويتم ترتيبها على تركيز القوة ضد العدو في اللحظة الحاسمة.

في تلك المعركة تجد في جيوش الحلفاء من شوارزنبرج Schwarzenberg وبلوشر Bluecher وبرنادوت Bernadotte وبنينغسن Benningsen تجد هذه الحالة من التفوق

[265] كان ذلك في 1800 ضمن حرب التحالف الثانية بعد عبور نابليون ممر سانت بيرنارد

[266] عام 1706 فك الأمير يوجين الحصار الفرنسي عن تورينو

الحاسم (العددي). على الجيش الضعيف ليتماشى مع مبادئ هذا الفصل توجيه جهوده ضد أحدى مجنبات خصمه، وليس على القلب كما فعلوا، ومن هذا يتبين أن الأحداث المستشهد بها ضدي هي في الحقيقة تؤكد صحة مبادئي. علاوة على ذلك إذا كان الموقع المركزي لنابليون بين درسدن Dresden وأودر Oder كارثيا، فإنه يجب أن يعزى إلى أخطاء معارك كولم culm(kulm) وكاتزباخ Katzbach ودينويتز Dennewitz، أو بمعنى أخر إلى أخطاء في التنفيذ بعيدة تماماً عن المبادئ المعنية.

من المبادئ التي طرحتها أنه في حالة الهجوم يجب الهجوم بالجزء الأكبر من القوات على أهم نقطة عند العدو، ولكن عند النقاط الثانوية علينا البقاء في موقع دفاعي في مواقع حصين أو خلف النهر حتى يتم تنفيذ الضربة الحاسمة، وتنتهي العملية بهزيمة كاملة للجزء الأساسي من جيش العدو، ثم يمكن توجيه القوة المركزة للجيش بأكمله على النقاط الأخرى (الأجزاء الثانوية من قوات العدو).

في كل مرة تتعرض فيها الجيوش الثانوية للعدو لضربة حاسمة في غياب الجزء الأكبر من جيشه يُساء فهم النظام وهذا ما حدث في عام 1813.

لو أن نابليون (بعد انتصاره في درسدن) طارد الحلفاء بقوة حتى بوهيميا لنجا من كارثة معركة كولم وهدد براغ، وربما لنجح في تفكيك التحالف. قد يضاف إلى هذا الخطأ خطأ أكثر قبحا، مثل الدخول في المعارك الحاسمة على نقاط لا يحضرها هو شخصياً مع الجزء الأكبر من قواته، وفي كاتزباخ Katzbach (كاتسزافا Kaczawa) لم يتم تنفيذ تعليماته. أمر ماكدونالد Macdonald بانتظار بلوشر Blucher والاكتفاء بتثبيته، ماكدونالد على العكس من ذلك عبر بمفارزه التيار الجارف التي أصبحت تزداد فيضاناً كل ساعة (بمرور الوقت)، وتقدمت للقاء بلوشر. لو اتبع ماكدونالد التعليمات واستغل نابليون انتصاره، فلا شك في أن خطته للعمليات القائمة على الخطوط الاستراتيجية الداخلية والمواقع الاستراتيجية

وعلى خطوط العمليات المتراكزة، كانت ستحقق أفضل نجاح. تُظهر دراسة حملاته في إيطاليا عام 1796 وفي فرنسا عام 1814 أنه يعرف كيفية تطبيق هذا النظام.[267]

هناك ظرف آخر له نفس الأهمية، يُظهر خطأ الحكم على الخطوط المركزية بمصير نابليون في ولاية سكسونيا، حيث أن جبهة عملياته تعرضت للالتفاف من ميمنتها وحتى من الخلف من خلال الموقع الجغرافي لحدود (جبهات) بوهيميا. هذه الحالة أمر نادر الحدوث. لا ينبغي مقارنة مواقع مركزية فيها مثل هذه الأخطاء مع مواقع تخلوا منها. عندما قام نابليون بتطبيق هذه المبادئ في إيطاليا وبولندا وبروسيا وفرنسا، لم يتعرض لهجوم على أجنابه ومؤخرته من قبل العدو. كان يمكن للنمسا أن تهدده في عام 1807؛ لكنها كانت حينها في حالة سلام معه وغير مسلحة.

للحكم على نظام للعمليات يجب أن نضع في الحسبان الحوادث والفرص التي ستكون في صالحها بقدر التي ستكون ضدها، والتي لم تكن بأي حال مثل حالة عام 1813، سواء من ناحية المواقع الجغرافية أو ناحية القوات المعنية.

بصرف النظر عن هذا من العبث أن نستشهد بالهزائم في كاتزباخ ودينويتز، التي عانى منها مساعدو نابليون، كدليل قادر على تدمير مبدأ أبسط تطبيق له لا يتطلب من هؤلاء الضباط أكثر من ألا يسمحوا لأنفسهم بالانخراط في اشتباك حاسم (جدي)، فبدلاً من تجنب الاشتباك فقد سعوا إليه.

في الحقيقة ما هي الميزة التي يمكن توقعها من نظام الخطوط المركزية إذا كانت أجزاء الجيش التي أنيطت بها مهمة توجيه ضربات حاسمة في مكان آخر قد أنهكت نفسها في قتال كارثي، بدلاً من أن ترتضي بمهمة المراقبة؟[268] في هذه الحالة فإن العدو هو الذي سيطبق المبدأ، وليس من يمتلك الخطوط الداخلية. علاوة على ذلك في الحملة التالية أظهر دفاع نابليون في شمبانيا من معركة برين إلى معركة باريس حقيقة هذه القواعد بشكل كامل.

---

[267] في كاتزباخ في أواخر أغسطس عام 1813 قبل معركة لايبزش الحاسمة ضمن حرب التحالف السادسة، تمت مطاردة قوات الخلفاء من قبل نابليون حتى كادت أن تنهار، تولى بلوشر قيادة الحلفاء بعد ذلك وقرر مواجهة الفيالق الفرنسية بعد أن تركها نابليون تحت قيادة ماكدونالد، لم يتبع ماكدونالد تعليمات نابليون كما أراد. أمره باتخاذ مواضع دفاعية فيما رغب ماكدونالد في الاندفاع والهجوم وعبور النهر في ساعة فيضانه

[268] المؤلف: أدرك تماماً أنه ليس من الممكن دائماً تجنب القتال دون التعرض لمخاطر أكبر من تلك الناتجة عن مجرد إزعاج العدو، لكن ربما كان ماكدونالد سيقاتل بلوشر Bluecher وهو محقق للتفوق لو فهم بشكل أفضل تعليمات نابليون.

إن تحليل هاتين الحملتين المشهورتين بهما يثير تساؤلاً استراتيجياً سيكون من الصعب الإجابة عليه من خلال ادعاءات بسيطة مستندة إلى النظريات. هو ما إذا كان نظام الخطوط المركزية يفقد مزاياه عندما تكون أجزاء الجيوش كبيرة جداً. أتّفق مع مونتسكيو Montesquieu[269] أن أعظم المبادرات تفشل نتيجة ضخامة حجم الترتيبات اللازمة لإكمالها، وأنا على استعداد للاعتراف بذلك. بالنسبة لي فإن جيشاً من مائة ألف جندي يشغل منطقة مركزية مقابل ثلاث جيوش معزولة من ثلاثين أو خمسة وثلاثين ألف جندي أثق بقدرتهم على هزيمتهم تباعاً أكثر مما لو كانت الكتلة المركزية أربعمائة ألف جندي قوي ضد ثلاثة جيوش من مئة وخمسة وثلاثين ألفًا، وهذه النتيجة بالنسبة لي واضحة تماماً لعدة أسباب وجيهة:

1. بالنظر إلى صعوبة إيجاد الأرض والوقت اللازمين لإدخال قوة كبيرة جداً إلى العمل في يوم المعركة، يمكن لجيش من مائة وثلاثين أو مائة وأربعين ألف رجل أن يقاوم بسهولة قوة أكبر بكثير.
2. إذا انسحبت من الميدان ستحتاج إلى ما لا يقل عن مائة ألف رجل لحماية وتأمين انسحاب منظم وتحقيق اندماج مع أحد الجيوش الأخرى.
3. الجيش المركزي المؤلف من أربعمائة ألف رجل يتطلب كمية هائلة من المؤن والذخائر والخيول وشتى المواد مما يجعله أقل قدرة على الحركة وأكثر صعوبة في تحويل قوته من منطقة إلى أخرى، هذا إذا لم نذكر شيئاً عن استحالة الحصول على مؤن من منطقة مقفرة للغاية لدعم مثل هذه الأعداد.
4. فيالق المراقبة المنفصلة عن الجزء المركزي لمضايقة جيشين مؤلف كل واحد منهما من مائة وخمسة وثلاثين ألفاً يجب أن تكون قوية جداً (من ثمانين إلى تسعين ألف)، ونظراً لحجمهم الكبير إذا ما دخلوا في اشتباك حقيقي (جدي) فمن المحتمل أنهم سيعانون من هزائم قد تفوق آثارها المزايا التي أحرزها الجيش الرئيسي.

[269] شارل لوي دي سيكوندا المعروف باسم مونتيسكيو 1755 - 1689 فيلسوف فرنسي صاحب نظرية فصل السلطات الذي تعتمده غالبية الأنظمة حاليا.

لم أتحزب مطلقاً لنظام محدد سواء خطوط متراكزة أو متباعدة، تذهب جميع كتاباتي إلى إظهار التأثيرات المستمرة للمبادئ، ولإثبات أن العمليات الناجحة يجب أن تكون تطبيقات للمبادئ.

قد تحقق العمليات المتباعدة أو المتراكزة نتائج جيدة جداً أو سيئة جداً، كل ذلك يعتمد على حالة القوات المعنية. على سبيل المثال: تكون الخطوط المتباعدة جيدة عند تطبيقها على جزء كبير من الجيش يبدأ من نقطة معينة وتعمل في اتجاهات متباعدة لتقسيم وتدمير قوتين معاديتين تعملان بشكل منفصل على الخطوط الخارجية. هذه كانت مناورة فريدريك التي أحدثت (في نهاية حملة 1767) معارك روسباخ[270] ولوثين العظيمة[271]، وهكذا كانت معظم عمليات نابليون التي كانت مناورته المفضلة هي دمج (من خلال مسيرات محسوبة بشكل دقيق) الأجزاء الكبيرة من الجيوش في المركز، واختراق قلب العدو أو قلب جبهته لدفعهم لاتجاهات متباعدة لتشتيت الجيش المنهزم[272].

من ناحية أخرى ، فإن العمليات المتراكزة جيدة في حالتين وهما:

1. عند تركيز جيوش متفرقة على نقطة من المؤكد أن يصلوا إليها قبل العدو.
2. عند تركيز جيشين على نفس الهدف آمنين من التعرض لهجوم من قبل عدو قوي كلٌ على حدة.

قد تكون العمليات التراكزية (التي تبدو مفيدة للغاية في بعض الأحيان) الأكثر ضرراً، وهذا ينبهنا إلى ضرورة الكشف عن الأنظمة التي تقوم عليها المبادئ، وعدم الخلط بين المبادئ والنظم. كما في المثال التالي: إذا انطلق جيشان من قاعدة بعيدة في مسير متقارب (تراكزي) على عدو قواته أكثر تركيزا وتتواجد على خطوط داخلية فإن ذلك سيجعل الثاني متحداً قبل

[270] وقعت معركة روسباخ في 5 نوفمبر 1757 خلال الحرب السيليزية الثالثة (1756-1763 ، جزء من حرب السنوات السبع) بالقرب من قرية روسباخ بولاية سكسونيا. في هذه المعركة التي دامت 90 دقيقة ، هزم فريدريك الكبير ، ملك بروسيا جيشًا متحالفًا مؤلفًا من قوات فرنسية معززة بفرقة تابعة للجيش الإمبراطوري للإمبراطورية الرومانية المقدسة. شمل الجيش الفرنسي والإمبراطوري قرابة 42000 رجل، واجهوا قوة بروسية أصغر بكثير تقدر ب 22000. على الرغم من الصعوبات الهائلة ، استخدم فريدريك الحركة السريعة ، والمناورة الالتفافية والنظام المائل لتحقيق المباغتة الكاملة.

[271] في معركة لوثين ، التي حدثت في 5 ديسمبر 1757 استخدم جيش فريدريك الثاني التضاريس والمناورة للتغلب بشكل حاسم على قوة نمساوية أكبر بكثير بقيادة الأمير تشارلز لوريرايند كونت ليوبولد، وبالتالي ضمن السيطرة البروسية على سيليزيا خلال الحرب السيليزية الثالثة (جزء من حرب السنوات السبع).

[272] المؤلف: ليس من الغريب أنني استحسن في بعض الأحيان المناورات المتراكزة وفي أوقات أخرى استحسن المتباعدة، نبحث ملياً عن هذا الأمر في أفضل عمليات نابليون فهناك بعض العمليات التي استخدم فيها هذين النظامين بالتبادل خلال يوم واحد. على سبيل المثال، في التحركات حول راتيسبون Ratisbon في عام 1809.

الأول وسيهزمهم حتماً. كما كان الحال مع مورو وجوردان عام 1796 عندما واجهوا الأرشيدوق تشارلز.

عند البدء من نفس النقطة، أو من نقطتين أكثر تقارباً من تقارب بلدتي دوسلدورف Dusseldorf وستراسبورغ؛ قد يتعرض الجيش لهذا الخطر. ما هو مصير أرتال وورمسر Wurmser وكواسدانوفيتش Quasdanovitch المركزّة التي نوت الوصول إلى مينشيو Minicio من قبل ضفتي بحيرة غاردا Garda؟ هل يمكن نسيان نتيجة مسيرة نابليون وغروشي Grouchy نحو بروكسل؟ بعد مغادرتهم سومبريف Sombref كانوا يسيرون بشكل تراكزي نحو هذه المدينة، الأول من قبل بلدة كواتر براس Quatre–Bras، والآخر من قبل ويفر Wavre. اتخذ بلوتشر وويلينغتون خطأً استراتيجياً داخلياً وحققا اندماجاً بين قوتيهما قبل قوات نابليون وغروشي، **وأثبتت كارثة واترلو الرهيبة للعالم أنه لا يمكن لأحد انتهاك مبادئ الحرب الثابتة دون الإفلات من العقاب.**

هذه الأحداث تثبت بشكل أفضل من أي حجج بأن نظاماً لا يتوافق مع مبادئ الحرب لا يمكن أن يكون جيداً. أنا لا أدعي إنشاء هذه المبادئ، لأنها كانت موجودة على مر الزمان، وتم تطبيقها من قبل قيصر وسكيبيو والقنصل نيرو وكذلك من قبل مارلبورو ويوجين. لكني أدعي أنني أول من أشار إليها، ووضح الفرص الأساسية لمختلف تطبيقاتها.

الموضوع الثاني والعشرين: الخطوط الاستراتيجية

لقد ذكرنا آنفاً خطوط المناورة الاستراتيجية وهي تختلف عن خطوط العمليات بشكل أساسي، ومن الجيد أن نعمل على تعريفها، بالنسبة للكثير ممن تحيّرهم هذه المصطلحات. لن نتكلم عن الخطوط الاستراتيجية التي لها أهمية كبيرة ودائمة بسبب موقعها وعلاقتها بتضاريس البلاد، مثل خطوط نهر الدانوب ونهر الميوز وسلاسل جبال الألب والبلقان. يمكن دراسة هذه الخطوط بشكل أفضل من خلال معاينة مفصلة ودقيقة لطبوغرافية أوروبا، ويوجد نموذج ممتاز لهذا النوع من الدراسة في وصف الأرشيدوق تشارلز لجنوب ألمانيا.

ينطبق مصطلح استراتيجي أيضاً على جميع الاتصالات المتمثلة بالطرق الأكثر استقامة أو إفادة الممتدة من نقطة مهمة إلى أخرى، وكذلك من الجبهة الاستراتيجية للجيش نحو جميع نقاط الهدف التي تقابلها. ومن ثم يتبين أن مسرح حرب يتم عبوره بواسطة عدد كبير من هذه الخطوط، ولكن في أي وقت من الأوقات يكون لتلك الخطوط كل الأهمية الحقيقية فقط في المبادرات المدرجة ضمن خطة. وهذا يجعل من السهل التمييز بين الخط العام لعمليات حملة كاملة وهذه الخطوط الاستراتيجية، والتي هي مؤقتة وتتغير مع عمليات الجيش.

إلى جانب الخطوط الاستراتيجية الموقعية territorial strategic lines، هناك خطوط استراتيجية للمناورات strategic lines of maneuvers.

الجيش الذي يجعل من ألمانيا ميدان عام لعملياته يتخذ منطقة عمليات في المساحة بين جبال الألب والدانوب أو ما بين نهر الدانوب ونهر الماين، أو أن ما بين جبال فرانكونيا والبحر. سيكون في منطقته للعمليات خط واحد للعمليات، أو على الأغلب خط متراكز مزدوج، موجه باتجاهات داخلية أو خارجية، مع أنه قد يتم فتح عشرين خطاً استراتيجياً على التوالي حيث ما أُقيمَت مبادرة. في البداية يظهر خط استراتيجي لكل جناح تنضم كلها في خط العمليات العام. إذا كان الجيش يعمل في المنطقة الواقعة بين نهر الدانوب وجبال الألب قد يعتمد وفقاً للأحداث الخط الاستراتيجي المؤدي من مدينة أولم Ulm نحو دوناوفورت Donauwerth وراتسبون Ratisbon، أو من أولم لتيرول Tyrol أو من أولم Ulm إلى نورمبرغ Nuremberg أو ماينز (ماينس) Mayence.

فمن المفترض أن التعريفات المطبقة على خطوط العمليات وكذلك القواعد المتعلقة بها تنطبق بالضرورة على الخطوط الاستراتيجية. قد تكون هناك خطوط متراكزة غرضها إلحاق ضربة حاسمة، أو متباعدة تُستخدَم بعد تحقيق نصر. ونادراً ما تكون بسيطة لأن الجيش لا يحصر مسيرته إلى طريق واحد، ولكن عندما تكون مزدوجة أو ثلاثية أو حتى رباعية فيجب أن تكون داخلية إذا كانت القوى متساوية، أو خارجية في حالة التفوق العددي الكبير. قد يُخفف في بعض الأحيان التطبيق الصارم لهذه القاعدة بإرسال مفرزة على خط خارجي، حتى عندما تكون القوى متساوية وذلك لتحقيق نتيجة مهمة دون التعرض لمخاطر كبيرة؛ لكن هذا يُصنَف ضمن المفارز لا الأجزاء الكبيرة المهمة من الجيش.

لا يمكن أن تكون الخطوط الاستراتيجية داخلية عندما نوجه تركيز قوتنا ضد أحدى مجنبات جبهة عمليات العدو.

القواعد المذكورة أعلاه التي تخص خطوط العمليات تنطبق بشكل جيد على الخطوط الاستراتيجية، ليس من الضروري تكرارها أو تطبيقها على أمثلة معينة، ولكن هناك مثال واحد سنذكره بعد قليل، أي أنه **من المهم بصفة عامة في اختيار هذه الخطوط الاستراتيجية المؤقتة عدم ترك خط العمليات يتعرض لهجمات العدو،** ويمكن القيام بذلك من أجل تخليص الجيش من خطر كبير أو تحقيق انتصار كبير، لكن العملية يجب أن تكون قصيرة المدة، ويجب توخي الحذر لإعداد خطة للانسحاب الآمن من خلال التغيير المفاجئ في خط العمليات إذا لزم الأمر كما سبق الإشارة إليه.

سنوضح ذلك من خلال حملة واترلو Waterloo، كان الجيش البروسي متمركزاً على نهر الراين، ويمتد خط عملياته من كولونيا Cologne وكوبلينتز Coblentz نحو لوكسمبورغ Luxembourg ونامور Namur. كانت قاعدة ويلينغتون Wellington هي أنتويرب Antwerp وخط عملياته الطريق القصير إلى بروكسل Brussels. الهجوم المفاجئ الذي قام به نابليون على فلاندرز Flanders عبر فليورس Fleurus دفع بلوشر Bluecher للدخول في معركة بموازاة القاعدة الإنجليزية لا بموازاة قاعدته، ويبدو حتى أنه لم يشعر بتأنيب الضمير على هذا الخطأ. إلا أنه من الممكن أن نغفر له ذلك، لأنه كانت لديه فرصة

جيدة لاستعادة فيسيل (فيزل) Wesel أو نيميغوين Nimeguen، بل من الممكن أن يحصل على ملاذ في أنتويرب في أسوء الأحوال. ولو لم يكن لديه حليف بحري قوي لتم تدميره. بعد تعرض بلوشر للهزيمة في لغني Ligny، ولجوئه إلى كيمبلوكس Gembloux ومن ثم إلى فافري Wavre، كانت لديه ثلاثة خطوط استراتيجية لاختيار خط منها وهي كالتالي: خط يؤدي مباشرة إلى ماستريخت Maestricht، وخط يؤدي شمالاً نحو فينلو Venloo، وخط يؤدي إلى الجيش الإنجليزي بالقرب من مونت سانت جان Mont St. Jean. سلك بتهور الخط الثالث، وانتصر باستخدام الخطوط الاستراتيجية الداخلية، التي أهملها نابليون ربما لأول مرة في حياته. سوف نرى بسهولة أن الخط المتبع من كيمبلوكس Gembloux عبر وافري Wavre حتى مونت سانت جان Mont St. Jean لم يكن خط عمليات للجيش البروسي أو خط معركة، بل كان خطاً استراتيجياً للمناورة وكان داخلياً. كان جريئاً لأنه كشف تماماً خط عملياته الطبيعي الخاص به. في الحقيقة سعيه للانضمام إلى الإنجليز جعل حركته تتفق مع مبادئ الحرب.



وكان المثال الأقل نجاحاً هو ما فعله جنرال Ney في دينيويتز Dennewitz، حيث ترك فيتنبرغ Wittenberg وذهب باتجاه برلين، وانتقل إلى الميمنة للهجوم من أقصى ميسرة الحلفاء، ولكن لما قام بذلك ترك خط انسحابه الأولي يتعرض لهجمات عدو متفوق في القوة. كان هدفه هو الاتصال بنابليون، الذي كان ينوي الانضمام إليه عبر هيرزبيرغ Herzberg أو لوكاو Luckau. كان يجب على ناي أن يأخذ من البداية كل الوسائل اللوجستية والتكتيكية لإنجاز هذا التغيير في الخط الاستراتيجي وإعلام جيشه به، ولم يفعل شيئاً من

هذا، إما أنه قد نسي القيام بذلك أو أنه كان يرفض مجرد التفكير في الانسحاب، وبالتالي كانت النتيجة خسائر فادحة في دينيويتز Dennewitz.[273]

أعطى نابليون في عام 1796 واحدة من أفضل الأمثلة لهذه التراكيب المختلفة من الخطوط الاستراتيجية. امتد خط عملياته العام من أبنين Apennines إلى فيرونا Verona. حين كان يدفع وورمسير Wurmser نحو روفيردو Roveredo وعزم على ملاحقته حتى تيرول Tyrol، اندفع في وادي أديج Adige إلى ترينتو Trent (Trento) ولافيس Lavis، حيث علم أن وورمسير Wurmser تحرك عبر برينتا Brenta نحو فريول Frioul، واثقاً بأنه سيهجم عليه من الخلف. لم يكن هناك سوى ثلاث مسارات مفتوحة أمامه، الأول البقاء في الوادي الضيق لأديج معرضاً لخطر كبير، والمسار الثاني التراجع من فيرونا Verona لمقابلة وورمسير، أو المسار الثالث الذي كان ضيقا ولكنه مختصر، أن يتبعه في الوادي من برينتا التي كانت تحيط بها الجبال الوعرة التي قد يمسك طريقيها النمساويون. نابليون لم يكن الرجل الذي يتردد طويلا بين ثلاثة اختيارات. ترك الجنرال فاوبوس Vaubois على لافيس لحماية ترينتو، وسار مع ما تبقى من قواته نحو باسانو Bassano. إن النتائج الرائعة لهذه الخطوة الجريئة معروفة جيداً. لم يكن الطريق من ترينتو إلى باسانو هو خط عمليات الجيش، بل حتى كان الخط الاستراتيجي للمناورة الأكثر جرأة من ذلك الذي سلكه بلوشر نحو فافري Wavre. ومع ذلك، استغرقت العملية ثلاثة أو أربعة أيام فقط.

وفي نهاية المطاف كان على نابليون إما أن ينتصر أو يتعرض للهزيمة في باسانو Bassano: في الحالة الأولى سيفتح اتصالاً مباشراً مع فيرونا وخط عملياته؛ في الحالة الثانية يستطيع أن يستعيد بسرعة كبيرة ترينتو ، حيث يعززه فاوبوس، ويمكن أن يتجه بعدها إما إلى فيرونا Verona أو بيشيرا Peschiera. كانت صعوبات الأرض (التي جعلت هذه المسيرة ضربا من الجنون في منظور البعض ونافعة في منظور آخرين)؛ منعت وورمسر من التدخل في العودة نحو ترينتو فيما لو انتصر في باسانو، حيث لم يكن هناك طريق يمكنه

[273] وقعت معركة دينويتز في 6 سبتمبر 1813 بين قوات الإمبراطورية الفرنسية الأولى وجيش البروسيين والروس ضمن التحالف السادس. وقعت في Dennewitz ، وهي قرية في مقاطعة براندنبورغ البروسية على بعد 40 كيلومترا (25 ميل) جنوب غرب برلين. تذكر بعض الروايات أن الجنرال ناي خطأ توقع مجيء نابليون من جهة جنوب شرق برلين للاتصال به، بالإضافة لهذا الخطأ عانى من شح في سلاح الفرسان مما قلل من قدرته الاستطلاعية بالإضافة إلى خلاف بين ناي وأحد القادة العسكريين وسوء الفهم للأوامر العسكرية أدت لهزيمته ومقتل وإصابة واسرعشرات الآلاف من الجنود الفرنسيين.

من التعرض لنابليون. لو أن دافيدوفيتش Davidovitch في لافيس طرد فابيوس من ترينتو فمن الممكن أن يحرج نابليون؛ لكن هذا الجنرال النمساوي الذي تعرض للهزيمة سابقاً في روفيريدو والذي كان جاهلاً بما كان يقوم به الجيش الفرنسي لعدة أيام ويعتقد أنه كان مكلف بكل شيء، كان نادراً ما يفكّر في استئناف الهجوم قبل أن ينسحب نابليون إثر تعرضه للهزيمة في باسانو. في الواقع لو أن دافيدوفيتش قد تقدم حتى روفيريدو Roveredo، دافعاً فابيوس Vaubois أمامه، فإنه كانت ستتم إحاطته هناك بجيشين فرنسيين، ولألحقوا به مصير فاندامي Vandamme في كولم Culm (kulm).

لقد أطلت الكلام في هذا الحدث لأظهر أن الحساب الصحيح للوقت والمسافات مع الفاعلية الكبيرة قد تؤدي إلى نجاح العديد من المبادرات التي قد تبدو طائشة جداً. استنتج من ذلك أنه قد يكون من الأفضل في بعض الأحيان توجيه جيش على طريق يكشف عن خط العمليات، ولكن يجب اتخاذ كل التدابير لمنع العدو من الاستفادة منه، سواء من خلال سرعة التنفيذ أو المظاهر الخادعة التي تجعله في جهل عما يحدث. ومع ذلك فهي مناورة شديدة الخطورة ويجب اعتمادها فقط في ظل ضرورة ملحة.

الموضوع الثالث والعشرين: وسائل حماية خطوط العمليات باستخدام القواعد المؤقتة والاحتياطي الاستراتيجي

عند الهجوم على بلد ما، ينبغي على الجنرال أن يشكل قواعد مؤقتة eventual bases فيها، وهي بالطبع ليست آمنة ولا قوية مثل جبهته (حدوده) الخاصة. يشكل النهر مع رأس الجسر وبلدة أو بلدتين كبيرتين محمية من الضربات الخاطفة coup de main لحماية مستودعات الجيش ولتخدم كنقاط تجميع لقوات الاحتياط، يشكل قاعدة ممتازة من هذا النوع. بالطبع لا يمكن أن يكون خط النهر هذا قاعدة مؤقتة إذا كانت قوات العدو قريبة من خط العمليات المؤدية إلى القاعدة الحقيقية على الجبهات (الحدود). كاد لنابليون أن يكون له قاعدة حقيقية جيدة على نهر إلبه في عام 1813 لو ظلت النمسا محايدة. ولكن بعد أن انضمت إلى أعدائه تم تحويل هذا الخط إلى الاتجاه المعاكس، وأصبحت مجرد مرتكز للعمليات مناسب لتنفيذ مبادرة واحدة، ولكنها كانت خطرة بالنسبة لعملية احتلال طويلة

الأمد، لا سيما في حالة حدوث هزيمة خطيرة. وبما أن كل جيش يتعرض للهزيمة في أرض عدو يتعرض لخطر قطعه عن حدود بلده إذا استمر في احتلال بلاد العدو، فإن هذه القواعد المؤقتة البعيدة هي نقاط دعم مؤقتة بدلاً من القواعد حقيقية، وهي نوعاً ما خطوط دفاع مؤقتة. **بشكل عام لا تتوقع العثور على مواقع آمنة في بلد العدو مناسبة حتى لقاعدة مؤقتة، ويجب تُسَد هذه الثغرة من خلال احتياطي استراتيجي**، وهو اختراع حديث بحت، تستحق مزاياه وعيوبه الإشارة إليه في الكتاب.

الاحتياطي الاستراتيجي Strategic reserves:

تلعب الاحتياطيات دوراً مهماً في الحروب الحديثة. من السلطة التنفيذية التي تعد الاحتياطيات القومية، نزولاً إلى قائد فصيلة من المناوشين، كل قائد منهم يرغب الآن في الاحتياطيات. توفر الحكومة الخبيرة دائماً احتياطيات جيدة لجيوشها، ويستخدمها الجنرال عموماً عندما تصبح تحت سيطرته. يجب أن تسعى الدول والجيوش والفيالق والفرق لامتلاك احتياطات.

تتألف احتياطيات الجيش من نوعين، الأولى هي التي حاضرة في ميدان المعركة، والثانية المعدة للتجنيد ودعم الجيش. قد يقوم هذا النوع الأخير أثناء تنظيمه باحتلال نقاط مهمة في مسرح الحرب، حتى يعمل كاحتياطيات استراتيجية، ولن تعتمد مواقعهم فقط على حجمهم، ولكن أيضاً على طبيعة الجبهات والمسافة من القاعدة إلى جبهة العمليات. عندما يهجم الجيش يجب أن يأخذ في الحسبان دائماً احتمالية اضطراره للتحول إلى الدفاع، ومن خلال نشر احتياطي بين القاعدة وجبهة العمليات يتم اكتساب ميزة الاحتياطي الفعال في ميدان المعركة، وذلك عن طريق المسارعة إلى دعم النقاط المُهددَة دون إضعاف الجيش العامل في ميدان المعركة. صحيحٌ أن تشكيل احتياطي يتطلب سحب عدد من الأفواج من الخدمة الفعلية؛ ولكن التعزيزات لا تنقطع، ويتم تدريب جنود جدد باستمرار، ويتم تبديل الجنود المتعبين بآخرين مستعدين convalescents، ومن خلال تنظيم مستودعات مركزية لإعداد الذخائر والمعدات، وبجعلها ملتقى لجميع المفارز الذاهبة إلى الجيش والقادمة منه وبتعزيزهم ببعض الأفواج القوية، يمكن تشكيل احتياطي قادر على تقديم خدمة مميزة.

لم يفشل نابليون في تنظيم هذه الاحتياطيات في حملاته أبداً، حتى في عام 1797 في مسيرته الجريئة على جبال الألب الشرقية، في البداية كان لديه جوبرت Joubert على إديج Adige، بعد ذلك فيكتور Victor (عائداً من الولايات الرومانية) بالقرب من فيرونا Verona.[274] في عام 1805 تبادلوا ناي وأوكيريو Augereau الدور بالتناوب في تيرول وبافاريا ومورتير Mortier ومارمونت Marmont بالقرب من فيينا.

في 1806 شكل نابليون مثل تلك الاحتياطيات على نهر الراين، واستخدمها Mortier لاخضاع هيس Hesse، في الوقت نفسه تم تشكيل احتياطيات أخرى في ماينز Mayence تحت قيادة كلرمان Kellermann والتي اتخذت موقعاً بين الراين وإلبه بنفس السرعة التي تشكلت فيه، في حين تم إرسال مورتير Mortier إلى بوميرانيا Pomerania. عندما قرر نابليون التقدم نحو فيستولا في نفس العام وجه (مع كثير من المباهاة) تركيز جيش يبلغ تعداده ستين ألف جندي نحو إلبه، هدفه هو حماية هامبورغ من الإنجليز والتأثير على النمسا، التي كان التفرغ منها كما هو واضح من مصلحته.[275]

أسس البروسيون احتياطياً مشابهاً في عام 1806 في هالي Halle، ولكن تم نشره بشكل سيء، ولو كان تمركزه على نهر إلبه في فيتنبرغ Wittenberg أو ديساو Dessau وقام بواجبه لكان بإمكانه أن ينقذ الجيش وذلك بإعطاء الأمير هوهينلوه Hohenlohe وبلوشر Bluecher الوقت اللازم للوصول إلى برلين أو على الأقل شتتين Stettin.

هذه الاحتياطيات مفيدة بشكل خاص عندما تساعد طوبوغرافية البلد على تكوين جبهة عمليات مزدوجة، عندئذ يتم تحقيق الهدف المزدوج المتمثل في مراقبة الجبهة الثانية وفي حالة الضرورة مساعدة عمليات الجيش الرئيسي عندما يهدد العدو المجنبات أو حدوث هزيمة تجبر الجيش على الانسحاب نحو هذا الاحتياطي.

بالطبع يجب الحرص على عدم إنشاء مفارز معرضة للخطر، وكلما كان من الممكن الاستغناء عن هذه الاحتياطيات يجب أن يتم ذلك، أو أن تعمل القوات في المستودعات فقط

[274] ضمن الحملة الفرنسية على إيطاليا في حرب التحالف الأولى

[275] حدثت ضمن حرب التحالف الرابعة، كانت النمسا مترددة في الانضمام إلى الحلف والراجح أن نابليون أراد أن يرسل رسالة تهديد مبطنة لكي ترتدع النمسا عن فكرة الدخول في حرب معه

كاحتياط. تنحصر فائدة هذه الاحتياطيات في الغزوات البعيدة وأحياناً على أرضنا، إذا كان مسرح الأعمال القتالية على بعد مسير خمس أو ست أيام عن الجبهات فالاحتياطيات عديمة الفائدة للغاية، ويتم الاستغناء عنها في الداخل عادة. لا يُستغنى عنها فقط في حالة غزو خطير، وعندما يتم تنظيم ضرائب جديدة، أن مثل هذا الاحتياطي يوضع في معسكر محصن Intrenched camp تحت حماية حصن يعمل كمستودع كبير.

ستحكم ملكة الجنرال العسكرية على استخدام هذه الاحتياطيات وفقاً لحالة البلد وطول خط العمليات وطبيعة النقاط المحصنة ومقدار قرب الدولة المعادية، كذلك يختار مواقعهم ويسعى لهذا الغرض لاختيار قوات لن تضعف جيشه الرئيسي كثيراً بقدر انسحاب نخبة قواته.

يجب أن تحتفظ هذه الاحتياطيات بأهم النقاط بين القاعدة وجبهة العمليات، وأن تحتل الأماكن المحصنة إن تم الاستيلاء عليها، أو أن تراقب أو تستغل النقاط التي يحتلها العدو. وإذا لم يكن هناك حصن كنقطة دعم فيجب عليهم أن يقيموا معسكرات محصنة أو رؤوس جسور لحماية المستودعات وتقوية مواقعهم.

كل ما قيل عن مرتكزات العمليات قابل للتطبيق على القواعد المؤقتة والاحتياطات الاستراتيجية، والتي ستكون ذات قيمة مضاعفة إذا كانت تمتلك مرتكزات ذات مواقع جيدة.

الموضوع الرابع والعشرين: النظام القديم لحروب المواقع والنظام الحديث لحروب المسيرات

من خلال نظام المواقع يتم فهم الطريقة القديمة في شن حرب تقليدية methodical war، حيث تعسكر الجيوش في الخيام وتكون وإمداداتها في متناول اليد، يراقب بعضهم البعض؛ جيش يحاصر مدينة والآخر يحميها. ربما يسعى جيش للاستيلاء على مقاطعة صغيرة، والآخر يتصدى لسعيه من خلال احتلال (التمركز في) نقاط محصنة. هكذا كانت الحرب من العصور الوسطى حتى عصر الثورة الفرنسية.

خلال هذه الثورة ظهرت تغيرات كبيرة وظهرت العديد من الأنظمة المفيدة أو الضارة. بدأت الحرب في عام 1792 كما كانت في عام 1762. حيث نزل الفرنسيون في أماكنهم الحصينة ويأتي الحلفاء ليحاصروهم. لم يكن حتى عام 1793 أي تغيير في هذا النظام. لقد

استنفرت فرنسا ووجهت بشكل إجمالي مليون جندي في أربعة عشر جيشاً على أعدائها. لم تكن لدى هذه الجيوش خيام ولا مؤن ولا أموال. في مسيراتهم يبيتون في العراء أو يتم إيواؤهم في المدن، وزادت القابلية على الحركة وأصبحت وسيلة للنجاح. تغيرت تكتيكاتهم أيضاً حيث تم وضع القوات في أرتال Columns، وهي أسهل في التوجيه والتعامل من الخطوط (الصفوف) المنتشرة، وبسبب وعورة أرض فلاندرز Flanders وفوجس Vosges، وضعوا جزءاً من قوتهم للمناوشة لحماية وتغطية الأرتال. في البداية حقق هذا النظام (الذي كان نتيجة للظروف) نجاحاً يتجاوز كل التوقعات، فقد أزعج القوات النمساوية والبروسية التقليدية وكذلك جنرالاتها. وقد زاد ماك Mack (الذي يُعزى إليه نجاحات أمير كوبورغ Coburg) سمعته من خلال توجيه القوات لتمديد خطوطها لمواجهة نيران المناوشين بالنظام المفتوح Open order[276]، لم يخطر في بال الرجل المسكين أنه في حين أن المناوشين بتسببون في إشغاله بينما كانت الأرتال تحتل المواقع.

لم يكن الجنرالات الأولون للجمهورية سوى رجال مقاتلون. كان التوجيه الرئيسي للأمور في يد كارنو Carnot ولجنة السلامة العامة، كان كارنو في بعض الأحيان حكيماً وفي كثير من الأحيان سيئاً. كان كارنو مخترع أحد أفضل الحركات الاستراتيجية للحرب. في عام 1793 أرسل احتياطياً من قوات النخبة على التوالي لإنقاذ دونكيرك Dunkirk وموبيج Maubeuge, ولانداو Landau، وهكذا تحركت القوة الصغيرة بسرعة من نقطة إلى نقطة، وبمساعدة القوات التي تم جمعها بالفعل في هذه النقاط المختلفة أجبرت العدو على الخروج من فرنسا.

استفتحت حملة 1794 بشكل سيء. كانت قوة الظروف وليست الخطة المسبقة هي التي أدت إلى الحركة الاستراتيجية لجيش موسيل Moselle نحو سامبري Sambre، وهذا ما أدى إلى الانتصار في معركة فليروس Fleurus واحتلال بلجيكا.[277]

---

[276] النظام المفتوح open order: وهو نشر القوات على شكل خط متباعد غير منتظم للقيام بالمناوشات. وقد حاول الجنرال ماك مواجهة المناوشين الفرنسيين باستخدام المناوشين بسحب الصف الثالث من مشاته لهذا الغرض.

[277] كانت معركة فلوروس ، في 26 يونيو 1794 هي معركة بين جيش الجمهورية الفرنسية الأولى ، تحت قيادة الجنرال جان بابتيست جوردان وجيش التحالف (بريطانيا ، هانوفر ، الجمهورية الهولندية ، وهابسبورغ الملكية) ، بقيادة الأمير جوسياس كوبورغ ، في المعركة الأكثر أهمية في حملة فلاندرز في الأراضي المنخفضة خلال الحروب الثورية الفرنسية. كان لدى كلا الجانبين قوات في المنطقة قوامها حوالي 80 ألف رجل ، لكن الفرنسيين كانوا قادرين على تركيز قواتهم وهزيمة التحالف الأول. أدت هزيمة الحلفاء إلى خسارة هولندا النمساوية وإلى تدمير الجمهورية الهولندية للأبد. كانت المعركة بمثابة نقطة تحول بالنسبة للجيش الفرنسي، والتي ظلت مستمرة لبقية الحرب.

في عام 1795 كانت أخطاء الفرنسيين كبيرة لدرجة أنهم كانوا يرمون بعضهم البعض بتهمة الخيانة. النمساويين على العكس من ذلك كان وضعهم أفضل تحت قيادة كلرفايت Clairfayt وشاتيلر Chateler وشميدت Schmidt مما كانوا عليه من قبل مع ماك وأمير كوبورغ. انتصر الأرشيدوق تشارلز الذي طبق مبدأ الخطوط الداخلية على مورو وجوردان في 1796 بمسيرة واحدة.

وحتى هذا الوقت كانت جبهات الجيوش الفرنسية كبيرة إما لتسهيل إيصال المؤن أو لاعتقاد الجنرالات بأفضلية وضع جميع الفرق في صف واحد وترك الأمر لقادتهم لترتيبهم من أجل المعركة. كانت الاحتياطيات عبارة عن مفارز صغيرة غير قادرة على انقاذ الموقف حتى لو نجح العدو في التغلب على فرقة واحدة فقط. هكذا كان الوضع عندما بزغ نجم نابليون لأول مرة في إيطاليا. كان نشاطه منذ البداية مصدراً لإزعاج النمساوي والبييمونتي. تحرر من القيود العقيمة، وتفوقت قواته في الحركة على كل الجيوش الحديثة.

قام بغزو شبه الجزيرة الإيطالية من خلال سلسلة من المسيرات والمعارك الاستراتيجية، وكانت مسيرته في فيينا عام 1797 مجازفة، لكنها بُررَت بضرورة التغلب على الأرشيدوق تشارلز قبل أن يتمكن من الحصول على تعزيزات من الراين.

كانت حملة عام 1800 الأكثر تميزاً بالنسبة لنابليون، وكانت بداية عهد جديد في مفهوم خطط الحملات وخطوط العمليات. اختار نقاط أهداف جريئة لا تقل عن أسر جيوش بأكملها أو تدميرها. كان نظام المعركة[278] أقل اتساعاً (امتداداً)، وتم تبني التنظيم الأكثر عقلانية للجيوش المتمثلة بالفيالق الكبيرة المكونة من فرقتين أو ثلاثة فرق. تم تطوير نظام الاستراتيجية الحديثة هنا بشكل كامل، وكانت حملات 1805 و1806 نتيجة طبيعية للمشكلة العظيمة التي تم حلها في عام 1800. **ومن الناحية التكتيكية كان نظام الأرتال والمناوشات متكيفين بشكل جيد مع طبيعة أرض إيطاليا الوعرة.**

قد يكون السؤال الآن ما إذا كان نظام نابليون يتكيف مع جميع القدرات والأزمان والجيوش، أم أنه على العكس من ذلك هناك احتمال لأي عودة (في ضوء أحداث 1800 و1809)

[278] في زمن نابليون يّقصد بنظام المعركة battle order هو شكل نظام نشر الجنود في ساحة المعركة ومواقعهم بالنسبة لقائد الجيش. أما بالنسبة للعصر الحديث فيُقصد بالمصطلح التسلسل الهرمي لقيادة الجيوش.

إلى النظام القديم من حروب المواقع. بعد مقارنة مسيرات ومعسكرات حرب السنوات السبع مع تلك التي وقعت في حرب الأسابيع السبعة، (أطلق نابليون هذه التسمية على حملة عام 1806) أو مع تلك الأشهر الثلاثة التي انقضت من رحيل الجيش من بولون Boulogne في عام 1805 وحتى وصوله لسهول مورافيا Moravia، على ضوء المزايا النسبية للنظامين من الممكن أن يقرر القارئ بسهولة.

كان نظام نابليون يفرض السير بمسافة 25 ميلاً في اليوم والدخول في قتال، ومن ثم يعسكرون للراحة.[279] أخبرني أنه لا يعرف أي طريقة أخرى لإجراء حرب غير هذه.

قد يقال إن الشخصية المغامرة في هذا الرجل العظيم ووضعه الشخصي ونبرة العقول الفرنسية، اتفقوا جميعاً في حثه على التعهدات التي لا يجرأ شخص آخر على قطعها، سواء ولد على العرش أو كان جنرالاً تحت أوامر حكومته، وهذا على الأرجح هو الواقع. لكن بين طرفي نقيض الغزوات البعيدة (المسيرات أو قصده النظام الحديث الذي اتبعه نابليون) وحروب المواقع (يقصد النظام القديم) هناك وسيلة مناسبة وسطي وبدون تكرار لاندفاع نابليون الطائش قد نتابع الخط الذي حدده. من المحتمل أن النظام القديم لحروب المواقع يُمنَع لفترة طويلة، أو أنه إذا تم تبنيه فسيتم تعديله وتحسينه كثيراً.

هذا البعد ليس ضمانة أكيدة ضد الغزو، يجب أن يكون لدى الدولة التي تسعى للحفاظ على أمن بلادها نظاماً جيداً من الحصون وخطوط الدفاع ومن الاحتياطيات والمؤسسات العسكرية وأخيراً نظام حكم جيد. ثم قد يتم تنظيم الناس في كل مكان كميليشيات ويكونوا بمثابة احتياطيات للجيوش العاملة، الأمر الذي سيجعل من هذه الجيوش أكبر حجماً، وكلما زادت قوة الجيوش كلما كان نظام العمليات السريعة والنتائج الفورية أكثر ضرورة.

إذا كان النظام الاجتماعي بمرور الوقت سيفرض وجود حالة من الهدوء المتزايد، وإذا حاربت الأمم من أجل مصالحها فقط بدلاً من أن تحارب من أجل البقاء، أو للحصول على حدود

---

[279] في جيوش اوروبا في ذلك الوقت كانت تقطع في اليوم حوالي 11 ميلا، كانت تعاني الجيوش الأوربية من الترهل نتيجة كثرة العناصر اللوجستية (من مواشي وخدم ومرافقين) التي كانت ترافق الأرستروقراطيين الذين كانوا يشكلوا النسبة الأكبر من ضباط الجيوش الأوروبية، على عكس الجيوش الفرنسية في ذلك الزمن، فمنذ الثورة الفرنسية أُلغي النظام الأرستقراطي تماما وطردوا من الجيش وأصبح الضباط في بساطة المعيشة مساوين للجنود العاديين مما أورث جيوش الفرنسية خفة في الحركة والنقل، الأمر الذي وظفه نابليون خير توظيف في التحركات الاستراتيجية.

طبيعية أو للحفاظ على التوازن السياسي، فقد تتفق الدول على قانون جديد لحقوق الأمم، وربما ستصبح الجيوش أقل حجماً. ثم قد نرى أيضاً جيوشاً من ثمانين إلى مئة ألف جندي تعود إلى نظام حرب مختلط، يعني بين الاجتياحات الخاطفة لنابليون والنظام البطيء للمواقع المستخدمة في القرن الماضي. حتى ذلك الحين يجب أن نتوقع الاحتفاظ بهذا النظام من المسيرات التي أنتجت نتائج عظيمة. أول من يتخلى عن هذا النظام في وجود عدو فعال وقادر فهو على الأرجح ضحية لحماقته.

يشمل علم المسيرات الآن أكثر من مجرد تفاصيل، مثل ما يلي: ترتيب مختلف الأسلحة في الرتل ووقت المغادرة والوصول والاحتياطات الواجب مراعاتها في المسيرة ووسائل الاتصال بين الأرتال، وكلها جزء من واجبات هيئة أركان الجيش. بعيداً عن هذه التفاصيل المهمة جداً هناك علم للمسيرات في العمليات الاستراتيجية الكبيرة، على سبيل المثال:

مسيرة نابليون من سانت برنارد لقطع طرق امدادات ميلاس، والمسيرة عبر دوناوفورت Donauwerth عام 1805 لقطع ماك Mack، ومسيرة عام 1806 عبر جيرا Gera للالتفاف على البروسيين، ومسيرة سواروف Suwaroff من تورينو Turin إلى تريبيا Trebbia لمقابلة ماكدونالد، ومسيرة الجيش الروسي نحو تاروتين[280] Taroutin ثم نحو كراسنوي[281] Krasnoi كلها عمليات حاسمة ليس بسبب ارتباطاتهم باللوجستيات وإنما بسبب ارتباطاتهم الاستراتيجية.

في الواقع هذه المسيرات البارعة ليست سوى تطبيقات للمبدأ الكبير المتمثل في توجيه الجزء الأكبر من القوات نحو النقطة الحاسمة، وسيتم تحديد هذه النقطة من المفاهيم الواردة في الموضوع التاسع عشر. لم يكن ممر سانت برنارد إلا خط عمليات موجه ضد أجناب الجبهة الاستراتيجية للعدو، ومن ثم على خط الانسحاب. وكذلك كانت مسيرات أولم وجينا نفس

[280] كانت معركة تاروتينو جزءًا من غزو نابليون لروسيا. في المعركة هزمت القوات الروسية تحت قيادة بنسغن قوات الفرنسية تحت قيادة يواكيم بعد أن قاموا بمسيرة تسللية عبر الغابات في سواد الليل ليباغتوا الفرنسيين.

[281] كانت معركة كراسنوي (كراسني) (من 15 إلى 18 نوفمبر 1812) عبارة عن سلسلة من المناوشات التي جرت في المرحلة الأخيرة من انسحاب نابليون من موسكو. ألحق الروس تحت قيادة الجنرال ميخائيل إلياريونوفيتش كوتوزوف خسائر فادحة على بقايا "الجيش الكبير" بسبب افتقار نابليون للمدفعية والفرسان والإمدادات اللازمة لخوض معركة، كان الهدف من نابليون في كراسنوي هو جمع قواته المتفرقة واستئناف انسحابه. على الرغم من التفوق الواسع لقواته، امتنع كوتوزوف عن شن هجوم واسع النطاق خلال أربعة أيام من القتال مقتربا من نابليون عبر عدة ارتال من داخل بلدة كراسنوي ومن جنوبها ومن شرقها.

المناورات. ولم تكن مسيرة بلوشر Bluecher في واترلو Waterloo إلا تطبيق للخطوط الاستراتيجية الداخلية.

من هذا يمكن أن نستنتج أن كل الحركات الاستراتيجية التي تتمثل بتوجيه الجزء الأكبر من الجيش على مختلف نقاط جبهة عمليات العدو على التوالي ستكون بارعة بقدر تطبيقها مبدأ التغلب على قوة أصغر بقوة أكبر. إن عمليات الفرنسيين في عام 1793 من دونكيرك Dunkirk إلى لانداو Landau، وتلك الخاصة بنابليون عام 1796 و1809 و1814 هي نماذج من هذا النوع.

إحدى أهم النقاط الأساسية في علم المسيرات الحديثة هي الجمع بين تحركات الأرتال من أجل تغطية أكبر جبهة استراتيجية (عندما تكون بعيدة عن متناول نيران العدو) من أجل تحقيق ثلاثة أهداف تتمثل في:

1. خداعه فيما يتعلق بالهدف المقصود.
2. التحرك بسهولة وبسرعة.
3. الحصول على المؤن بسهولة أكبر.

ومن الضروري في هذه الحالة أن تكون قد رتبت مسبقاً وسائل تركيز الأرتال من أجل توجيه ضربة حاسمة عند الحاجة.

هذا التطبيق البديل للحركات المتباعدة والمتراكزة هو الاختبار الحقيقي لجنرال عظيم.

هناك نوع آخر من المسيرات يُطلق عليها اسم "مسيرات الالتفاف" Flank marches وتستحق الاهتمام. اعتبرت هذه المسيرات خطرة على الدوام، ولم يُكتب أي شيء وافٍ بشأنها. إذا كان مصطلح "مسيرات الالتفاف" يُفهم منه على أنه مناورات تكتيكية تتم في ميدان المعركة أمام نظر العدو، فمن المؤكد أنها عمليات خطرة للغاية رغم نجاحها في بعض الأحيان، أمّا إذا كانت ضمن المسيرات الاستراتيجية العادية فلا أرى خطراً فيها، ما لم يتم إهمال الاحتياطات اللوجستية الأكثر أهمية. في الحركات الاستراتيجية يجب فصل الجيشين المعاديين بمسيرة يومين تقريباً (تُحسب المسافة التي تفصل الحراس المتقدمين عن

العدو وعن أرتالهم). في مثل هذه الحالة لا خطر في المسيرات الاستراتيجية من نقطة إلى أخرى. وهناك حالتان تكون فيها هذه المسيرة غير مقبولة كلياً:

1. عند اختيار نظام خط العمليات والخطوط الاستراتيجية وجبهة العمليات بحيث تؤدي لكشف الأجناب للعدو طوال العملية. كانت هذه هي الخطة الشهيرة للسير نحو لايبرش (لايبزج) بحيث يتركوا نابليون ودرسدن Dresden على الأجناب، والتي إذا نفذت لكانت خطأً قاتلا للحلفاء. تم تعديل هذا الأمر من قبل الإمبراطور ألكسندر بعد أن توسلت أنا شخصياً إليه.
2. عندما يكون خط العمليات طويلاً جداً (كما كان الحال مع نابليون في بورودينو Borodino وتسمى خطوط العمليات العميقة)، وخاصة إذا كان هذا الخط لا يوفر إلا مساراً واحداً مناسب للانسحاب، عندئذ تكون كل حركة التفاف تكشف هذا الخط بمثابة خطأ كبير.

مع ذلك في البلدان المليئة بطرق اتصال ثانوية تكون حركات الالتفاف أقل خطورة، بحيث إذا تم صدها يمكن تأمين الملتفين بتغيير خط العمليات. من المؤكد بأن الحالة الجسدية والعقلية (المعنوية) للقوات والطبيعة الحيوية للقادة والجنود بطريقة أو بأخرى ستحدد فرص تحقيق مثل هذه الحركات.

كانت مسيرات جينا وأولم (التي كثيراً ما يتم الاستشهاد بها) بمثابة مناورات التفافية بالفعل. وهكذا كان الوضع في ميلان Milan بعد عبور نهر تشوسيلا[282] Chiusella، وعبور المارشال باسكفيتش Paskevitch لنهر فيستولا Vistula في أوسيك Ossiek ونجاحه معروف تماماً[283].

[282] نفذ هذا العبور نابليون بجيشه بعد عملية عبور ممر سانت بيرنارد عام 1800
[283] حدث هذا العبور خلال قمع الانتفاضة البولندية عام 1831- 1830

مناورة تكتيكية باستخدام الالتفاف قرب العدو هي قضية مختلفة تماما. عانى الجنرال نيي من هذه الحركة في دينيويتز Dennewitz، وكذلك مارمونت Marmont في سالامانكا[284] Salamanca وفريدريك Frederick في كولين[285] Kolin.

ومع ذلك كانت مناورة فريدريك الشهيرة في ليوثن حركة التفافية حقيقية، لكنها كانت مغطاة (محمية) بجزء كبير من الفرسان المتخفين في المرتفعات، وطبقت هذه الحركة على جيش بقي ثابتاً في معسكره، وكانت ناجحة جداً لأنه في وقت توجيه الضربة الحاسمة أُخِذ داون Daun من مجنبته وليس فريدريك.

في النظام القديم المتمثل بالسير في أرتال على مسافات فاصلة بين الكتائب بقدر فصيل[286] حيث يمكن تشكيل خط المعركة إلى اليمين أو اليسار دون الحاجة لنشر الجنود (بإصدار أمر إلى اليمين أو اليسار نحو خط المعركة) لم تكن الحركات الموازية لخط العدو[287] مسيرات التفافية، لأن أجناب الأرتال كانت جبهة حقيقية لخط المعركة.

تبقى مسيرة يوجين الشهيرة أمام نظر الجيش الفرنسي للالتفاف على خطوط تورينو Turin أكثر تميزا من تلك التي حدثت في ليوثن Leuthen ولم تكن أقل نجاحاً.

في هذه المعارك المختلفة كانت المناورات تكتيكية وليست استراتيجية، كانت مسيرة يوجين Eugene من مانتوفا Mantua إلى تورينو Turin واحدة من أعظم العمليات الاستراتيجية في ذلك العصر. لكن الحالة المشار إليها أعلاه كانت حركة أُجريت للالتفاف على المعسكر الفرنسي في الليلة قبل المعركة.

---

[284] في معركة سالامانكا هزم الجيش الأنجلو-برتغالي بقيادة دوق ولنغتون القوات الفرنسية المشير أوغست مارمونت بين تلال حول أرابيلس Arapiles ، جنوب سالامانكا ، في اسبانيا في 22 يوليو 1812 خلال حرب شبه الجزيرة الايبيرية.
اشتملت المعركة على سلسلة من المناورات الالتفافية توجه عبر تنظيم مائل، بدأها لواء سلاح الفرسان البريطاني الثقيل وفرقة باكنهام الثالثة ، واكملتها الفرسان والفرقة الرابعة والخامسة والسادسة. أسفرت هذه الهجمات عن انهيار ميسرة الجيش الفرنسي.

[285] حدثت معركة كولين في 18 يونيو 1757 بين 44000 نمساوي تحت قيادة الكونت فون داوندفيت وبين 32،000 بروسي تحت قيادة فريدريك الكبير خلال الحرب السيليزية الثالثة (حرب السنوات السبع). خسر البروسيون المعركة وحوالي 14000 جندي، فيما فقد النمساويين 8000 جندي.
كان سبب هزيمة فريدريك انه استعجل المحاولة في الالتفاف باستخدام النظام المائل على ميمنة الجيش النمساوي أثر مضايقات مشاة النمساوية الكرواتية الخفيفة لميسرته التي حاولت القيام بالالتفاف مما أفشل هذا العمل وانسحب فريدريك على اثرها من بوهيميا.

[286] أدنى مسافة فاصلة بين كتائب رتل هي بقدر فصيل وتُقدَر ب15 مترا.

[287] لعل المؤلف يقصد بخط العدو خط عملياته

الموضوع الخامس والعشرين: مستودعات المؤن وعلاقتها بالمسيرات

تكاد تكون المؤن هي الموضوع الأشد ارتباطاً بنظام المسيرات لغرض جعل المسير سريعاً ولتوفير الغذاء لمسافات طويلة؛ لأن مشكلة دعم جيوش كبيرة في بلد العدو هي مشكلة صعبة للغاية. وسنعمل على مناقشة العلاقة بين المؤن والاستراتيجية.

سيكون من الصعب دائماً تخيل كيف أن داريوس (دارا) Darius و خشايار Xerxes أمنوا مؤونة جيوشهم الهائلة في تراقيا Thrace، حيث من الصعب في الوقت الحاضر توفير مؤن ثلاثين ألف جندي.[288] خلال العصور الوسطى موّن اليونانيون والبرابرة وخلال العهد القريب أكثر الصليبيين موّنوا أعداد هائلة من الجنود في تلك البلاد. **قال قيصر: الحرب يجب أن تمونها حرب**، ويُعتقَد أنه عاش على حساب الدول التي اجتاحها.

أُشتهِرَت العصور الوسطى بالهجرات الكبرى من جميع الأنواع، ومن المثير للاهتمام معرفة أعداد الهون Huns والفاندال Vandals والقوط Goths والمغول Mongols الذين اجتازوا أوروبا على التوالي، وكيف عاشوا خلال مسيراتهم. كما أن ترتيبات مؤن الصليبيين موضوع يستحق البحث.

في الفترات المبكرة من التاريخ الحديث من الراجح أن جيوش فرانسيس (فرانسوا) الأول[289] Francis I في عبورها جبال الألب نحو إيطاليا لم تحمل معها مخازن كبيرة من المؤن، حيث أن جيوش حجمها من أربعين أو خمسين ألف جندي يمكنها بسهولة العثور على مؤن في الوديان الغنية في تيسينو Ticino وبو Po.

[288] دارا الأول، داريوس الأول(بالفارسية: داريوش يكم) كما يسميه الفرس بداريوش الكبير هو الملك الأخميني الثالث حكم من 521 ق.م إلى 486 ق.م.
في السنة 490 ق . م . دخل داريوس الحرب مع الاثنيين لأنهم كانوا يساعدون اليونانيين الأيونيين في غرب آسيا الصغرى على الثورة . ولكن جيشاً عرمرماً بإمرة قائديه ارتفافرنيس ودايتس هُزم في ماراثون على يد القائد ملتيادس . غير أن ذلك لم يُثن داريوس عن المحاولة مجدداً ، ولكنه في حملته التالية إلى اليونان ، كانت نهايته .
خلفه ابنه خشايارشا الأول. (ولد 518 ق.م - توفي 465 ق.م) وحكم بين 485 ق.م - 465 ق.م .
-قرر خشايارشا الأول ، ابن الملك داريوس الأول ، مواصلة الصراع ضد اليونانيين الذين كان يعتبرهم ثائرين ، وفي عام 483 ق.م قاد حملة عسكرية ضخة ضد أثينا ، وكان عليه من أجل الوصول إلى البر الأوروبي لليونان ، أن يبني جسراً ضخماً عبر مضيق هيلسبونت قوامه سفن ربطت بعضها ببعض في صف طويل . ثم اجتاز بجنود إلى تراقيا ومقدونيا ، فهزم اليونانيين بقيادة الملك ليونيداس الأسبرطي في ثرموبايل، ولكن أسطوله البحري كاد يُدمَّر على بكرة أبيه في معركة سلاميس سنة 480 قبل الميلاد
وعاد خشايارشا الأول إلى فارس ووضع الجيش تحت إمرة أبرز قادته ماردونيوس الذي هُزم في السنة التالية سنة 479 قبل الميلاد ، وقُتل في بلاتايا ، وفقد خشايارشا الأول كل أهتمام بالحرب ، وأنصرف إلى الحياة العابثة ، مهملاً شؤون الحكم ، وانتهى به الأمر إلى الاغتيال على يد رئيس حرسه ارتبانيس.

[289] وذلك في الحروب الإيطالية التي امتدت من 1536-1538 و1542-1546 حيث غزت فرنسا تحت قيادة فرنسوا الأول ايطاليا

في ظل حكم لويس الرابع عشر وفريدريك الثاني كانت الجيوش أكبر حجماً، وحاربوا على حدودهم (جبهاتهم) الخاصة وعاشوا من مخازنهم التي يتم إنشاؤها حيثما وصلوا. وتدخل ذلك بشكل كبير في العمليات مما قيد مكان القوات إلى مسافات قريبة من المستودعات معتمدة على وسائل النقل وعلى حصص الإعاشة التي يمكن أن تحملها وعدد الأيام اللازمة لنقل العربات إلى المستودعات والعودة إلى المعسكر.

خلال الثورة تم الاستغناء عن مستودعات الإمداد. كانت الجيوش الكبيرة التي غزت بلجيكا وألمانيا تعيش في بعض الأحيان في منازل الناس، وفي بعض الأحيان عن طريق مصادرة الأراضي، وغالباً عن طريق النهب والسلب. كان أمراً سهلاً تموين الجيوش من صوامع الحبوب في بلجيكا وإيطاليا وشوابيا Swabia وعلى الضفاف الغنية لنهري الراين والدانوب، خاصة إذا سارت جيوش لا يتجاوز حجمها مائة أو مائة وعشرين ألف جندي في عدة أرتال، لكن هذا سيكون صعباً جداً في بعض البلدان الأخرى، وهو أمر مستحيل تماماً تطبيقه في روسيا والسويد وبولندا وتركيا. قد يكون من السهل تصور مدى السرعة التي يمكن أن تكون بها سرعة الجيش واندفاعه، حيث يعتمد كل شيء فقط على قوة أرجل الجنود. أعطى هذا النظام مزايا عظيمة لنابليون، لكنه أساء استخدامها بتطبيقها على نطاق واسع جداً وعلى البلدان التي كان من غير الممكن تطبيق ذلك فيها.

يجب أن يكون الجنرال قادراً على استثمار جميع موارد البلد الذي تم غزوه وذلك لإنجاح مبادراته. يجب عليه أن يستخدم السلطات المحلية (إذا بقيت) لتنظيم عمليات جباية الضريبة لجعلها منتظمة وقانونية وأن يشرف على ذلك بنفسه. إذا لم تبق سلطات فعليه أن يضع سلطة مؤقتة من الوجهاء يمنحهم سلطات استثنائية. ينبغي جمع المؤن التي تم تحصيلها على هذا النحو في النقاط الأكثر ملاءمة لعمليات الجيش وذلك من أجل ادخار المؤن، قد يتم إيواء القوات في البلدات والقرى، مع الحرص على تعويض السكان مقابل التكلفة الإضافية التي تُفرَض عليهم، كما يجب أن يُطلب من السكان توفير عربات لنقل المؤن إلى النقاط التي تتواجد فيها القوات.

من المستحيل التحديد بدقة مسار العمل الحكيم دون أن تُنشأ المستودعات مسبقاً، وهذا يعتمد إلى حد كبير على الموسم والبلد وقوة الجيوش وتأييد (معنويات) الشعب، ويمكن اعتبار ما يلي كقواعد عامة:

1. في المناطق الخصبة والمكتظة بالسكان غير العدائية يمكن استخلاص الموارد منها من قِبَل جيش مؤلف من مائة ألف إلى مائة وعشرين ألف جندي بعيد عن العدو وقادر على استعادة جزء كبير من الأرض بأمان، وذلك خلال الفترة الزمنية المطلوبة للقيام بعملية واحدة.

   وبما أن العملية الأولى لا تتطلب أكثر من شهر ويبدأ خلالها الجزء الأكبر من القوات بالتحرك فسيكون من الكافي توفير الاحتياجات المقبلة للجيش من خلال مستودعات المؤن ولا سيما بالنسبة للقوات الملزمة بالبقاء في نقطة معينة. وهكذا فإن جيش نابليون بينما كان نصفه يحاصر أولم سيحتاج إلى الخبز حتى استسلام المدينة، وإذا كان هناك شح في المؤن في ذلك الوقت فقد كان من الممكن للعملية أن تفشل.

2. خلال هذا الوقت يجب بذل كل جهد لجمع الإمدادات التي تم الحصول عليها من البلاد وبناء المستودعات من أجل توفير احتياجات الجيش بعد نجاح العملية أو تتخذ موقعاً لغرض تجنيد المتطوعين الجدد أو للقيام بمبادرة جديدة.
3. يجب أن يتم ترتيب المستودعات التي أُنشأت عن طريق الشراء أو المصادرات القسرية قدر الإمكان على ثلاثة خطوط اتصال مختلفة، من أجل تزويد أجنحة الجيش بسهولة أكثر، ولتوسيع المنطقة التي تُجلَب منها الإمدادات المتعاقبة أقصى ما يمكن، وأخيراً من أجل ضمان حماية المستودعات قدر الإمكان. تحقيقاً لهذه الغاية سيكون من الجيد أن تكون المستودعات على خطوط متقاربة نحو خط العمليات الأوّلي (الأساسي)، والذي سيتم وضعه بشكل عام في المركز. هذا الترتيب له ميزتان حقيقيتان: الميزة الأولى هي ضمان حماية المستودعات من محاولات العدو للاستيلاء عليها وذلك بجعلها أقل عرضة للانكشاف له، وبهذه الطريقة نزيد المسافة بين العدو والمستودعات. الميزة الثانية تسهل تحركات الجيش في التركيز من الخلف حتى الوصول إلى نقطة واحدة من خط العمليات

ومن ثم الانقضاض على العدو، بهدف استعادة المبادرة من العدو الذي ربما يكون قد تولى الهجوم مؤقتاً وحقق بعض التفوق.

4. في المناطق المقفرة الخالية من السكان وغير الخصبة يفتقر الجيش إلى معظم الإمدادات الضرورية، في هذه الحالة سيكون من الحكمة، عدم التقدم بعيداً عن مستودعاته، و إذا اضطر للقيام بذلك عليه أن يحمل معه مؤن كافية تكفيه للانسحاب عبر خطوطه نحو مستودعاته.
5. في الحروب القومية حيث يتطاير السكان ليدمروا كل شيء في طريقهم، كما كان الحال في إسبانيا والبرتغال وروسيا وتركيا، فإنه من المستحيل التقدم ما لم تأت قوافل من المؤن ودون وجود قاعدة فعلية للإمدادات بالقرب من جبهة العمليات. في ظل هذه الظروف تصبح حروب الغزو صعبة للغاية إن لم تكن مستحيلة.
6. لا تقتصر الأهمية على جمع كميات كبيرة من الإمدادات، بل من المهم أيضاً امتلاك الجيش وسائل نقل لهذه الإمدادات، وهذا يعتبر أكثر صعوبة لا سيما في الحملات السريعة. لتسهيل نقلهم يجب أن تتكون حصص الإعاشة من أسهل المواد حمولة، مثل البسكويت والأرز ....الخ. يجب أن تكون العربات خفيفة وقوية لتمر من جميع أنواع الطرق. وسيكون من الضروري جمع جميع عربات البلد وضمان المعاملة الجيدة لأصحابها أو السائقين، ويجب ترتيب هذه المركبات في مواقف في نقاط مختلفة حتى لا تأخذ السائقين بعيداً عن منازلهم ومن أجل توفير الموارد بشكل مستمر. وأخيراً يجب أن يكون الجندي قد اعتاد أن يحمل معه عدة حصص من الخبز أو الأرز أو حتى الدقيق.
7. إن القرب من البحر وسيلة لا تُقدر بثمن بالنسبة لنقل الإمدادات، والطرف الذي يمتلك هذه الوسيلة يمكنه أن يمد نفسه متى ما أراد. لكن هذه الميزة ليست مطلقة في حالة الجيوش القارية الكبيرة؛ لأن الرغبة في الحفاظ على الاتصال مع مستودعاتها قد تدفعها إلى القيام بعمليات لتأمين الساحل، وبالتالي تعريض نفسها إلى أكبر المخاطر إذا ناور العدو بالجزء الأكبر من قواته على الطرف المقابل للبحر. وإذا تحرك الجيش بعيداً عن الساحل سيكون هناك خطر من قطع اتصالاته ويزداد هذا الخطر مع تقدم الجيش.

8. يجب على الجيوش القارية التي تستخدم البحار لأغراض النقل أن تتخذ قاعدة على الأرض، وأن يكون لديها احتياطي من المؤن مستقلة عن السفن، وخط انسحاب يتم إعداده على طرف الجبهة الاستراتيجية المقابلة للبحر.
9. إن التيارات والقنوات الصالحة للملاحة عندما تكون موازية لخط عمليات الجيش تجعل نقل الإمدادات أسهل بكثير، وأيضاً تخلِّص الطرق من ازدحام المركبات الكثيرة الضرورية للنقل، ولهذا السبب فإن خطوط العمليات الموضوعة بهذه الطريقة هي الأكثر ملاءمة. الطرق المائية نفسها ليست في هذه الحالة خطوط العمليات كما أشرنا، بل على العكس فمن الضروري أن تكون القوات قادرة على التحرك على مسافة ما من النهر لمنع العدو من دفع الجناح الخارجي (البعيد عن النهر) إلى الوراء نحو النهر والذي قد يكون خطيراً كما لو كان بحراً.

   في بلد العدو نادراً ما يمكن استخدام الأنهار في النقل، حيث من المحتمل أن يتم تدمير القوارب، والفيالق الصغيرة من الجنود قد تسبب إحراجاً للملاحة بسهولة. لكي نضمن النقل الآمن عبر الأنهار فمن الضروري أن تُحتَل كلا الضفتين، وهذا الأمر خطير كما حدث لمورتييه Mortier في دورنستين Dirnstein . في دولة صديقة تعتبر مزايا الأنهار أكثر جوهرية.[290]
10. في حالة فقدان الخبز أو البسكويت يمكن تغذية الحاجة الملحة للجيش من الماشية، ويمكن الحصول عليها في البلدان المكتظة بالسكان ولكن بكميات تكفي لبعض الوقت. وفي النهاية سيتم استنفاد هذا المصدر بسرعة، بالإضافة إلى ذلك تدفع هذه الخطة الجنود إلى النهب، لذلك ينبغي تنظيم عملية مصادرة الماشية بشكل جيد، وأفضل خطة هي تزويد الجيش بالماشية التي يتم شراؤها من أي مكان آخر.

سأنهي هذا الموضوع بتسجيل ملاحظة من نابليون قد تبدو غريبة ولكن لها سبب. قال إنه في حملاته الأولى كان العدو وضعه على ما يرام لدرجة أن جيشه في حالة الحاجة إلى الإمدادات كان عليه فقط أن يهجم على مؤخرة العدو ليحصل على كل الإمدادات بوفرة. هذه

[290] حدثت معركة دورنستين في 11 تشرين الثاني 1805 حرب التحالف الثالث بين الفرنسيين بقيادة مورتييه من جهة وبين الحلفاء من النمسا والروس من جهة أخرى. تقع دورينستين في وادي فاخو Wachau على نهر الدانوب ، على بعد 73 كم (45 ميل) من المنبع من فيينا النمسا. يصنع النهر منحنى على شكل هلال بين نورستين وبين قرية كريم krem القريبة ، وحدث القتال على سهل بين النهر والجبال. كاد أن يهلك فيلق مورتييه بأكمله نتيجة الالتفافات من جهة الجبال والكماشة التي نجح الحلفاء في القيام بها وكادوا أن يحصروا على ضفة النهر لولم تأت تعزيزات لنجدة الفرنسيين. كان من الممكن أن يكون وضع الفرنسيين أفضل بكثير لو كانوا مسيطرين على ضفتي النهر وممتلكين لعدد كافي من القوارب.

ملاحظة قد يكون من السخف جعلها كنظام، ولكن ربما يفسر نجاح العديد من المبادرات المتهورة، ويثبت مدى اختلاف الحرب الحقيقية (الفعلية) عن النظرية الضيقة.

الموضوع السادس والعشرين: الدفاع عن الجبهات (الحدود) باستخدام الحصون والخطوط المحصنة (حروب الحصار)

تحقق الحصون هدفين رئيسيين:

1. تغطية الجبهات (الحدود)
2. إسناد عمليات الحملات العسكرية.

بشكل عام الدفاع عن الجبهات (الحدود) مشكلة لم تُحسَم بعد. ليس الأمر كذلك بالنسبة للبلدان التي يتم تغطية (جبهاتها) حدودها بعوائق طبيعية كبيرة ولا تحتوي إلا القليل من نقاط العبور، وتلك التي تسمح بالدفاع باستخدام فن الهندسة، لكن في البلدان المفتوحة الأمر أكثر صعوبة. جبال الألب وجبال البرانس Pyrenees والجبال الصغرى لكراباكس (كاربات) Crapacks ورايزنجيبيرغ (كركونوشه) Riesengebirge وإرزجيبيرغ (الخام) Erzgebirge وبوهمروولد (شومافا) Boehmerwald والغابة السوداء وفوسجيس (الفوج) Vosges وجورا Jura، ليست هائلة بحيث لا يمكن جعلها محصنة أكثر بنظام جيد من الحصون.[291]

من بين كل هذه الحدود (الجبهات) كانت الحدود بين فرنسا وبيدمونت هي الأفضل حماية.

كانت أودية ستورا Stura وسوزا Suza وممرات مونتي أرجينتاريو Monte Argentario وممر جبل جينفري Mont-Genevre وممر جبل سينز (سنيس) Mont-Cenis اللاتي هن الوحيدات القابلة للعبور كانت محمية بقلاع مبنية Masonary، وبالإضافة إلى ذلك بنيت حصون ضخمة على منافذ الوديان نحو سهول بيدمونت Piedmont. من المؤكد أنه ليس من السهل التغلب على هذه الصعوبات.

291 شومافا أو غابات بوهيميا هي سلسلة جبال منخفضة في أوروبا الوسطى تمتد لمسافة 200 كم من جنوب بوهيميا في جمهورية التشيك حتى النمسا وولاية بافاريا الألمانية . كركونوشه هي سلسلة من الجبال الواقعة ضمن سلسلة جبال السوديت الغربية، وتمتد في المنطقة الواقعة شمال جمهورية التشيك وجنوب غربي بولندا. جبال الكاربات هي سلسة جبال تمتد في أوروبا الوسطى والشرقية بشكل قوس بطول 1,500 كم مما يجعلها أطول سلسلة جبلية في أوروبا

هذه الدفاعات الاصطناعية الممتازة لن تمنع مرور الجيش دائماً، لأن الحصون الصغيرة التي توجد في المضايق قد يستولي عليها العدو، أو إذا كان العدو جريئاً فقد يجد ممر فوق بعض الطرق الأخرى التي تعتبر حتى يومنا هذا غير سالكة. إن عبور جبال الألب من قبل فرانسوا الأول (الذي وصفه جيلارد Gaillard بشكل جيد) ومرور نابليون على ممر سانت برنارد وحملة سبولجين Splugen، تُثبت أن هناك شيء من الصحة في قاعدة نابليون التي تقول أن الجيش يمكن أن يصل إلى أي مكان يمكن للإنسان أن يضع قدميه فيه، مع أن هذه القاعدة لا تصح دائماً لكنه طبقها بنجاح كبير وأصبحت سمة مميزة له.

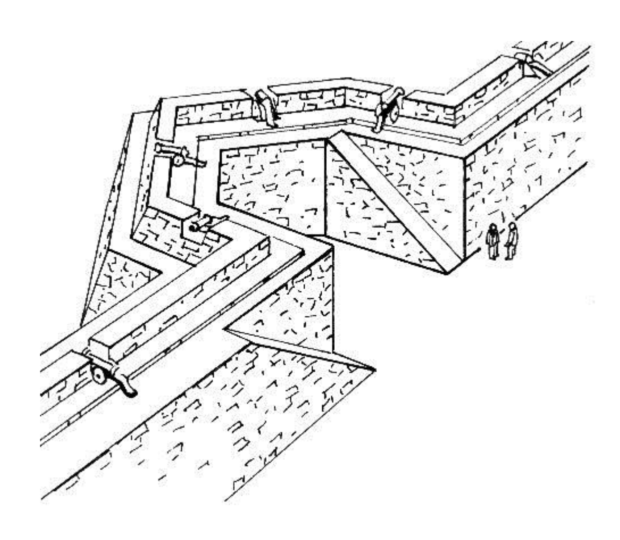
تحمي الأنهار الكبيرة بلدان أخرى إما كخط أول أو كخط ثاني، ومن اللافت للنظر أن مثل هذه الخطوط التي تبدو أنها محسوبة جيداً لفصل الدول دون التدخل في التجارة والمواصلات، لا تشكل عموماً جزءاً من جبهة (حدود) حقيقية. لا يمكن القول أن نهر الدانوب يفصل بيسارابيا Bessarabia عن الإمبراطورية العثمانية طالما أن الأتراك لديهم موطئ قدم في مولدافيا Moldavia. لم يكن نهر الراين (الجبهة) الحدود الحقيقية بين فرنسا وألمانيا، بالنسبة للفرنسيين لفترات طويلة كانت لديهم نقاط على الضفة اليمنى، بينما كان الألمان يملكون ماينز Mayence ولوكسمبورغ Luxembourg ورؤوس جسور tetes de ponts على مانهايم Manheim وفيزل Wesel على الضفة اليسرى.

ومع ذلك إذا لم تكن أنهار الدانوب والراين ورون Rhone وإلبه وأودر Oder وفيستولا وبو وأديج Adige خطوطاً خارجية على الحدود الجبهات، فلا يوجد سبب لعدم تحصينهم كخطوط دفاع دائمة أينما سمحت باستخدام أنظمة مناسبة لتغطية جبهات العمليات.

مثال من هذا النوع هو نهر الإن Inn الذي يفصل بافاريا عن النمسا ويحيط بها من الجنوب جبال الألب التيرولية ومن الشمال بوهيميا ونهر الدانوب، وتغطي هذه الجبهة الضيقة ثلاثةُ أماكن محصنة وهي باساو Passau وبراوناو Braunau وسالزبورغ Salzburg. شبه لويد (باستخدام الشعر) هذه الحدود (الجبهة) بزاويتين محصنتين منيعتين (البستين[292] Bastion)

[292] الزاوية محصنة أو البَسْتِيْن: هو ركن مرتفع على شكل مستدير تارة أو مربع تارة أخرى و يكون في الأبنية العظيمة كالقلاع والأسوار عرفت بعد استخدام المدفعية لدعم الدفاع في العصور الوسطى.

يتكون جدارهما من ثلاثة حصون قوية، ويعتبر خندقهما أحد أسرع الأنهار. لقد بالغ في هذه المزايا بوصفها "منيعة"، حيث تم دحض ذلك في الأحداث الدامية من 1800 و1805 و1809.



زاوية محصنة

لا تملك غالبية الدول الأوروبية بأي حال من الأحوال جبهة حدوداً هائلة مثل جبال الألب والإن، وهي مفتوحة بشكل عام أو تتكون من جبال ذات ممرات سالكة في عدد كبير من النقاط. سنقترح إعطاء مجموعة من القواعد العامة تنطبق بالتساوي على جميع الحالات.

عندما تكون طبوغرافية جبهة (حدود) مفتوحة، يجب ألا نحاول إنشاء خط دفاعي كامل عن طريق بناء الكثير من الحصون، مما يتطلب جيوش لتشكل حاميات فيها، والتي قد لا تمنع العدو من اختراق البلاد. إنه لأمر أكثر ذكاء أن نبني عدداً أقل من الحصون وأن نضعها في الموقع المناسب وليس مع توقع منع دخول العدو بشكل مطلق، ولكن علينا أن نضاعف عوائق تقدمه، وفي الوقت نفسه ندعم تحركات الجيش العامل لصده.

إذا كان من النادر أن يمنع مكان محصن في حد ذاته تقدم جيش العدو مع ذلك فهو مصدر إزعاج يجبر الجيش على فصل جزء من قوته أو القيام بالانعطاف (الالتفاف) في مسيرته. بينما في المقابل تمنح مزايا للجيش الذي يمسك بها وتحمي مستودعاته وأجنابه وحركاته وأخيراً هي ملجأ في حالة الضرورة.

وهكذا فإن الحصون تمارس تأثيراً واضحاً على العمليات العسكرية، ونقترح الآن ان نعاين علاقاتها بالاستراتيجية.

النقطة الأولى التي يجب أخذها في الاعتبار هي موقع الحصن، والثانية تكمن في التمييز بين الحالات التي يستطيع الجيش فيها تخطي الحصون دون حصار، وتلك التي من الضروري محاصرتها، والنقطة الثالثة فيما يتعلق بجيوش حماية (تغطية) حصار الحصون.

وحيث أن القلاع التي تقع في المكان المناسب تساند العمليات العسكرية، فإن تلك التي موقعها سيئ تجلب الضرر، فهي عبارة عن كابوس على الجيش الذي يضطر إلى وضع حامية فيها وعلى الدولة التي تهدر جنودها وأموالها عليها. هناك الكثير من الحصون في أوروبا من هذه الفئة. إنها لسياسة خاطئة في تغطية الحدود (الجبهة) بحصون قريبة جداً من بعضها البعض. هذا النظام قد نُسِب خطأً إلى فوبان Vauban، الذي كان في الحقيقة على العكس من ذلك، حيث كان لديه خلاف مع لوفيس Louvois حول العدد الكبير من النقاط التي يرغب الأخير في تعزيزها. إن القواعد المتعلقة بهذه النقطة هي على النحو التالي:

1. يجب أن تكون الأماكن المحصنة في نسق على ثلاثة خطوط، وينبغي أن تمتد من الجبهة (الحدود) حتى العاصمة[293]. يجب أن يكون هناك ثلاثة حصون في الخط الأول وعدد مماثل في الثاني، وحصن كبير في الثالث بالقرب من مركز الدولة. إذا كانت هناك أربع جبهات فإن ذلك يتطلب من أجل بناء نظام كامل من أربعة وعشرين إلى ثلاثين حصناً. سيتم الاعتراض بأن هذا العدد كبير، وأنه حتى أعداد الحصون في النمسا لم تكن كثيرة. يجب التذكير بأن فرنسا لديها أكثر من أربعين حصناً فقط على ثلث حدودها، (من بيسانكون Besancon إلى دونكيرك Dunkirk) ولا تزال غير كافية في الخط الثالث في وسط البلاد. قررت اللجنة المنعقدة لغرض النظر في نظام الحصون في الآونة الأخيرة أن هناك حاجة إلى المزيد. هذا لا يعني أنه لم يكن هناك الكثير بالفعل، ولكن يجب أن يتم تعزيز بعض النقاط بالإضافة إلى ذلك، في حين أنه يمكن الحفاظ على تلك الموجودة في الخط الأول على الرغم من أنها مزدحمة للغاية، حيث أنها

[293] المؤلف: تعتبر حملة عام 1829 الشهيرة دليلاً على قيمة هذا النظام. لو امتلك بورت حصوناً مبنية في شعب البلقان وحصون قوية تجاه فوكي، لما وصل الروس إلى أدرنة ولكان الوضع معقداً.

موجودة سابقاً. إذا أخذنا في الاعتبار بأن فرنسا لها جبهتين من دونكيرك إلى بازل Basel، وواحدة من بازل إلى سافوي Savoy وواحدة من سافوي إلى نيس Nice، بالإضافة إلى الخطين المنفصلين تماماً لجبال البرانس والخط الساحلي، وبالمجموع هناك ست جبهات تتطلب من أربعين إلى خمسين حصناً. كل عسكري سيقر بأن هذا كافي، لأن الجبهتين السويسرية والساحلية تتطلبان أقل من الجبهة الشمالية الشرقية. نظام ترتيب هذه الحصن هو عنصر هام في فائدتها. النمسا لديها عدد أقل، لأنها تحدها الولايات الألمانية الصغيرة، التي بدلاً من كونها معادية تضع حصونها الخاصة بها تحت تصرفها. وعلاوة على ذلك فإن الرقم الوارد أعلاه هو ما اعتبر ضرورياً لدولة لديها أربع جبهات متساوية تقريباً في الطول. بروسيا كونها طويلة وضيقة وتمتد من كونيغسبرغ Koenigsberg إلى ما يقرب من أسوار ميتز Metz لا ينبغي أن تكون محصنة على نفس النظام مثل فرنسا أو إسبانيا أو النمسا. وبالتالي فإن الموقع الجغرافي وأبعاد الولايات قد يقللان أو يزيدان عدد الحصون خاصة عند إدراج الحصون البحرية.

2. ينبغي أن تشغل القلاع دائماً النقاط الاستراتيجية الهامة التي ذكرناها آنفاً في الموضوع التاسع عشر. أما فيما يتعلق بخصائصهم التكتيكية فينبغي أن تكون مواقعهم أفضل في الخصائص من المواقع غير الخاضعة للسيطرة، ويجب أن يكون الخروج (الانسياح debouch) منها أمراً سهلاً، من أجل منع وقوعها في الحصار.

3. الحصون التي تمتلك أكبر المزايا إما للدفاع عن أنفسهم أو لإسناد عمليات الجيش تقع بالتأكيد على أنهار عظيمة وتسيطر على كلا الضفتين. ماينز Mayence وكوبلينتز Coblentz وستراسبورغ Strasbourg وأيضاً كيهل Kehl هي أمثلة ونماذج فعلية من هذا النوع. الأماكن التي تقع عند التقاء نهرين كبيرة لها ثلاث جبهات مختلفة، وبالتالي فهي ذات أهمية كبيرة، على سبيل المثال مودلين Modlin. بينما في ماينز حيث تقع على الضفة اليسرى للماين حصن غوستافوسبرغ Gustavusburg وكاسيل cassel على اليمين كانت في ماينز أكبر حصن في أوروبا، لكنه يتطلب حامية من خمسة وعشرين ألف جندي، والدول لا تستطيع توفير هكذا عدد.

4. عندما تحتوي الحصون الكبيرة على المدن المكتظة بالسكان والتجارة فهي أفضل من الحصون الصغيرة، خاصة إذا كان من الممكن الاعتماد على مساعدة المواطنين في

الدفاع عنها. أعاقت ميتز Metz كامل قوة تشارلز الخامس Charles V، وأخرت ليلي Lille لمدة عام كامل يوجين Eugene ومارلبورو Marlborough. أثبتت ستراسبورغ مرات عديدة أنها الحصن الآمن للجيوش الفرنسية. خلال الحروب الأخيرة ظلت هذه الأماكن من دون محاصرة من قبل القوات الغازية، لأن كل أوروبا حملت السلاح ضد فرنسا. لكن مائة وخمسين ألف جندي ألماني كانوا في مقابلهم مائة ألف فرنسي لا يستطيعون اختراق نحو نهر السين Seine بسلام، تاركين وراءهم هذه النقاط المحصنة.

5. في السابق كانت عمليات الحروب موجهة ضد المدن والمعسكرات والمواقع، وفي الآونة الأخيرة تم توجيهها فقط ضد الجيوش النظامية (المنظمة)، تاركين النظر في جميع العوائق الطبيعية أو الصناعية. الاستخدام الحصري لواحد من هذه الأنظمة خاطئ، فالمسار الصحيح هو التوسط بين هذين النقيضين. لا شك في أنه سيكون دائماً من الأهمية الأولى تدمير جميع جيوش العدو في الميدان وبعثرتها، ولتحقيق هذه الغاية قد يكون من الصواب تجاوز الحصون. ولكن إذا كان النجاح جزئياً فقط فلن يكون من الحكمة دفع الغزو لمسافات بعيدة. هنا يعتمد الأمر إلى حد كبير على وضع وقوة كل من الجيشين وتأييد الأمم.

إذا كانت النمسا هي العدو الوحيد لفرنسا فإنها لم تستطع أن تكرر عمليات الحلفاء في عام 1814. وليس من المحتمل أن يخاطر خمسين ألف فرنسي بأنفسهم متوجهين خارج جبال الألب الشرقية Noric نحو قلب النمسا في الوقت القريب كما فعل نابليون في عام 1797[294]. هذه الأحداث لا تحدث إلا في ظروف استثنائية.

6. يمكن أن نستخلص مما سبق:

- إن الأماكن المحصنة هي دعائم أساسية، إلا أن إساءة استخدامها قد يؤدي من خلال تقسيم الجيش إلى إضعافه بدلاً من زيادة كفاءته.
- قد يتجاوز الجيش خط الحصون واضعاً في تفكيره هدف تدمير قوات العدو ومع ذلك يترك قوة لمراقبة الخط.

---

[294] المؤلف: ومع ذلك كان نابليون على حق في تنفيذ هجوم في فريول، لأن النمساويين كانوا يتوقعون تعزيزات من نهر الراين قدرها عشرين ألف جندي، وبالطبع كان من المهم للغاية للانتصار على الأرشيدوق تشارلز قبل انضمامه إلى هذه القوة. وفي ضوء ملابسات القضية كان سلوك نابليون متوافقاً مع مبادئ الحرب.

- لا يستطيع الجيش عبور نهر كبير مثل نهر الدانوب أو نهر الراين، دون تدمير على الأقل واحد من الحصون على النهر من أجل تأمين خط انسحاب جيد. بمجرد أن يحكم الجيش سيطرته على هذا المكان يتقدم الجيش في الهجوم تاركاً مفارز لمحاصرة الحصون الأخرى، وتتزايد فرص تدمير تلك الحصون مع تقدم الجيش لأن فرص العدو في إعاقة الحصار تتضاءل.

7. في حين أن الحصون الكبيرة أكثر نفعاً إذا كانت واقعة بين سكان موالين، والحصون الصغيرة ليست أقل نفعاً، لا لقدرتها على إعاقة العدو الذي قد يستطيع محاصرتها بسهولة، بل لمساندتها عمليات جيش في الميدان.

   كان حصن كونيغشتاين Koenigstein في عام 1813 نافعا للفرنسيين كحصن درسدن Dresden، لأنه صنع رأس جسر على نهر إلبه.

   في الجبال تعادل الحصون الصغيرة ذات الموقع الجيد قيمة الأماكن المحصنة، لأن اختصاصها هي إغلاق الممرات، وحرمان العدو من ملاذ آمن لجيوشه. حصن بارد Bard الصغير الواقع في وادي أوستا Aosta كاد أن يوقف جيش نابليون في عام 1800.

8. يترتب على ذلك أنه ينبغي أن يكون في كل جبهة حصن أو حصنين كبيرين كملاذ، بالإضافة إلى الحصون الثانوية والمواقع الصغيرة لتسهيل العمليات العسكرية. قد تكون المدن المسورة ذات الخنادق الضحلة مفيدة جداً داخل البلاد، بحيث تُوضَع فيها المستودعات والمستشفيات ......الخ، بشرط أن تكون قوية بما فيه الكفاية لمقاومة هجمات أي قوة صغيرة قد تحاول عبور الجبهة عن قرب. ستكون ذات فائدة خاصة إذا تولّت ميليشيا الدفاع عنها بدلاً من الجيش النظامي، الأمر الذي قد يوفر طاقات الجيش النظامي.

9. الأماكن المحصنة الكبيرة التي لا تكون في مواقع استراتيجية ملائمة هي مصيبة حقيقية لكل من الجيش والدولة.

10. الحصون الموجودة على ساحل البحر لها أهميتها فقط في الحروب البحرية، باستثناء المستودعات، فقد تكون حتى كارثية بالنسبة لجيش قاري من خلال ما تعطيه هذه الحصون من شعور كاذب بالدعم. كاد بيننكسين Benningsen أن يُهلك الجيوش

الروسية من خلال وضعهم في عام 1807 في كونغسبرغ Koenigsberg، وهو ما فعله لكون المدينة مهيأة لإمداد جيشه، لو دعم الجيش الروسي نفسه في دونابورغ Dunaburg (داوغافبيلس Daugavpils) وريغا Riga في عام 1812 بدلاً من التركيز على سمولينسك Smolensk لكان من المحتمل أن يتعرض لخطر الدفع نحو البحر والانقطاع عن جميع قواعده.

العلاقات بين الحصار وعمليات الجيوش هي على نوعين:

1- قد يمر الجيش الغازي بجوار الحصون دون مهاجمتها، ولكن يجب أن يترك قوة لمحاصرتها أو على الأقل لمراقبتها، وعندما يكون عدد من الحصون متاخمة لبعضها البعض سيكون من الضروري ترك فيلق كامل تحت إمرة قائد واحد لمحاصرة الحصون أو مراقبتها حسب ما تتطلبه الظروف.

2- عندما يقرر الجيش الغازي مهاجمة أي حصن سيتم تكليف قوة كافية لمواصلة الحصار، أما الباقي فقد يواصل مسيرته الهجومية أو يتخذ موقعاً لحماية الحصار.

في السابق كان النظام السيء السائد يتمثل بتطويق المدن من قبل جيش كامل يدفن نفسه في خطوط تحصينات لإحاطة المحاصَرين circumvallation وخطوط تحصينات لإحاطة المحاصِرين contravallation.[295] هذه الخطوط تكلف الكثير من الجهود والمصاريف ما يعادل تكلفة الحصار نفسه. مثال على ذلك خطوط تورينو Turin الشهيرة التي كانت بطول خمسة عشر ميلاً، وعلى الرغم من محاصرتها من قبل ثمانية وسبعين ألف فرنسي، إلّا أن الأمير يوجين استطاع فك الحصار بأربعين ألف جندي في عام 1706، هذا المثال يكفي لإدانة هذا النظام السخيف.

بقدر ما يثير إعجابنا سرد أعمال القيصر العظيمة في حصار أليس Alise، فليس من المحتمل أن يقلد أي جنرال في عصرنا ما فعله. من الضروري للغاية بالنسبة للقوة المحاصِرة أن تعزز موقعها من خلال بناء تحصينات مستقلة (detached work)[296] للسيطرة على

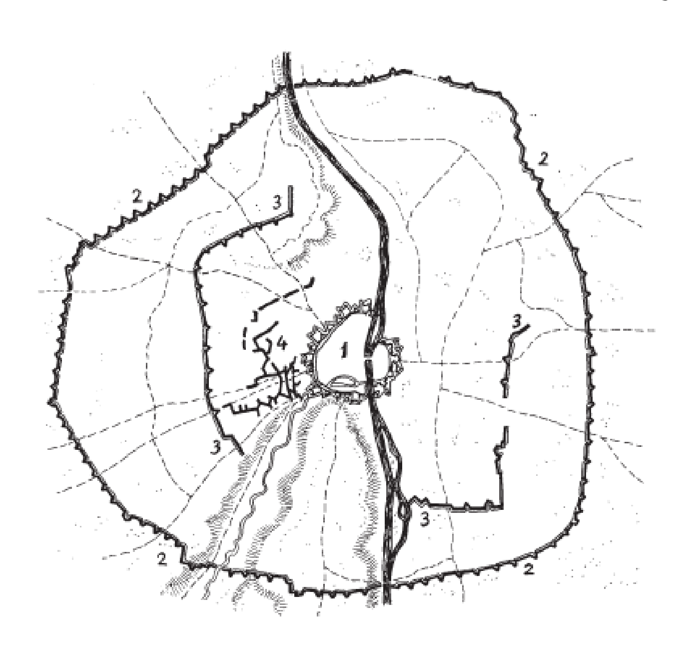
[295] خطوط الإحاطة بالمحاصَرين circumvallation هي خطوط تحصينات قد تكون خنادق وقد تكون جدران مؤقتة لأجل تشديد الحصار على الهدف و حماية المحاصِرين من هجمات المحاصَرين، خطوط الإحاطة بالمحاصِرين contravallation هي خطوط تحمي المحاصِرين من هجمات أي جيش يحاول فك الحصار، وعادة تقع إلى خارج خط الإحاطة بالمحاصَرين، وتساعد أيضا في تشديد الحصار.

[296] يقصد بالتحصينات المستقلة هي تحصينات تبنى منفصلة عن السور الرئيسي للحصون بعيدة عنه على قدر مدى البنادق في ذلك الوقت، مع كونها مرتبطة وظيفيا بالعمل الدفاعي للحصن. وتُبنى على مواقع استراتيجية لغرض السيطرة على المناطق والمراقبة. وقد تكون بشكل أبراج أو حصون مصغرة.

الطرق التي قد تستخدمها الحامية للهروب أو التي قد تزعج الحصار من الخارج. وقد فعل نابليون هذا في مانتوفا Mantua، وأيضاً الروس في فارنا Varna.

أثبتت التجربة أن أفضل طريقة لحماية الحصار هي هزيمة ومطاردة قوات العدو التي تحاول فك الحصار إلى أقصى حد ممكن. إذا كانت القوة المحاصِرة أقل عدداً ينبغي أن تتخذ موقعاً استراتيجياً يغطي جميع الطرق التي قد تصل منها قوات فك الحصار، وفي حالة اقتراب جيش لفك الحصار يجب أن يتحد أكبر قدر من القوة المحاصِرة التي يمكن سحبها مع قوات حماية الحصار للهجوم على الجيش المقترب وتقرير ما إذا كان الحصار سيستمر أم لا.

كان بونابرت في مانتوفا Mantua عام 1796 نموذجاً في الذكاء والمهارة لعمليات مراقبة وتغطية جيوش الحصار.



حصار ماستريخت عام 1673

رقم 3 خندق إحاطة للمحاصِرين contravallation، رقم 2 خندق إحاطة المحاصَرين circumvallation ويقع خارج رقم3 (وهو خلاف المعتاد)، رقم 1 المدينة، رقم 4 خنادق للاقتراب من المدينة

الخطوط المحصنة Intrenched lines:

وإلى جانب النوعين من الخطوط للإحاطة بالمحاصَرين والمحاصِرين المشار إليها أعلاه هناك نوع آخر، وهو أطول من الخطين السابقين، وينتمي نوعا ما لفئة التحصينات الدائمة، لأنه يهدف إلى حماية أجزاء من الحدود (الجبهات).

بقدر فشل نظام الخطوط المحصنة كان نظام الحصون أو المعسكر المحصن يصلح كملاذ مؤقت للجيش ومفيد للغاية، أنا لا أشير الآن إلى خطوط قصيرة وُضِعَت لإغلاق ممر ضيق، مثل فوسن Fussen وشارنيتس Scharnitz، لأنها تُعتبر مثل الحصون.

لكنني أتحدث عن خطوط يبلغ طولها عدة فراسخ، وتهدف إلى إغلاق جزء من الحدود (الجبهة) بالكامل. على سبيل المثال تلك التي في ويسيمبورغ Wissembourg، والتي يغطيها نهر لاوتر Lauter متدفقة من خلف الجبهة، مدعومة بنهر الراين على الميمنة وفوسجيس (جبال الفوج) Vosges على الميسرة. مع أنها استوفت جميع شروط التأمين من الهجمات فإنها تسقط في كل مرة تتعرض للهجوم.

لعبت خطوط ستولهوفن Stollhofen (التي على يمين نهر الراين) نفس الدور الكارثي التي لعبتها ويسيمبورغ Wissembourg على اليسار، وكذلك كويكيتش Queich وكينزيغ Kinzig كان لهما نفس المصير.

خطوط تورينو Turin 1706 وتلك التي في الماينز Mayence 1795 على الرغم من أن المقصود من إقامتها أن تكون خطوط إحاطة المحاصَرين circumvallation، كانت مشابهة للخطوط المعنية في طولها وفي المصير الذي أصابها. مهما دُعِمت بعوائق طبيعية إلا أن طولها الكبير يؤدي إلى شل المدافعين عنها، وغالباً ما تكون عرضة للالتفاف. من الغباء انغلاق الجيش في التحصينات، حيث يمكن الالتفاف عليه وتطويقه أو الهجوم عليه من الأمام حتى لو كان في مأمن من هجمات الأجناب، ومن المأمول ألا نرى تكرار هذا الأمر. سنتعامل مع موضوع الهجوم عليها والدفاع عنها في فصل التكتيكات.

كما أشرنا أنه من العبث استخدام هذه الخطوط الطويلة، فمن المفيد أن نذكر أيضاً أن من الحماقة إهمال المزايا التي يمكن أن تمنحها التحصينات المستقلة detached work في زيادة قوة المحاصِرين أو تأمين موقع ما أو الدفاع عن شعب.

الموضوع السابع والعشرين: علاقة المعسكرات المحصنة ورؤوس الجسور بالاستراتيجية

سيكون من غير المناسب هنا الدخول في التفاصيل المتعلقة بمواقع المعسكرات النظامية وبوسائل تغطية الحراس المتقدمين لها، أو على مزايا التحصينات الميدانية في الدفاع عن المواقع. المعسكرات المحصنة فقط هي التي تدخل في تراكيب التكتيكات الكبرى وحتى الاستراتيجية، وهذا يحققونه من خلال الدعم المؤقت التي توفره المعسكرات للجيش.

ويمكن ملاحظة ذلك من خلال مثال معسكر بونتزيلويتز Buntzelwitz الذي أنقذ فريدريك في عام 1761، وفي كيهل Kehl ودوسلدورف Dusseldorf في 1796، إن مثل هذا الملاذ قد يكون ذا أهمية قصوى. مكّن معسكر أولم Ulm في عام 1800 كراي Kray من إعاقة جيش مورو Moreau على نهر الدانوب لمدة شهر كامل، واستفاد ولينغتون Wellington كثيراً من معسكره في توريس فيدراس Torres-Vedras . وقدم معسكر شوملا Shumla مساعدة كبيرة للأتراك في الدفاع عن بلادهم بين نهر الدانوب وجبال البلقان.

والقاعدة الحاكمة في هذا الصدد هي أنه ينبغي إقامة المعسكرات على النقاط الاستراتيجية التي تمتلك أيضاً مزايا تكتيكية. إذا كان معسكر دريسا Drissa عديم الفائدة للروس في عام 1812 فذلك لأنه لم يكن في موقع مناسب بالنسبة لنظامهم الدفاعي، الذي كان ينبغي أن ترتكز على سمولينسك Smolensk وموسكو، ومن ثم اضطر الروس إلى التخلي عنه بعد بضعة أيام.

إن القواعد التي ذكرناها لتحديد النقاط الاستراتيجية الحاسمة تنطبق على جميع المعسكرات المحصنة، لأنه يجب أن يتم وضع هذه المعسكرات على هذه النقاط فقط. إن فوائد هذه المعسكرات متنوعة: فقد تصلح لأن تكون نقاط انطلاق لعملية هجومية، أو كأن تكون

رؤوس جسور لتأمين عبور نهر كبير أو مساكن لفصل الشتاء أو كملاذ للجيش بعد تعرضه للهزيمة.

ومع ذلك مهما كان موقع المعسكر جيداً، فسيكون من الصعب دائماً تحديد موقع يمنع حدوث الالتفاف عليه، إلا إذا كان الموقع مثل معسكر توريس فيدراس Torres-Vedras على شبه جزيرة مدعومة من البحر. كلما كان من الممكن الالتفاف على المعسكر من اليمين أو اليسار فسيضطر الجيش إلى التخلي عن المعسكر أو المخاطرة بالبقاء والتعرض لحصار. قدم معسكر درسدن Dresden دعماً مهماً لنابليون لمدة شهرين، ولكن بمجرد أن تم الالتفاف عليه من قبل الحلفاء لم يكن لديها حتى مزايا الحصن العادي، الأمر الذي أدى لهلاك فيلقين في غضون بضعة أيام لعدم وجود المؤن.

على الرغم من كل هذا فإن هذه المعسكرات عندما يكون الغرض منها توفير الدعم المؤقت لجيش دفاعي، فإنها تحقق هذه الغاية حتى عندما يتجاوزها العدو بشرط ألا تكون معرضة للهجوم من الخلف، بمعنى آخر جميع الاتجاهات تكون مؤمنة على حد سواء من الضربات الخاطفة coup de main. من المهم أيضاً أن تُقام هذه المعسكرات بالقرب من الحصون بحيث تؤمن المستودعات أو تغطي جبهة المعسكر الأقرب إلى خط الانسحاب.

بشكل عام فإن مثل هذه المعسكرات هي ميزة لا شك فيها إذا كانت على الأنهار، مع وجود مساحة كبيرة على الجانب الآخر من هذه الأنهار لتوفير رؤوس جسور للتحكم بالضفتين وبالقرب من مدينة محصنة كبيرة وغنية بالموارد مثل ماينز Mayence أو ستراسبورغ Strasbourg، لكنها لن تكون أكثر من ملجأ مؤقت ووسيلة لكسب الوقت وجمع التعزيزات. وعندما يكون الهدف هو طرد العدو سيكون من الضروري مغادرة المعسكر والقيام بعمليات في الأراضي المفتوحة.

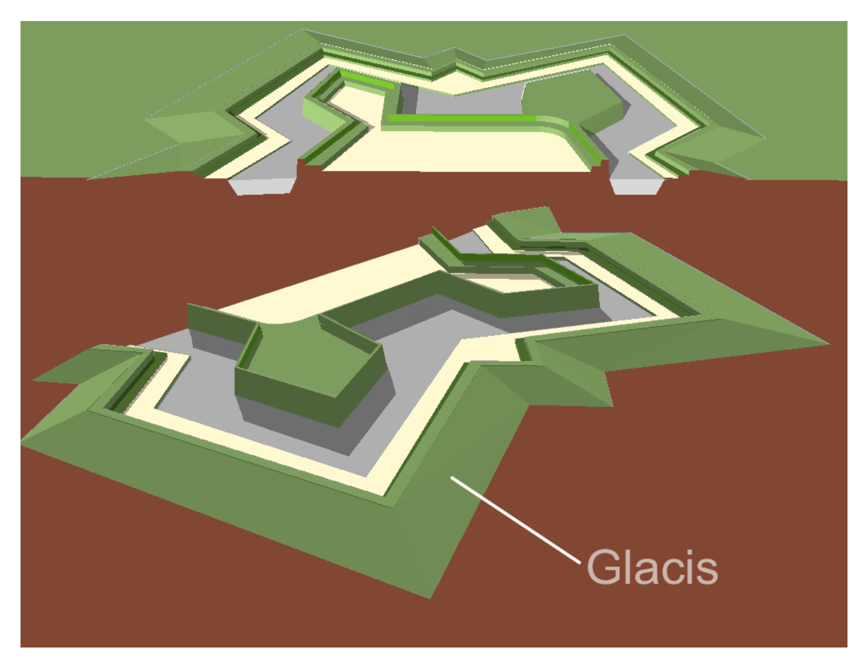
القاعدة الثانية لهذه المعسكرات هي أنها مفيدة بشكل خاص للجيش في أرض الوطن أو بالقرب من قاعدة عملياته. إذا تمركز الجيش الفرنسي في معسكر محصن على نهر إلبه فسيفقده بمجرد سيطرة العدو على الأرض بين نهري الراين وإلبه، ولكن إذا تمت محاصرة الجيش الفرنسي في معسكر محصن بالقرب من ستراسبورغ فقد يسترجع تفوقه ويسيطر على

الميدان بالقليل من المساعدة، في حين أن العدو في المناطق الداخلية من فرنسا المحصور بين قوة التبديل والنجدة وبين الجيش المتحصن في المعسكر سيواجهوا صعوبة كبيرة في العودة عبر نهر الراين.

لقد ناقشنا هذه المعسكرات حتى الآن من وجهة نظر استراتيجية، لكن العديد من الجنرالات الألمان زعموا أن فائدة هذه المعسكرات هي حماية الحصون أو لمنع حصارها، وهو ما يبدو لي أنه جدال سفسطائي بعض الشيء. مما لا شك فيه أنه سيكون من الصعب محاصرة حصن ما عندما يكون الجيش معسكراً على منحدر هندسي Glacis.[297] وقيل إن الحصون والمعسكرات تقدمان دعما متبادلاً، ولكن حسب رأيي فإن الاستخدام الحقيقي والرئيسي للمعسكرات المحصنة هو دائماً لتوفير (إذا لزم الأمر) ملجأ مؤقت للجيش أو وسيلة لخروج الجيش منه مهاجماً نقطة حاسمة. إن تقوقع الجيش في مثل هذا المعسكر وتعريضه لخطر الالتفاف وقطعه عن إمداده ببساطة لتأخير الحصار يُعَد حماقة. مثال وورمسر Wurmser الذي أطال الدفاع عن مانتوفا Mantua سيتم الاستشهاد به دفاعاً عن هذه الحماقة، في النهاية ألم يهلك جيشه؟ وهل كانت هذه التضحية مفيدة حقاً؟ أنا لا اظن ذلك؛ لأن الحصن كان قد تم تبديله وتموينه مرة واحدة فقط، ووقع في أيدي النمساويين أدوات الحصار، ومن ثم تغير الأمر بالضرورة من حصار إلى حظر[298]، ولم يكن من الممكن أخذ المدينة إلا بسبب المجاعة، وكان ينبغي على وورمسر بدل إطالة الحصار المسارعة في تسليم الحصن.

[297] منحدر هندسي Glacis هو منحدر مصطنع يتم وضعه حول القلاع والحصون في العصور الوسطى والفترة المبكرة من العصر الحديث، وقد يبنى من التراب كدفاع مؤقت وقد يبنى من الحجارة كبناء دائم.

[298] الفرق بين الحصار siege وبين الحظر Blockade أن الثانية تشمل فقط قطع الإمدادات من أي نوع كان، أما الحصار تشمل الجهد العسكري اللازم (أو يعرفه البعض بأنه حظر عسكري) لإسقاط مدينة أو حصن. إذ كل حصار هو حظر، وليس كل حظر حصار.



منحدر هندسي Glacis

إن المعسكر المحصن للنمساويين قرب ماينز عام 1795 بالتأكيد كان سيمنع حصار الحصن لو امتلك الفرنسيون الوسائل لفرض الحصار ما لم يعبروا نهر الراين، ولكن بمجرد أن ظهر جوردان Jourdan على نهر لاهن Lahn ومورو Moreau في الغابة السوداء Black Forest أصبح من الضروري التخلي عن المعسكر وترك المكان ليعتمد على وسائل الدفاع الخاصة به. في حالة وجود حصن يحتل نقطة يستحيل على أي جيش أن يتجاوزها دون أن يأخذها، في هذه الحالة فقط يتم إنشاء معسكر محصن بهدف منع الهجوم على الحصن. ويا ترى أي حصن في أوروبا على هكذا موقع؟

المسألة المهمة للغاية في إنشاء هذه المعسكرات بالقرب من الأماكن المحصنة على أحد الأنهار هي ما إذا كان ينبغي أن يكونوا على نفس الضفة التي توجد فيها الحصن أو على الضفة الأخرى. عندما يكون من الضروري اختيار أحدهما بسبب حقيقة أن الحصن لا يمكن أن يغطي كلا الضفتين، بالتأكد سأفضل تواجد المعسكر بالضفة الأخرى مخالفاً أنا بذلك آراء الكتاب الألمان.

لكي يصلح المعسكر كملاذ آمن للجيش عند الهزيمة أو كنقطة انطلاق وخروج للعمليات الهجومية يجب أن يكون المعسكر على ضفة النهر تجاه العدو. وفي هذه الحالة فإن الخطر الرئيسي الذي يُخشى هو أن العدو قد يلتف على المعسكر من الخلف عن طريق اجتياز

النهر من نقطة أخرى، وإذا كان الحصن على نفس ضفة المعسكر ففائدتها ستكون قليلة، بينما إذا كان على الضفة الأخرى مقابل المعسكر فيكاد يصبح من المستحيل أن يلتف على المعسكر من الخلف. على سبيل المثال: فإن الروس الذين لم يتمكنوا من الصمود ليوم واحد في معسكرهم في دريسا Drissa كان من الممكن أن يصمدوا أمام العدو لفترة طويلة إذا كانت هناك تحصينات على الضفة اليمنى من دفينا Dwina بتغطية مؤخرة المعسكر. لذلك صمد مورو لمدة ثلاثة أشهر في كيهل Kehl أمام كل جهود الأرشيدوق تشارلز Charles. في حين في ستراسبورغ Strasbourg لم يكن هناك على الضفة المقابلة حصن، فلذلك فإن معسكره كان من السهل الالتفاف عليه من خلال عبور نهر الراين.

من المؤكد أنه سيكون من الأفضل توفير الحماية للحصون من على الضفة الأخرى أيضا، والحصن الذي يمسك كل الضفتين من شأنه أن يفي بهذا الشرط. يبدو أن تحصين كوبلنتز Coblentz الذي شُيِّد مؤخراً يمثل بداية عصر جديد من التحصينات. هذا النظام من البروسيين يجمع بين مزايا المعسكرات المحصنة والتحصينات الدائمة (الحصون) ويستحق الدراسة باهتمام، ومهما كانت عيوبه فمن المؤكد أنه سيوفر مزايا هائلة لجيشٍ مصممٍ للعمل على نهر الراين.[299]

في الواقع إن مشكلة المعسكرات المحصنة على الأنهار الكبيرة هي أنها مفيدة للغاية فقط عندما تكون خلف النهر. وفي هذه الحالة يتعرضون للمخاطر الناجمة عن تدمير الجسور (كما حدث لنابليون في إسلنغ Essling) هذا إن لم نذكر شيء عن خطر فقدان المؤن والذخائر، أو حتى خطر هجوم أمامي (جبهوي) قد لا تصمد التحصينات أمامه.

إن نظام التحصينات المستقلة الدائمة لكوبلنتز يتمتع بميزة تجنب هذه المخاطر من خلال حمايتها للمستودعات على نفس الضفة مع الجيش، وفي ضمان حماية الجيش من الهجوم على الأقل حتى يتم إعادة تأسيس الجسور. إذا كانت المدينة على الضفة اليمنى لنهر الراين، ولم يكن هناك سوى معسكر محصن من التحصينات الميدانية field works على الضفة اليسرى فلا يمكن ضمان تأمين المستودعات أو الجيش، لذا إذا كان كوبلنتز حصناً

[299] يتألف التحصين في كوبلينتز من المدينة المحصنة ومن حصن غرب نهر الراين، ومن حصن إهرينبريتستين Ehrenbreitstein الواقع شرق ملتقى نهر الراين مع نهر موسيل Moselle إضافة للتحصينات المستقلة.

عادياً جيداً بدون تحصينات (حصون) مستقلة detached forts، فلن تستطيع الجيوش الكبيرة أن تجعله مكاناً للجوء بسهولة، ولن يكون هناك تسهيلات للخروج منه في وجود عدو. من الصعب للغاية الوصول إلى حصن إهرينبريتستين Ehrenbreitstein الذي يهدف إلى حماية كوبلنتز Coblentz على الضفة اليمنى بحيث سيكون من السهل للغاية حصاره، وقد يصبح الخروج صعباً جداً على أي قوة بأي حجم من الحصن.

لقد قيل الكثير مؤخراً عن نظام جديد يستخدمه الأرشيدوق ماكسيميليان Maximilian لتحصين معسكر لينز Linz المحصن بأبراج مبنية. بما أنني لا أعرف عن ذلك إلا الإشاعات والتوصيف الذي قدمه الكابتن ألارد Allard في سبيكتيتور ميليتاير، لا يمكنني مناقشة الأمر بشكل كامل. أنا أعرف فقط أن نظام الأبراج الذي استخدمه العقيد أندريس Andreis المبتكر في جنوة Genoa كان يبدو لي مفيداً، لكنه لا يزال قابل للتحسينات التي يبدو أن الأرشيدوق قد أضافها. قيل لنا أن أبراج لينز التي تقع في خنادق وتحميها منحدرات هندسية تتمتع بميزة إطلاق نيران أفقية مركزة وحمايتها من النيران المباشرة للعدو.

مثل هذه الأبراج إذا كانت محاطة بشكل جيد ومتصلة بواسطة دريئة[300] parapet تصبح معسكراً مفيداً للغاية، ومع ذلك ستعاني دائماً من مساوئ الخطوط المغلقة. إذا كانت الأبراج معزولة، والفواصل بينها مغطاة بعناية بالتحصينات الميدانية (يتم رفعها عند الحاجة)، فإنها ستجعل المعسكر أفضل من المعسكرات المحمية بالطابية[301] العادية، ولكن ليست بنفس الفائدة تماماً التي توفرها الحصون المستقلة الكبيرة كما في كوبلنتز Coblentz. يبلغ عدد هذه الأبراج اثنان وثلاثين، ثمانية منها تقع على الضفة اليسرى مع حصن مربع يسيطر على بيرلنكسبيرك Perlingsberg. الباقي الأربعة والعشرين على الضفة اليمنى منها حوالي سبعة أو ثمانية أنصاف أبراج فقط[302]. محيط هذا الخط هو حوالي اثني عشر ميلاً، وتتراوح المسافة بين الأبراج بين خمسمائة وستمئة ياردة، وسيتم وصلها في حالة الحرب بطريق

[300] الدريئة عبارة عن مرتفع في صدر الخندق أو بالمجاز في أعلى الحصن يتستر خلفة المحاربون قديما.

[301] هي حصون صغيرة تحوي على مواقع بطاريات مدفعية دفاعية وقد تبنى من الحجارة أو من السواتر الترابية وتقع خارج الحصون الكبيرة.

[302] يعتبرالنصف برج(في بعض الأوقات يسمى البرج الناقص) أو البرج المفتوح برج محصن قوي في الجدران الخارجية أو سور القلعة مفتوح من الخلف. يُستخدم مثل هذا النوع من الأبراج في جدران المدينة و ايضاً يمكن ان تتدرج بوابات المدينة ضمن نوع النصف برج.

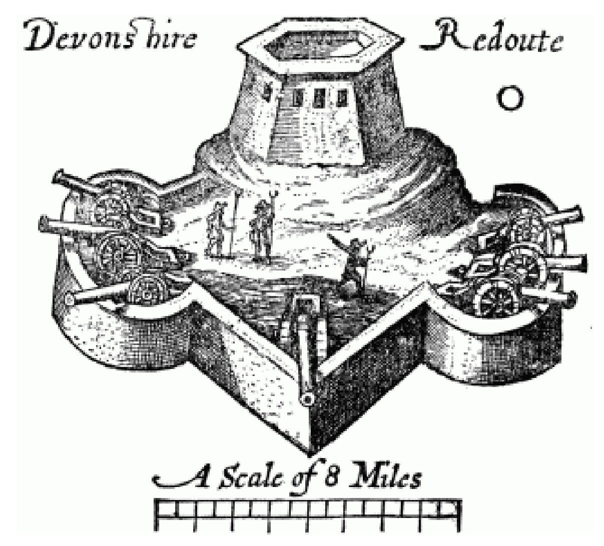
مغطى مسيجة بحساتك Palisade[303]، تكون في بناء من ثلاث طوابق فيها المدافع ترمي من فوق السور وهي الدفاع الأساسي، تحمل أحد عشر مدفعاً من عيار 24 رطل. يتم وضع اثنين من مدافع الهاوتزر في الطابق الأعلى. توضع هذه الأبراج في خندق عميق وعريض، حيث تشكل السواتر المرفوعة من الخنادق deblais منحدرات عالية تحمي البرج من الرمايات المباشرة. لكن يجب علينا التفكير أنه سيكون من الصعب حماية المدفعية من النيران المباشرة.

يقول البعض أن هذا قد يكلف حوالي ثلاثة أرباع قيمة ما كان يمكن أن يكلفه سور محصن بزوايا محصنة (البستين) كامل ضروري لجعل لينز حصناً من الدرجة الأولى. يقول آخرون أنه لم يكلف أكثر من ربع التحصين بالبستين، وأنه بالإضافة إلى ذلك يفيد غرضاً مختلفاً تماماً. إذا كانت هذه الأعمال تقاوم حصاراً منتظماً فهي بالتأكيد معيبة جداً. لكن كمعسكر محصن لإعطاء ملجأ ومخرج على ضفتي نهر الدانوب لجيش كبير فهي مناسبة، وسيكون لها أهمية كبيرة في حرب مثل 1809، ولو كانت موجودة في ذلك الوقت لأنقذت العاصمة.



دريئة

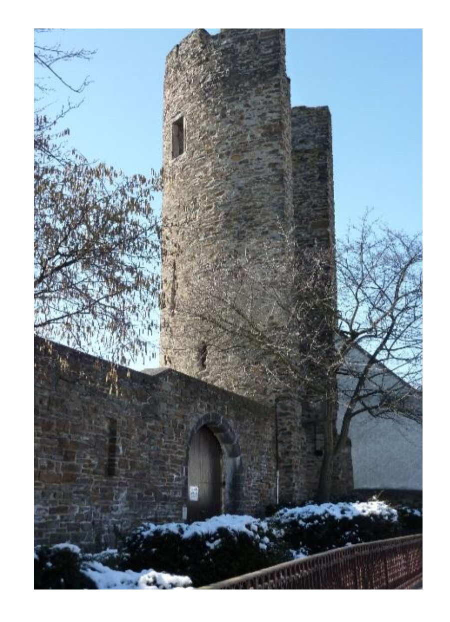
[303] الحسيكة جمع حسائك وهي عبارة عن سياج حسكي من أوتاد خشبية قوية مستدقة تضرب من حول الحصن للتعويق.



طابية Redoubt



حساتك



نصف برج

لإكمال نظام كبير ربما كان من الأفضل تطويق لينز Linz بخط منتظم مزود بالبستين (زوايا محصنة) ثم بناء سبعة أو ثمانية أبراج بين النتوء الشرقي ومصب ترون، على مسافة مباشرة من اثنين ونصف ميل، بحيث يشمل المعسكر فقط المساحة المنحنية بين لينز وتراون Traun والدانوب. بعد ذلك كانت الميزة المزدوجة للحصن من الدرجة الأولى ومعسكر تحت مدافعها مجتمعة، وحتى لو لم يكن كبيراً جداً لكانوا سيردون على الجيوش الكبيرة، لا سيما إذا كانت الأبراج الثمانية على الضفة اليسرى وحصن Perlingsberg قد تم الحفاظ عليها.

رؤوس الجسور Tetes de ponts:

رؤوس الجسور من أهم التحصينات الميدانية. إن الصعوبات التي تواجه عبور النهر (وخاصةً إذا كان كبيراً) في مواجهة العدو تُظهر بشكل كبير الفائدة الهائلة لمثل هذه التحصينات، والتي نحتاجها أكثر من المعسكرات المحصنة، حيث أنه إذا كانت الجسور مؤمنة فسيتم تأمين جيش من الأحداث الكارثية التي قد تصاحب الانسحاب السريع عبر نهر كبير.

تعتبر رؤوس الجسور مفيدة على نحو مضاعف عندما تحمي معسكراً كبيراً محصناً، وستكون الفائدة ثلاثة أضعاف إذا كانت تغطي الضفة المقابلة لموقع المعسكر المحصن، فحينئذ سوف يدعم كل منهما الآخر. ومن نافلة القول أن نذكر أن هذه التحصينات لها أهمية خاصة في أرض العدو وعلى جميع الجبهات التي لا توجد فيها تحصينات دائمة. **يمكن ملاحظة أن الاختلاف الرئيسي بين نظام المعسكرات المحصنة وبين رؤوس الجسور هو أن أفضل المعسكرات المحصنة تتألف من تحصينات مستقلة ومغلقة، بينما تتألف رؤوس الجسور عادة من تحصينات متصلة مفتوحة.** يجب أن يتم اشغال الخط المحصن بقوات على امتداد كامل طوله لكي ينجح في الدفاع، والذي يتطلب بشكل عام وجود جيش كبير، وإذا حدث العكس من ذلك وكانت التحصينات مغلقة ومنفصلة فتحتاج لقوة صغيرة نسبياً للدفاع عنها.

سيتم مناقشة الهجوم والدفاع عن هذه التحصينات في جزء لاحق من الكتاب.

الموضوع الثامن والعشرين: العمليات الاستراتيجية في الجبال

تبرز الأرض الجبلية نفسها في تراكيب الحرب تحت أربعة حيثيات مختلفة. قد يكون مسرح الحرب كله جبلي، أو ربما ينحصر في منطقة عمليات، أو تكون الجبال ممتدة على طول مسرح الحرب، أو قد ينساح الجيش عبر حزام الجبال منه إلى سهول كبيرة وغنية.

إذا استثنينا سويسرا وتيرول والمقاطعات النوركية Noric (شمال شرق إيطاليا) وبعض أجزاء من تركيا والمجر وكاتالونيا والبرتغال فإن البلدان الأوروبية تقع جبالها على سلسلة جبلية واحدة. في هذه الحالات لا يوجد سوى صعوبة في العبور في الشعب وهي عقبة مؤقتة والتي بمجرد التغلب عليها تصبح ميزة لا عقبة. في الواقع بمجرد عبور السلسلة الجبلية ونقل الحرب إلى السهول يمكن اعتبارها كقاعدة مؤقتة، والتي قد يتراجع إليها الجيش ويجد ملجأ مؤقتاً. **الاحتياط الأساسي الوحيد الذي يجب ضمانه هو عدم السماح للعدو بقطع خط الانسحاب نحو الجبال.**

الجزء من جبال الألب الواقع بين فرنسا وإيطاليا وجبال البرانس (التي ليست عالية جداً، على الرغم من كونها متساوية في العرض) من هذا النوع. جبال بوهيميا والغابة السوداء والفوج Vosges تنتمي إلى هذه الفئة. في كاتالونيا تغطي الجبال الأرض بأكملها على امتداد نهر إبرو Ebro. إذا كانت الحرب مقتصرة على هذه المقاطعة فإن التراكيب لن تكون هي نفسها كما لو كان هناك حزام جبلي. من هذا المنظور ستختلف المجر قليلاً عن لومبارديا Lombardy وكاستيل Castile، لأنه إذا كانت جبال الكاربات crapacks في الجزء الشرقي والشمالي هي من التضاريس الهامة مثل جبال البرانس فإنها تبقى مجرد عقبة مؤقتة ويتغلب الجيش عليها سواء كان ذلك في حالة الانسياح نحو حوض واغ Waag أو نيترا Neytra أو تيسا Theiss أو من حقول مونغاتش Mongatsch وسيكون لديهم السهول الشاسعة بين نهري الدانوب وتيسا Theiss كميدان عمليات. الفرق الوحيد سيكون في الطرقات التي تمر عبر جبال الألب رغم قلة عددها فإنها ممتازة، بينما لا يوجد في المجر طريق مؤهل. في جزءها الشمالي تصبح هذه السلسلة أعرض وإن لم تكن عالية، ويبدو أنها تنتمي إلى صنف ميدان العمليات الجبلية بالكامل، ولكن بما أن العمليات الحاسمة في أودية

واغ Waag وتيسا Theiss قد تجبر على إخلائها فيجب اعتبارها عوائق مؤقتة. ومع ذلك فإن الهجوم على هذا البلد والدفاع عنه سيكون بمثابة الدراسة الاستراتيجية الأكثر إثارة للاهتمام.

عندما تكون الأرض جبلية للغاية كما في تيرول أو سويسرا ليست سوى منطقة عمليات، فإن أهمية هذه الجبال هي ثانوية ويجب اعتبارها كحصون، وستحول الجيوش الصراعات العظيمة نحو الوديان. بطبيعة الحال سيكون الأمر خلاف ذلك تماماً إذا كان هكذا أرض هي ساحة العمليات بأكملها.

استمر الجدل طويلا في مسألة كون امتلاك الجبال قد يعطي السيطرة على الوديان، أم أن امتلاك الوديان قد يعطي السيطرة على الجبال. مال الأرشيدوق تشارلز (وهو حاكم ذكي جداً ومختص) في رأيه إلى الخيار الثاني وأثبت أن وادي نهر الدانوب هو مفتاح جنوب ألمانيا. يعتمد هذا النوع من المسائل إلى حد كبير على القوى النسبية لكل طرف وتنظيمهما على الأرض. إذا كان هناك ستون ألف فرنسي يتقدمون في (نحو) بافاريا مع وجود قوة مساوية للنمساويين، وعلى الأخير أن يوجّه ثلاثين ألف رجل إلى تيرول ويعتزم استبدالهم بتعزيزات عند وصولهم إلى نهر الإن، فسيكون من الصعب على الفرنسيين الدفع على طول هذا الخط، وترك قوة كبيرة تسيطر على منافذ شارنيتس Scharnitz وفوسن Fussen و كوفستيين Kufstein ولوفرز Lofers، لكن إذا كانت القوة الفرنسية مائة وعشرون ألف رجل، وحققت مثل هذه النجاحات لتوطيد تفوقها على الجيش في جبهتها، عندئذ قد تترك مفرزة كافية لتغطية ممرات تيرول وتكمل تقدمها حتى لينز Linz كما فعل مورو Moreau في عام 1800.

لقد نظرنا حتى الآن في هذه المناطق الجبلية كمناطق ثانوية فقط. إذا اعتبرناها الميادين الرئيسية للعمليات فإن المشكلة الاستراتيجية تبدو أكثر تعقيداً. حملات 1799 و 1800 غنية بالتعليمات في هذا الفرع من الفن. فيما يتعلق بكتابتي عنهم سعيت لإظهار تعليماتهم من خلال عرض تاريخي للأحداث. ولا أستطيع فعل أفضل من إحالة القراء إليها.

عندما ننظر إلى نتائج الغزو الأحمق لسويسرا بأمر من حكومة المديرين Dierectory الفرنسية، وتأثيرها المميت في مضاعفة حجم مسرح العمليات وجعلها تصل من تيسل Texel إلى نابولي Naples، نجد في الاتفاقيات بين فرنسا والنمسا لتحييد سويسرا منذ ثلاثة قرون أمراً بديهياً لا داعي أن نبالغ في الثناء عليه. سوف يقتنع كل شخص بذلك عن طريق دراسة الحملات المثيرة للاهتمام لأرشيدوق تشارلز وسواروف وماسينا في عام 1799، وحملات نابليون ومورو في عام 1800. الأول هو نموذج للعمليات في ميدان جبلي بالكامل، والثاني هو نموذج للحروب التي يقرر فيها مصير البلدان الجبلية في السهول.

سأذكر هنا بعض الاستنتاجات التي تستخلص من هذه الدراسة. عندما يكون المسرح الرئيسي للعمليات هي الأرض التي تمتد على طولها الجبال؛ فلا يمكن أن تستند التراكيب الاستراتيجية بشكل كامل على القواعد التي يمكن تطبيقها في الأرض المفتوحة.

تصبح المناورات العرضية transversal maneuver للاستيلاء على طرف جبهة عمليات العدو في الجبال دائماً صعبة للغاية وغالباً ما تكون مستحيلة. في مثل هكذا أرض لا يمكن المناورة بجيش كبير إلا في عدد صغير من الوديان، حيث سيتولى العدو نشر حراس متقدمين يتمتعون بالقوة الكافية لتأخير الجيش لفترة تكفي لتوفير وسائل لإفشال المبادرات، وحيث أن التلال التي تفصل هذه الوديان لا يتم عبورها إلا عبر طرق غير سالكة لمرور الجيش، فإن المسيرات العرضية لا يمكن أن تتم إلا بواسطة فرق صغيرة من القوات الخفيفة.

النقاط الاستراتيجية الطبيعية المهمة ستكون عند تقاطع الوديان الكبيرة أو الجداول في تلك الأودية وهي قليلة العدد، وإذا احتلها الجيش الدفاعي بأجزاء كبيرة من قواته فسيضطر الغزاة بشكل عام إلى توجيه هجمات مباشرة لطرد تلك القوات.

ومع أن المناورات الاستراتيجية الكبيرة في هذه الحالات أكثر ندرة وصعوبة فهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أنها أقل أهمية. على العكس من ذلك إذا نجح المهاجم في الاستيلاء على أحد مراكز الاتصال بين الوديان الكبيرة على خط انسحاب العدو سيكون الأمر أكثر خطورة بالنسبة للأخير مما سيكون عليه الوضع في أرض مفتوحة؛ لأن احتلال واحد أو اثنين من الشِعَب الصعبة الولوج غالباً ما يكون كافياً ليدمر الجيش كله.

إذا كانت هناك صعوبات في الهجوم ينبغي، يجب أن نقر بوجود صعوبات كثيرة في الدفاع أيضاً، بسبب ضرورة تغطية جميع المنافذ التي يمكن أن يتم عبرها شن هجوم على النقاط الحاسمة، وعلى صعوبات المسيرات المستعرضة التي سيضطر للقيام بها لتغطية النقاط المهددة. لننهي الموضوع عن هذا النوع من المسيرات والكلام عن صعوبة توجيهها، سأحيل القارئ إلى ما فعله نابليون في عام 1805 لقطع ماك Mack عن أولم Ulm، لو أنه تم تسهيل هذه العملية من خلال مئات الطرق التي تقطع شوابيا Swabia في جميع الاتجاهات، ولو كانت الطرق عبر الأراضي الجبلية غير سالكة بسبب عدم وجود طرق عرضية للقيام بالمسير في الدائرة الطويلة من دوناوفورت Donauwerth عبر اوغسبورغ Augsburg إلى ميمينجين Memmingen ، لاستطاع ماك من خلال مئات الطرق هذه نفسها أن ينسحب بسهولة أكبر بكثير مما لو كان محصوراً بواحد من أودية سويسرا أو تيرول التي كان يوجد فيها منفذ واحد فقط.

من ناحية أخرى إذا تحول الجنرال للدفاع قد يركز جزء كبير من قواته في الأراضي المستوية المفتوحة، لأنه إذا انتشر العدو لاحتلال كل الطرق التي قد يتراجع إليها الجيش الدفاعي، فسيكون من السهل على الأخير سحق فرق العدو المعزولة. ولكن في بلد جبلي للغاية حيث يوجد عادةً مسار واحد أو مسارين رئيسيين تفتح عليهما الوديان الأخرى حتى من اتجاه العدو، يصبح أمر تركيز القوات أكثر صعوبة، حيث قد ينتج عن ذلك صعوبات خطيرة إذا أُهمِلت أحد هذه الوديان الهامة ولم تتم مراقبتها.

لا شيء يمكن أن يبرهن بشكل أفضل على صعوبة الدفاع الاستراتيجي في المناطق الجبلية أكثر من الحيرة التي نعانيها عندما نحاول ببساطة تقديم النصيحة في مثل هذه الحالات، فضلاً عن وضع قواعد لهذه الحالات. إذا كان الأمر يتعلق بمسألة الدفاع عن جبهة واحدة محددة قصيرة الطول تتكون من أربعة أو خمسة وديان متقاربة، يكون تقاطعهم على مسيرة قصيرة ليومين أو ثلاثة من قمم السلاسل فهذه مسألة بسيطة، سيكون كافياً عندئذٍ أن نوصي ببناء حصن جيد في أضيق نقطة وأقلها تسهيلاً للالتفاف في كل من هذه الوديان. يجب أن تتمركز بضعة ألوية من سلاح المشاة المحمية بهذه الحصون لتدافع عن هذا الممر، في حين أن نصف الجيش يجب أن يتم وضعه كاحتياط عند التقاطع، حيث سيكون في موقع

إما لحماية الحراس المتقدمين الأكثر تعرضاً للتهديد، أو الهجوم على المهاجمين مع كامل القوة عند انسياحهم. إذا أضفنا تعليمات جيدة إلى قادة الحراس المتقدمين، سواء في تعيينهم أفضل نقطة للاجتماع عندما يتم كسر خطهم الدفاعي من الحصون أو في توجيههم إلى مواصلة العمل في الجبال على أجناب العدو، قد يعتبر الجنرال المسؤول عن الدفاع نفسه في موقع لا يُقهر، وذلك بفضل الصعوبات العديدة التي تعرضها البلاد للمهاجم. لكن إذا كانت هناك جبهات أخرى كهذه على الميمنة والميسرة وكلها يجب الدفاع عنها فإن المشكلة تتغير. **صعوبات الدفاع تزداد بزيادة طول الجبهات**، ويصبح هذا النظام من أطواق الحصون خطير، وفي الوقت نفسه ليس من السهل إيجاد غيره.

يمكن أن تزيد قناعتنا بهذه الحقائق من خلال النظر في موقع ماسينا في سويسرا عام 1799، بعد هزيمة جوردان في معركة ستوكاتش Stockach، احتل ماسينا الخط من بازل عبر شافهاوزن Schaffhausen وراينك Rheineck إلى سانت جوثارد Saint-Gothard، ومن ثم لا فوركا La Furca إلى الجبل الأبيض Mont-Blanc. كان لديه أعداء أمام بازل في فالدزهوت Waldshut وفي شافهاوزن وفي فيلدكيرخ Feldkirch وفي خور Chur. هدد بيليغارد Bellegarde سانت جوثارد، وهدد الجيش الإيطالي سيمبلون Simplon وسانت برنارد. كيف كان عليه أن يدافع عن مثل هكذا الخط؟ وكيف يمكن أن يترك واحداً من هذه الوديان العظيمة، وبالتالي يخاطر بكل شيء؟ من راينفلدن Rheinfelden إلى جورا Jura نحو سوليور (سولوتورن) Soleure كانت مجرد مسيرة قصيرة ليومين، وكان هناك الفخ الذي وُضع فيه الجيش الفرنسي، كان هذا إذن مرتكز الدفاع، لكن كيف يمكن أن يترك شافهاوزن بدون حماية؟ كيف تخلى عن راينك Rheineck وسانت جوثارد Saint-Gothard؟

كيف نفتح فاليه Valais والطريق إلى برن Berne دون استسلام سويسرا بأكملها إلى التحالف؟ وإذا قام بتغطية كل نقطة حتى لو بتعيين لواء لكل نقطة فأين سيكون جيشه عندما يحتاجه للقيام بمعركة مع القوات المقتربة؟ إنه نظام طبيعي على مسرح عمليات مستوي ومفتوح لتركيز الأجزاء الكبيرة من قوات الجيش. ولكن في الجبال فإن مثل هذه المسار

سيسلم مفاتيح البلاد، وبالإضافة إلى ذلك ليس من السهل القول أين يمكن تركيز الجيش الضعيف من دون تعريضه للخطر.

بعد الإخلاء القسري لخط الراين وزيورخ Zurich، بدا أن النقطة الاستراتيجية الوحيدة للدفاع عن ماسينا هي خط جورا. كان سريعاً بما فيه الكفاية للوصول إلى ألبيس Albis، وهو خط أقصر من نهر الراين، هذا صحيح لكنه تعرض لهجمات النمساويين على طول طريق طويل. إذا كان بيليغارد بدلاً من ذهابه إلى لومباردي Lombardy عبر فالتيلينا Valtellina وسار إلى بيرن Berne أو اندمج مع الأرشيدوق لاستطاع تدمير ماسينا Massena. **يبدو أن هذه الأحداث تثبت أنه إذا كانت دولة مغطاة بالجبال المرتفعة مواتية للدفاع من وجهة نظر تكتيكية، هذا الأمر مختلف من الناحية الاستراتيجية لأنها تستلزم تقسيم القوات. لا يمكن علاج ذلك إلا من خلال منحهم قدرة أكبر على التنقل والتحول إلى الهجوم أحياناً.**

يؤكد الجنرال كلاوزفيتز Clausewitz (الذي يغلب عليه المنطق الجامد) يؤكد على العكس من ذلك بأن الحركات هي أصعب جزء في هذا النوع من الحروب، ويجب على الطرف المدافع تجنب القيام بأقل حركة، لأنه قد يخسر من خلال هذه المسار مزايا الدفاع المحلي (الموقعي). ومع ذلك فإنه يثبت في الأخر بأن الدفاع السلبي يؤدي إلى الاستسلام تحت الهجوم القوي، وهو ما يثبت بأن المبادأة ليست أقل فائدة في الجبال منها في السهول. إذا كان هناك أي شك حول هذه النقطة يجب أن تبددها حملة ماسينا في سويسرا، حيث لم يثبت نفسه إلا من خلال مهاجمة العدو في كل فرصة، حتى عندما اضطر إلى البحث عنه في كرمسيل Grimsel وسانت جوثارد Saint-Gothard. كان مسار نابليون في عام 1796 في التيرول مشابه عندما كان يواجه وورمسر Wurmser وألفينزي Alvinzi.

أما بالنسبة للمناورات الاستراتيجية التفصيلية فيمكن فهمها من خلال قراءة أحداث حملة سواروف عبر سانت جوثارد نحو موتينثال Muttenthal (muotathal). في حين أننا يجب أن نثني على مناوراته في محاولة أسر ليكورب Lecourbe في وادي رويس Reuss، يجب علينا أيضاً أن نعجب بحضور ذهنه ونشاطه والحزم الذي لا ينضب الذي

أنقذ ذلك الجنرال وفرقته. بعد ذلك في شاكنثال Schachenthal وموتينثال Muttenthal، تم وضع سواروف في نفس الوضع الذي كان عليه ليكورب وخلص نفسه بنفس القدرات. لم تكن حملة العشرة أيام للجنرال موليتور Molitor أقل تميزاً، الذي كان معه أربعة آلاف رجل في إقليم غلاريس Glaris محاصرا بأكثر من ثلاثين ألفاً من الحلفاء، ونجح بعد ذلك في الإبقاء على نفسه خلف نهر لينث Linth بعد أربع معارك مثيرة للإعجاب. هذه الأحداث تثبت لنا بطلان كل النظريات التفصيلية، وأيضاً في بلد كهذا فإن الإرادة القوية والبطولية نافعة أكثر من كل القواعد في العالم.

بعد هذه الدروس هل أحتاج إلى أن أذكر أن أحد القواعد الأساسية لهذا النوع من الحروب هو عدم المخاطرة بالنفس في النزول إلى الأودية دون تأمين المرتفعات؟ هل أحتاج أن أكرر بأن في هذا النوع من الحروب (أكثر من أي عملية أخرى) ينبغي أن توجه العمليات إلى اتصالات العدو؟ وأخيراً هل سأحتاج أن أذكر بأن تلك القواعد المؤقتة الجيدة أو خطوط الدفاع عند ملتقى الوديان العظيمة، التي تغطيها الاحتياطيات الاستراتيجية، وإلى جانب قابلية الحركة الكبيرة والتحركات الهجومية المتكررة ستكون أفضل وسيلة للدفاع عن الأرض؟

لا أستطيع إنهاء هذا الموضوع دون أن أشير إلى أن الدول الجبلية مفيدة بشكل خاص للدفاع عندما تكون الحرب قومية، حيث ينهض كل الناس للدفاع عن أوطانهم مع العناد الذي يثير الحماسة لقضية مقدسة، وبذلك كل خطوة يتقدمها العدو يدفع ثمنها تضحيات جسيمة. لكن لإنجاح الحرب فمن الضروري دائماً أن تؤازر القوة العسكرية النظامية الكبيرة بشكل أو بآخر الشعب، فمن دون هذا الدعم سيرضخ الشعب في النهاية مثل ما حدث مع أبطال ستانز Stanz وتيرول.

كذلك يكون الهجوم على أرض جبلية في إحدى حالتين: إما أن يكون موجهاً إلى حزام جبلي خلفه ساحة عمليات سهلية واسعة، أو أن يكون المسرح بأكمله أرض جبلية.

في الحالة الأولى لا يوجد الكثير مما ينبغي القيام به أكثر من التالي: "قم بعمل استعراض للقوة على كامل خط الجبهة من أجل دفع العدو لمد دفاعاته، ثم شق ممراً على النقطة الحاسمة التي تقدم أفضل النتائج. المشكلة في مثل هذه الحالة هي أن الاختراق يتم عبر

طوق ضعيف وقليل العدد، بينما المواقع localities قوية وكثيرة بعدد المدافعين، وإذا ما تم كسر الخط في مرحلة ما فسيتم إسقاط الخط بأكمله.

يظهر ما حدث في حصن بارد Bard في عام 1800 والاستيلاء على لوتاش Leutasch وشارنتز Scharnitz في 1805 من قبل نيي (الذي وجه أربعة عشر ألف رجل على إنسبروك Innspruck وسط ثلاثين ألف جندي نمساوي، وعن طريق الاستيلاء على هذه النقطة المركزية أجبرهم على الانسحاب في جميع الاتجاهات) أنه مع المشاة الشجعان والقادة الجريئين فإن هذه السلاسل الجبلية الشهيرة يمكن أن يتم الاستيلاء عليها بشكل عام.

إن حادثة مرور جبال الألب حيث التف فرانسيس الأول على الجيش الذي كان ينتظره في سوزا Suza من خلال العبور عبر جبال شديدة الانحدار بين جبل سينيس Mont Cenis ووادي كويرا Queyras هو مثال على تلك العوائق المنيعة والتي يمكن التغلب عليها دائماً. ولمواجهة ذلك كان من الضروري اعتماد نظام الطوق، ولقد رأينا بالفعل ما هي النتيجة المرجوة من ذلك. كان موقع السويسريين والإيطاليين في Suza أقل ذكاء حتى من نظام الطوق، لأنه حصرهم في وادي ضيق دون حماية الأودية الجانبية. يجب أن تكون خطتهم الاستراتيجية هي توجيه الجنود نحو هذه الوديان لحماية الشِعَب ونشر معظم الجيش باتجاه تورينو أو كارينيانو Carignano.

عندما ننظر للصعوبات التكتيكية لهذا النوع من الحروب، والمزايا الهائلة التي توفرها للدفاع، قد نميل إلى اعتبار تركيز قوة كبيرة لاختراق وادي واحد كمناورة متهورة للغاية، والتفكير في أنها يجب تقسيمها إلى عدد كبير من الأرتال على قدر الممرات السالكة. في رأيي هذه واحدة من أخطر الأوهام جميعها، ولتأكيد ما أقول فيكفي الإشارة فقط إلى مصير أرتال تشامبيونيت Championnet في معركة فوسانو Fossano. إذا كان هناك خمسة أو ستة طرق على جبهة مهددة فجميع الطرق مهددة بالطبع، لكن يجب على الجيش الذي يعبر السلسلة الجبلية ألا يتقدم بأكثر من كتلتين كبيرتين، والطرق التي تسلكها لا ينبغي أن تكون متباعدة؛ لأنهم لو كانوا كذلك قد يكون العدو قادراً على إلحاق الهزيمة بهم كل على حدة. تم تخطيط عبور نابليون لسانت برنارد بذكاء، شكّل الجزء الأكبر من جيشه في المركز، مع فرق على كل

جناح عبر ممر جبل سينس Mont–Cenis والسيمبلون Simplon ليشتت انتباه الأعداء ويلتف على مسيرتهم.

إن غزو دولة مغطاة بالكامل بالجبال مهمة أكبر وأكثر صعوبة من أن تُنجَز خاتمتها بمعركة حاسمة في الأراضي المفتوحة؛ لأن ميدان المعركة في منطقة جبلية نادراً ما يسمح بنشر أجزاء كبيرة من القوات، وتصبح الحرب سلسلة من المعارك الجزئية. قد لا يكون من الحكمة اختراق نقطة واحدة من خلال وادي ضيق وعميق، فقد يغلق العدو منافذه وبالتالي يمكن أن يتعرض الجيش الغازي للخطر. بل من الأفضل أن يخترق الجناحان عبر خطين جانبيين أو ثلاثة خطوط، ولا ينبغي المباعدة في المنافذة، يتم ترتيب المسيرات بشكل جيد على هذا النحو بحيث يمكن للأجزاء الكبيرة من الجيوش أن تنزاح من تقاطع الوديان في نفس اللحظة تقريباً. يجب أن يتم دفع العدو من جميع التلال التي تفصل بين هذه الوديان.

من بين جميع البلدان الجبلية سيكون الدفاع التكتيكي لسويسرا هو الأسهل، إذا كان جميع سكانها متحدون في القضية، وبمساعدتهم قد تصمد وتدافع القوة المنظمة مقابل 3 أضعاف قوتها.

إعطاء تعليمات محددة للتعامل مع التعقيدات التي تختلف بشكل واسع مع الأماكن والموارد وحالة الشعب والجيوش هو من السخف بمكان. التاريخ المدروس والمفهوم بشكل جيد هو أفضل مدرسة لهذا النوع من الحروب. رواية حملة عام 1799 من قبل الأرشيدوق تشارلز وتلك الحملات التي قدمتها في كتابي تاريخ حروب الثورة، وسرد حملة جريسون Grisons من قبل سيغور Segur وماتيو دوماس Mathieu Dumas ، وسرد الحملة الكاتالونية التي كتبها القديس سير Cyr وسوشيت Suchet، وحملة دوق دي روهان Duke de Rohan في فالتلينا، وعبور جبال الألب من قبل جيلارد، وتاريخ فرانسيس الأول هي دلائل جيدة في هذه الموضوع.

الموضوع التاسع والعشرين: الغزوات الكبرى والحملات البعيدة

هناك عدة أنواع من الحملات البعيدة:

1. النوع الأول: هي الحروب التي لا تتعدى كونها حروب مساعدة وتنتمي إلى حروب التدخل.
2. النوع الثاني: هي الغزوات القارية الكبيرة عبر مساحات واسعة من البلاد، والتي قد تكون صديقة أو محايدة أو مشكوك فيها أو معادية.
3. النوع الثالث: من نفس الطبيعة، لكن يحدث جزء منها على اليابسة، وجزء على البحر باستخدام الأساطيل.
4. النوع الرابع: ويتألف من الغزوات إلى ما وراء البحار لتأسيس المستعمرات البعيدة أو الدفاع عنها أو مهاجمتها.
5. النوع الخامس: يشمل الإنزالات الكبرى، حيث أن المسافات التي تُقطع ليست بعيدة، ولكن الدول التي يتم غزوها من الدول الكبرى.

بالنسبة للنوع لأول من وجهة نظر استراتيجية فإن وجود جيش روسي على نهر الراين أو في إيطاليا في تحالف مع الولايات الألمانية سيكون بالتأكيد أقوى وأكثر نفعاً مما لو كان قد وصل إلى أي من هاتين النقطتين عن طريق المرور عبر أرض معادية أو حتى مناطق محايدة، ستكون القواعد وخطوط عمليات ونقاط الدعم المؤقتة لحلفاء روسيا نفسها لجيشها. قد تجد ملجأ وراء خطوط دفاعهم والمؤن في مستودعاتهم والذخائر في ترساناتهم، لو لم يحدث هذا التحالف لن يجد الجيش موارده إلا على فيستولا أو النيمين، ويمكن أن تقدم مثالاً آخر على المصير المحزن للعديد من هذه الغزوات الكبرى.

على الرغم من الاختلاف المهم بين الحرب التي تقدم فيها الدولة مجرد مساعدة، وبين غزو بعيد لتحقيق مصالحها وباستخدام مواردها الخاصة، إلا أن هناك مخاطر في طريق هذه الجيوش المؤازرة ويحدث إرباك للقائد العام لجميع الجيوش، وخاصة إذا كان ينتمي إلى الدولة التي ليست طرفاً رئيسياً في الحرب كما حدث في حملة عام 1805. تقدم الجنرال كوتوسوف Koutousoff عبر نهر الإن إلى حدود بافاريا مع ثلاثين ألف جندي روسي

لتحقيق الاندماج مع ماك، والذي تم تدمير جيشه باستثناء ثمانية عشر ألف جندي، والذي أعادهم جنرال كنماير Kienmayer من دوناوفورت. وهكذا وجد الجنرال الروسي نفسه مع خمسين ألف جندي قد وقعوا ضحية لحركة نابليون الجريئة بمائة وخمسين ألفاً، ومما زاد الطين بلّة بُعدُه عن حدوده الخاصة بمسافة حوالي سبعمائة وخمسين ميلاً. لولا وصول خمسين ألف جندي لتعزيزه لكان من الممكن أن يكون وضعه ميؤوس منه. عرّضت معركة أوسترليتز – بسبب خطأ من فيرثر Weyrother – الجيش الروسي من جديد للخطر لكونه بعيداً جداً عن قاعدته، حيث كاد الجيش أن يصبح ضحية تحالف بعيد، وكان السلام وحده هو الذي منحه فرصة لاستعادة أراضيه.

إن مصير سواروف بعد انتصار نوفي Novi خاصة في الحملة إلى سويسرا، ومصير فيالق هيرمان Hermann في بيرغن Bergen في هولندا هي أمثلة يجب دراستها جيداً من قبل كل قائد في مثل هذه الظروف. كان موقع الجنرال بيننجن Benningsen بين فيستولا والنايمين Niemen في عام 1807 أقل سوءا، لأن موقعه بين النهرين حافظ على اتصالاته بقاعدته ولم يعتمد في عملياته في أي حال من الأحوال على حلفائه.

نشير أيضاً إلى مصير الفرنسيين في بوهيميا وبافاريا في عام 1742 عندما تخلى فريدريك العظيم (كان حليفهم) عنهم وأقام سلاماً مستقلاً. في هذه الحالة كانت الأطراف حلفاء وليسوا مجرد مساعدين. ولكن في العلاقة الأخيرة لم توثق الروابط السياسية على نحو وثيق حتى تقضي على جميع نقاط الخلاف التي قد تضر بالعمليات العسكرية. أمثلة من هذا النوع قد ورد ذكرها في الموضوع التاسع عشر بشأن نقاط الأهداف السياسية.

التاريخ فقط يقدم لنا التعليمات فيما يخص الغزوات البعيدة عبر مناطق واسعة. عندما كانت نصف أوروبا مغطاة بالغابات والمراعي وقطعان المواشي وعندما كانت الخيول والحديد فقط ضرورية لنقل الأمم بأكملها من أحد أطراف القارة إلى الطرف الآخر، اجتاح القوط والهون والفاندال والنورمان والعرب والتتار الامبراطوريات الواحدة تلو الأخرى. ولكن منذ اختراع البارود والمدفعية وتنظيم الجيوش العاملة (الثابتة) الهائلة وخاصة أن الحضارة والسياسة قد

قاربتا بين الأمم وعلمتهما ضرورة الحفاظ على بعضهم البعض على نحو متبادل لم تحدث مثل هذه الأحداث.

إلى جانب هذه الهجرات للأمم كانت هناك حملات أخرى في العصور الوسطى تتميز بمزيد من الطابع العسكري، مثل الحملات الخاصة بشارلمان Charlemagne وغيره. منذ اختراع البارود قلت الغزوات البعيدة، باستثناء حملة تشارلز الثامن إلى نابولي وحملة تشارلز الثاني عشر إلى أوكرانيا. حملات الإسبان في فلاندرز والسويديين في ألمانيا كانت من نوع خاص. كانت الأولى حرب أهلية، بينما كان السويديون مجرد مساعدين للبروتستانت في ألمانيا. وبالإضافة إلى ذلك لم تكن القوى المعنية في كلتا الحالتين كبيرة. في العصر الحديث لم يجرؤ أحد سوى نابليون على نقل جيوش نصف أوروبا من نهر الراين إلى نهر الفولغا Volga. ولا أظن أن أحدا سيجرؤ على تقليد ما فعله. وبصرف النظر عن التعديلات التي تنجم عن مسافات بعيدة فإن بعيداً عن التعديلات التي قد تنتج من المسافات البعيدة فإن جميع الغزوات بعد وصول الجيوش إلى مسرح العمليات الفعلي تتضمن العمليات نفسها مثل جميع الحروب الأخرى. وبما أن الصعوبة الرئيسية تنشأ عن هذه المسافات البعيدة يجب أن نتذكر قواعدنا التي ذكرناها بشأن الخطوط العميقة للعمليات والاحتياطيات الاستراتيجية والقواعد المؤقتة باعتبارها الوحيدة القابلة للتطبيق، وأن تطبيقها لا غنى عنه، على الرغم من أن ذلك لن يمنع كل المخاطر. كانت حملة فرنسا على روسيا عام 1812على الرغم من أنها مهلكة للغاية بالنسبة لنابليون فإنها مثال للغزو البعيد.

رعايته لمغادرة الأمير شوارزنبرغ Schwarzenberg ورينير Reynier نحو بغ Bug، بينما كان ماكدونالد Macdonald وأودينو Oudinot وريدى Wrede يحرسون دفينا Dwina، وفيكتور يحمي سمولينسك Smolensk، وكان أوجيرو Augereau بين الأودر Oder وفيستولا تثبت أنه لم يهمل أي احتياطات ممكنة بشريا ليضع نفسه في مكان آمن. لكنه يثبت أيضاً أن أكبر المبادرات قد تفشل ببساطة بسبب حجم الأعمال التحضيرية لنجاحها.

إذا أخطأ نابليون في هذا الصراع فقد أهمل الاحتياطات الدبلوماسية، وهي عدم توحيد مختلف الفيالق تحت قيادة قائد واحد على دفينا ودنيبر Dnieper في فترة العشرة أيام الطويلة التي بقاها في ويلنا Wilna (فيلنيوس Vilnius). حيث أعطى قيادة الميمنة لأخيه الذي كان غير أهل لها، وفي ائتمانه على الأمير شوارزنبرغ Schwarzenberg (النمساوي) بمهمة لم يؤديها هذا الجنرال بإخلاص الضابط فرنسي. لا أتحدث الآن عن خطأه في البقاء في موسكو بعد الحريق الهائل، حيث لم يكن هناك علاج للمصيبة، على الرغم من أنها لم تكن كبيرة إذا حدث التراجع على الفور. لكنه اتهم كذلك باستهانته بالمسافات الهائلة والصعوبات ورجاله في الاندفاع نحو الكرملين. ولكن قبل إصدار الحكم عليه في هذه المسألة يجب علينا أن نعرف الدوافع الحقيقية التي دفعته إلى عبور سمولينسك بدلاً من المبيت في الشتاء هناك كما كان ينوي، وما إذا كان من الممكن أن يبقى بين تلك المدينة وفيتبسك Vitebsk من دون هزيمة الجيش الروسي مسبقاً.

لا شكّ في أنّ نابليون أهمل كثيراً استياء النمسا وبروسيا والسويد، واعتمد كثيراً على انفراج الأزمة بالوصول بين فيلنيوس والدفينا، على الرغم من أنه كان يقدّر تماماً شجاعة الجيوش الروسية، إلا أنه لم يدرك روح وطاقة الشعب. أخيراً وبشكل رئيسي بدلاً من حدوث اجتماع (توافق أو ائتلاف) متحمس ومخلص للدول عسكرياً (تحت إمرة نابليون)، التي كانت أراضيها ستمنحه قاعدة مضمونة لهجومه على القوة الهائلة لروسيا، فقد وجد أنه أسس مبادرته على تعاون أصحاب شجاعة وحماسة ولكن متقلبين في الولاء، وإلى جانب ذلك أهمل قضية الاستفادة القصوى من هذه الحماسة المؤقتة.

إن مصير جميع هذه المبادرات يجعل من الواضح أن رأس مال نجاحها وفي الواقع القاعدة الوحيدة التي يجب إعطاؤها، هي "ألا تحاول أبداً القيام بحملة كهذه دون أن تضمن تحالفاً متحمساً ودائماً لقوى معتبرة بالقرب بما يكفي من ميدان العمليات لتوفير قاعدة مناسبة، حيث يمكن تجميع الإمدادات من أي نوع، والتي يمكن أيضاً استخدامها في حالة الهزيمة كملاذ آمن ولتوفير وسائل جديدة لاستئناف الهجوم". بالنسبة للاحتياطات الواجب مراعاتها في هذه العمليات، يتم الإشارة للقارئ إلى موضوع الحادي والعشرين والثاني والعشرين بشأن سلامة خطوط العمليات العميقة وإقامة قواعد مؤقتة، لإعطاء جميع الوسائل العسكرية لتقليل

الخطر، ويجب أن تضاف إلى هذه الوسائل التقدير الدقيق للمسافات والعوائق والمواسم والبلدان، باختصار الدقة في الحساب والاعتدال في النجاح، حتى لا يتم نقل المبادرة إلى أبعد من اللازم. نحن أبعد ما يكون عن الاعتقاد في أن القواعد العسكرية البحتة يمكنها ضمان نجاح الغزوات البعيدة، ففي أربعة آلاف عام نجحت خمس أو ست حملات فقط، وفي مئات الحالات كادوا أن يدمروا أمماً وجيوش.

الحملات من النوع الثالث التي يكون جزء منها على البر وجزء على البحر أصبحت نادرة منذ اختراع المدفعية، وكانت الحروب الصليبية هي الأخيرة في تاريخ حدوثها. وربما يكون السبب هو أن السيادة على البحار بعد أن تناقلتها العديد من القوى الثانوية، انتقلت في الأخير إلى أيدي انجلترا، وهي القوة الجزرية البحرية الغنية بالسفن، ولكن لا تمتلك القوات البرية اللازمة لهذه الحملات.

من الواضح من هذين السببين أن الأوضاع الآن مختلفة تماماً عن الحالة الموجودة في زمن خشايار Xerxes لما سار إلى غزو اليونان، تتبعه أربعة آلاف سفينة من جميع الأحجام، أو عندما سار الإسكندر من مقدونيا عبر آسيا الصغرى إلى صور، بينما أبحر أسطوله على طول الشاطئ. ومع ذلك حتى لو لم نعد نرى مثل هذه الغزوات فمن الصحيح أن مساعدة أسطول من السفن الحربية والناقلات ستكون دائماً ذات قيمة هائلة لأي جيش يسير على الشاطئ عندما يكون بإمكانهما العمل بتنسيق، وأيضاً إن سفن الإبحار هي مورد غير مضمون دائماً، لأن تقدمها يعتمد على الرياح التي قد تكون غير مواتية. بالإضافة إلى ذلك فإن أي نوع من الأساطيل هو معرض لأخطار كبيرة كالعواصف وهو أمر كثير الحدوث.

إن الروح العدائية للشعب بشكل أو بآخر وطول خط العمليات والمسافة الكبيرة لنقطة الهدف الرئيسية هي النقاط الوحيدة التي تتطلب تعديلات على نظام العمليات الحربية المعتاد. إذا كان غزو الدول المجاورة أقل خطورة من الدول البعيدة فهذا لا يعني أنها بعيدة عن خطر كبير لحدوث الفشل. الجيش الفرنسي الساعي لاحتلال قادس Cadiz على الرغم من استناده جيداً إلى جبال البرانس وامتلاكه قواعد مؤقتة على إيبرو Ebro وتاجة Tagus قد يكون قبره (نهايته) في الوادي الكبير Guadalquivir. وبالمثل فإن الجيش الذي حاصر

كومورن Komorn عام 1809 في قلب المجر ربما كان من الممكن تدميره في سهول فاكرام Wagram دون الذهاب إلى حدود بيريسينا Beresina.

إن الأحداث السابقة وعدد القوات المتاحة والنجاحات التي تم تحقيقها وحالة البلاد كلها تساعد في تحديد مدى المبادرات التي من الممكن القيام بها، والقدرة على توزيع الموارد بالقدر المطلوب والمناسب للمبادرات في ضوء الظروف المصاحبة لها هي موهبة عسكرية كبيرة للجنرال. **وعلى الرغم من أن الدبلوماسية لا تلعب دوراً مهماً في هذه الغزوات كما هو الحال في تلك البعيدة، إلا أنها تبقى ذات أهمية.** كما ذكرنا في الموضوع السادس **لا يوجد عدو مهما كان ضئيلاً لن نستفيد من تحويله إلى حليف.** التأثير الذي أحدثه تغيير سياسة دوق سافوا في 1706 على أحداث ذلك اليوم وتأثير الموقف الذي اتخذته موريس Maurice من ساكسونيا في 1551 وفي بافاريا عام 1813 يثبت بوضوح أهمية تأمين الحياد الصارم لجميع الدول المجاورة لمسرح الحرب عندما لا يمكن الحصول على تعاونهم.

<u>خلاصة الاستراتيجية:</u>

يبدو لي أن المهمة التي تعهدت بها قد تحققت بشكل واضح من خلال ما تم ذكره فيما يتعلق بالتراكيب الاستراتيجية التي تدخل عادة في خطة للحملة. لقد رأينا من التعريف في بداية هذا الفصل **أنه في أهم العمليات في الحرب تعمل الاستراتيجية على تحديد اتجاه الحركات، وأننا نعتمد على التكتيكات في تنفيذها.** لذلك قبل التعامل مع تراكيب العمليات سيكون من الجيد أن نعطي هنا تراكيب التكتيكات الكبرى والمعارك، بالإضافة إلى القواعد التي يمكن أن يتم تطبيق مبادئ الحرب الأساسية عليها. بهذه الطريقة سيتم فهم هذه العمليات (نصف الاستراتيجية ونصف التكتيكية) بشكل أفضل ككل. ولكن أولاً سأقدم ملخصاً لمحتويات الفصل السابق. من المواضيع المختلفة في هذا الفصل يمكننا أن نستنتج أن طريقة تطبيق المبدأ العام للحرب على جميع المسارح المحتملة للعمليات موجودة فيما يلي:

1. في معرفة كيفية الاستفادة المثلى من المزايا التي قد تحملها الاتجاهات المتعامدة لقاعدتي العمليات وفقا للموضوع 18.

2. في الاختيار بين المناطق الثلاث التي توجد عادة في المجال الاستراتيجي، المنطقة التي تحقق أكبر ضرر للعدو بأقل خسائر.
3. في إنشاء خطوط العمليات وإعطاء توجيه صحيح لها، مع اعتماد نظام متراكز كما فعل الأرشيدوق تشارلز في 1796 ونابليون في عام 1814 أو التراجع بموازاة الحدود (الجبهات) كما فعل سولت في عام 1814. في الهجوم يجب أن نتبع النظام الذي أدى إلى نجاح نابليون في 1800 و1805 و1806 عندما وجه خطه للعميات نحو أطراف الجبهة الاستراتيجية. أو قد نتبنى خطته التي نجحت في 1796 و1809 و1814 المتمثلة بتوجيه خط العمليات نحو قلب الجبهة الاستراتيجية. سيتم تحديد ذلك وفقاً لمواقع كل من جيوش الطرفين، ووفقاً للقواعد الواردة في الموضوع الحادي والعشرين.
4. في الاختيار السليم لخطوط المناورة المؤقتة من خلال إعطائهم التوجيهات المناسبة ليكون الجيش قادر على التصرف باستخدام الجزء الأكبر من القوات، ومنع أجزاء العدو من التركيز أو من تقديم الدعم المتبادل.
5. في الجمع بين جميع المواقع الاستراتيجية وكافة المفارز الكبيرة التي كلفت بتغطية أهم النقاط الاستراتيجية في مسرح الحرب بروح العمل الجماعي والمركزي.
6. في نقل الجنود إلى أكبر قدر ممكن من حالة الحركة والنشاط، وذلك من خلال عملهم المتسلسل على النقاط التي قد يكون من المهم فيها العمل، لتحقيق قوة متفوقة على أجزاء من الجيش المعادي.

إن نظام المسيرات السريعة والمستمرة يضاعف من تأثير الجيوش، وفي الوقت نفسه يحيد جزءاً كبيراً من جيش العدو، وكثيراً ما يكون كافياً لضمان النجاح، لكن يتضاعف تأثيرها خمس مرات إذا تم توجيه المسيرات بمهارة نحو النقاط الاستراتيجية الحاسمة في منطقة العمليات، حيث يمكن إعطاء أقسى ضربات للعدو.

ومع ذلك قد لا يكون الجنرال مستعداً دائماً لاعتماد هذا المسار الحاسم مع استبعاد أي مسار آخر، فيجب عليه بعد ذلك أن يكتفي بتحقيق جزء من هدف كل مبادرة عن طريق العمل السريع والمتسلسل لقواته على أجزاء معزولة للعدو وبالتالي ضمان هزيمتهم. الجنرال الذي

يحرك الأجزاء الكبيرة من قواته بسرعة وبشكل مستمر ويمنحهم التوجيهات الصحيحة؛ سيكون واثقاً من نفسه في كسب الانتصارات وتحقيق نتائج عظيمة منها.

العمليات التي كثيراً ما يستشهد بها عام 1809 و1814 تثبت هذه الحقائق كما ينبغي، وكأوامر كارنو في عام 1793 التي سبق ذكرها في الموضوع الرابع والعشرين، والتفاصيل الموجودة في المجلد الرابع من كتابي تاريخ حروب الثورة. حُملت أربعون كتيبة تباعاً من دونكيرك إلى مينين Menin وموبوج Maubeuge ولانداو، من خلال تعزيز الجيوش الموجودة بالفعل في تلك النقاط كسبت أربعة انتصارات وأنقذت فرنسا. كان من الممكن العثور على كامل علم المسيرات في هذه العملية الذكية لو كانت موجهة إلى النقطة الاستراتيجية الحاسمة. كان النمساوي آنذاك هو الجيش الرئيسي للتحالف، وكان خط الانسحاب الخاص به يقع على كولونيا Cologne حيث كان يمر عبر نهر الميوز، ومن ثم كان يكفي توجيه الجهد العام للفرنسيين على هذا الخط ليعطي ضربة قاصمة. قدمت لجنة السلامة العامة الخطر الأكثر إلحاحاً، وتضمنت مناورتهم نصف المبدأ الاستراتيجي، والنصف الآخر يكون في إعطاء مثل هذه الجهود في الاتجاه الأكثر حسماً، كما فعل نابليون في أولم وفي جينا وفي راتيسبون Ratisbon. الاستراتيجية متضمنة بأكملها في هذه الأمثلة الأربعة.

من نافلة القول أن نضيف أن أحد الأهداف العظيمة للاستراتيجية هي القدرة على ضمان مزايا حقيقية للجيش عن طريق إعداد مسرح الحرب الأكثر ملاءمة لعملياته إذا حدثت على أرضه، من خلال مواقع الحصون والمعسكرات المحصنة ورؤوس الجسور وبافتتاح الاتصالات في اتجاهات حاسمة كبيرة. وهذه الأشياء لا تشكل حتى الجزء الأقل أهمية في هذا العلم. لقد رأينا بالفعل كيف يمكننا التعرف على هذه الخطوط وهذه النقاط الحاسمة الدائمة أو المؤقتة، وقد أعطى نابليون تعليمات حول هذه النقطة على طرق سيمبلون Simplon وممر جبل-سينيس. وقد استفادت النمسا منذ عام 1815 من ذلك في الطرق من تيرول إلى لومباردي وسانت جوثارد Saint-Gothard وسبولجين Splugen، وكذلك من خلال أماكن محصنة مختلفة المراد بناؤها أو مكتملة.

الفصل الرابع

الفصل الرابع

التكتيكات الكبرى والمعارك

المعارك هي الصراعات الفعلية للجيوش التي تدور حول المطالب (المسائل) الكبرى للسياسات والاستراتيجيات الوطنية. **توجِّه الاستراتيجية الجيوش إلى النقاط الحاسمة في منطقة العمليات، وتؤثر فيما بعد على نتائج المعارك، بينما تحصد التكتيكاتُ الانتصاراتِ مستعينةً بالشجاعة والذكاء والتمويل.**

التكتيكات الكبرى هي فن صنع تراكيب تكتيكية جيدة قبل المعارك وخلالها. **إن القاعدة الرئيسية في التراكيب التكتيكية (كما في الاستراتيجية) هي توجيه الجزء الاكبر من القوة المتوفرة نحو الأجزاء الضعيفة من جيش العدو، ونحو النقاط التي تحقق أهم النتائج بالسيطرة عليها.**

يرى بعض الكتّاب أن المعارك هي الأحداث الرئيسية والحاسمة للحرب، إلّا أنه لا ينطبق هذا الزعم على أرض الواقع في كل وقت؛ حيث دُمِّرت جيوش من خلال العمليات الاستراتيجية وذلك دون وقوع معارك ضارية، بل من خلال سلسلة من الأعمال القتالية الصغيرة. وصحيح أيضاً أن الانتصار الكامل والحاسم قد يؤدي إلى نفس النتائج مع عدم وجود تراكيب استراتيجية كبرى.

إن نتائج المعركة تعتمد بشكل عام على اجتماع عدد من الأسباب والتي لا تكون دائماً ضمن نطاق الفن العسكري مثل: طبيعة نظام المعركة المزمعة، والذكاء في إعداد خطة المعركة، وطريقة تنفيذ تفاصيلها، وتعتمد نتائج المعركة نوعاً ما على التعاون المخلص والمستتير للضباط الخاضعين للقائد الأعلى للجيش، وسبب الحرب، ونسبة وجودة قوات الطرفين، وشيء من الحماس، والتفوق لأحد الطرفين في سلاح المدفعية أو الفرسان، وطريقة التعامل مع هذه الأسلحة، إلّا أنّ أهم هذه الأسباب وأكثرها تأثيراً في جعل الانتصارات ونتائجها حاسمة هي معنويات الجيوش والامم. يرتكب كلاوزفيتز خطأً فادحاً في زعمه أن المعركة التي لا تتميز بمناورة التفافية على العدو لا يمكن أن تؤدي إلى نصر كامل. في

معركة زاما Zama شاهد هانيبعل بعينيه كيف تلاشى جهد عشرين عاماً من الأمجاد والنجاحات[304] في ساعات قليلة، على الرغم من أن سكيبيو لم يفكر قط في الالتفاف على موقعه. في ريفولي Rivoli تعرض الطرف المُلتَف (النمساوي) للهزيمة التامة، ولم تكن المناورة الالتفافية أكثر نجاحاً في شتوكاخ Stockach في عام 1799[305]، أو في أوسترليتز Austerlitz في 1805 كما سنوضح في الموضوع الثاني والثلاثين. لا أقصد بأي حال من الأحوال تثبيط استخدام هذه المناورة، بل على العكس من ذلك أشجعها دائماً؛ ولكن من المهم جداً معرفة كيفية استخدامها ببراعة وإتقان وفي الوقت المناسب. وعلاوة على ذلك أنا مع الرأي القائل بأفضلية توظيف التراكيب الإستراتيجية على التراكيب التكتيكية في حال كانت خطة الجنرال تتمثل بالسيطرة على مواصلات عدوه مع الاحتفاظ بسيطرته على مواصلاته الخاصة.

هنا ثلاثة أنواع من المعارك:

1. المعارك الدفاعية، أو تلك التي تخوضها الجيوش في نقاط حاكمة منتظرة هجوم العدو.
2. المعارك الهجومية، حيث يهاجم جيش موقع جيش آخر.
3. المعارك الغير متوقعة (المفاجئة)، وتنتج عن تصادم جيشين التقيا صدفة خلال المسير.

سندرس التراكيب المختلفة التي تقدمها هذه المعارك بالتسلسل.

[304] معركة زامة أو زاما حدثت ضمن ما سمي بالحرب البونية الثانية. نشبت في 19 أكتوبر 202 ق.م. بين الرومان بقيادة سكيبيو الإفريقي والقرطاجيين بقيادة هانيبعل برقة، على الحدود الجزائرية التونسية، انتصر جيش روماني بقيادة سكيبيو الإفريقي على قوة قرطاجية بقيادة هانيبعل برقة. ومباشرة على إثر تلك الهزيمة على أرضهم، قام مجلس الشيوخ القرطاجي بطلب السلام، لينهي الحرب التي دامت 17 عام. كان مع هانيبعل 12000 جندي نظامي وجند بسرعة 25000 جنديا من المشاة والفرسان. كما جلب أيضا ثمانين فيلاً. حشد سكيبيو من خلال التعزيزات القادمة من بلاده وتجنيده لرجال القبائل المحلية المناوئة لقرطاجة 30000 جندي مشاة و9000 فارس. وفي ت 202 ق.م التقى أقوى جيشين غرب المتوسط يقودهما أقوى قائدين عسكريين نفوذا في عصرهما في منطقة زاما، التي تبعد حوالي خمسة أميال جنوب غرب قرطاجة. قسم سكيبيو مشاته إلى ثلاثة صفوف متوازية، ووضع قليلي الخبرة في المقدمة، والمحاربين المحنكين في المؤخرة. ووضع الفرسان على الجناحين. أجرى القائد الروماني تعديلا واحدا على هذا التشكيل، فترك مسافة فاصلة تمتد من 10-20 متراً بين كل سرية مؤلفة من 120 رجلا وأخرى. نظم هانيبعل جيشه بطريقة مماثلة، ولكن دون فواصل، ووضع صفا من الفيلة في مقدمة مشاته. عندما بدأت مجموعة الفيلة بدأ هانيبعل بالتقدم، نفخ الرومان أبواقا وضربوا بسيوفهم على تروسهم، وخلقو ضجة كبرى بأقصى ما يستطيعون. جفلت الفيلة واتجه بعضها نحو الفواصل المتروكة بقصد في الصفوف الأمامية الرومانية، وهربت الأخرى إلى الخلف أو نحو الجناحين. قام الفرسان الرومان بهجوم مقابل على الخيالة القرطاجيين، وردوهم إلى الوراء. ورغم فشل فيلته وتقهقر فرسانه، تقدم جيش هانيبعل. وما إن اخترق القرطاجيون خط الدفاع الأول للرومانيين حتى انقض الفرسان الرومان عليهم من الخلف. أتاحت هذه المناورة لصفي سكيبيو الثاني والثالث إحكام تطويق مشاة هانيبعل. وفي نهاية اليوم، وفع قرابة نصف الجيش القرطاجي صرعى على حقول زاما. وأسر الرومان أكثر من ذلك. فرّ هانيبعل وقلة من رجاله. بلغت خسائر روما حوالي 1500 رجل فقط.

[305] معركة شتوكاخ هي معركة دارت بين الجيوش الفرنسية والنمساوية في يوم 25 مارس عام 1799 من أجل السيطرة على منطقة هيجاو الاستراتيجية جغرافياً. وفي السياق العسكري الواسع، هذه المعركة تُشكل حجر الأساس في الحملة الأولى في جنوب غرب ألمانيا خلال حروب التحالف الثانية، وهي جزء من حروب الثورة الفرنسية.

الموضوع الثلاثين: المواقع والمعارك الدفاعية

عندما يتوقع الجيش هجوماً عليه، فإنه يقوم باتخاذ موقعاً ويشكل خط معركته. من التعريفات العامة في بداية هذا الكتاب، يتبين لكم أنني أميز بين خط المعركة lines of battle ونظام المعركة orders of battle، وهما مصطلحان يخلط بينهما دائماً. أعني بخط المعركة الموقع الذي تشغله الكتائب، إما منتشرة أو في أرتال هجومية، والتي سيتخذه الجيش لإقامة المعسكر والانتظار على جزء من الأرض لهجوم العدو، دون وجود هدف محدد مستقبلاً، وهذا هو الاسم المناسب الذي يعطى لكتلة من القوات التي تصطف على فواصل ومسافات تكتيكية مناسبة في خط واحد أو أكثر، كما سنشرحه بشكل أكثر تفصيلاً في الموضوع الثالث والأربعين. على خلاف ذلك نظام المعركة، هو ترتيب القوات لتنفيذ مناورة معينة؛ على سبيل المثال، النظام المتوازي والنظام المائل والنظام المتعامد.

هذه التسمية على الرغم من كونها جديدة، فهي ضرورية للحفاظ على التمييز الصحيح بين المصطلحين ومنع الالتباس بينهما على الاطلاق[306]. يظهر من طبيعة المصطلحين، أن خط المعركة يختص بالترتيبات الدفاعية؛ لأن الجيش الذي ينتظر هجوماً دون معرفة طبيعة هذا الهجوم أو أين سيحدث يجب عليه أن يشكل بالضرورة خطّاً غير محدد المكان والهدف للمعركة. نظام المعركة –على العكس من ذلك– يشير إلى ترتيب القوات التي تم تشكيلها لغرض الهجوم مع تنفيذ مناورة ما محددة مسبقاً، ويظهر بأنها تختص بالترتيبات الهجومية. إلا أنني لا أتفق مع هذا الطرح تماماً. فقد يتم توجيه كتلة من القوات، على خط المعركة للهجوم على موقع ما، في حين أن جيشاً في موقع دفاعي قد يستخدم النظام المائل أو أي نظام آخر. إلا أن هذا الأمر الذي أشرت إليه آنفاً هو الساري في أغلب الحالات العادية.

---

[306] المؤلف: ليست الرغبة في الاختراع هي التي دفعتني لتعديل بعض المصطلحات القديمة واختراع جديدة. عند تطوير علم من الخطأ تعيين الكلمة نفسها لشيئين مختلفين تماماً. وإذا واصلنا استخدام مصطلح نظام المعركة على ترتيب القوات في خط، فسيصبح غير ملائماً تسمية بعض المناورات المهمة بالنظام المائل للمعركة والنظام المقعر للمعركة، ويصبح من الضروري بدلاً من ذلك استخدام مصطلحات النسق system المائل للمعركة ....الخ. أنا أفضل التسمية التي اعتمدتها. قد يأخذ نظام المعركة على الورق تسمية خطة التنظيم، وعندها سوف يطلق على التشكيل العادي للقوات على الأرض اسم خط المعركة.

دون التقيد الصارم بما يسمى نظام حرب المواقع قد يجد الجيش في كثير من الأحيان أنه من المناسب أن ينتظر العدو في نقطة حاكمة حصينة بطبيعتها ومختارة مسبقاً لغرض خوض معركة دفاعية.

قد يتم اتخاذ مثل هذا الموقع عندما يكون الهدف هو تغطية نقطة هدف مهمة، مثل العاصمة أو المستودعات الكبيرة، أو نقطة استراتيجية حاسمة حاكمة على الأرض المحيطة، أو لحماية حصار.

هناك نوعان من المواقع:

- **الاستراتيجية (التي ناقشناها في الموضوع العشرين)**
- **التكتيكية وتقسم لعدة أنواع:**

النوع الأول: المواقع المحصنة مشغولة بقوات تنتظر العدو وهي تحت حماية التحصينات المترابطة بشكل أو بآخر، **باختصار إنها المعسكرات المحصنة.** ناقشنا علاقاتها بالعمليات الاستراتيجية في الموضوع السابع والعشرين، وسنناقش دورها في الهجوم والدفاع في الموضوع الخامس والثلاثين.

النوع الثاني: **المواقع المحصنة بشكل طبيعي،** حيث تعسكر الجيوش بهدف كسب الوقت لبضعة أيام.

النوع الثالث: **المواقع المفتوحة،** ويتم اختيارها مسبقاً للقتال في موقع دفاعي. تختلف الخصائص المراد البحث عنها في هذه المواقع وفقاً للهدف المطلوب. ومن المهم أن لا ننساق وراء الفكرة المغلوطة الشائعة على نطاق واسع جداً، والتي تقضي بإعطاء الأفضلية للمواقع ذات الانحدار الشديد وصعبة الوصول، فهي قد تكون أماكن مناسبة لإقامة معسكرات مؤقتة، ولكنها ليست الأفضل دائماً كأرض معركة.

لا يكفي لموقع من هذا النوع ليكون محصناً بشكل جيد، أن يكون على منحدر وصعب الوصول إليه فحسب، بل يجب أن يتكيف مع الهدف من احتلاله أيضاً، ويجب أن يوفر أكبر قدر ممكن من المزايا لنوع القوات التي تشكل القوة الأساسية للجيش المتواجد فيها.

وأخيراً يجب أن تكون العوائق التي توفرها التضاريس أكثر إضراراً بالعدو المهاجم من إضرارها بالمدافعين. على سبيل المثال من المؤكد أن ماسينا في اتخاذه موقعاً محصناً في ألبيس Albis، كان من الممكن أن يرتكب خطأً كبيراً لو كانت قوته الرئيسية تتمثل بسلاح الفرسان والمدفعية. بينما كانت المشاة بالضبط أفضل ما يحتاج إليه.

لنفس السبب كان اختيار ويلينغتون لموقعه اختياراً صائباً في واترلو، لاعتماده بشكل تام على كثافة نيران قواته حيث كانت جميع مقترباته يتم تمشيطها جيداً بالنيران. **علاوة على ذلك كان موقع ألبيس موقعاً استراتيجياً، في حين كان موقع واترلو مجرد ساحة معركة**[307].

القواعد التي يجب مراعاتها بشكل عام في اختيار المواقع التكتيكية هي:

1. أن تسهل طرق المواصلات إلى جبهات الهجوم على قوات العدو وتجعل اقتراب العدو من خط المعركة صعباً.

2. أنها تمنح إمكانية الاستخدام الكامل للمدفعية في الدفاع.

3. أن تمنح طبيعة أرض الموقع القدرة على إخفاء تحركات القوات بين الأجنحة، لحشد القوات على أي نقطة مطلوبة.

4. أن تعطي رؤية جيدة لتحركات العدو.

5. أن تعطي خطاً سالكاً للانسحاب.

6. أن تحمي الأجنحة بشكل جيد، إما عن طريق العوائق الطبيعية أو الاصطناعية، بحيث يستحيل شن هجوم على الأجنحة، وتجبر العدو على مهاجمة القلب، أو على الأقل نقطة ما من جبهتها.

هذا الشرط صعب استيفاؤه؛ فلو كان الجيش يستند على نهر أو جبل أو غابة منيعة وحدثت أقل هزيمة، فقد تحدث كارثة كبيرة نتيجة دفع الخط المنكسر نحو العوائق ذاتها التي من

---

[307] كانت معركة زيوريخ الثانية (25-26 سبتمبر 1799) نصراً حاسماً للجيش الفرنسي الجمهوري في سويسرا بقيادة أندريه ماسينا على قوة نمساوية وروسية بقيادة ألكسندر كورساكوف قرب زيورخ. لقد كسر الجمود الذي نجم عن معركة زيوريخ الأولى قبل ثلاثة أشهر وأدى إلى انسحاب روسيا من التحالف الثاني. وقعت معظم المعارك على ضفتي نهر ليمات حتى وصلت إلى أبواب زيورخ، وداخل المدينة نفسها.

المفترض أن توفر الحماية الكاملة. هذا الخطر (الذي لا شك فيه) يؤدي إلى الاعتقاد في أن النقاط التي تُيسر الدفاع السهل هي أفضل في ميدان المعركة من العوائق المنيعة[308].

7. في بعض الأحيان يتم تلبية الحاجة إلى الدعم المناسب للجناحين من خلال وضع خط معكوف إلى الخلف. هذا أمر خطير؛ لأن الخط المعكوف اللصيق بخط يصعب حركتها، وقد يتسبب العدو بخسائر كبيرة في الأرواح من خلال توجيه مدفعيته نحو زاوية ملتقى الخطين. ويبدو أن وجود احتياطي قوي على شكل رتل قريب خلف الجناح لحراسته من الهجوم أفضل لسد الحاجة المطلوبة من الخط المعكوف؛ لكن طبيعة الأرض يجب أن تقرر دائماً في الاختيار بين الطريقتين. ونورد تفاصيل كاملة عن هذا الأمر في وصف معركة براغ، (الفصل الثاني من كتاب حرب السنوات السبع).

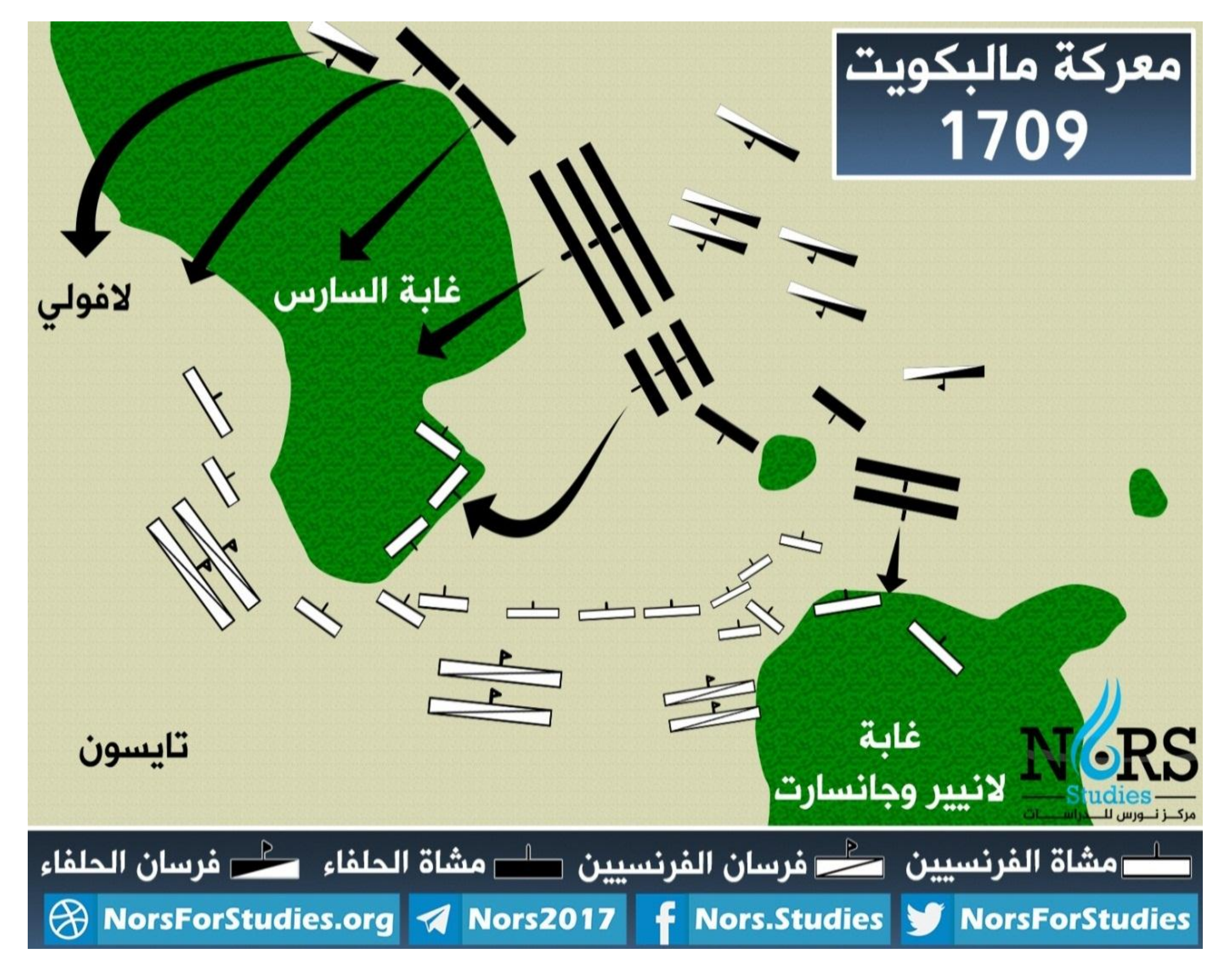
8. يجب ألا نسعى في المواقع الدفاعية لحماية الأجنحة فحسب، فغالباً ما توجد عوائق مشابهة على نقاط أخرى من الجبهة تجبر العدو على الهجوم باتجاه القلب. سيكون مثل هكذا موقع واحداً من أفضل المواقع الدفاعية على الدوام، كما ظهر في مالبلكويت Malplaquet وواترلو Waterloo. العوائق الكبيرة ليست ضرورية لهذا الأمر، بل يكفي في بعض الاحيان أصغر عارض على الأرض ليؤدي المهمة. وهكذا أجبرت ساقية بابيلو Papelotte الموحلة المقرفة الجنرال ناي Ney على مهاجمة قلب جيش ولينغتون Wellington بدلاً من ميسرته كما كان قد أمره نابليون[309].

---

[308] المؤلف: كانت حديقة هوجومونت وهاملت لا هاي سانت وساقية بابلوت (في واترلو) عائق للجنرال ناي أكثر خطورة من موقع الشينغن الشهير، حيث استطاع عبور نهر الدانوب في عام 1805 على أنقاض جسر محترق. ربما يقال إن شجاعة المدافعين في الحالتين لم تكن هي نفسها. ولكن إذا غضضنا النظر عن هكذا صدفة، فيجب أن نعلم أن العوائق في موقع ما عندما تستغل بشكل صحيح، ليس من الضرورة أن تكون مستعصية لكي تفشل الهجوم. في الشينغن Elchingen كان الارتفاع عاليا وضفة النهر منحدرة مما أفقد القوة النارية معظم فاعليتها، فأصبح الموقع ضرره أكثر من نفعه في الدفاع.

المترجم: حدثت واقعة إلتشنغن في 14 أكتوبر 1805 ضمن معركة أولم، حيث قاتلت القوات الفرنسية بقيادة ميشيل ناي الفيلق النمساوي بقيادة يوهان سيغيسموند ريش. أدت هذه الهزيمة إلى قيام جيش الإمبراطور نابليون الأول بفرنسا بمنع هروب الجيش النمساوي عبر نهر الدانوب وإحكام حصار جزء كبير من الجيش النمساوي في قلعة أولم ، بينما هربت تشكيلات نمساوية أخرى إلى الشرق.

[309] حدثت معركة مالبلكويت Malplaquet (التي تقع بين بلجيكا وفرنسا وتسمى حديثا تنساريز سور هون Taisnières-sur-Hon) ضمن حرب الخلافة الإسبانية، في 11 سبتمبر 1709، والتي كانت البوربون في فرنسا وإسبانيا وبين تحالف النمسا وبروسيا وهولندا وبريطانيا. أسفرت المعركة عن تفوق تكتيكي لصالح الحلفاء، إلا إن الحلفاء لم يطاردوا الفرنسيين المنسحبين بانتظام نتيجة الخسائر الهائلة التي منوا بها في المعركة مما أسفر عن نصر استراتيجي للفرنسيين. العائق الذي جعل المعركة لصالح الفرنسيين ودفع الحلفاء للهجوم على قلب الفرنسيين هي وجود غابتين تعيقان الهجوم على أجنحة الجيش الفرنسي.



عند الدفاع عن مثل هذه المواقع، يجب الحرص على الاحتفاظ بأقسام متحركة من الأجنحة المراد حمايتها، وذلك حتى يشاركوا في القتال بدلاً من أن يأخذوا موقف المتفرج.

لا يمكن إخفاء حقيقة أن كل هذه الوسائل ليست سوى مسكنات. **وأفضل شيء لجيش يقف في موقع دفاعي هو أن يعرف كيف يهجم في الوقت المناسب، وأن ينفذ الهجوم.**

من بين الشروط التي يجب أن يستوفيها موقع دفاعي هي إمكانية الانسحاب السهل والآمن. وهذا يقودنا إلى مناقشة مسألة في معركة واترلو.

هل يمكن لجيش مؤخرته مستندة على غابة ويمتلك طريق جيد خلف القلب وكل جناح، أن ينسحب كما تخيل نابليون إذا خسر المعركة؟ رأيي الخاص هو أن مثل هذا الموقع سيكون أكثر ملاءمة للانسحاب من أرض مفتوحة ومكشوفة تماماً؛ لأن الجيش المهزوم لا يستطيع عبور سهل دون التعرض لخطر كبير. من المؤكد في حال تحول الانسحاب إلى هزيمة،

فسيتم فقدان جزء من المدفعية التي تركت في البطارية أمام الغابة في جميع الأحوال؛ لكن المشاة وسلاح الفرسان وجزء كبير من المدفعية يمكن أن يتراجعوا بسهولة عبر سهل.

في الواقع لا يوجد غطاء أفضل للانسحاب المنظم من الغابة، وهذا الرأي يدور على افتراض أنه يوجد على الأقل طريقان جيدان خلف الخط، وأن التدابير المناسبة للانسحاب قد اتخذت قبل أن يكون لدى العدو فرصة للضغط بشكل شديد جداً، وأخيراً يجب عدم السماح للعدو بالقيام بحركة التفافية ليصل أمام الجيش المنسحب عند مخرج الغابة، كما حدث في هوهنليندن Hohenlinden[310]. سيكون التراجع أكثر أماناً إذا كانت الغابة (كما في واترلو) تشكل خطاً مقعراً خلف القلب. لأن هذا المدخل سيصبح مكاناً للأسلحة ولجمع القوات وإعطائهم الوقت الكافي للاصطفاف في أرتال على الطرق الرئيسية.

في مناقشة العمليات الإستراتيجية، تمت الإشارة إلى الفرص المتفاوتة التي يقدمها النظامان الدفاعي والهجومي، وقد رأينا في الاستراتيجية على وجه الخصوص أن الجيش الذي يأخذ بزمام المبادرة يمتلك ميزة كبيرة تتمثل في تجميع قواته وتوجيهها للقيام بضربات في أفضل نقطة، في حين أن الجيش الذي يمسك موقعاً دفاعياً وينتظر الهجمات متوقعاً إياها في كل اتجاه، غالباً ما يُأخذ على حين غرة، ويُلزَم دائماً بتنظيم تحركاته رداً على تحركات العدو. كما رأينا أيضاً أن هذه المزايا ليست بارزة للغاية على مستوى التكتيكات، لأن العمليات في هذه الحالة تشغل مساحة أصغر من الأرض، ولا يستطيع الطرف الذي يأخذ بالمبادرة أن يخفي تحركاته عن العدو، الذي ما أن يكتشفها حتى يتصدى لها على الفور من خلال الاستعانة باحتياطي جيد.

علاوة على ذلك فإن الطرف الذي يتقدم على العدو لديه جميع العوائق الناجمة عن عوارض الأرض التي يجب أن يمر بها قبل الوصول إلى خط العدو، ومهما تكن الأرض مسطحة

---

[310] حدثت معركة هوهنلندن Hohenlinden في 3 ديسمبر 1800 خلال حروب الثورة الفرنسية ضمن حرب التحالف الثانية. حقق الجيش الفرنسي تحت قيادة جان فيكتور ماري مورو انتصاراً حاسماً على النمساويين والبافاريين تحت قيادة الأرشيدوق جون النمسا. بعد أن اضطر الحلفاء إلى الانسحاب الكارثي، اضطروا إلى طلب الهدنة التي أنهت فعليًا حرب التحالف الثانية. تقع Hohenlinden على بعد 33 كم شرق ميونيخ في ألمانيا الحديثة.
كانت الخطة تتمثل باستدراج النمساويين وجعلهم يعتقدون أنهم كانوا يطاردون الفرنسيين، عبر غابة إبرسبرج ونصب كمين على مخرجه. طارد الجناح الأيمن للنمساويين مورو في أربعة أرتال في الغابة وباغتهم مورو لما خرجوا من غابة إبرسبرج وحطم جيش مورو أكبر رتل للعدو بينما باغتت ميمنة الفرنسيين تحت قيادة ريجيبانز ميسرة النمساويين وطوقتهم.

فهناك دائماً وعورة في الأرض، مثل المجاري الصغيرة والأحراش وأسياج الشجيرات وبيوت المزارع والقرى ...الخ، والتي يجب أن يتم السيطرة عليها أو تجاوزها. لهذه العوائق الطبيعية قد تضاف أيضاً بطاريات العدو التي يجب حملها (الاستيلاء عليها)، والاضطراب الذي يسود دائماً إلى حد كبير أو قليل في قطعات الجيش التي تتعرض للنار المستمر إما من المسكيت musketry[311] أو المدفعية. بالنظر إلى هذه المسألة في ضوء هذه الحقائق يجب أن يتفق الجميع على الموازنة بين المزايا الناتجة عن أخذ المبادرة مع السلبيات.



المسكيت

ومع أن هذه الحقائق لا شك فيها، فهناك حقائق أخرى أكثر وضوحاً برهنتها أحداث التاريخ العظيمة. **كل جيش يقصر نفسه على الدفاع في النهاية ستتم إزاحته عن موقعه من قبل الهجوم. في حين أن الطرف الذي يستفيد من جميع مزايا النظام الدفاعي ويبقى على أهبة الاستعداد لاقتناص الفرص والمبادرة والتحول إلى الهجوم تزداد فرصه في تحقيق الانتصار.** الجنرال الذي يقف ثابتاً منتظراً عدوه ويحافظ على دفاعه الصارم قد يقاتل بشجاعة لفترة طويلة، لكنه حتماً سيُزاح عن الطريق إذا تعرض لهجوم ناجح.

ليس الأمر كذلك مع الجنرال الذي ينتظر بالفعل عدوه، ولكن مع التصميم على الهجوم عليه في اللحظة المناسبة، لينتزع من عدوه التفوق المعنوي وينقلها إلى قواته نتيجة التحرك الهجومي مقترنة بنجاح توجيه القوة الرئيسية في العمل نحو النقطة الأكثر أهمية، وهذا الشيء مستحيل تماماً عند الاستمرار في الدفاع الصارم.

[311] المسكيت هو سلاح ناري ذو تجويف أملس يلقم عبر الفوهة وتطلق من الكتف. صممت المسكيت للاستخدام من قبل المشاة. سمي حامل المسكيت بالمسكتير أو المسكتمان.

في الواقع فإن الجنرال الذي يشغل موقعاً جيداً يمتلك فيه حرية الحركة ويتمتع فيه بميزة مراقبة اقتراب العدو؛ ستتمكن قواته (التي رُتِّبت مسبقاً بطريقة مناسبة على الموقع بإسناد بطاريات المدفعية الموضوعة بحيث تحقق أكبر تدمير) من تكبيد العدو خسائر فادحة ودفعه ثمناً باهظاً للغاية مقابل تقدمه في المساحة التي تفصل بين الجيشين. وعندما يتعرض المهاجم بعد تكبده الخسائر لهجوم قوي فإنه سيفقد التفوق في جميع الاحوال في اللحظة التي بدا فيها أن النصر بين يديه، فالأثر المعنوي لمثل هذا الهجوم المضاد من الطرف الذي يُفترَض أنه مهزوم يكفي لتخويف أشجع الجنود.

لذلك قد يستخدم الجنرال بنجاح في معاركه إما النظام الهجومي أو الدفاعي؛ ولكن لا غنى له عن عدة أمور:

1. أن يبعد نفسه عن التمسك بالدفاع السلبي، مع معرفته لكيفية التحول للهجوم في اللحظة المناسبة.
2. أن يكون متأكداً من بصيرته العسكرية ورباطة جأشه.
3. أن يكون متأكداً من قدرته في الاعتماد على قواته.
4. خلال الاستعادة للمبادرة لا ينبغي له بأي حال من الأحوال إهمال تطبيق المبدأ العام الذي كان سيحدد نظامه في المعركة لو أنه هاجم أولاً.
5. أن يوجّه ضرباته على النقاط الحاسمة.

تظهر هذه الحقائق من خلال ما قام به نابليون في ريفولي وأوسترليتز، وكذلك ولينغتون في طلبيرة Talavera[312] وفي سالامانكا Salamanca وفي واترلو.

312 معركة طلبيرة Talavera (27-28 يوليو 1809) حدثت خارج مدينة طلبيرة في إسبانيا على بعد 120 كيلومتراً (75 ميل) جنوب غرب مدريد، خلال حرب شبه الجزيرة الإيبرية. في طلبيرة، كان الجيش الانجلو-اسباني بقيادة السير آرثر ويلسلي (ولنغتون) مع الجيش الاسباني تحت قيادة الجنرال كويستا في عمليات مقابل القوات الفرنسية المحتلة لمدريد. انسحب الجيش الفرنسي ليلاً بعد أن تم صد العديد من هجماته وبعد أن تعرض لهجوم عام أجبر على الانسحاب في الظلام وترك جرحاه ولوائين للمدفعية.

الموضوع الحادي والثلاثين: المعارك الهجومية والأنظمة المختلفة للمعركة

المعارك الهجومية هي التي يخوضها الجيش عندما يهاجم جيش آخر في موقعه[313]. إن جيشاً يتراجع إلى الدفاع الاستراتيجي غالباً ما يتحول للهجوم من خلال شن معركة هجومية، أما الجيش الذي يتعرض لهجوم خلال معركة يستطيع التحول للهجوم ويحوز المزايا المتعلقة بها. يقدم التاريخ العديد من الأمثلة عن معارك لكل نوع من هذه الأنواع. كما تمت مناقشة المعارك الدفاعية في الموضوع السابق، وتمت الإشارة إلى مزايا الدفاع، سنشرع الآن في النظر في الحركات الهجومية.

من المقرر بأن المهاجمين يتمتعون بتفوق في المعنويات بشكل عام على المدافعين، ويكاد يكون على الدوام أكثر فهماً لمحيط المعركة من الثاني الذي يعيش حالة من الغموض نوعاً ما.

بمجرد عزم الجيش على مهاجمة العدو يجب أن يتخذ نظاماً للهجوم، والذي أرى أن يُسمَى بنظام المعركة. يحدث في كثير من الأحيان أن المعركة قد تبدأ بدون خطة مفصلة، لأن مواقع العدو تكون غير معروفة تماماً. وفي كلتا الحالتين ينبغي أن يكون من المعلوم تماماً أن في كل ميدان معركة نقاط حاسمة، تساعد السيطرة عليها أكثر من أي نقطة أخرى على ضمان الانتصار، وذلك بتمكين المسيطر عليها من تطبيق مبادئ الحرب بشكل سليم. ينبغي بالتالي اتخاذ الترتيبات اللازمة لتوجيه الضربة الحاسمة على هذه النقاط.

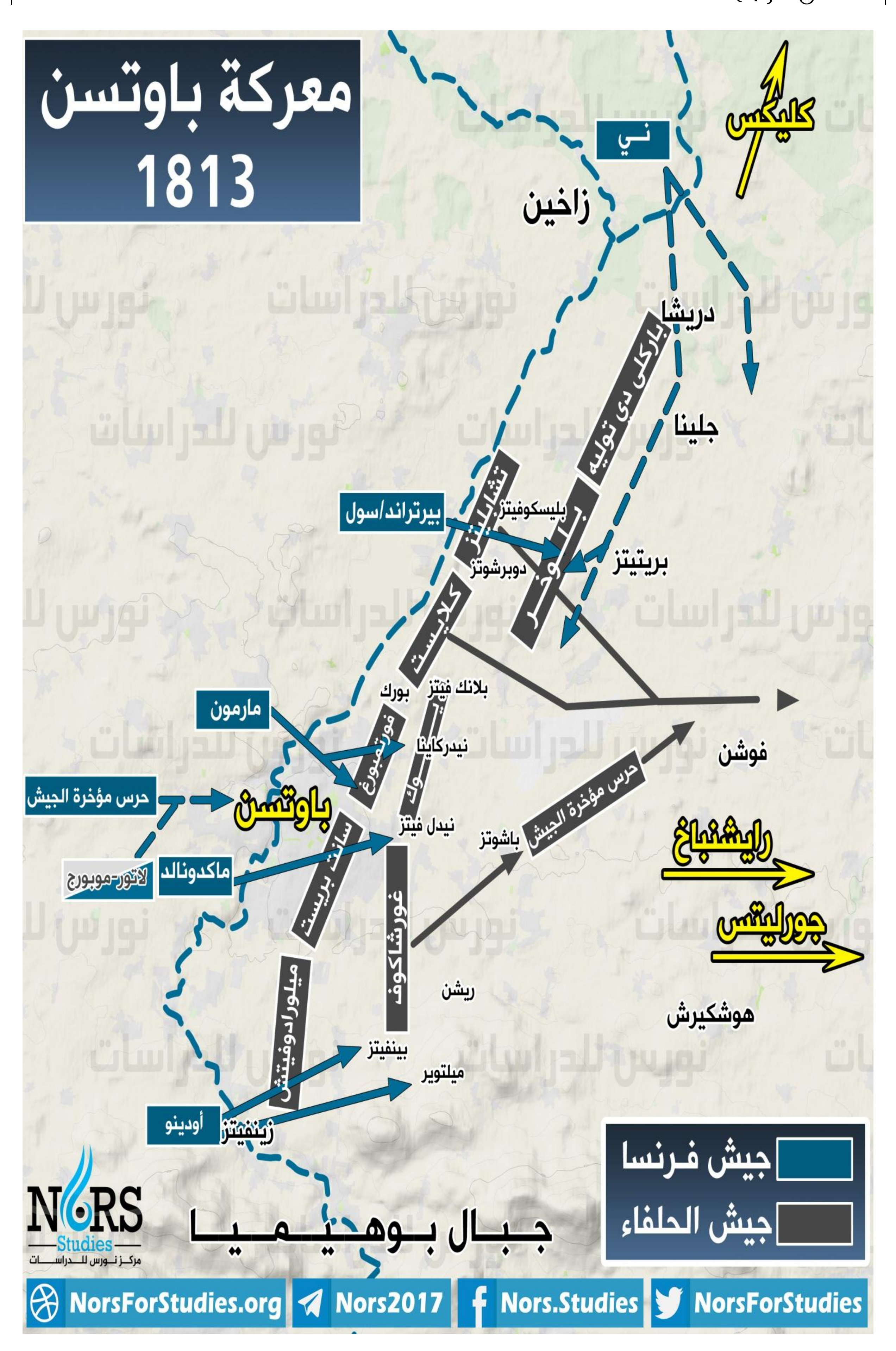
يتم تحديد النقطة الحاسمة في ميدان المعركة (كما ذكرنا سابقاً) من خلال تضاريس الموقع، وتراكب مختلف التضاريس مع الهدف الاستراتيجي المطلوب، وأخيراً تنظيم قوات الطرفين. على سبيل المثال: لنفترض أن جناح العدو يستند على أرض مرتفعة بحيث يستطيع قصف خطنا على امتداده، قد يظهر لنا أن احتلال هذه المرتفعات هو أهم عمل من الناحية التكتيكية، ولكن قد يحدث أن يكون المرتفع المعني صعب الوصول إليه للغاية، وقليل الأهمية من الناحية الاستراتيجية.

---

313 المؤلف: في كل معركة يجب أن يكون أحد الطرفين هو المهاجم بينما يدافع الآخر. كل معركة هي بالتالي هجومية على طرف ودفاعية على الطرف الآخر.

في معركة بوتسن Bautzen استقرت ميسرة الحلفاء على جبال بوهيميا ذات الانحدار الشديد (الوعورة)، التي كانت في ذلك الوقت محايدة أكثر من كونها معادية. بدا من الناحية التكتيكية أن منحدر هذه الجبال هي النقطة الحاسمة المطلوب الاستيلاء عليها، بينما كان العكس هو الصحيح، لأن الحلفاء كانوا يملكون خطاً واحداً للانسحاب عبر رايشنباخ Reichenbach وغورليتز Gorlitz، ولو دفع الفرنسيون الميمنة (التي كانت على السهل) لاحتلوا هذا الخط ولدفعوا الحلفاء نحو الجبال، حيث كان من الممكن أن يفقدوا كل عتادهم وجزء كبير من أفراد جيشهم. وهذا المسار أسهل بالنسبة للفرنسيين بسبب الاختلاف في تضاريس الأرض، مما كان سيؤدي إلى نتائج أكثر أهمية، وكان من شأنه أن يقلل من العوائق في المستقبل[314].

[314] في معركة بوتسن (20-21 مايو 1813) ، تم طرد الجيش الروسي البروسي المشترك من قبل نابليون الأول من فرنسا لكنه نجا من الدمار، حيث زعمت بعض المصادر أن ميشيل ناي فشل في قطع طريق انسحابهم وفي القيام بالالتفاف على ميمنة الحلفاء. هاجمت القوات الفرنسية تحت قيادة نابليون البروسيين تحت قيادة الكونت جبارد فون بلوشر والروس تحت قيادة الأمير بيتر فيتجنشتاين، بعد هزيمتهم في لوستزن.


معركة باوتسن
1813
ني
كليكس
زاخين
دريشا
باركلي دي توليه
جلينا
تشابليتز
بيرتراند/سول
بليسكوفيتز
بريتيتز
دوبرشوتز
بلوخر
كلايست
بورك
بلانك فيتز
مارمون
نيدركاينا
فوشن
فورتمبورغ
حرس مؤخرة الجيش
باوتسن
نيدل فيتز
باشوتز
حرس مؤخرة الجيش
رايشنباخ
لاتور-موبورج
ماكدونالد
سانت بريست
غورشاكوف
جورليتس
ريشن
هوشكيرش
ميلورادوفيتش
بينفيتز
ميلتوير
أودينو
زينفيتز
جيش فرنسا
جيش الحلفاء
جبال بوهيميا
NORS Studies
مركز نورس للدراسات
NorsForStudies.org
Nors2017
Nors.Studies
NorsForStudies

أعتقد أنه يمكن استنتاج الحقائق التالية من ما تم ذكره:

1. المفتاح الطبوغرافي لساحة المعركة ليس دائماً المفتاح التكتيكي.
2. من المؤكد أن النقطة الحاسمة في ميدان المعركة هي التي تجمع بين المزايا الاستراتيجية والمزايا الطوبوغرافية.
3. النقطة الأهم بشكل عام ألا تكون وعورة الأرض كبيرة في النقطة الاستراتيجية في ميدان المعركة.
4. وبالرغم من ذلك فإن تحديد هذه النقطة يعتمد إلى حد كبير على تنظيم قوات الطرفين.

لذلك يعتبر قلب خط المعركة الممتد والمقسم إلى حد كبير نقطة الهجوم المناسبة دائماً، بينما في الخطوط المغلقة بشكل جيد والمتصلة يعتبر القلب هو أقوى نقطة، لأنه بغض النظر عن الاحتياطيات المنشورة هناك فمن السهل دعمه من الأجنحة، فتصبح النقطة الحاسمة في هذه الحالة هي أحد أطراف الخط. في حالة كان التفوق العددي كبيراً، يمكن أن يتم الهجوم في وقت واحد على كلا الطرفين، لا في حالة مساواة القوة المهاجمة أو قلَّتها أمام العدو.

لذا يبدو أن جميع التراكيب للمعركة تتمثل في استخدام القوة المتوفرة للحصول على الإجراء الأكثر فعالية على تلك النقاط الثلاث المذكورة والتي تقدم أكبر قدر من فرص النجاح، ويمكن بسهولة بالغة تحديد هذه النقاط من خلال تطبيق التحليل المذكور للتو.

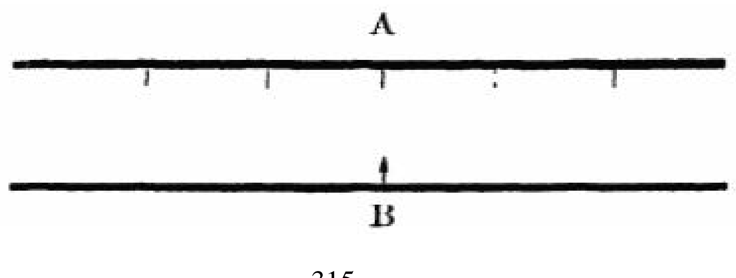
لا يمكن أن يكون هدف المعركة الهجومية سوى إزاحة العدو أو قطع خطه، إلا إذا كان الهدف من المناورات الاستراتيجية هو تدمير جيشه بالكامل. يتم إزاحة الأعداء من موقعه إما بدفعه في نقطة ما عن خطه، أو عن طريق الالتفاف عليه ليهاجمه من الجناح والمؤخرة، أو باستخدام هاتين الطريقتين في آن واحد، أي مهاجمته من الأمام وفي نفس الوقت يحيط بأحد الجناحين ويلتف على خطه.

لإنجاز هذه الأهداف المختلفة، يصبح من الضروري اختيار نظام المعركة الأكثر ملاءمة للطريقة التي سنستخدمها.

يوجد ما لا يقل عن اثني عشر نظاماً للمعركة وهي:

1. النظام المتوازي البسيط.
2. النظام المتوازي مع خط معكوف دفاعي أو هجومي.
3. النظام المعزز على أحد الأجنحة أو كليهما.
4. النظام المعزز في القلب.
5. النظام المائل البسيط أو المائل المعزز على الجناح المهاجِم.
6. و7. النظام المتعامد على أحد الأجنحة أو كليهما.
8. النظام المقعر.
9. النظام المحدب.
10. النظام بنسق درجي في أحد الأجنحة أو كليهما.
11. النظام بنسق درجي في القلب.
12. النظام الناتج عن هجوم مشترك قوي على القلب وأحد الأطراف في وقت واحد.

(انظر الأشكال 5 إلى 16).



الشكل 5[315]

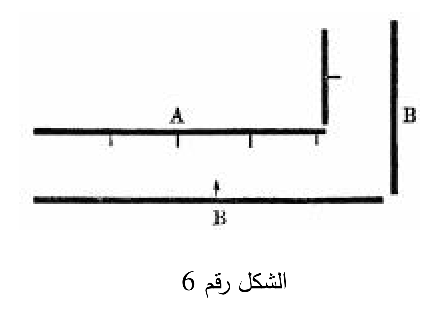
ويمكن استخدام كل من هذه الأنظمة إما بمفردها أو (كما ذكرنا) مع مناورة رتل قوي يهدف إلى الالتفاف على خط العدو. من أجل التقدير الصحيح لمزايا كل من الأنظمة، يصبح من الضروري اختبار كل منها بتطبيق المبادئ العامة التي تم وضعها.

[315] يشير الحرف A في هذا الشكل وبقية الأشكال للأنظمة الاثنا عشر إلى الجيش الدفاعي، وB للهجومي. يتم تمثيل الجيوش في خط واحد، لغرض تبسيط الأشكال قدر الإمكان؛ لكن يجب التأكيد على ضرورة نشر نظام المعركة في خطين، سواء تم نشر القوات في أرتال هجومية أو في مربعات أو بشكل شطرنجي.

على سبيل المثال: من الواضح أن التنظيم المتوازي (الشكل 5) هو أسوأها، لأن هجوم خط على خط آخر موازي (أو كتيبة ضد كتيبة) لا يتطلب مهارة مع فرص متساوية للنجاح على كلا الجانبين. فلا توجد حاجة إلى مهارة تكتيكية في هذه المعركة.

ومع ذلك هناك حالة واحدة مهمة يكون فيها هذا النظام جيداً، وهي عندما ينجح الجيش (بعد أن أخذ زمام المبادرة في عمليات إستراتيجية كبيرة) في الهجوم على اتصالات العدو وقطع خط انسحابه مع حماية خطه. عندما تدور المعركة بين الطرفين فإن الجيش الذي وصل إلى مؤخرة الجيش الآخر قد يستخدم النظام الموازي، لأنه بعد تأدية المناورة الحاسمة السابقة للمعركة يجب عند ذلك توجيه كل جهوده نحو إفشال مسعى العدو لفتح طريق لنفسه.

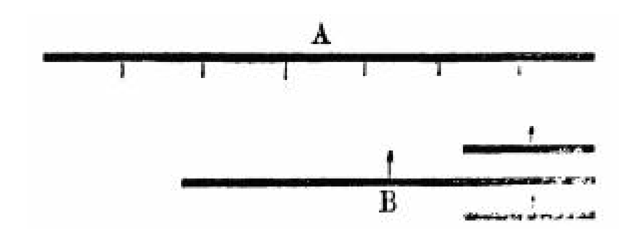
باستثناء هذه الحالة الوحيدة فإن النظام المتوازي هو الأسوأ. لا أقصد بأنه لا يمكن كسب معركة أثناء استخدام هذا النظام، لأنه يجب على أحد الطرفين أن ينتصر إذا طالت المعركة. سيكون التفوق إلى جانب من لديه أفضل الجنود، والذي يعرف أكثر متى يشتبك، والذي يدير احتياطاته على أفضل وجه ومن لديه موارد أكثر.



الشكل رقم 6

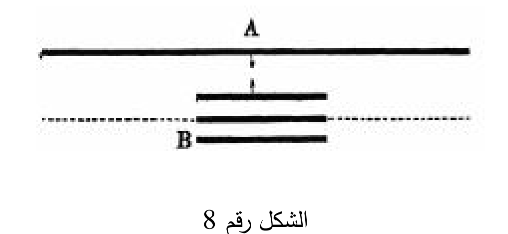
عادة ما يتم اتخاذ التنظيم المتوازي الذي يحتوي على خط معكوف على الجناح (الشكل 6) في وضع الدفاع. قد يتخذ أيضاً ضمن تراكيب الهجوم. ولكن بعد ذلك فإن خط الانعكاف يصبح نحو الأمام، بينما في حالة الدفاع يكون نحو الخلف. تعتبر معركة براغ مثالاً رائعاً على الخطر الذي يتعرض له هذا الخط المنعكف إذا ما تعرض للهجوم بشكل صحيح[316].

[316] معركة براغ حدثت في 6 مايو 1757 خلال الحرب السيليزية الثالثة (حرب السنوات السبع)، أجبر 67000 جندي من البروسيين بقيادة فريدريك الثاني 60 ألف جندي نمساوي على الانسحاب. في بداية المعركة أمر فريدريك بالهجوم الفوري، لكن الجنرال شفيرين أقنعه بإجراء استطلاع حول الجناح الأيمن النمساوي. عاد بمعلومات تشير إلى أن المروج الخضراء المنحدرة تدريجياً في الميمنة توفر فرصة أفضل للهجوم على مؤخرة النمساويين. بدأ الجيش البروسي في المسير الالتفافي حوالي الساعة السابعة صباحاً ، ونجح في البقاء بعيداً عن الأنظار إلى أن لاحظ الجنرالات النمساويون التحركات في الساعة العاشرة صباحاً. قام المشير فون براون بنقل ستة أفواج مشاة بقيادة براون للسيطرة على مواقع في الجنوب الشرقي.

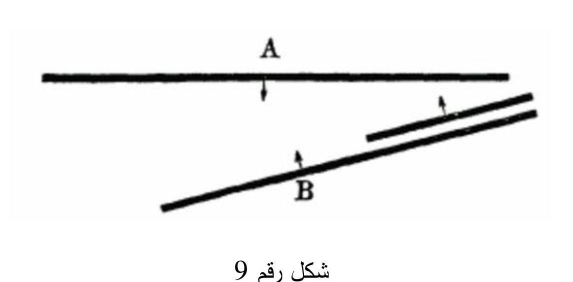


الشكل رقم 7

إن النظام المتوازي المعزز على جناح واحد (الشكل 7) أو على القلب (الشكل 8) لاختراق العدو هو أفضل من النظامين السابقين، وهو أيضاً أكثر توافقاً مع المبادئ العامة التي وضعت. على الرغم من ذلك، فإن الجزء من الخط الذي تم إضعافه لتعزيز الطرف الآخر قد يتعرض للخطر إذا تم وضعه في خط موازٍ للعدو وذلك في حال تساوي القوى بين الطرفين.



الشكل رقم 8

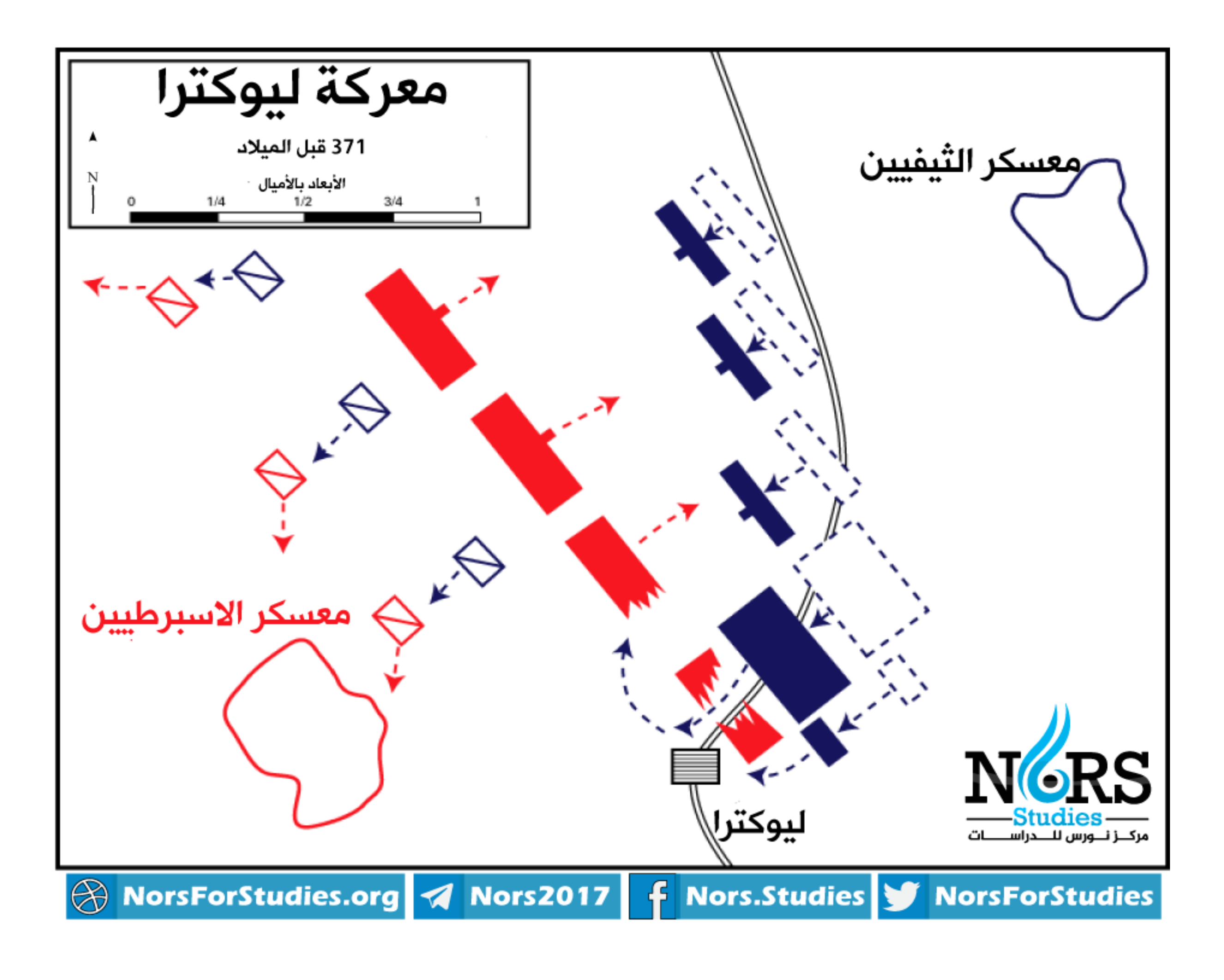


شكل رقم 9

النظام المائل (الشكل 9) هو الأفضل لقوة ضعيفة مهاجمة أمام قوة متفوقة، إضافة إلى امتلاكه ميزة جلب القوة الرئيسية للقوات ضد نقطة واحدة من خط العدو، فلدى هذا النظام

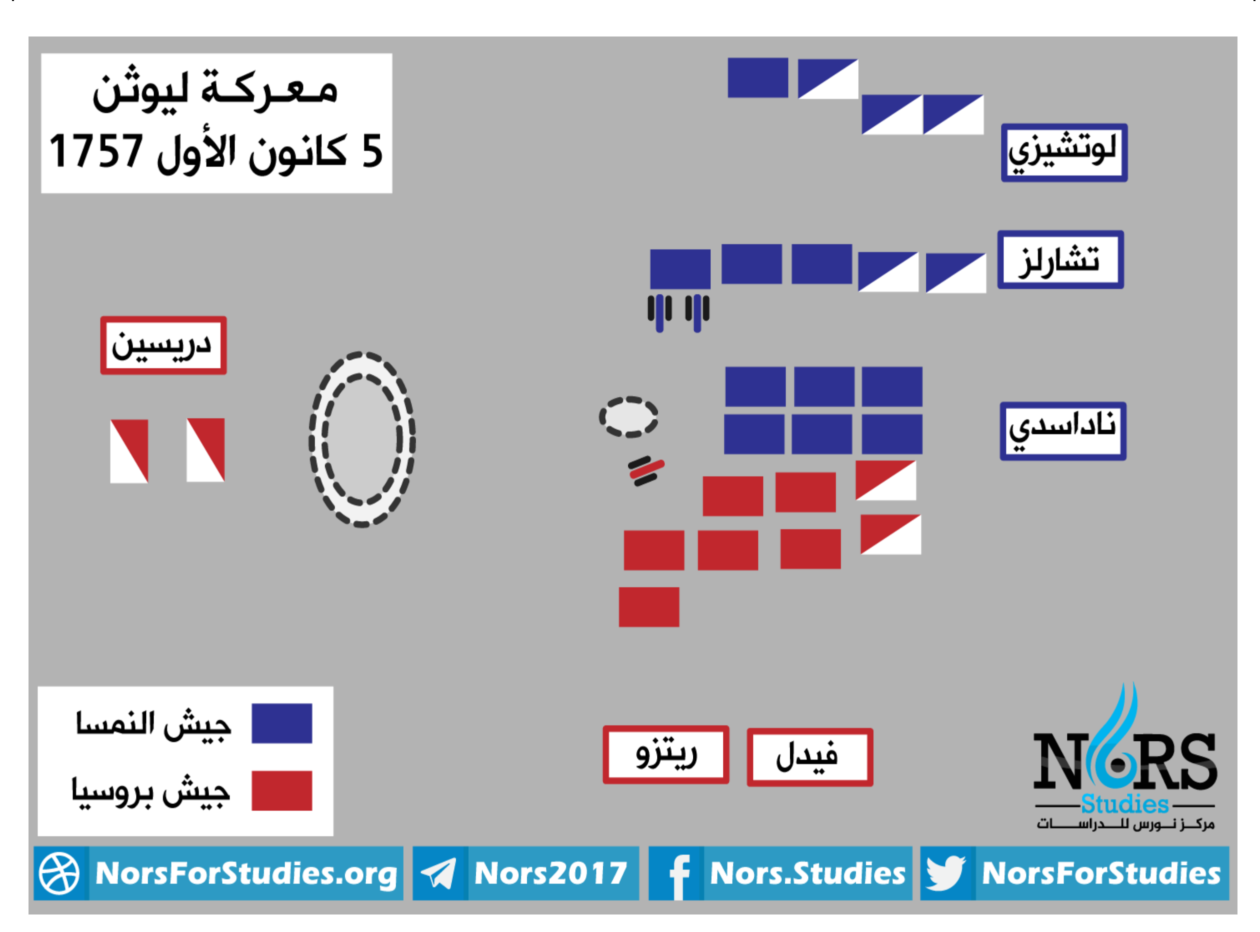
حدثت الاشتباكات بين النمساويين والبروسيين أسفل المنحدر، مما أدى إلى فتح فجوة بين أفواج المشاة النمساوية وباقي الخط النمساوي الذي لا يزال يواجه الشمال. في هذا الوقت أصيب فون براون بجروح قاتلة من جراء نيران المشاة البروسية ونقل إلى براغ.
في حين أعاد الملك فريدريك والجنرال فون زيتين تنظيم مشاة بروسيا في الجنوب لهجوم آخر، رصد الجنرالات هاوتشارموي وبيفرن (البروسيين) الفجوة في الخط النمساوي وبدأوا في دفع المشاة البروس نحو الفجوة. كان الكروات النمساويون يشتبكون مع البروس في شمال الجناح النمساوي الأيسر، ولكن مع استغلال الفجوة في الخط النمساوي من خلال تدفق مستمر من البروسيين، قام النمساويين بالانسحاب تدريجيا إلى أن انتهت المعركة بهروبهم.

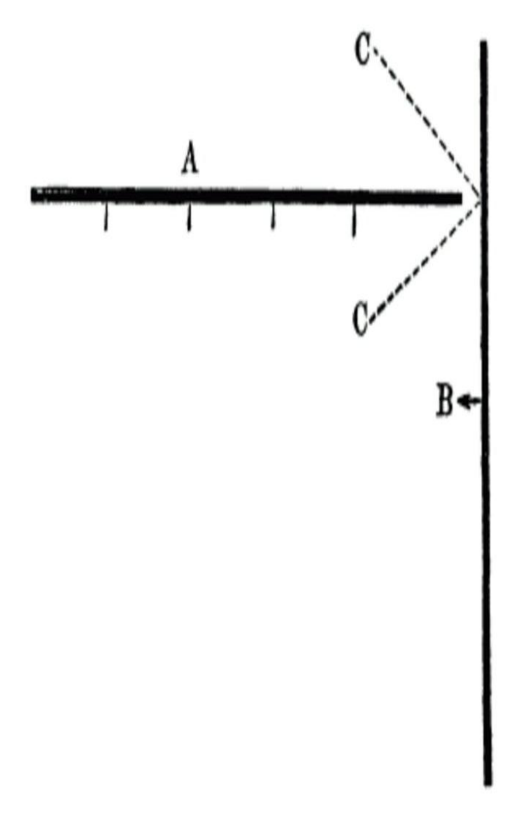
ميزتان أخريتان مهمتان بنفس القدر، حيث أن الجناح الضعيف لا يتم إبعاده عن هجوم العدو فحسب، ولكنه يؤدي أيضاً مهمة مزدوجة تتمثل في حفظ جزء من خطه ضد التعرض للهجوم، وأن يكون قريباً عند الحاجة كاحتياطي لدعم الجناح المشتبك إذا لزم الأمر. تم استخدام هذا النظام من قبل القائد إبامينونداس Epaminondas الشهير في معركتي ليكترا Leuctra ومانتينا Mantinea[317]. أعطى فريدريك الكبير المثال الأكثر ذكاءً لاستخدامه في العصر الحديث في معركة ليوثن Leuthen[318]. (انظر الفصل السابع من كتاب بحوث حول العمليات الكبرى).



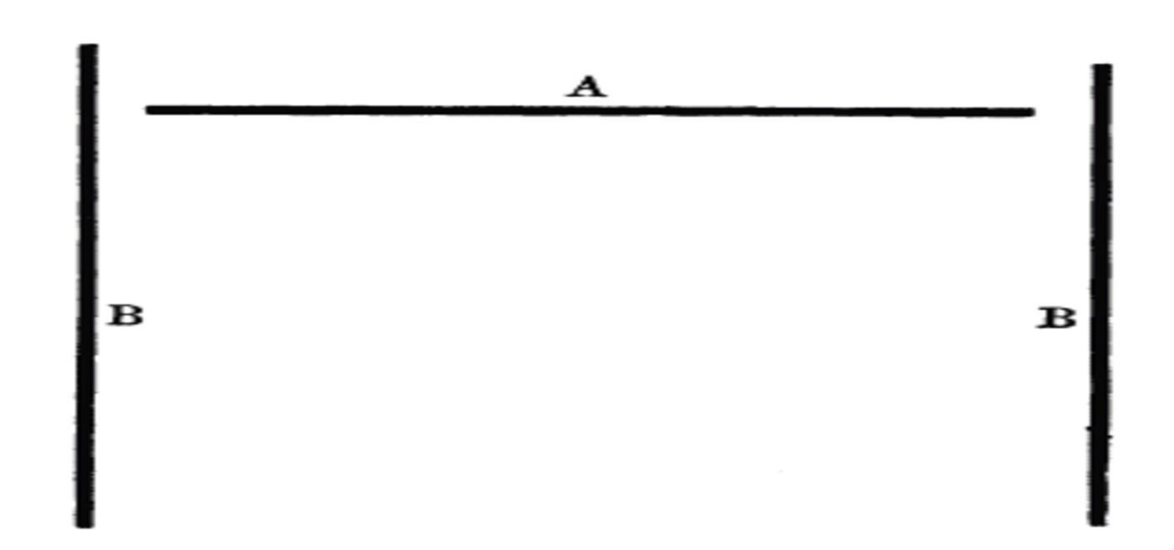
[317] إبامينونداس (توفي 362 ق.م) قائد أغريقي من طيبة في بيوتيا، عرف بانتصاره على إسبرطة في موقعة ليوكترا (371 ق م) وذلك بفضل التعديلات التي استحدثها على الخطط الحربية المألوفة، وفي مانتنيا انتصر على أسبرطة ثانية (364 ق م) وكان انتصارا حاسماً ولكنه مات بسبب الجراح التي أصابته.

[318] بعد نجاح جيش فريدريك في التسلل بجيشه إلى جنوب النمساويين بدأ الهجوم بنظام مائل، مركّزاً المشاة والخيالة في الميمنة في زاوية تقارب 45 درجة على ميسرة النمساويين، بينما كانت ميسرة البروسيين ضعيفة نوعاً ما (تتألف من رتل واحد للخيالة مع احتياطي صغير للمشاة) تتظاهر بنية الهجوم على ميمنة النمساويين مع الإكتفاء بالقصف بالمدفعية.


معركة ليوثن
5 كانون الأول 1757
لوتشيزي
تشارلز
ناداسدي
دريسين
ريتزو
فيدل
جيش النمسا
جيش بروسيا
NORS Studies
مركز نورس للدراسات
NorsForStudies.org
Nors2017
Nors.Studies
NorsForStudies


C
A
C
B

الشكل رقم 10

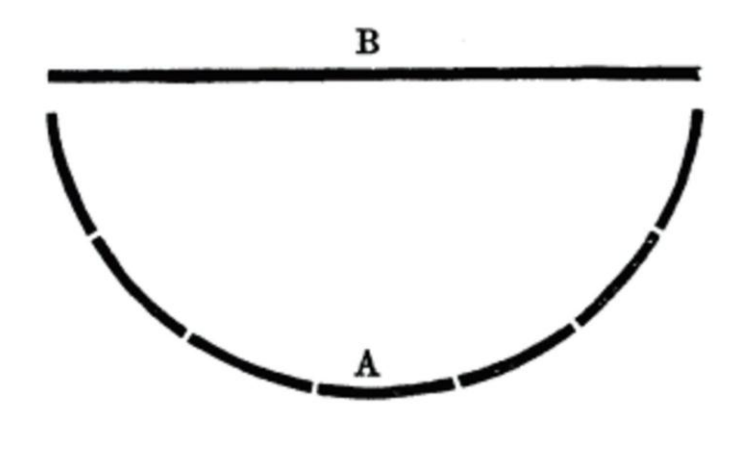


الشكل رقم 11

النظام المتعامد على أحد الأجنحة أو كليهما كما هو موضح في الشكل 10 و11 لا يمكن اعتباره إلا تنظيماً يتضمن الاتجاه الذي تجري عليه الحركات التكتيكية الأولية في المعركة. لن يحتل الجيشين المواقع العمودية النسبية المشار إليها في هذه الأشكال لفترة طويلة؛ لأنه إذا كان الجيش B أخذ موقعه الأول على خط متعامد مع أحد الطرفين أو كلاهما من الجيش A، فإن الأخير سيغير على الفور جبهة جزء من خطه؛ وحتى الجيش B بمجرد أن يصل إلى طرف A أو يعبره يجب أن يحول أرتاله إما إلى اليمين أو اليسار، ليقربها من خط العدو كما في C، فتكون النتيجة خطين مائلين كما هو موضح في الشكل 10.

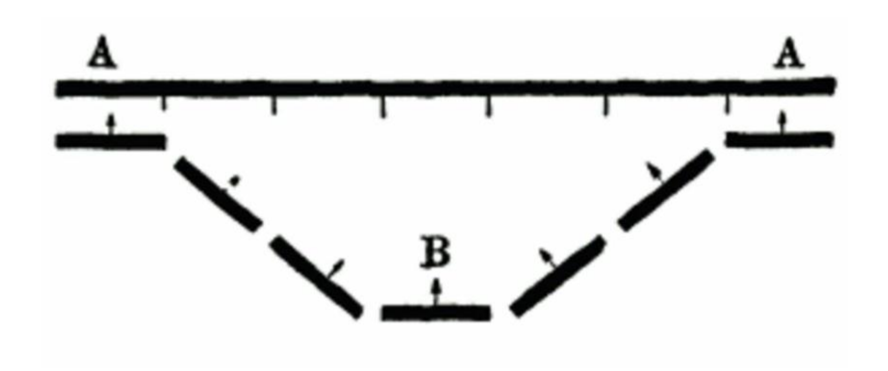
نستطيع أن نطبق ذلك بإرسال فيلق واحد من الجيش المهاجم ليأخذ موقعاً متعامداً مع جناح العدو، بينما يقترب بقية الجيش من المقدمة لغرض مشاغلتها؛ وهذا يعيدنا دائماً إلى أحد الأنظمة المائلة الموضحة في الشكلين 9 و16.

قد يكون الهجوم على كلا الجناحين مفيداً جداً مهما كان شكل الهجوم، ولكن لا يمكن القيام به إلا عندما يكون المهاجم متفوقاً عددياً بشكل حاسم على العدو؛ إذا كان المبدأ الأساسي هو جلب القوة الرئيسية للجيش عند النقطة الحاسمة، فإن استخدام الجيش الضعيف سيخرق هذا المبدأ بتوجيهه هجوماً مزدوجاً ضد قوة كبيرة. سنبين هذه الحقيقة أكثر فيما بعد.



الشكل رقم 12

للنظام المقعّر في الوسط (الشكل 12) أنصار منذ اليوم الذي انتصر فيه هانيبعل من خلال استخدامه هذا النظام في معركة كاني. قد يكون هذا النظام جيداً جداً عندما تؤدي مجريات المعركة نفسها إلى ظهوره؛ أي عندما يهاجم العدو القلب فيتراجع القلب أمامه، هنا يقع المهاجم في الفخ ويحيط به الجناحان. ولكن إذا تم تبني هذا النظام قبل بدء المعركة فإن العدو بدلاً من الهجوم على القلب سيهجم على الأجنحة فقط التي تمثل الأطراف، وهذا الوضع مشابه نسبياً لحالة الهجوم على الأجناب. لذلك نادراً ما يتم استخدام هذا النظام إلا في مواجهة عدو يستخدم نظاماً محدباً ليخوض معركة كما سنبين فيما بعد.



الشكل رقم 12 إضافي

نادراً ما يشكل الجيش قوساً بنصف دائرة، مفضلاً خطاً منكسراً مع قلب متراجع (الشكل 12 إضافي). إذا صدق ما رواه بعض المؤرخين، فإن مثل هذا النظام أعطى النصر للإنجليز في الأيام المشهورة في كريسي Crecy[319] وأجينكور Agincourt[320].

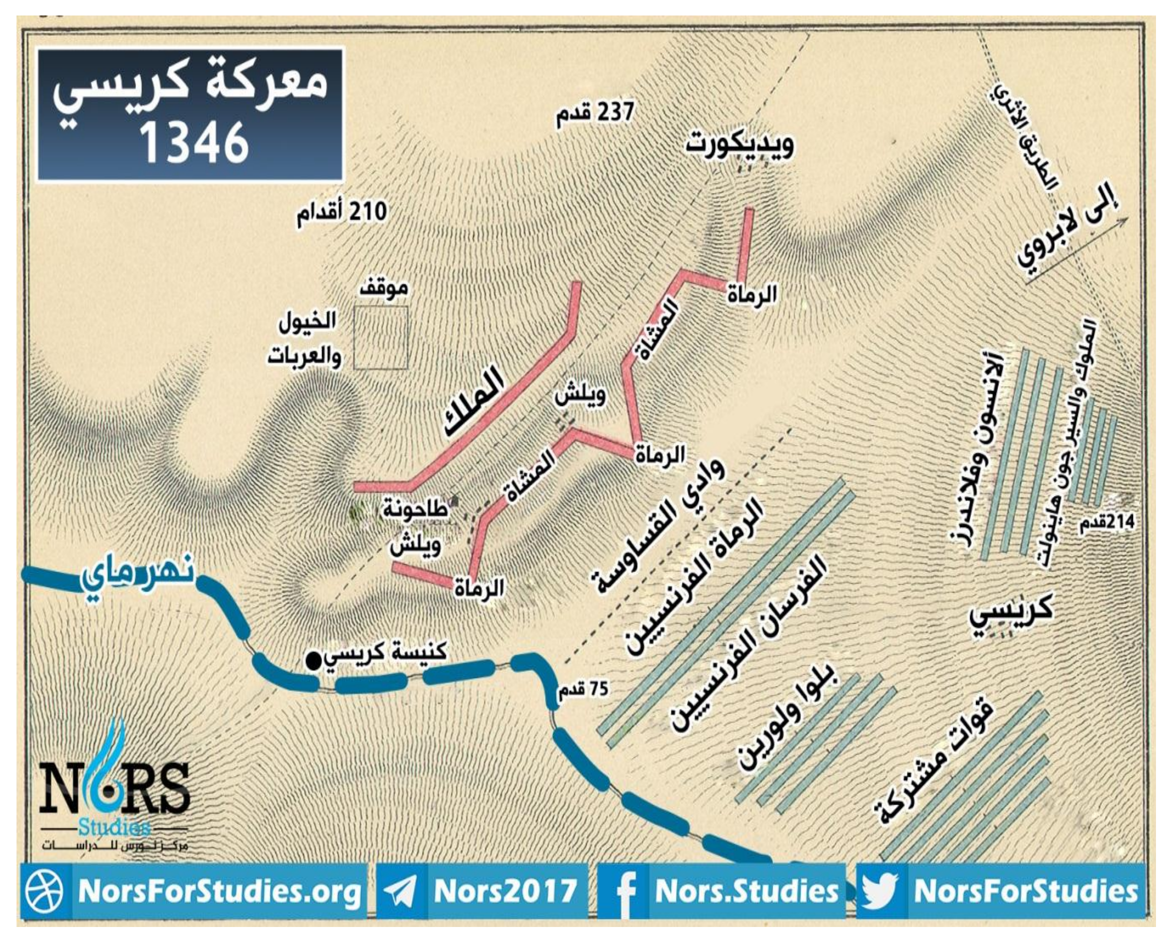
هذا الترتيب بالتأكيد أفضل من نصف دائرة، لأنه يقلل من انكشاف الجناح للهجوم، مع السماح بالقيام بالحركة الأمامية للنسق والحفاظ على جميع مزايا تركيز النيران. تتلاشى هذه المزايا إذا لم يندفع العدو بحماقة نحو القلب المتراجع، واكتفى بمشاهدته من مسافة بعيدة ويوجه أقصى جهوده على جناح واحد. معركة إسلنغ Essling[321] في 1809 هو مثال على الاستخدام المفيد لخط مقعر، ولكن يجب ألا نعتقد بأن نابليون ارتكب خطأ في مهاجمة القلب؛ لأن الجيش الذي يقاتل ونهر الدانوب وراءه ولا يستطيع التحرك دون انكشاف جسور المواصلات، يجب لا أن يُحكم عليه كما لو كان حراً في المناورة.

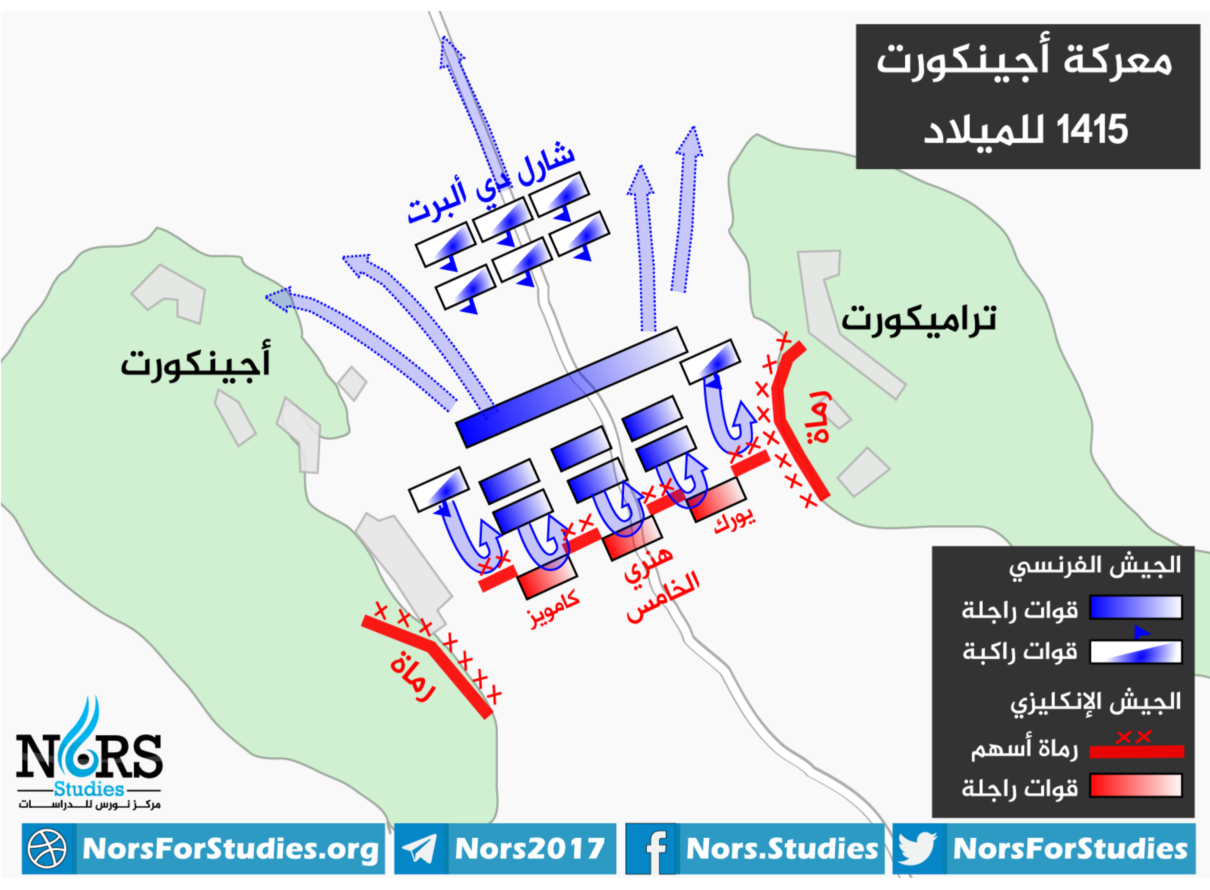
---

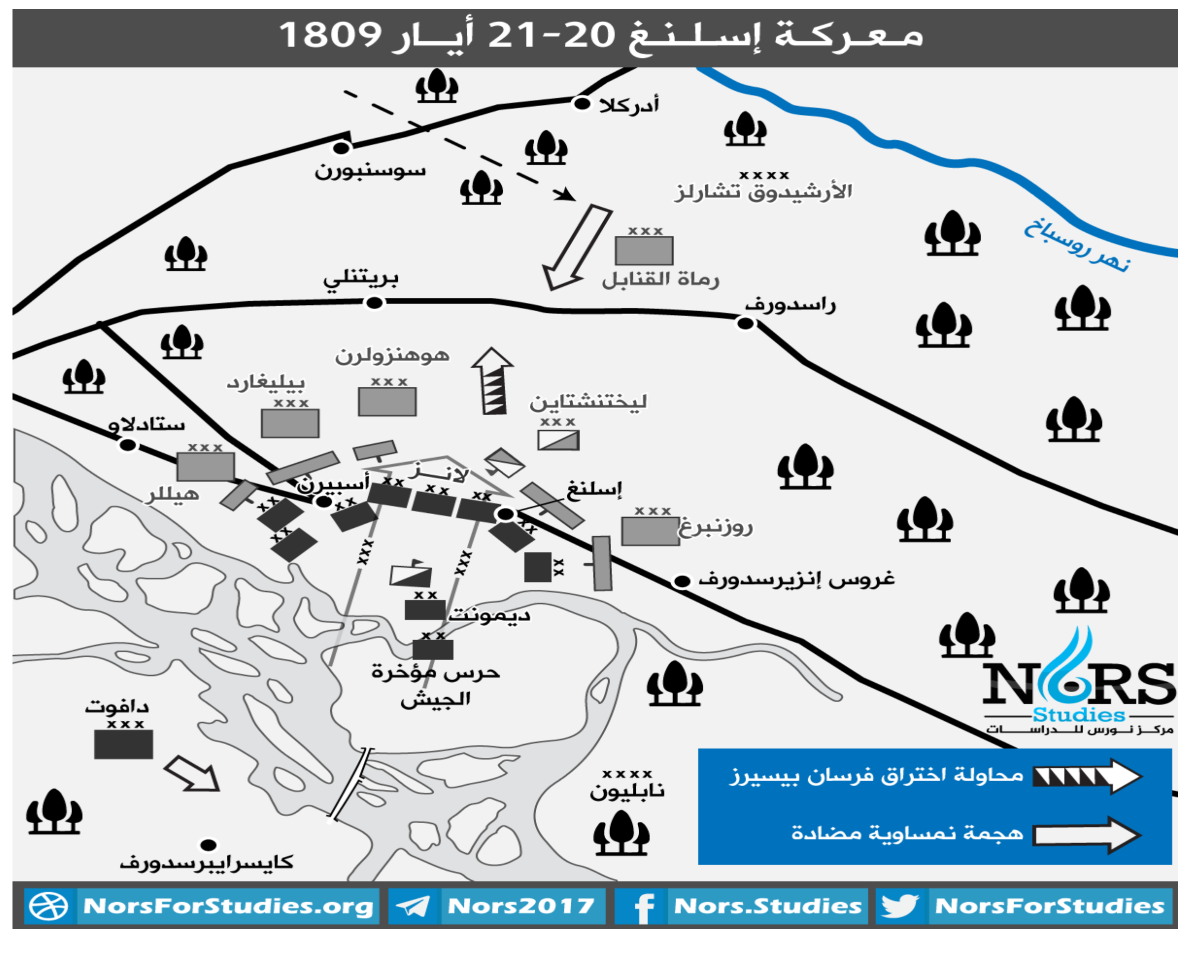
[319] وقعت معركة كريسي في 26 أغسطس 1346 قرب مدينة كريسي الحالية، وتعتبر واحدة من أهم معارك حرب المئة عام بسبب الجمع بين الأسلحة والتكتيكات الجديدة في ذلك العصر وقد انتهت هذه المعركة بهزيمة الجيش الفرنسي على يد الجيش الإنجليزي على الرغم من القلة العددية في صفوف الأخير حيث أنزلوا هزيمة منكرة بقوة من الفرنسيين كانت أكبر من قوتهم بكثير.

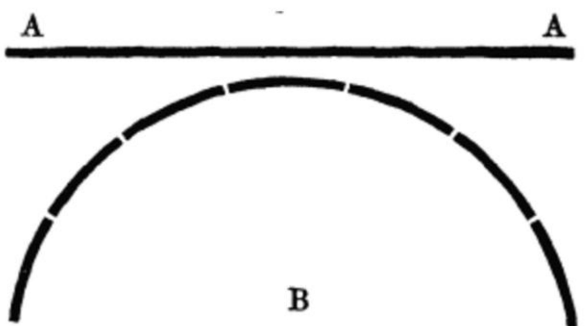
[320] معركة أجينكور هي معركة حربية وقعت في 25 أكتوبر 1415 بين الجيشين الإنجليزي والفرنسي قرب قرية أجنكور شمالي فرنسا، تمكن خلالها الجيش الإنجليزي بقيادة هنري الخامس من هزيمة الجيش الفرنسي الذي كان يفوقه عدة وعددا، حيث يقدر قوام الجيش الإنجليزي بحوالي 6000 إلى 9000 جندي معظمهم من رماة الأقواس الطويلة مقابل جيش فرنسي كبير يقدر عدده ما بين 12000 إلى 36000 جندي الكثير منهم فرسان مدرعون و مدربون على القتال، حيث تمكن رماة السهام الطويلة بمساندة عدد قليل من المشاة حاملي الرماح وسلاح فرسان صغير من إلحاق هزيمة منكرة بجيش فرنسي مكون من عدد كبير من الفرسان ويعزى ذلك إلى وضعية أرضية المعركة التي لم تكن لصالح سلاح الفرسان الثقيل وبراعة رماة السهام الإنجليز، انتهت المعركة بعدد قتلى محدود في صفوف الإنجليز مقابل خسائر جسيمة في صفوف الجيش الفرنسي الذي فقد في تلك المعركة ألاف الجنود وزهرة نبلاء فرنسا

[321] في معركة أسبرن-إيسلينغ (21-22 مايو 1809) حاول نابليون عبور نهر الدانوب بالقرب من فيينا، لكن الفرنسيين وحلفائهم أجبروا على التراجع من قبل النمساويين بقيادة أرشدوق تشارلز. كانت المعركة هي المرة الأولى التي يهزم فيها نابليون شخصياً منذ أكثر من عشر سنوات. ومع ذلك فشل الأرشيدوق تشارلز في تحقيق نصر حاسم، حيث تمكن نابليون من سحب معظم قواته بنجاح.


معركة كريسي
1346
237 قدم
ويديكورت
210 أقدام
موقف
الخيول والعربات
الملك
الرماة
المشاة
ويلش
الرماة
المشاة
طاحونة
ويلش
الرماة
وادي القساوسة
الرماة الفرنسيين
الفرسان الفرنسيين
بلوا ولورين
قوات مشتركة
نهر ماي
كنيسة كريسي
75 قدم
كريسي
الانسون وفلاندرز
الملوك والسير جون هاينولت
214قدم
الطريق الأثري
إلى لابروي
NorsForStudies.org
Nors2017
Nors.Studies
NorsForStudies


معركة أجينكورت
1415 للميلاد
شارل دي ألبرت
أجينكورت
ترامیکورت
رماة
رماة
يورك
هنري الخامس
كامويز
الجيش الفرنسي
قوات راجلة
قوات راكبة
الجيش الإنكليزي
رماة أسهم
قوات راجلة
NorsForStudies.org
Nors2017
Nors.Studies
NorsForStudies



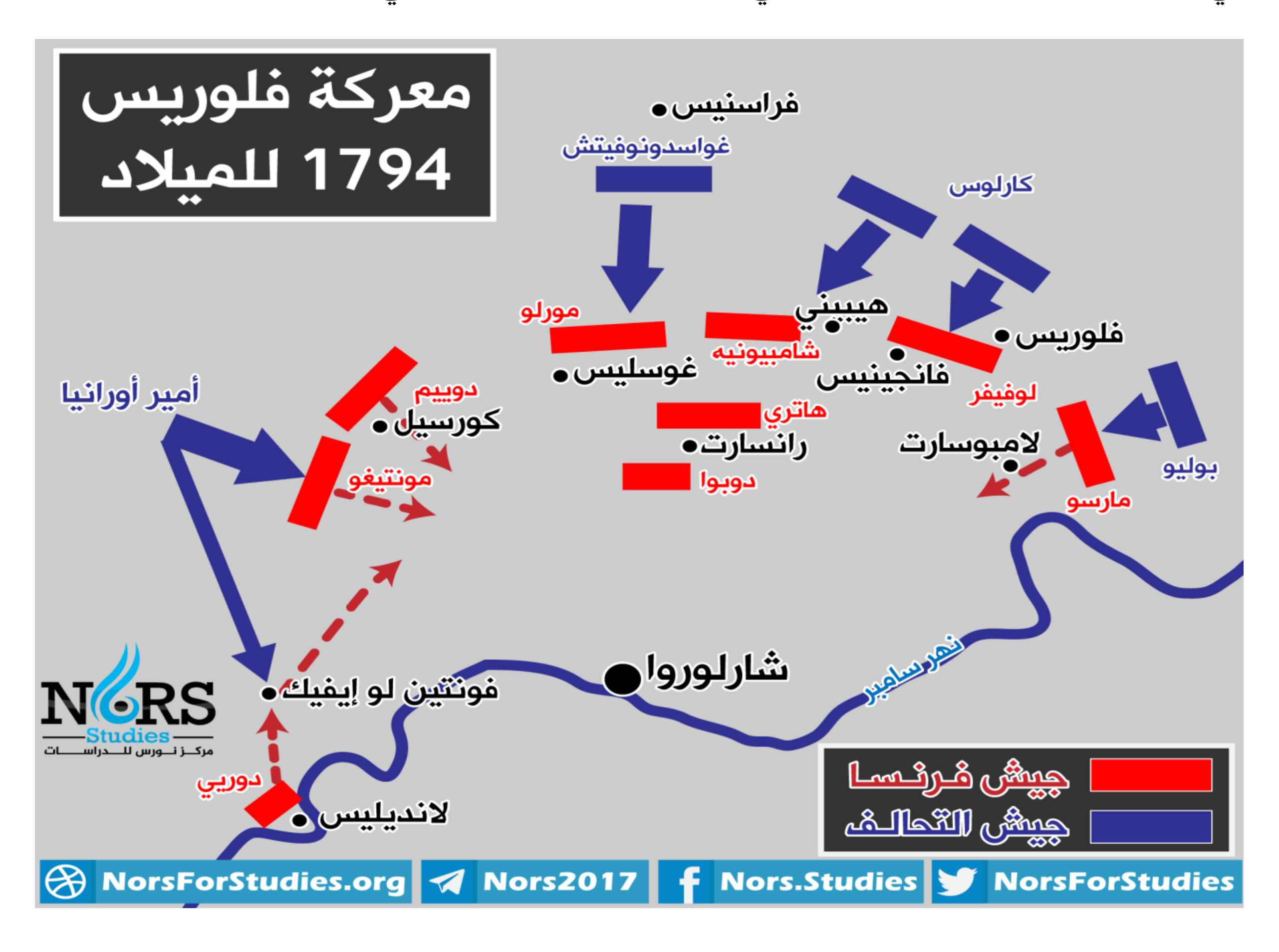


الشكل رقم 13

يتشكل النظام المحدب مع القلب الناتئ للأمام (الشكل 13) عند حدوث الاشتباك الفوري بعد عبور النهر حيث يستلزم الوضع تراجع الأجنحة واستنادها على النهر لحماية الجسور، ويتشكل أيضاً عند خوض معركة دفاعية والنهر في الخلف، ويجب عبوره وحمايته كما في

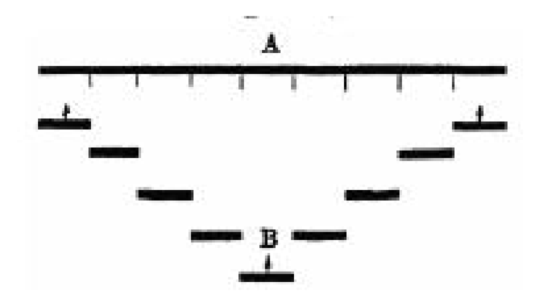
معركة لايبزش، وأخيراً قد يتم تشكيله طبيعياً لمقاومة تشكيل خط مقعر للعدو. إذا وجّه العدو جهوده ضد القلب أو ضد جناح واحد، قد يتسبب هذا النظام في تدمير الجيش كله[322].

جربه الفرنسيون في معركة فلوريس Fleurus في 1794 ونجحوا، لأن أمير كوبورغ بدلاً من قيامه بهجوم قوي على القلب أو على طرف واحد قسم هجومه على خمسة أو ستة خطوط متباعدة، وركز على كلا الجناحين في وقت واحد[323]. تم اعتماد النظام المحدب المشابه لحد كبير لإيسلنغ Essling، في اليومين الثاني والثالث من معركة لايبزش الشهيرة. في لايبزش كانت النتيجة الوحيدة التي كان من الممكن توقعها هي ما حدث.



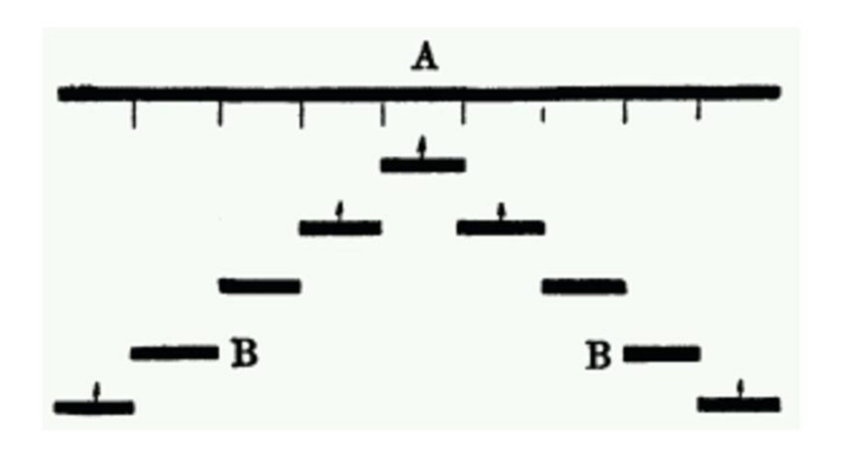
322 المؤلف: قد ينجح الهجوم على الطرفين أيضا في بعض الحالات، الحالة الأولى عندما تكون القوات قوية بما فيه الكفاية للقيام بذلك، والثانية إذا كان العدو غير قادر على إضعاف قلبه لدعم الأجنحة. وكقاعدة عامة فإن الهجوم المخادع للاشتباك مع القلب، والهجوم الحقيقي القوي على أحد الأطراف سيكون أفضل طريقة لاستخدامه ضد مثل هذا الخط.

323 كانت معركة فلوروس، في 26 يونيو 1794 بين جيش الجمهورية الفرنسية الأولى ، بقيادة الجنرال جان بابتيست جوردان وجيش التحالف الأول ، بتكليف من الأمير خوسيه كوبورغ ، وهي المعركة الأكثر أهمية في حملة فلاندرز في البلدان المنخفضة خلال الحروب الثورية الفرنسية. امتلك كلا الطرفين 80 ألف جندي ولكن الفرنسيين تمكنوا من تركيز قواتهم أولاً وهزموا التحالف الأول. هزيمة الحلفاء أدت لخسارة دائمة لهولندا النمساوية وتدمير الجمهورية الهولندية. كانت المعركة بمثابة نقطة تحول بالنسبة للجيش الفرنسي لبقية حرب التحالف الأولى.



الشكل رقم 14

بالرغم من أن النظام بالنسق الدرجي على الجناحين في (الشكل 14) له نفس طبيعة النظام العمودي في (الشكل 11) إلا أنه أفضل منه، لأن النسقين الدرجيين يكونان أقرب إلى القلب حيث يتم وضع الاحتياطي، العدو سيكون أقل قدرة (سواء من ناحية الزمان أو المكان) في القيام بهجوم مضاد تهديدي على الفراغ الفاصل الذي في القلب.



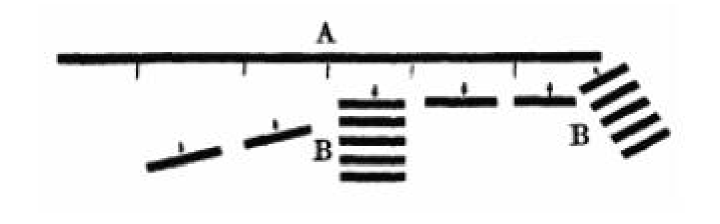
الشكل 15

قد يتم استخدام النظام الدرجي نحو القلب (الشكل 15) بنجاح خاصة ضد جيش يحتل خطاً ممتداً ومنكسراً جداً، نظراً لأن قلب العدو معزول إلى حدٍ ما عن الأجنحة، ومن ثم يتم تقسيم العدو إلى جيشين وتدمير كل على حدة. ولكن بتطبيق المبدأ الأساسي نفسه في حالة كان جيش العدو في خط متصل ومتقارب. يبدو أن هذا النظام أقل نجاحاً؛ لأن الاحتياطي عند العدو يكون بشكل عام بالقرب من القلب، والأجنحة تكون قادرة على التصرف إما من خلال تركيز نيرانها أو من خلال التحرك ضد الأنساق الدرجية الأولى وتتمكن من صدها بسهولة.

إذا كان هذا التشكيل يشبه إلى حدٍ ما رأس الإسفين المثلث المعروف أو تشكيل رأس الخنزير لدى الأقدمين ورتل وينكلريد Winkelried[324]، فإنه يختلف عنها بشكل أساسي؛ لأنه بدلاً من تشكيل كتلة صلبة واحدة (وهو أمر غير عملي في يومنا هذا إذا أخذنا بالحسبان استخدام المدفعية) سيكون لها مساحة مفتوحة كبيرة في الوسط، مما يجعل التحركات أكثر سهولة. كما ذكرنا فإن هذا التشكيل مناسب لاختراق قلب خط ممتد جداً، وقد يكون ناجحاً بنفس القدر لخط ثابت إجبارياً، ولكن إذا تم جلب أجنحة الخط المهاجم في الوقت المناسب ضد الأجنحة من الأنساق الدرجية الأولى قد يؤدي إلى عواقب وخيمة.

وربما يكون النظام المتوازي المعزز بشكل كبير في القلب ترتيباً أفضل بكثير (الشكلان 8 و16)، لأن الخط المتوازي في هذه الحالة سيمتلك على الأقل ميزة تمويه العدو عن نقطة الهجوم، وتعيق الأجنحة عن الالتفاف على الأنساق الدرجية في القلب.

اعتمد لاودن (النمساوي) Laudon نظام الأنساق الدرجية في الهجوم على معسكر بونتزويلوتز (البروسي) Buntzelwitz المحصن. (بحوث حول العمليات الكبرى – الفصل 18). في مثل هذه الحالة كان النظام مناسباً تماماً. لأن الجيش المدافع كان مضطراً للبقاء في خنادقه، مما ضمن عدم وجود خطر على الأنساق الدرجية من الأجنحة. ولكن هذا التشكيل يسبب مشكلة تتمثل بكشف النقطة المراد الهجوم عليها من الخط، فينبغي إجراء هجمات تضليلية على الأجنحة، لتضليل العدو عن النقطة الحقيقية للهجوم[325].

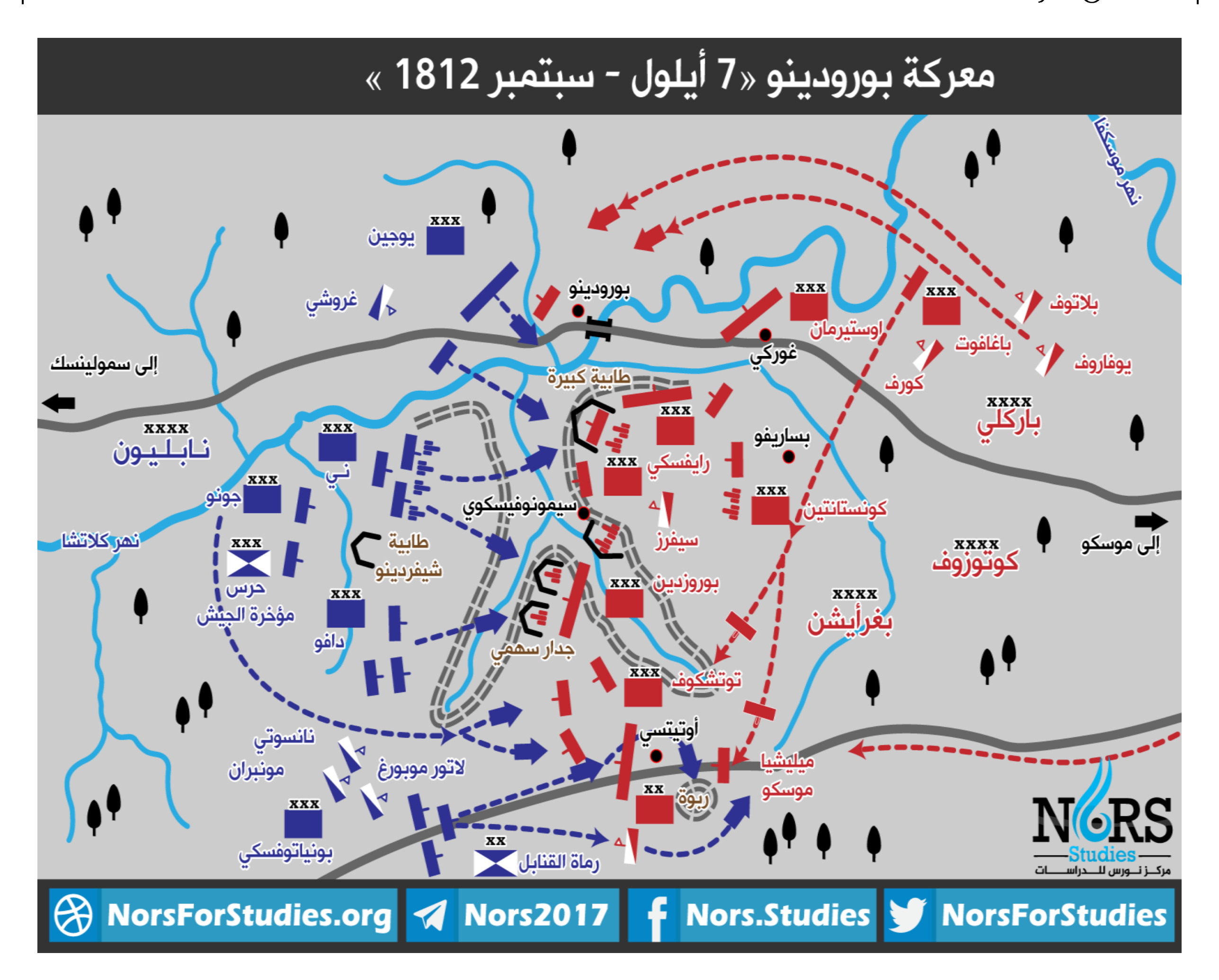


الشكل 16

[324] ارنولد فون وينكرليد شخصية بطولية سويسرية مزجت بالأساطير، نسب لها دور عظيم في هزيمة الجيش النمساوي وفتح ثغرة في صفوفه في معركة سمباج في 9 من تموز عام 1386.

[325] كانت هذه الخطة مزمع تنفيذها خلال الحرب السيليزية الثالثة من قبل الجنرال النمساوي بارون ارنست جدعون فون لاودن Baron Ernst Gideon von Laudon في سبتمبر عام 1761 إلا أنها لم تنفذ لأن القوة المتحالفة مع النمسا المتمثلة بروسيا القيصرية قررت سحب معظم القوات لعدم جدوى الهجوم على معسكر بونتزيلويتز المحصن برأيها والاكتفاء بالحصار.

نظام الهجوم بأرتال على القلب وعلى جناح في نفس الوقت (الشكل 16) أفضل من السابق، وخاصة في الهجوم على خط العدو المنظم والمتصل بشكل جيد. قد يطلق عليه حتى نظام المعركة الأكثر ذكاء. الهجوم على القلب بمساعدة من الجناح الذي يلتف على العدو يمنع الطرف المدافع من الهجوم على الجناح، كما فعل هانيبال والمارشال ساكس Saxe. سيهزم جناح العدو (وعلى الأرجح سيُدَمَّر) الذي يتخبط بين الهجمات على القلب وعلى الجناح، ويتعين عليه أن يقاتل قوة العدو بأكملها تقريباً. كانت هذه المناورة هي التي حققت لنابليون انتصاراته في فاغرام وليغني. وهي ما كان يرغب في تحقيقها في بورودينو، حيث حقق انتصاراً جزئياً فقط، بسبب العمل البطولي للميسرة الروسية وفرقة باسكافيتش في الطابية المركزية الشهيرة، وبسبب وصول فيلق باكافوت Baggavout على الجناح الذي كان يأمل في الالتفاف عليه. استخدمها أيضاً في بوتسن حيث كانت ستنتج نجاحاً غير مسبوق، ولكن لحدث أعاق مناورة الجناح الأيسر المكلف بقطع الحلفاء عن الطريق إلى فورشن Wurschen توقف العمل.



يجب أن نشير بأن هذه الأنظمة المختلفة لا يمكن تنفيذها بدقة كما هي الأشكال الهندسية على الورق. فالجنرال الذي يتوقع ترتيب خط المعركة نسخة طبق الأصل كما هي على الورق أو كما يفعل على حلبة التدريب هو مخطئ جداً، ومن المحتمل أن يتلقى الهزيمة. هذا صحيح بشكل خاص كما في المعارك الآن. في زمن لويس الرابع عشر أو فريدريك كان من الممكن تشكيل خطوط المعركة بحيث تكاد تكون منتظمة كالأشكال الهندسية، لأن الجيوش التي تُعَسكر في الخيام، كانت دائماً تُجمع متقاربة من بعضها البعض، وكانت تواجه عدوها لعدة أيام، مما أتاح وقتاً كافياً لفتح الطرق وتنظيف المساحات لترتيب الأرتال على مسافات منتظمة من بعضها البعض. ولكن في أيامنا هذه عندما تعسكر الجيوش في العراء، وعندما تُقَسم إلى عدة فرق ذات قابلية أكبر على الحركة، وعندما يتخذون موقعاً قريباً من بعضهم البعض طاعة للأوامر التي تُعطى لهم بينما هم بعيدون عن نظر الجنرال، وغالباً عندما لا يكون هناك وقت للاستطلاع الدقيق لمواقع العدو، وأخيراً عندما تختلط مختلف الأسلحة في

خط المعركة، هذه الظروف تجعل من المستحيل وضع أنظمة المعركة على الأرض بدقة كبيرة. لم تكن الغاية من هذه الأشكال إلا إعطاء فكرة تقريبية للأنظمة.

إذا كان كل جيش عبارة عن كتلة صلبة، قادرة على الحركة كوحدة واحدة تحت قيادة رجل واحد وبلمح البصر، فإن فن الفوز بالمعارك سيتم اختصاره باختيار نظام المعركة الأكثر ملاءمة، وقد يعتمد الجنرال بثقة على نجاح المناورات التي رتبت مسبقاً، لكن الواقع مختلف تماماً. وبسبب الصعوبة الكبيرة في تكتيكات المعارك يجب التأكد دائماً من الدخول المتزامن للأجزاء العديدة من الجيش التي يجب أن تتضافر جهودها من أجل القيام بمثل هذا الهجوم، مما يعطي أرضية مهيأة للنصر، بمعنى آخر الصعوبة الرئيسية هي في تجميع جهود هذه الأجزاء في تنفيذ المناورة الحاسمة، التي هي وفقاً للخطة الأصلية للمعركة ستؤدي إلى النصر.

النقل الغير دقيق للأوامر، والطريقة التي سيتم فهمها وتنفيذها من قبل مرؤوسي القائد الأعلى، والنشاط الزائد في بعض الأحيان وقلته في أحيان أخرى، والخطأ في البصيرة العسكرية، كل هذا قد يربك الدخول المتزامن للأجزاء المختلفة، هذا دون الحديث عن الظروف العرضية التي قد تؤخر أو تمنع وصول الفيلق إلى المكان المحدد. ومن ثم فإن هناك حقيقتين لا شك فيهما:

1. كلما كانت المناورة الحاسمة أكثر بساطة، كلما كان الانتصار مضموناً أكثر.
2. من الراجح أن تنجح المناورات المرتجلة التي يتم تنفيذها بشكل مناسب خلال الاشتباك أكثر من تلك التي يتم ترتيبها مسبقاً، إلا إذا كانت الأخيرة المرتبطة بالحركات الاستراتيجية السابقة ستجلب الأرتال التي ستحسم المعركة على تلك النقاط التي تضمن النتائج المرجوة. واترلو وبوتسن هما أحدث دليلان على ذلك، (في واترلو) منذ اللحظة التي وصل فيها بلوشر وبلو Bulow إلى مرتفعات فريتشرمونت Frichermont، لم يعد هناك أي شيء ممكن القيام به لمنع خسارة المعركة من قبل الفرنسيين، وكان بإمكانهم فقط أن يقاتلوا من أجل جعل الهزيمة أقل فداحة. وبطريقة مماثلة في بوتسن، بمجرد وصول ناي إلى كليكس Klix، كان من الممكن أن ينقذ الحلفاء أنفسهم بالانسحاب خلال

ليلة 20 من مايو، حتى لو حاولوا الانسحاب يوم 21 لكان الأوان قد فات، ولو نفذ ناي بشكل أفضل مما أُمِر به، لكان الانتصار عظيماً جداً.

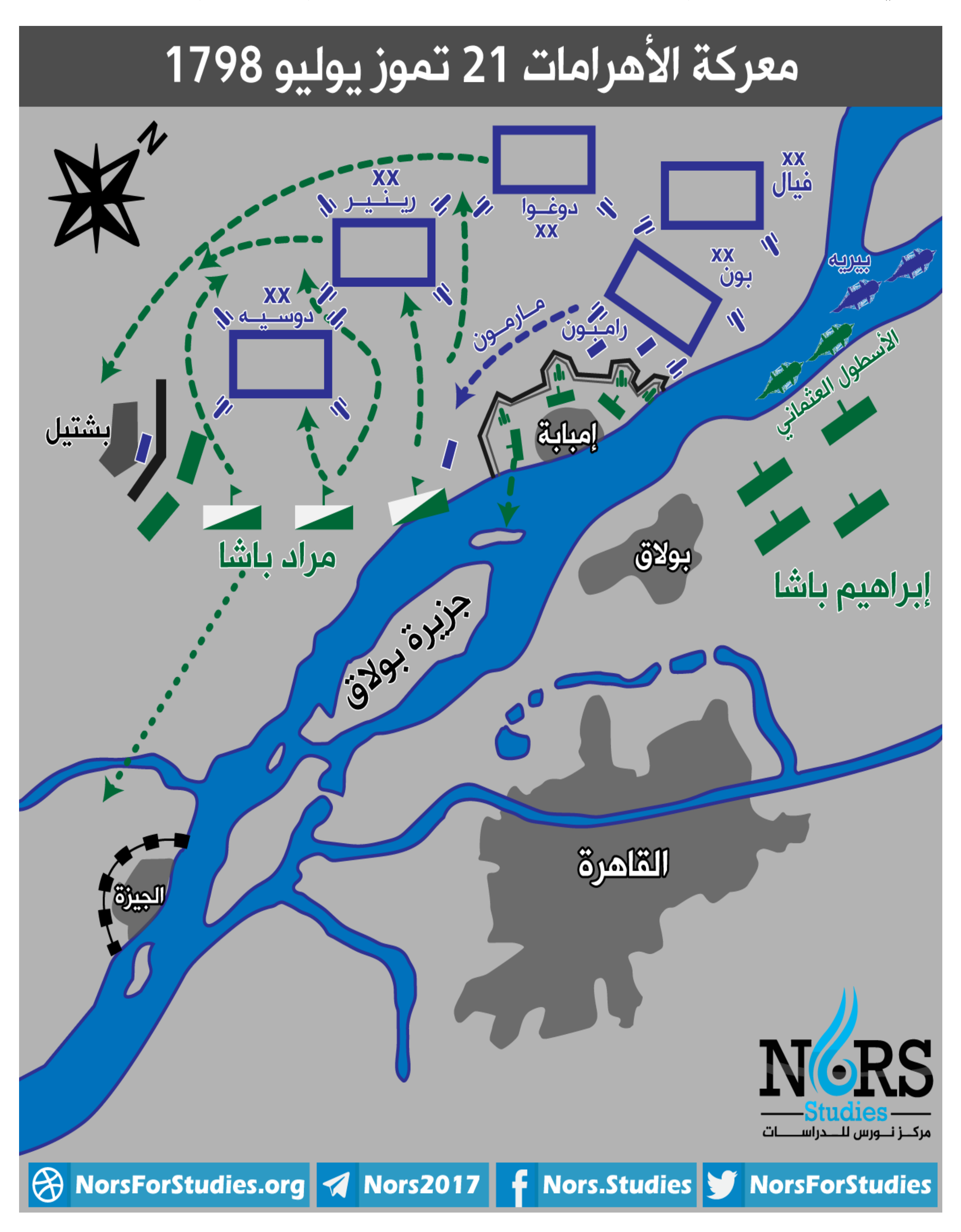
إنّ المناورات لكسر خط العدو وحساباتها المعتمدة على تعاون الأرتال المتقدمة من الجبهة العامة للجيش بقصد القيام بالتفافات كبيرة حول جناح العدو هي مناورات غير مضمونة النتائج دائماً؛ لأنها تعتمد على تنفيذ دقيق للخطط المعدة بعناية، وهو أمر نادر الحدوث. سنناقش هذا الأمر في الموضوع الثاني والثلاثين.

وإلى جانب صعوبة الاعتماد على التطبيق الحرفي لنظام المعركة الذي تم ترتيبه مسبقاً، غالباً ما يحدث أن تبدأ المعارك دون أن يكون لدى المهاجم هدف محدد بشكل جيد، على الرغم من أن الصدام يكون متوقعاً، ينتج هذا عن الظروف السابقة للمعركة، من الجهل بموقع العدو وخططه، أو من حقيقة أن جزءاً من الجيش لم يصل إلى الميدان بعد.

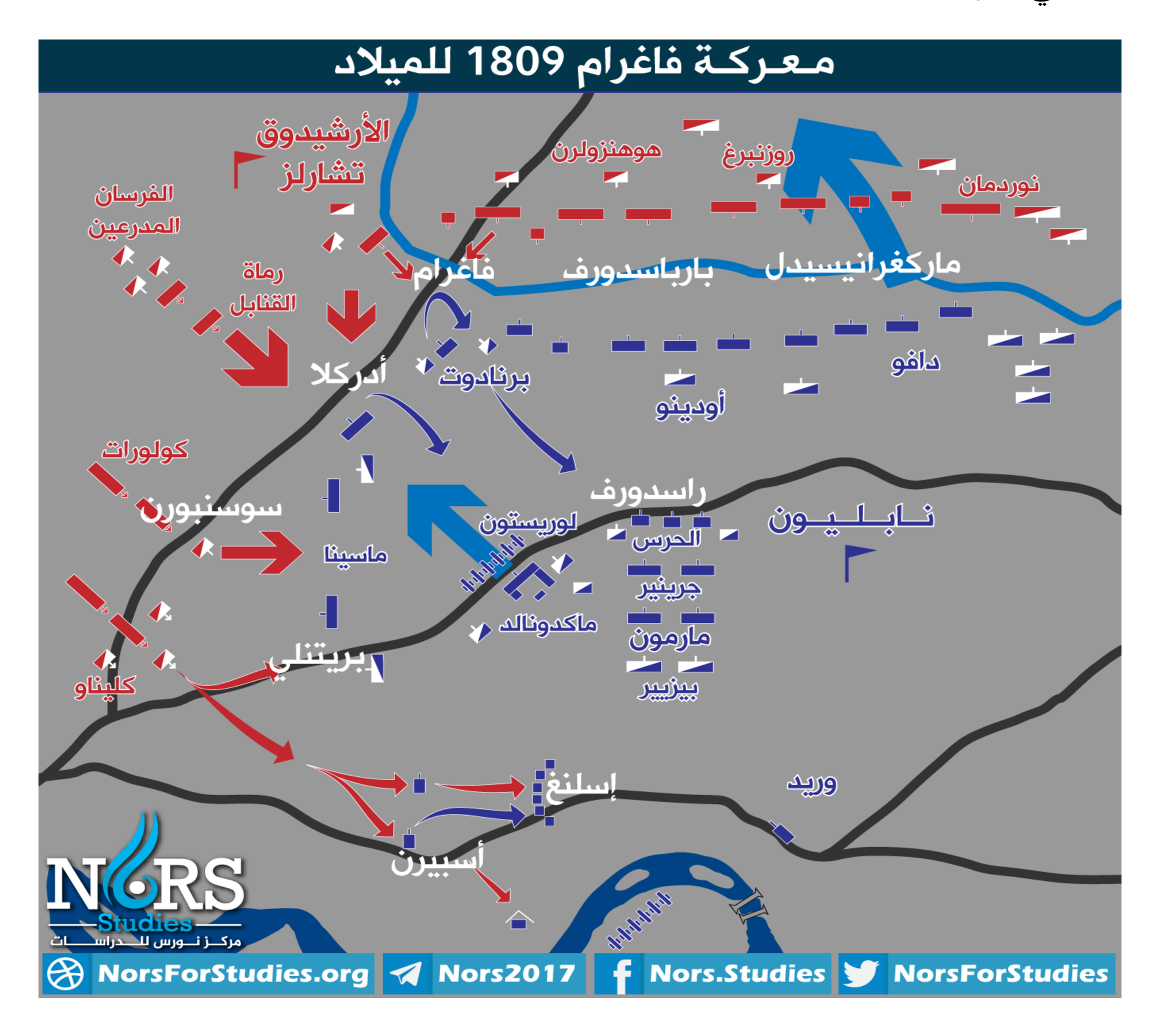
من هذه الأمور استنتج الكثير من الناس استحالة تحويل تشكيلات أنظمة المعارك إلى أنظمة مختلفة، أو أن اعتماد أي منهما يمكن أن يؤثر على نتيجة الاشتباك، أخالف هذا الرأي حتى في الحالات المذكورة أعلاه. في الواقع إن المعارك التي بدأت بدون أي خطة محددة سلفاً، من المحتمل أن تحتل الجيوش عند فتح الخط خطوطاً متوازية تقريباً وتقوي نقطة ما بشكل أو بآخر. إن كان الطرف المدافع لا يعرف أي لحظة ستتفجر فيها العاصفة فسيضع جزءاً كبيراً من قواته في الاحتياط، لاستخدامه في اللحظة المناسبة المطلوبة، يجب على المهاجم أن يفعل نفس الأمر وأن يبقي قوة احتياطية قريبة، ولكن بمجرد أن يتم تحديد نقطة الهجوم، يجب توجيه الجزء الاكبر من قواته على القلب أو على جناح واحد، أو على كلا الجناحين في وقت واحد. مهما كان التشكيل الناتج، فإنه سيشبه دوماً أحد الاشكال المعروضة سابقاً. حتى في الاشتباكات الغير متوقعة سيحدث نفس الشيء، وهو ما يُؤمل أن يكون دليلاً كافياً على أن هذا التصنيف للأنظمة أو الأنظمة المختلفة للمعركة ليس خيالياً أو عديم الفائدة.

لا يوجد حتى في معارك نابليون شيء يدحض آرائي التي أجزم بها، على الرغم من أن هذه المعارك أقل قابلية من غيرها في تمثيلها بخطوط مرسومة بدقة. ولكننا نراه في ريفولي

وأوسترليتز وراتيسبون يركز قواته نحو القلب ليكون مستعداً في اللحظة المناسبة للهجوم على العدو. في معركة الأهرامات شكل خطاً مائلاً من المربعات بنسق درجي. في لايبزش وإسلنغ وبريني Brienne استخدم نوعاً من الأنظمة المحدبة جداً مثل (الشكل 11).



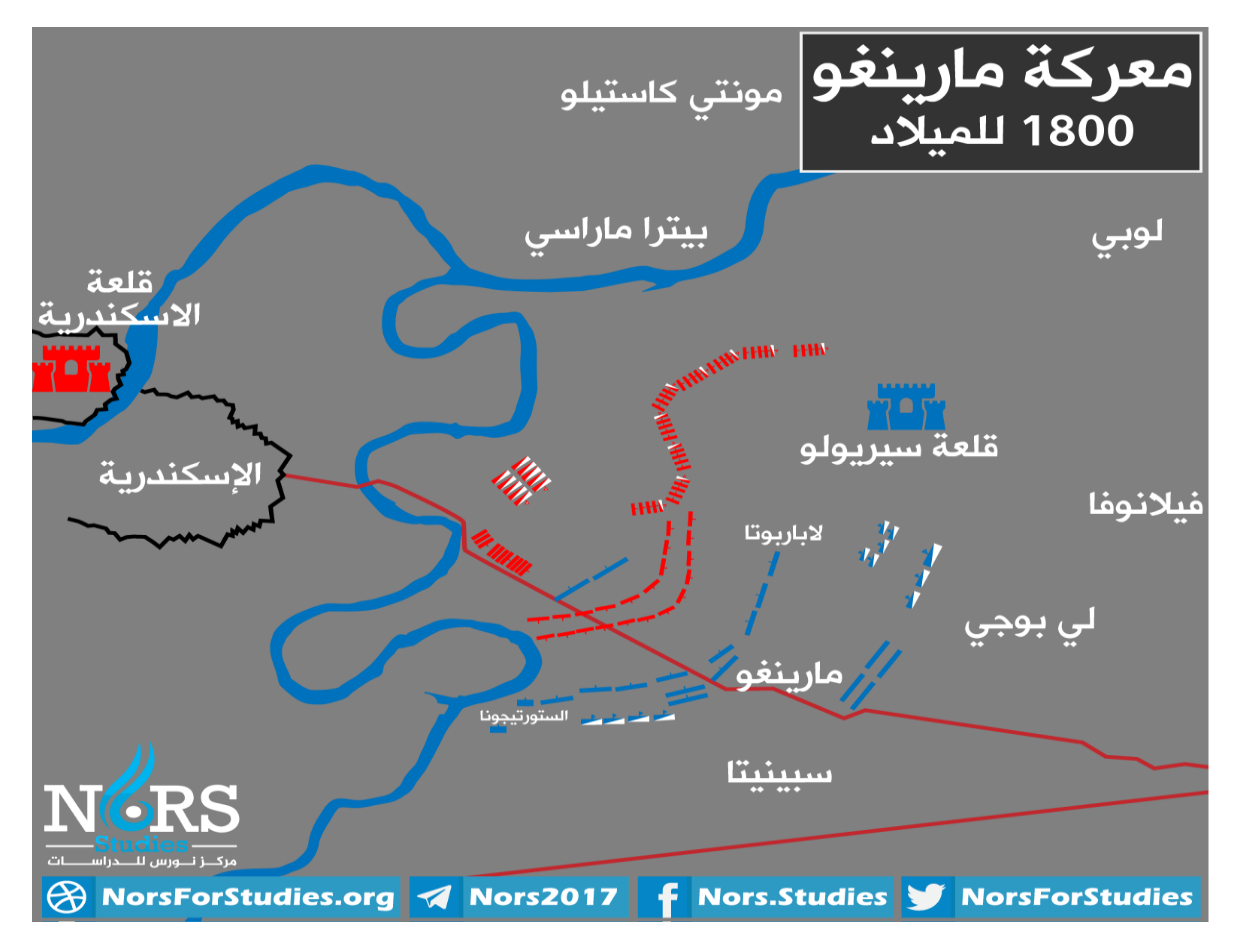
في معركة فاغرام كان نظامه مثل (الشكل 16) تماماً، قد جلب جزئين كبيرين من قواته على القلب والميمنة، بينما أبقى ميسرته إلى الوراء. وكان يود أن يكرر ذلك في بورودينو وواترلو قبل أن يأتي البروسيين.



في إيلاو Eylau على الرغم من أن الصدام لم يكن متوقعاً بهذه السرعة بالنظر للعودة غير المتوقعة والحركة الهجومية للروس، فقد تمكن نابليون من الالتفاف على ميسرتهم بشكل شبه عمودي، بينما كان يحاول في اتجاه آخر اختراق القلب. لكن هذه الهجمات لم تكن متزامنة، حيث تم صدها عن القلب عند الساعة الحادية عشر، بينما لم يهاجم دافوست بقوة على الميسرة حتى الساعة الواحدة.

في درسدن وجه نابليون الجناحين للهجوم للمرة الأولى في حياته على الأرجح، لأن قلبه كان محمياً بالتحصينات ومعسكر محصن، وبالإضافة إلى ذلك كان الهجوم بميسرته موحداً مع هجوم فاندامي على خط انسحاب العدو. في مارينغو إذا نسبنا فضلاً لنابليون نفسه، فإن

النظام المائل الذي اتخذه مسنداً ميمنته على قلعة سيريولي أنقذه من هزيمة محتّمة. انتصر في معركتي أولم وجينا بالاستراتيجية قبل خوضهما، ولم يكن هناك دور للتكتيكات فيهما. في أولم لم تحدث حتى معركة نظامية.



أعتقد أننا قد استنتجنا من ذلك أنه إذا كان من العبث السعي في وضع النظم الأساسية للمعركة في خطوط منتظمة مثلما تُرسم على الأوراق، على الجنرال الماهر أن يحفظ الأنظمة المشارة إليها أعلاه، ويجمع قواته في ساحة المعركة بحيث يكون النظام مشابهاً لإحدى هذه الأنظمة. يجب عليه أن يسعى في جميع تراكيبه (سواء تم ترتيبها بعناية أو على عجالة) لوضع تخمين سليم حول النقطة المهمة في ميدان المعركة. وهذا لا يمكن أن يفعله إلا من خلال مراقبة اتجاه خط معركة العدو، وكذلك الاتجاه الاستراتيجي الحاسم المطلوب منه العمل عليه. عندئذ سوف يوجه انتباهه وجهوده إلى هذه النقطة، مستخدماً ثلث قوته لإزعاج العدو أو مراقبة تحركاته، بينما يوجه الثلثين الباقيين نحو النقطة التي ستؤدي السيطرة عليها إلى تحقيق النصر. وهكذا سيستوفي جميع الشروط التي يفرضها علم

التكتيكات الكبرى، وسوف يطبق مبادئ الفن بأفضل الطرق. وقد شرحنا طريقة تحديد النقطة الحاسمة في ميدان المعركة في الفصل السابق (الموضوع التاسع عشر).

بعد أن أوضحت الآن اثني عشر نظاماً للمعركة، أعتقد أنه من المناسب الآن الرد على العديد من الأقاويل التي وردت في مذكرات نابليون التي نشرها الجنرال مونثولون[326].

يبدو أن الجنرال ينظر إلى النظام المائل على أنه اختراع حديث، وهذا رأي لا أقبله، بل هو خيال منظِّر عسكري. لأن النظام المائل قديم قدم طيبة Thebes وإسبرطة Sparta، وقد رأيت استخدام هذا النظام بعيني. هذا التأكيد لنابليون يبدو أكثر أهمية لأن نابليون نفسه تفاخر بأنه استخدمه في مارينغو، الأمر الذي ينكر وجوده الجنرال مونثولون.

إذا كنا نفهم أن النظام المائل سيتم تطبيقه بطريقة صارمة ودقيقة كما طبقها الجنرال روتشيل في مدرسة برلين العسكرية فمن حق نابليون تماماً اعتبارها سخافة. لكنني أكرر بأن خط المعركة ليس شكلاً هندسياً منتظماً أبداً، وعندما تستخدم هذه الأشكال في مناقشة تراكيب التكتيكات فلا يمكن أن يكون ذلك إلا لغرض إعطاء تعبير محدد لفكرة باستخدام رمز معروف. ومع ذلك فمن الصحيح أن كل خط معركة غير موازي أو متعامد مع خط العدو يجب أن يكون بالضرورة مائلاً. إذا هاجم أحد الجيشين جناح جيش آخر، مع تعزيز الجناح المهاجِم بأجزاء كبيرة من القوات بينما يبقى الجناح الضعيف بعيداً عن الهجوم، فيجب أن يكون اتجاه الخط بالضرورة مائلاً، لأن أحد طرفيه سيكون أقرب للعدو من الآخر. النظام المائل بعيداً جداً عن كونه مجرد نزوة نراها تُستعمَل عندما يكون النظام بنسق درجي بجناح واحد (الشكل 14).

أما بالنسبة إلى الأنظمة الأخرى للمعركة الموضحة أعلاه فلا يمكن إنكار أن التنظيم العام للنمساويين في إسلنغ وفلورس كان خطّاً مقعّراً وأن خط الفرنسيين محدب. في هذه الأنظمة يمكن استخدام الخطوط المتوازية كما في حالة الخطوط المستقيمة، وسيتم تصنيفها على أنها

[326] تشارلز تريستان مونثولون (21 يوليو 1783 - 21 أغسطس 1853) هو جنرال فرنسي خلال الحروب النابليونية. اختار الذهاب إلى المنفى في سانت هيلانة مع نابليون بعد التنازل الثاني للأخير بعد هزيمة واترلو.

تنتمي إلى النظام المتوازي عندما لا يكون أي جزء من الخط أكثر تعزيزاً أو أقرب إلى العدو من جزء آخر.

إذا اكتفينا حالياً بهذا القدر من مدارسة الأشكال الهندسية، فمن الملاحظ أنه **لغرض خوض المعارك بطريقة علمية حقيقية يجب أن نستحضر النقاط التالية:**

1. يجب أن يكون هدف نظام المعركة الهجومي إجبار العدو على ترك موقعه بكل الوسائل الممكنة.
2. المناورات المشار إليها بالفن هي تلك التي تهدف إلى سحق جناح واحد فقط، أو القلب مع جناح واحد في نفس الوقت. قد يتم إزاحة العدو من خلال المناورات الالتفافية عن موقعه.
3. هذه المحاولات لديها احتمالية أكبر للنجاح إذا أخفيت عن العدو حتى لحظة الهجوم.
4. مهاجمة القلب وكلا الجناحين في نفس الوقت من دون تفوق كبير في القوة هو أمر مناقض تماماً لقواعد هذا الفن، ما لم يتم جعل إحدى هذه الهجمات قوية جداً دون إضعاف النقاط الأخرى للخط أكثر من اللازم.
5. ليس للنظام المائل أي غرض آخر سوى توحيد نصف قوة الجيش على الأقل في هجوم كبير على جناح واحد للعدو، في حين يكون الباقي متراجعاً إلى الخلف، بعيداً عن خطر الهجوم، ويتم ترتيبه إما في نسق درجي أو في خط مفرد مائل.
6. تُنظَم التشكيلات المختلفة المحدبة أو المقعرة أو العمودية أو غير ذلك بأحد التوزيعين، إما أن تُنشَر القوات بشكل متجانس على طول الخط، أو تُحشَد القوات في نقطة معينة.
7. إن الهدف من الدفاع هو هزيمة خطط الطرف المهاجِم، يجب أن تتمثل ترتيبات النظام الدفاعي بمضاعفة الصعوبات في الاقتراب من الموقع، والاحتفاظ باحتياطي قوي مخفي بشكل جيد مستعد للهجوم في اللحظة الحاسمة على نقطة لا يتوقعها العدو.
8. من الصعب أن نحدد بدقة ما هي أفضل طريقة تُستخدَم لإجبار جيش معاد على التخلي عن موقعه. سيكون نظام المعركة مثالياً إذا كان يجمع بين التفوق في نيران

الأسلحة والتفوق في التأثير المعنوي الذي ينتجه النظام. سيكون المزيج البارع من الخطوط والأرتال المنتشرة (التي تعمل بالتناوب كلما اقتضت الظروف) مزيجاً جيداً دائماً. في التطبيق العملي لهذا النظام يجب أن تنشأ تنوعات كثيرة ناتجة عن الاختلافات في البصيرة العسكرية للقادة، ومعنويات الضباط والجنود، ومعرفتهم بمختلف أنواع المناورات والنيران في مختلف التضاريس...الخ.

9. بما أن طرد العدو من موقعه وقطع طرق إمداده قدر الإمكان في معركة هجومية أمرٌ أساسي، فإن أفضل وسيلة لتحقيق ذلك هي تجميع واستخدام أكبر قدر من القوة المادية ضده. ومع ذلك، يحدث أحياناً أن تكون الفائدة من وراء الاستخدام المباشر للقوة الرئيسية مشكوك فيها، وبذلك تكون النتائج باستخدام المناورات للالتفاف على الجناح الأقرب إلى خط انسحاب العدو أفضل. فحين يُهدَد خَطُّهُ ينسحب، بينما يقاتل بقوة ونجاح إذا تعرض للهجوم بقوة رئيسية.

التاريخ مليء بأمثلة نجاح مثل هذه المناورات، خاصة عند استخدامها ضد جنرالات ضعفاء. وعلى الرغم من أن الانتصارات التي يتم تحقيقها بهذا الشكل تكون أقل حسماً بشكل عام، والجيش المعادي لا تنهار معنوياته إلا الشيء القليل، فإن مثل هذه الانتصارات غير المكتملة لها أهمية جديرة بعدم إهمالها، ويجب أن يعرف الجنرال الماهر كيفية توظيف الوسائل اللازمة لاكتسابها عند توفر الفرص، لا سيما إذا تم مزج هذه الالتفافات مع الهجمات بالقوة الرئيسية.

10. إن الجمع بين هاتين الطريقتين (أي الهجوم من الأمام بالقوة الرئيسية والمناورة الالتفافية) سيضمن الانتصار أكثر من استخدام كل منهما على حدة، وفي جميع الحالات يجب تجنب الحركات الممتدة (البعيدة)، حتى في وجود عدو ضعيف.

11. طريقة دفع العدو من موقعه بالقوة الرئيسية هي: إرباك قواته بإطلاق نيران المدفعية الثقيلة والموجهة بشكل جيد، ويزيد من هذا الارتباك الانقضاضات القوية بسلاح الفرسان، ومتابعة التفوق المحرز من خلال دفع الأجزاء الكبيرة من المشاة إلى الأمام ويكون هؤلاء المشاة محميين بشكل جيد من الأمام بالمناوشين ومن الأجناب بسلاح الفرسان.

لكن على الرغم من أننا قد نتوقع الانتصار في اتباع مثل هذا الهجوم على الخط الأول، إلا أن الخط الثاني لا يزال يتعين قتاله، وبعد ذلك الاحتياطي.

إذا لم يتسبب التأثير المعنوي عند هزيمة الخط الأول في انسحاب الخط الثاني (كما يحدث في كثير من الأحيان)، ولم يفقد الجنرال المدافع لحضور ذهنه (تركيزه) في هذه الفترة من الاشتباك فسيكون الطرف المهاجم محرجاً للغاية. في الواقع إن القوات المهاجمة عادة ما تكون في حالة فوضى إلى حد ما حتى في حالة الانتصار، وغالباً ما يكون من الصعب جداً استبدالها بالخط الثاني، لأنهم يعقبون عادة الخط الأول على مسافة خارج مدى مسكيت العدو. ومن الصعب دائماً استبدال فرقة ما بفرقة أخرى في خضم المعركة، في اللحظة التي يضع فيها العدو كل قوته في صد الهجوم.

هذه الاعتبارات تؤدي إلى الاعتقاد بأنه إذا كان الجنرال وقوات الجيش الدفاعي متساوين في أداء واجباتهم والحفاظ على حضورهم الذهني (تركيزهم)، وإذا لم يتم تهديد أجنحتهم وخط انسحابهم، فإن التفوق عادة ما يكون في جانبهم خلال الصدام الثاني للمعركة. ولكن لضمان تلك النتيجة يجب إطلاق الخط الثاني وسلاح الفرسان ضد الكتائب المهاجمة المنتصرة في اللحظة المناسبة، والتأخر لبضع دقائق قد يكون مدمراً، وقد يدفع الخط الثاني للانهيار مع الخط الأول.

12. من الحقائق السابقة يمكن استنباط الحقيقة التالية: "إن أصعب وأضمن وسيلة للمهاجم للانتصار تتمثل في دعم الخط الأول بقوة مع قوات الخط الثاني، والثاني مع الاحتياطي، وفي الاستخدام المناسب للأجزاء الكبيرة من سلاح الفرسان وبطاريات المدفعية، للمساعدة في توجيه الضربة الحاسمة على الخط الثاني من العدو؛ وهنا تبرز أصعب جميع مشاكل تكتيكات المعارك".

في هذه الأزمة المهمة من المعارك، تصبح النظرية دليلاً غير يقيني. لأنها غير قادرة على مواكبة حالات الطوارئ، ولا يمكن مقارنتها مطلقاً بالمواهب الطبيعية للحرب، ولا أن تكون بديلاً كافياً لتلك البصيرة العسكرية والحدس المنقولان عن طريق التجربة والخبرة في المعارك إلى جنرال ذي شجاعة مجربة ورباطة جأش.

إن التوظيف والاستخدام المتزامن لأكبر عدد من القوات وجميع الأسلحة (باستثناء احتياطي صغير لكل منها يجب أن يبقى قريباً دائماً)[327] في اللحظة الحاسمة للمعركة هي المشكلة التي سيحاول فيها كل جنرال حلها وسيوليها كل اهتمامه. هذه اللحظة الحاسمة تكون عادة عندما ينكسر الخط الأول لأحد الطرفين، ويصب الطرفان كل جهودهما، لإكمال النصر من جانب المهاجم، ومن جهة المدافع لانتزاعها من العدو. ومن نافلة القول أن نقول بأن الهجوم المتزامن على جناح العدو سيكون مفيداً للغاية لضمان الضربة الحاسمة وجعلها أكثر تأثيراً.

13. في وضع الدفاع، يمكن استخدام نيران المسكيت بشكل أكثر فاعلية من الهجوم، حيث أنه عند قيام المهاجم بمحاولة احتلال موقع ما لا يمكن الاستيلاء عليه إلا من خلال التحرك نحوه، ولا يمكن القيام بالمسيرات نحو الموقع وإطلاق النار في نفس الوقت إلا بواسطة المناوشين، ففي مثل هذه حالة يصبح من المستحيل القيام بذلك عبر الأجزاء الكبيرة الأساسية من الجيوش الرئيسية. إن الهدف من الدفاع هو كسر وإرباك القوات المهاجمة التي تحاول التقدم، ستكون نيران المدفعية والمسكيت وسيلة دفاعية طبيعية للخط الأول، وعندما يضغط العدو عن كثب يجب إطلاق أرتال الخط الثاني وجزء من سلاح الفرسان ضدهم. كل ذلك سيرفع من احتمالية نجاح صدهم.

[327] المؤلف: من الطبيعي استخدام الاحتياطي الكبير في المعركة عند الضرورة. لكن من الأفضل دائما الاحتفاظ باحتياطي نهائي، كتيبتين أو ثلاثة كتائب وخمس أو ست أسراب. حسم مورو معركة إنجين Engen بأربع سرايا من المشاة. وما أنجزه فرسان كيلرمان في مارينغو معروف لكل قارئ للتاريخ.

الموضوع الثاني والثلاثين: المناورات الالتفافية والتحركات الممتدة (البعيدة) في المعارك

لقد تحدثنا في الموضوع السابق عن المناورات المتخذة للالتفاف على خط العدو في أرض المعركة، والفوائد المتوقعة من ذلك. ما زالت هناك بعض الكلمات نقولها حول الالتفافات الكبيرة التي تحدثها هذه المناورات أحياناً، مما يؤدي إلى فشل العديد من الخطط المعدة جيداً في الظاهر.

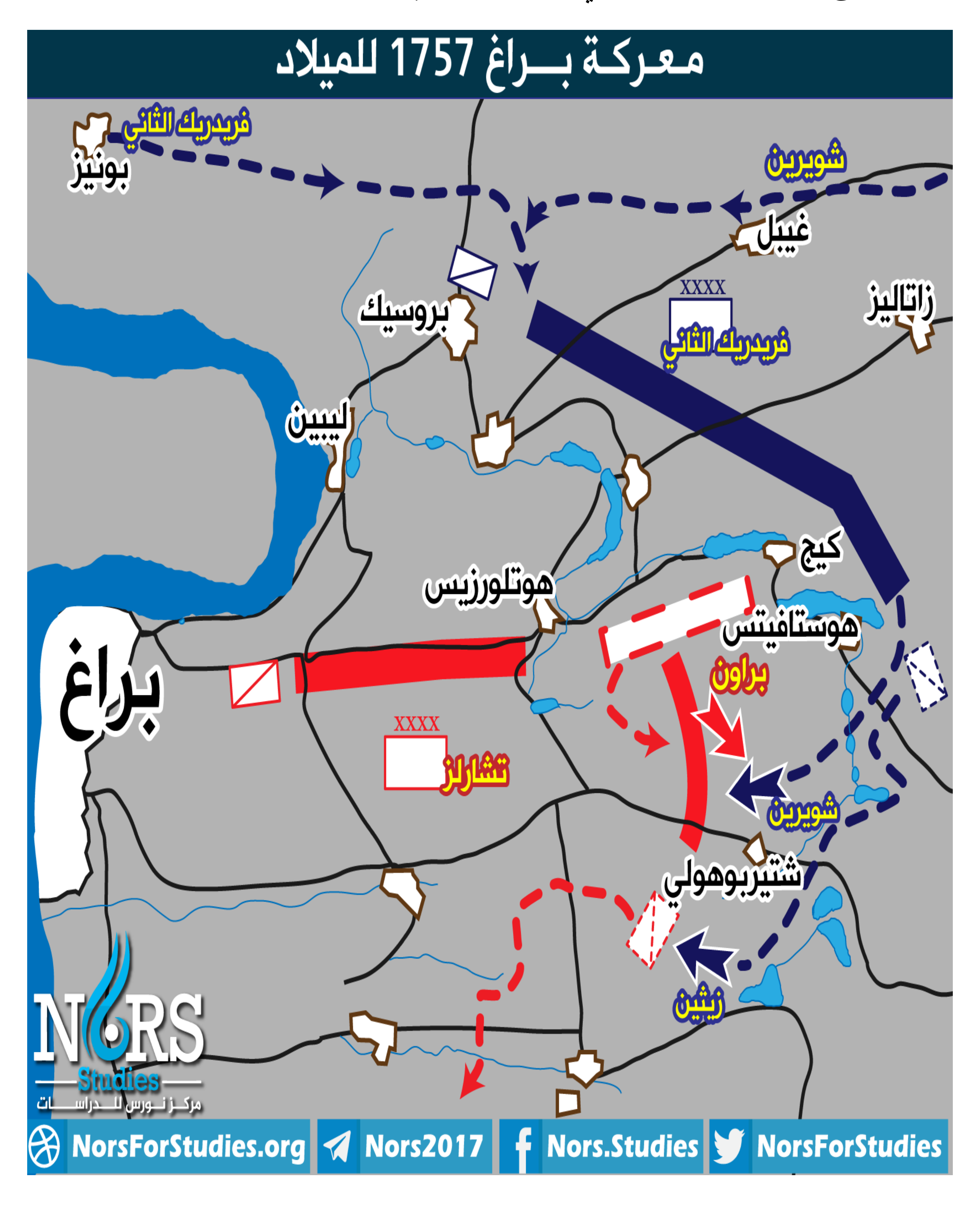
قد يتم وضع مبدأ بأن أي حركة ممتدة (بعيدة) هي حركة خطرة، حيث تعطي للعدو فرصة أثناء حدوثها لضرب ما تبقى من الجيش في موقعه. ومع ذلك فالخطر يعتمد إلى حد كبير على سرعة ودقة بصيرة جنرال العدو العسكرية، وكذلك على أسلوب الحرب التي اعتاد عليها، فإنه ليس من الصعب أن نفهم لماذا العديد من هذه المناورات فشلت ضد بعض القادة ونجحت ضد آخرين، ولماذا حققت هذه الحركة –التي كانت خطرة في حضور فريدريك أو نابليون أو ويلنغتون– نجاحاً كاملاً ضد جنرال ذي قدرة محدودة، يفتقد للبراعة في القيام بالهجوم في اللحظة المناسبة، أو من كان قد اعتاد أن يتحرك بهذه الطريقة.

يظهر من ذلك صعوبة وضع قاعدة ثابتة حول هذا الموضوع. من الممكن أن نعطي التوجيهات التالية (اجعل الجزء الأكبر من قوتك قريب وجاهز للتصرف في اللحظة المناسبة، مع الحرص على تجنب خطر تراكم القوات في تجمعات كبيرة جداً. سيكون القائد الذي يتابع هذه الاحتياطات جاهزاً دائماً لأي شيء قد يحدث. إذا أظهر جنرال العدو قلة مهارة وميول للتساهل في الحركات الممتدة (البعيدة)، فهذا سيزيد من جرأتنا عليه).

بعض الأمثلة المستقاة من التاريخ مفيدة لإقناع القارئ بصحة كلامي، وإظهار كيف تعتمد نتائج هذه الحركات الممتدة (البعيدة) على شخصيات الجنرالات والجيوش المعنية بهم.

في حرب السبع سنوات، كسب فريدريك معركة براغ لأن النمساويين تركوا مسافة محمية بشكل ضعيف طولها ألف ياردة بين ميمنتهم وسائر الجيش، حيث بقي الأخير بلا حراك بينما كانت الميمنة تُسحَق. كان هذا التقاعس أكثر غرابة، حيث كانت ميسرة النمساويين تحتاج لدعم ميمنتهم عبور مسافة أقصر بكثير من المسافة التي قطعها فريدريك ليهاجم

الميمنة؛ لأن الميمنة منتشرة على شكل خط معكوف بالنسبة لباقي الجيش، واضطر فريدريك للتحرك على شكل قوس نصف دائري كبير للوصول إليه.



من ناحية أخرى، كاد فريدريك أن يخسر معركة تورجاو Torgau، لأنه تحرك بميسرته بحركة لمسافة بعيدة للغاية وغير متصلة (ما يقارب ستة أميال) بهدف الالتفاف على ميمنة مارشال داون[328]. وجه مولندورف مباشرة ميمنته من خلال حركة تراكزية[329] نحو مرتفعات سيبتيتز Siptitz، حيث انضم إلى الملك وبالتالي تم إصلاح خطه[330].

إن معركة ريفولي هي مثال ملحوظ في هذه النقطة. جميع الذين يعرفون هذه المعركة يعرفون أن ألفينزي وقائد أركانه ويهروثر أرادوا أن يحيطوا بجيش نابليون الصغير، الذي كان يتركز على هضبة ريفولي. تعرض قلبهم للهزيمة في الوقت الذي كُسِرت فيه ميسرتهم في واد أديجي، وكان لوسيغنان يقود الميمنة للقيام بالتفاف واسع للهجوم على مؤخرة الجيش الفرنسي، حيث تمت إحاطته وأسره سريعاً.

لا أحد يستطيع أن ينسى يوم معركة شتوكاخ، حيث رسم جوردان الخطة السيئة في القيام بهجوم على جيش النمسا المتحد من ستين ألف جندي بثلاث فرق صغيرة من سبعة آلاف أو ثمانية آلاف جندي، مفصولة بمسافات من عدة فراسخ، بينما يقوم سان سير مع الفرقة الثالثة (ثلاثة عشر ألف جندي) بعبور مسافة اثني عشر ميلاً حتى خلف الميمنة ويهجم على مؤخرة الجيش المؤلف من ستين ألف جندي، وهذه الخطة السيئة كانت ستساعد النمساويين في الانتصار على هذه الأجزاء المقسمة، ومن المؤكد أنها كانت ستساعد على أسر الجزء المهاجم على المؤخرة. كان هروب الجنرال سانت سير Saint-cyr (أحد الضباط من قادة الفرقة الثالثة) أقرب إلى معجزة.

نذكّر كيف حاول الجنرال فيروذر Weyrother نفسه الذي كان يريد أن يطوق نابليون في ريفولي، حاول القيام بنفس المناورة في أوسترليتز على الرغم من الدرس القاسي الذي تلقاه سابقاً. ميسرة جيش الحلفاء حاولت الالتفاف على ميمنة نابليون لقطعه عن فيينا (في حين لم يكن يرغب في الانسحاب إليها) بحركة دائرية تقدّر بستة أميال، مما كشف مسافة قدرها ميل

[328] المؤلف: لدراسة هذه المعارك انظر الفصلين الثاني. والخامس والعشرين من كتابي بحوث على العمليات العسكرية الكبرى.

[329] كما بينا سابقا فإن الخطوط التراكزية هي المسالك التي تتحرك عليها قطعات الجيش لتحقيق الاندماج فيما بينها وحشد الجيش في كتلة واحدة.

[330] في معركة تورجاو في 3 نوفمبر 1760، قاتل جيش الملك فريدريك الأكبر البروسي جيشًا نمساويًا أكبر تحت قيادة المشير ليوبولد جوزيف جراف دون. حقق البروسيون انتصارا مكلفا في واحدة من المعارك الأكثر دموية في حرب سيليزيا الثالثة (جزء من حرب السنوات السبع). كانت خطة فريدريك أن يقوم بقيادة الجيش الرئيسي البروسي للالتفاف على ميمنة النمساويين بقيادة داون من الشمال، بينما يقوم الجنرال زيتين (البروسي) بإشغال ميسرة النمساويين بقيادة لاسي من الجنوب. المناورة الالتفافية كانت طويلة وعانى الجيش البروسي بقيادة فريدريك من الفوضى نتيجة الحركة السريعة وكاد أنه يهلك نتيجة اكتشاف ميمنة النمساويين لفريدريك مبكرا، وأصيب فريدريك في هذه المعركة في صدره.

ونصف من خطهم. استفاد نابليون من هذا الخطأ وهجم على القلب وحاصر ميسرة الحلفاء، التي كانت محصورة تماماً بين بحيرات تيلنيتز وميلنتز (المتجمدة).

كسب ولينغتون معركة سالامانكا Salamanca بمناورة تشبه إلى حد بعيد مناورة نابليون، لأن مارمونت الذي كان يرغب في قطع خط انسحابه إلى البرتغال، ترك فتحة عرضها ميل ونصف في خطه، وهو ما استغله الجنرال الإنجليزي في سحق الميسرة بأكملها، مجردة من أي دعم.

لو أن فيروزر واجه مباشرة جوردان في ريفولي أو في أوسترليتز، لكان دَمَّرَ الجيش الفرنسي، بدلاً من أن يعاني في كلا المعركتين من الهزيمة، بالنسبة للجنرال (جوردان) الذي هاجم كتلة من ستون ألف جندي بأربع أجزاء صغيرة من القوات التي تفصل بينها مسافات بعيدة إلى الحد الذي لا تستطيع فيه تقديم الدعم المتبادل فلم يكن يعرف كيف يستفيد بشكل مناسب من الالتفاف الواسع الذي حدث بوجوده. وبنفس الطريقة كان حظ مارمونت (الفرنسي) سيئاً في أن يكون في سالامانكا (في إسبانيا) خصماً لجنرال (ولنغتون) موهبته الرئيسية والسريعة والمدربة هي البصيرة العسكرية التكتيكية. لو أن مارمونت واجه دوق يورك أو مور كخصم لربما انتصر.

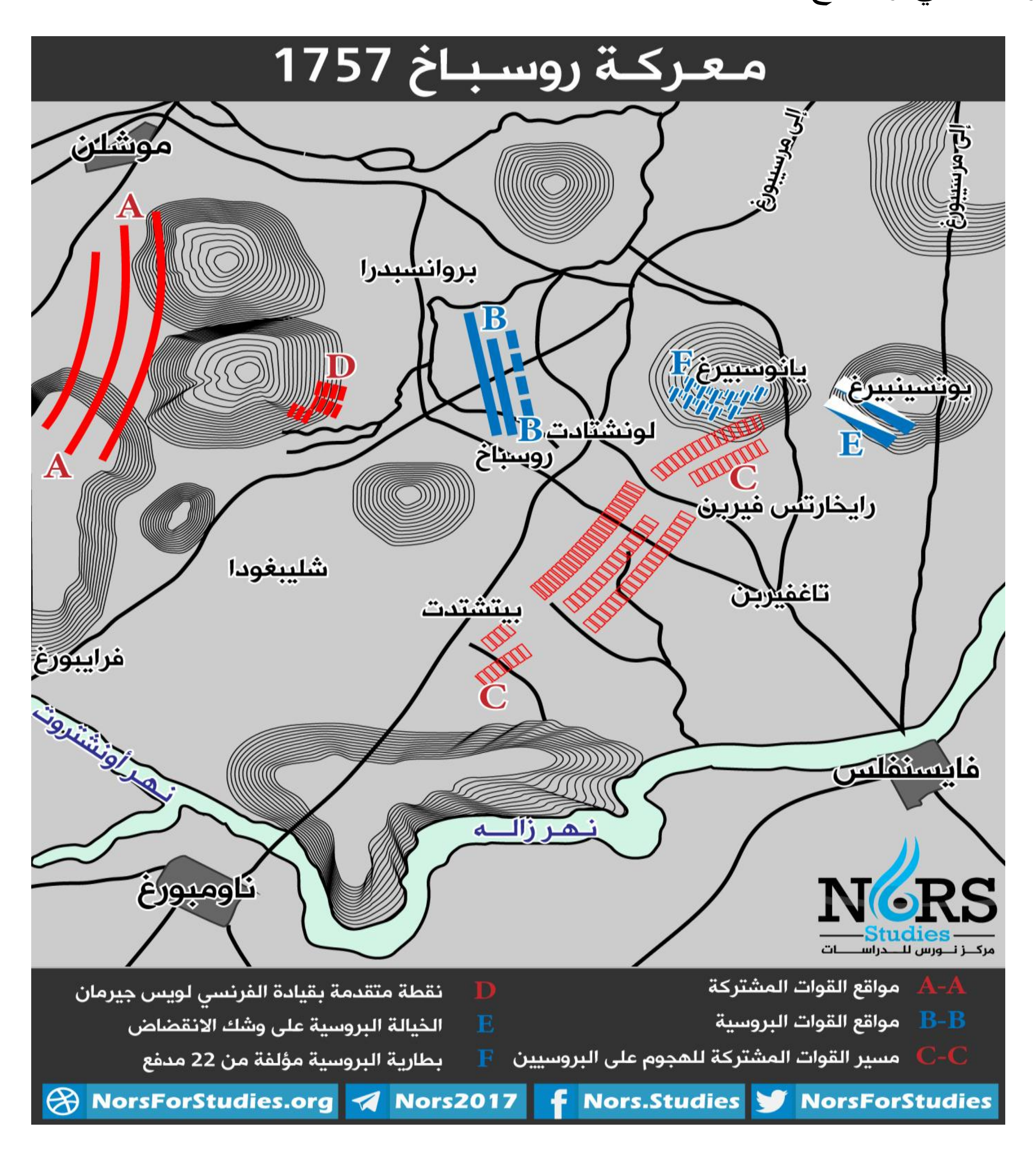
من بين المناورات الالتفافية التي نجحت في أيامنا هذه، فإن المناورات التي حدثت في واترلو وهوهينليندن حققت أفضل النتائج. كانت مناورات واترلو بأكملها تقريباً عملية إستراتيجية، وحدثت في ظل ظروف ناجحة نادرة الوقوع. أما بالنسبة إلى هوهينليندن فلن نجد في التاريخ العسكري مثالاً آخر على لواء واحد يغامر أفراده بأرواحهم في غابة فيها خمسين ألف جندي من الأعداء، وهناك من يقوم بمثل هذه الأعمال البطولية المدهشة مثل ما نفذ ريجيبانز Richepanse (قائد الفرقة الفرنسية منفذ الالتفاف على ميسرة العدو) في وادي ماتينبويت Matenpoet (قرب الغابة التي حدث فيها الالتفاف)، حيث كان من المتوقع في جميع الاحتمالات أن يستسلم ويلقي سلاحه.

في فاغرام ساهم الجناح الملتف تحت قيادة دافو إلى حد كبير في تحقيق الانتصار في ذلك اليوم. ولكن لو لم يقدم المساعدة المطلوبة للهجوم الشديد على القلب بقيادة ماكدونالد وأودينو وبرنادوت، فليس من المؤكد بأي حال من الأحوال أن مثل هذا الانتصار كان سيحدث.

الكثير من الأمثلة ذات النتائج المتضاربة قد تدعم الرأي القائل بأنه لا يمكن إعطاء أي قاعدة حول هذا الموضوع. إلا أن هذا الرأي خاطئ، فعلى العكس تماماً، فمن الواضح تماماً أنه من خلال تبني أنظمة معارك متقاربة ومتصلة بشكل جيد، سيجد الجنرال نفسه مستعداً لأي طارئ، ولن يتبقى سوى القليل للحظ. ولكن من المهم بشكل خاص بالنسبة له أن يكون لديه تقدير صحيح لخصائص العدو وأسلوبه المعتاد في الحرب، لتمكينه من تنظيم تحركاته وفقًا لذلك. في حالة التفوق في العدد أو الانضباط، ستكون المناورات المنفذة متهورة في حال كانت القوى متساوية أو القادة بنفس القدرات. يجب أن تكون مناورة الهجوم على الجناح والالتفاف عليه منسقة مع هجمات أخرى، وأن تكون مدعومة بشكل مناسب من خلال محاولة ما تبقى من الجيش الهجوم على جبهة العدو، إما ضد الجناح للالتفاف عليه أو ضد القلب. وأخيراً فإن العمليات الاستراتيجية لقطع خط الاتصالات للعدو قبل الدخول في معركة ومهاجمته في الخلف، مع المحافظة على خط الانسحاب الخاص به، من المرجح أن تكون ناجحة وأكثر فاعلية، وعلاوة على ذلك فإنها لا تتطلب مناورة منفصلة خلال المعركة.

الموضوع الثالث والثلاثين: لقاء بين جيشين خلال المسير

يثير اللقاء الغير متوقع لجيشين خلال المسيرة أحد أشهر المشاهد في الحرب. في معظم المعارك ينتظر أحد الأطراف عدوه في موقع يختاره مسبقاً، حيث يتم مهاجمته من العدو بعد إجراءه استطلاع قريب ودقيق قدر الإمكان. ومع ذلك غالباً ما يحدث (خاصة مع الحروب الحديثة) أن الجيشين يقتربان من بعضهما كل منهما ينوي القيام بهجوم مباغت على الآخر. يتبع ذلك تصادم غير متوقع بين كلا الجيشين، فيجد كل منهما الآخر حيث لا يتوقع اللقاء. قد يتعرض أحد الجيشين أيضاً لهجوم مباغت من قبل الجيش الآخر، وهو ما حدث للفرنسيين في روسباخ.



أحداث كبيرة من هذا النوع تستدعي استخدام كل عبقرية الجنرال الماهر والمحارب القادر على السيطرة على الأحداث. من الممكن دائماً كسب معركة بقوات شجاعة، حتى عندما لا يمتلك القائد نفسه قدرات كبيرة، لكن الانتصارات مثل انتصارات لوتزين Lutzen ولوزارا Luzzara وإيلاو Eylau وأبنسبيرغ Abensberg لا يمكن إحرازها إلا من خلال ذكاء لامع ممزوجة بقوة أعصاب وباستخدام تراكيب ذكية محكمة.

عامل الحظ الكبير في هذه المعارك العرضية يجعل من الصعوبة بمكان وضع قواعد دقيقة خاصة بها، ولكن في هذه الحالات بالأخص يجب ترسيخ المبادئ الأساسية للفن والطرق المختلفة لتطبيقها في العقل بوضوح، لغرض القيام بترتيب مناسب للمناورات التي يجب اتخاذ قرار في تنفيذها في الحال وفي وسط الفوضى المجلجلة للجيوش.

إن جيشين يسيران (كما كانا يفعلان في السابق) بكافة تجهيزات المخيم ويلتقيان بشكل مفاجئ، لا يمكن أن يفعلوا شيئاً أفضل في بادئ الأمر من نشر حرس المقدمة على يمين أو يسار الطرق التي يمرون بها. في كل جيش يجب أن تتركز القوات في نفس الوقت بحيث يتم توجيهها في الاتجاه الصحيح بما يتفق مع هدف المسيرة. بينما يُعتبر نشر الجيش بأكمله خلف حرس المقدمة خطأ فادح. لأنه حتى لو تم تنفيذ عملية النشر فإن النتيجة لن تكون أكثر من نظام متوازي فوضوي، وإذا ضغط العدو على حرس المقدمة بقوة كبيرة فقد تكون النتيجة هي هزيمة القوات التي حاولت التشكل. (انظر ما حدث في معركة روسباخ في كتاب بحوث حول العمليات الكبرى.)

في النظام الحديث عندما يتم تحريك الجيوش بسهولة أكبر، وتسير على عدة طرق، وتنقسم إلى أجزاء كبيرة قد تعمل بشكل مستقل؛ لن يُخشى من حدوث هكذا هزائم، لكن المبادئ لم تتغير. يجب دائماً وقف حرس المقدمة وتشكيلهم، ثم تركيز الأجزاء الكبيرة من القوات في الاتجاه الأكثر ملاءمة لتنفيذ هدف المسيرة. مهما كانت المناورات التي قد يحاول العدو القيام بها، فإن كل شيء سيكون جاهزاً لمواجهته.

الموضوع الرابع والثلاثين: مباغتة الجيوش

لن أتحدث هنا عن المباغتة باستخدام مفارز صغيرة، التي هي من السمات الرئيسية في حروب الأنصار (العصابات) أو القوات الخفيفة، التي تفوق فيها سلاح الفرسان الروسي والتركي. سأقتصر في المناقشة على المباغتة بجيوش كاملة.

قبل اختراع الأسلحة النارية كانت المباغتات أكثر سهولة مما كانت عليه في الوقت الحالي، لسماع إطلاق نيران المدفعية والمسكيت لمسافات بعيدة لدرجة أن مباغتة الجيش اليوم أصبحت أقرب للمستحيل، ما لم يتم نسيان الواجبات الأولى للخدمة الميدانية الدفاعية ودخول العدو وسط الجيش قبل اكتشاف وجوده لعدم وجود نقاط حراسة متقدمة للإنذار. تقدم حرب السنوات السبع مثالاً لا ينسى كما في مباغتة هوشكيرش Hochkirch. فهي تشير إلى أن المباغتة لا تتكون ببساطة من الهجوم على قوات نائمة أو ذات حراسة ضعيفة فقط، وإنما قد تنجم عن مزيج من الهجوم المفاجئ على جناح واحد من الجيش والإحاطة به. في الواقع ليس من الضرورة أن تكون المباغتة بحيث لا ينتبه العدو إليك أبداً لدرجة عدم خروجه من الخيام، لكن يكفي أن نهاجمه بقوة في النقطة المقصودة، قبل أن يتم الاستعداد لمواجهة الهجوم[331].

وبما أن الجيوش في يومنا هذا نادراً ما تخيم في الخيام عندما تكون في مسيرة، فالمباغتة المرتبة مسبقاً نادرة وصعبة، لأنه من أجل التخطيط لمباغتة يصبح من الضروري الحصول على معرفة دقيقة بمعسكر العدو. في مارينغو Marengo ولوتزين Lutzen وإيلاو Eylau كان هناك شيء من المباغتة. ولكن يجب استخدام هذا المصطلح فقط على هجوم غير متوقع تماماً. المفاجأة الكبرى الوحيدة التي يمكن الاستشهاد بها هي معركة تاروتين في 1812، حيث هوجم الجنرال مورات وتعرض للهزيمة من قبل بينكسن Benningsen.

[331] وقعت معركة هوتشكريش في 14 أكتوبر 1758 خلال الحرب السيليزية الثالثة (جزء من حرب السنوات السبع). بعد عدة أسابيع من المناورة للحصول على موقع ، فاجأ الجيش النمساوي المكون من 80.000 بقيادة الملازم المارشال ليوبولد جوزيف جراف داون الجيش البروسي من 30000 - 36000 ، بقيادة فريدريك العظيم. تغلب الجيش النمساوي على البروسيين وأجبرهم على الانسحاب العام. وقعت المعركة في قرية هوشكيرش Hochkirch ، على بعد 9 كيلومترات (6 ميل) شرق بوتسن ساكسونيا.

حقق الجيش النمساوي المباغتة الكاملة على البروسيين من خلال الالتفاف على ميمنتهم جنوب خط الدفاع البروسي الموجه شرقاً على شكل حرف S، واكتشف المراسلات بين وزير فريدريك وبين فريدريك الذي كان يراسل الأخير لنقل المعلومات عن خطط الجيش النمساوي، واستطاع النمساويون عن طريق ذلك نقل معلومات خاطئة لفريدريك عن تواجدهم.

ولتبرير عدم أخذه بالحذر زعم مورات بأن هدنة سرية كانت سارية، ولكن لم يكن هناك شيء من هذا القبيل، وتعرض للمباغتة بسبب إهماله[332].

من الواضح أن الطريقة الأفضل لمهاجمة الجيش هي الهجوم على معسكره قبل الفجر، في اللحظة التي لا يتوقع فيها شيء من هذا القبيل. الارتباك في المعسكر سيحدث بالتأكيد. وإذا كان المهاجم لديه معرفة دقيقة بالمكان (التضاريس) ويمكن أن يعطي توجيهاً تكتيكياً واستراتيجياً مناسباً للأجزاء الكبيرة من قواته فمن المتوقع أن يحقق نجاحاً كاملاً، ما لم تحدث أحداث غير متوقعة. هذه العملية لا ينبغي بأي شكل من الأشكال إهمالها في الحرب رغم أنها نادرة وأقل ذكاءً من التراكيب الاستراتيجية الكبيرة التي تجعل الانتصار مؤكداً حتى قبل خوض المعركة.

وللسبب نفسه المتمثل بضرورة الاستفادة من جميع الفرص لمباغتة الخصم، يجب استخدام الاحتياطات اللازمة لمنع مثل هذه الهجمات. يجب أن تشير اللوائح الخاصة بحكومة أي جيش منظم بشكل جيد إلى وسائل القيام بذلك.

---

[332] كانت معركة تاروتينو 18 من أكتوبر عام 1812 جزءًا من غزو نابليون لروسيا. تسمى المعركة في بعض الأحيان بمعركة فينكوفو Vinkovo. في هذه المعركة هزمت القوات الروسية تحت قيادة بينكسن القوات الفرنسية بقيادة يواكيم مورات.

الموضوع الخامس والثلاثين: الهجوم بقوة رئيسية على الحصون والمعسكرات أو الخطوط المحصنة، والضربات الخاطفة بشكل عام

يوجد هنا العديد من الأماكن المحصنة التي بالرغم من أنها ليست حصون منظمة إلا أنها تعتبر آمنة ضد الضربات الخاطفة coup de main، ومع ذلك يمكن الإستيلاء عليها عن طريق تسلق الأسوار أو الهجوم، أو من خلال عبور ثغرات ليست سالكة تماماً، ولكنها شديدة الانحدار لدرجة تتطلب استخدام سلالم أو وسائل أخرى للوصول إلى دريئة الحصن.

يتطلب الهجوم على مكان من هذا النوع تراكيب مشابهة للتراكيب التي يتطلبها الهجوم على معسكرات محصنة، وكل منهما تنتمي إلى فئة الهجمات الخاطفة.

يختلف نوع هجومه حسب الظروف:

1. مع قوة الحصون
2. مع طبيعة الأرض التي بنيت عليها
3. مع حقيقة كونها معزولة أو متصلة
4. مع معنويات الأطراف المعنية بهذه المعركة

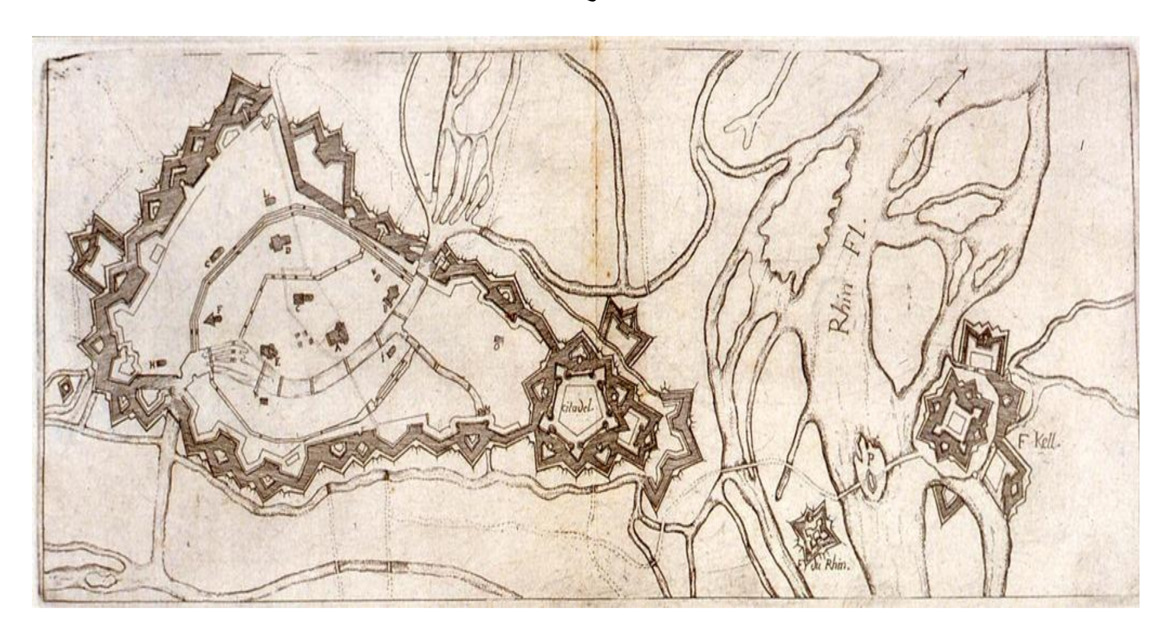
التاريخ يعطينا أمثلة عن كل هذه الأصناف، من الأمثلة على هذه الأنواع، المعسكرات المحصنة في كيهل ودرسدن ووارسو، وخطوط تورينو ومواينس، وخنادق فيلدكيرش Feldkirch وشارنيتز Scharnitz وأسييت Assiette. لقد ذكرت هنا عدة حالات لكل منها ظروف ونتائج مختلفة. في كيهل 1796 كانت الخنادق أفضل بناءً وارتباطاً مما كانت عليه في وارسو، في الواقع كان هناك رأس جسر أقرب ما يكون لتحصين دائم. بالنسبة للأرشيدوق ظن نفسه مضطراً إلى محاصرته بطريقة ما، وقد كان خطراً للغاية عليه أن يقوم بهجوم مفتوح عليه[333]. في وارسو كانت التحصينات معزولة، لكنها كانت ذات نجدة كبيرة، وكان

[333] حدث هذا الحصار ضمن حملة الراين 1796 ضمن حرب التحالف الأولى، من قبل الجيش النمساوي بقيادة ماكسميلان (الأرشيدوق تشارلز كاان قائدا لإحدى أرتال الجيش) على معسكر كيهل المحصن الذي يسيطر عليه الفرنسيين تحت قيادة ديساكز Desaix، استطاع الأرشيدوق بعد جهود مضنية من طرد الفرنسيين وإجبارهم على الإنسحاب من المعسكر المحصن.

لديهم مدينة كبيرة كطابية محاطة بجدران مزودة بمزاغل loophole[334]، ومحصنة ويدافع عنها عدد من الجنود اليائسين.



مزغل



دريسدن وحصونها

كانت دريسدن في عام 1813 طابية محاطة بسور مزود بزوايا محصنة على جبهة واحدة، لكن تم تفكيكها ولم تبق لديها أي دريئة أخرى مناسبة للتحصينات الميدانية.

[334] مزغل وهي بالفارسية بمعنى منفذ وهي عبارة عن فتحة ضيقة في الجدار تطلق منها السهام أو القذائف، كما تستخدم منفذا لإدخال الضوء في الحصون.

في الواقع تمت حماية المعسكر بواسطة طابيات بسيطة على مسافات بعيدة منفصلة، بنيت بشكل سيء للغاية، مما جعل الطابية تعتمد على نفسها في الدفاع[335].

في ماينز وفي تورينو كانت هناك خطوط طويلة لإحاطة المحاصَرين؛ ولكن إذا كانت في ماينز قوية، فإنها لم تكن كذلك في تورينو، حيث كان هناك في أحد النقاط المهمة دريئة سيئة بارتفاع ثلاثة أقدام، وخندق عميق متساو. كانت الخطوط أيضاً في تورينو واقعة بين النيران من جهتين، حيث هاجمتهم من الخلف حامية قوية في اللحظة التي هاجمهم فيها الأمير يوجين من خط انسحابهم. في ماينز هوجمت الخطوط من الأمام، اجتازت مفرزة صغيرة فقط بعد أن التفت على الجناح الأيمن.

إن التدابير التكتيكية التي يتعين اتخاذها في الهجوم على التحصينات الميدانية قليلة العدد. إذا كان من الممكن مباغتة تحصين في حال تمت مهاجمته قبل الصباح بقليل، فإنه من المناسب تماماً القيام بذلك، ولكن إذا كان من الممكن التوصية بهذه العملية في حالة التحصينات المستقلة، فليس من المتوقع بأي حال من الأحوال أن يتعرض جيش كبير للمباغتة وهو يشغل معسكراً محصّناً لنفسه، خاصة وأن جميع لوائح الخدمة تتطلب رفع جاهزية الجيوش والأسلحة وقت الفجر. بما أنه من المرجح أن يكون الهجوم باستخدام القوة الرئيسية هي الطريقة المتبعة في هذه الحالة، يتم وضع التوجيهات البسيطة والمنطقية التالية:

1. إسكات مدافع الحصن باستخدام مدفعية قوية، والتي لها تأثير في كسر معنويات المدافعين.
2. توفير جميع المواد اللازمة (مثل حزم العيدان والسلالم القصيرة) لتمكينهم من عبور الخندق وتسلق الدريئة للقوات.
3. توجيه ثلاثة أرتال صغيرة إلى الحصن الذي يتعين السيطرة عليه، يسبقهم المناوشون، ويبقى الاحتياطي قريب لدعمهم.

---

[335] المؤلف: كان عدد المدافعين (الفرنسيين) في دريسدن أول يوم (أغسطس) أربعة وعشرون ألفًا، وفي اليوم التالي خمسة وستين ألفًا، واليوم الثالث أكثر من مائة ألف.

4. الاستفادة من عدم انتظام (التضاريس) الأرض كغطاء للقوات، وإبقائهم محميين لأطول فترة ممكنة.
5. إعطاء تعليمات مفصّلة للأرتال الرئيسية فيما يتعلق بواجباتهم عندما يتم الاستيلاء على الحصن، وطريقة مهاجمة القوات التي تشغل المعسكر. تعيين فيالق الفرسان التي تساعد على مهاجمة تلك القوات إذا سمحت الأرض بذلك. عندما يتم اتخاذ كل هذه الترتيبات، لا يوجد شيء آخر يمكن القيام به إلا توجيه الجنود إلى الهجوم بأكبر قدر ممكن من الفاعلية، في حين تقوم مفرزة بمحاولة الالتفاف عليهم من إحدى الممرات الضيقة. **التردد والتأخر في مثل هذه الحالة أسوأ من أشد الاندفاعات جرأة.** تعتبر تمارين الجمباز مفيدة جداً والتي تُعِدّ الجنود لتسلق وتجاوز العوائق. قد يحقق المهندسون تفوقاً كبيراً إذا وجهوا اهتمامهم لتوفير وسائل تسهيل عبور خنادق التحصينات الميدانية وتسلق دريئاتها.

من بين جميع الترتيبات في الحالات التي قرأتها من هذا النوع، لا يوجد أي منها أفضل من الهجوم على وارسو ومعسكر ماينز المحصن. يقدم ذلك Thielke وصفاً لترتيبات لاودن Laudon لمهاجمة معسكر Buntzelwitz، والتي على الرغم من عدم تنفيذها فهي مثال ممتاز لنتعلمها. قد يتم الاستشهاد بهجوم وارسو كواحد من أرقى العمليات من هذا النوع، والتي رفعت قدر المارشال باسكيفيتش والقوات التي نفذته. كمثال لا ينبغي اتباعه، لا يمكن إعطاء أفضل من الترتيبات التي اتخذت لمهاجمة درسدن في 1813.

من بين هجمات هذه الفئة، الهجمات أو التسلق الشهير في ميناء ماهون Port Mahon في 1756[336]، وبيرغين أوب زوم Berg-op-zoom في عام 1747[337]، والذي سبقه الحصار، ولكن يبقى من أفضل الضربات الخاطفة، حيث لم تكن الثغرة في أي من الحالتين كبيرة بما فيه الكفاية للقيام بهجوم منظم.

---

336 حدثت ضمن حرب السبع سنوات، كان في ميناء ماهون حامية بريطانية تقع في جزيرة منورقة في البحر المتوسط شرق إسبانيا وجنوب فرنسا. حاصرها الفرنسيون إلى أن أجبروهم على استسلام.

337 حدث حصار بيرغن أوب زوم أثناء حرب الخلافة النمساوية ، عندما قام الجيش الفرنسي تحت قيادة لويندال والمارشال موريس، بحصار قلعة الحدود الهولندية بيرغن أوب زوم الاستراتيجية على حدود برابانت وزيلاند في عام 1747 والاستيلاء عليها. دافع عن الحصن الهولنديون والنمساويون والبريطانيون.

الخطوط المحصنة الطويلة (المتصلة)، على الرغم من أنها تبدو أكثر ترابطاً من خطوط التحصينات المستقلة، إلا أنها تسقط بسهولة أكثر بيد الأعداء، لأنها قد تمتد على عدة فراسخ، ويكاد يكون من المستحيل منع العدو من اختراقها في نقطة ما.

تحتوي عملية الاستيلاء على خطوط ماينز وويسيمبورغ، التي تم وصفها في تاريخ حروب الثورة، (الفصلان الحادي والعشرين والثاني والعشرون) وخطوط تورينو من قبل يوجين من سافوي في 1706، تحتوي على دروس ممتازة يستفاد منها.

إن فك حصار تورينو (الذي تمت الإشارة إليه مراراً) مألوف لجميع القراء بما يغني عن ذكر تفاصيله، لكنني لا أستطيع أن أفوت الملاحظة بأن النصر تم بسهولة، وبنفس الوقت كان غير متوقعاً. كانت الخطة الاستراتيجية رائعة بالتأكيد، رُتبَت المسيرة بشكل جميل من اديجي Adige عبر بياسينزا Piacenza إلى أستي Asti بواسطة الضفة اليمنى من بو Po، وترك الفرنسيون على مينسيو Mincio ولكن تنفيذه كان بطيئاً للغاية. عندما ندرس العمليات بالقرب من تورينو، يجب أن نعترف بأن المنتصرين يدينون لحظهم أكثر من حكمتهم.

لم يتطلب الأمر جهداً عظيماً من العبقرية من جانب الأمير يوجين لإعداد الأمر (النظام) الذي أصدره لجيشه. ومن المؤكد أنه قد استهان بشكل كبير بخصومه لتنفيذه مسيرة بخمسة وثلاثين ألف جندي متحالف من عشر دول مختلفة بين ثمانين ألف جندي فرنسي في جهة واحدة وجبال الألب من جهة أخرى، وعبر حول معسكرهم لثماني وأربعين ساعة من أكثر المسيرات التي جرت على الإطلاق روعة. كان نظام الهجوم قصيراً جداً ويخلو تماماً من التعليمات التي يجب أن يكتبها أي ضابط أركان في زماننا بشكل أفضل.

شكل توجيه التشكيل المتمثل بثمانية أرتال من لواء المشاة على خطين، وإعطائهم أوامر بالسيطرة على الخنادق المحصنة وفتح ثغرات لمرور الفرسان من خلالها إلى المعسكر، شكل كل ذلك كل براعة الجنرال يوجين الذهنية من أجل القيام بمبادرته الجريئة. صحيح أنه اختار أضعف نقطة في الخندق. لأنها كانت منخفضة للغاية بحيث أنها لم تغطي سوى نصف أجساد المدافعين عنها.

لكنني أتحول من موضوعي ويجب أن أعود إلى شرح التدابير الأكثر ملاءمة في الهجوم على الخطوط. إذا كان لدى الخطوط نجدة كافية لجعل أمر الاستيلاء على الخطوط أمراً صعباً، وتوجد إمكانية للقيام بالالتفاف عبر مناورات استراتيجية، فمن الأفضل اتباع المسار الأخير المشار إليه بدل القيام بمحاولة خطيرة للهجوم.

ومع ذلك، إذا كان هناك أي سبب لتفضيل الهجوم المباشر، فيجب إجراؤه على أحد الأجنحة، لأن القلب هي النقطة الأسهل للعدو لنجدته. كانت هناك حالات يتوقع فيها الهجوم على الجناح من قبل المدافعين، وتم خداعهم من خلال هجوم مضلل تم إجراؤه في تلك النقطة، بينما وقع الهجوم الحقيقي على القلب، ونجح ببساطة لأنه غير متوقع. في هذه العمليات يجب أن يقرر المكان (التضاريس) وطبيعة الجنرالات المعنيين الطريق الصحيح الذي يجب اتباعه.

قد يتم تنفيذ الهجوم بالطريقة الموصوفة للمعسكرات المحصنة. ومع ذلك فقد حدث في بعض الأحيان أن هذه الخطوط قد تحصل على النجدة وقدر من التحصينات الدائمة، وفي هذه الحالة سيكون التسلق صعباً للغاية، باستثناء التحصينات الهندسية الترابية القديمة التي نخرت منحدراتها مع مرور الزمن وأصبحت متاحة للمشاة ذوي النشاط المعتدل. كانت أسوار حصن إسماعيل[338] وبراغا من هذا النوع؛ كذلك كانت قلعة سمولينسك، التي دافع عنها باسكفيتش بشكل رائع ضد ناي، لأنه فضل جعل موقعه عند الوديان الأمامية، بدلاً من أن يلجأ خلف دريئة ذات ميل بالكاد يصل إلى ثلاثين درجة.

إذا استند طرف الخط على أحد الأنهار، فيبدو من العبث التفكير في اختراق ذلك الجناح، لأن العدو الذي يجمع قواته (التي قد تكون الجزء الأكبر منها بالقرب من القلب) قد يسحق الأرتال التي تتقدم بين القلب والنهر بالكامل. مع ذلك فإن هذا العبث كان ناجحاً في بعض الأحيان. لأن العدو الذي يحتمي وراء خطوطه نادراً ما يفكر في القيام بهجوم مضاد على المهاجم، بغض النظر عن مدى الفائدة الظاهرة في ذلك. الجنرال والجنود الذين يبحثون عن

[338] حصار حصن إسماعيل (حاليا في أوكرانيا) كان عبارة عن حصار عسكري حدث في عام 1790 على البحر الأسود خلال الحرب الروسية التركية (1787-1792). كان الروس بقيادة ألكسندر سوفوروف، الذي هزم العثمانيين في عدة معارك. أسطول البحر الأسود المتحالف مع الروس كان بقيادة الأدميرال الأسباني خوسي دي ريباس.

ملاذ خلف الخطوط هم في الواقع نصف محتلون، وفكرة القيام بهجوم لا تخطر لهم عندما يتم مهاجمة خطوطهم.

على الرغم من هذه الحقائق، لا يمكنني التوصية بمثل هذا المسار؛ والجنرال الذي يخوض مثل هذا الخطر ويواجه مصير تالارد في بلينهايم يكون قد جنى على نفسه[339].

يمكن إعطاء القليل من التوجيهات للدفاع عن المعسكرات والخطوط المحصنة. يجب التأكد من وجود احتياطيات قوية بين القلب وكل جناح، أو بتعبير أكثر دقة على يمين الجناح الأيسر وعلى يسار الجناح الأيمن. مع هذا الترتيب يمكن أن يتم نقل النجدة بسهولة وبسرعة إلى النقطة المهددة، ولا يمكن القيام بذلك إذا لم يكن هناك سوى احتياطي واحد في القلب. وقد أُقترِح أن ثلاثة احتياطيات لن تكون كثيرة إذا كان الخط طويل جداً، لكنني بالتأكيد أميل للرأي القائل بأن اثنين كافيان. توصية أخرى ومهمة جداً، وهي أن يتم إقناع القوات بأن لا تيأس بأي حال من الأحوال من الدفاع عن خط قد ينكسر في نقطة واحدة في نهاية المطاف. لأنه إذا كان هناك احتياطي جيد، فسوف يتولى الهجوم، ويهاجم المهاجِم، وينجح في إخراجه من التحصين الذي يُفترَض أنه تحت سيطرته.

[339] كانت معركة بلينهايم التي حدثت في 13 أغسطس 1704 معركة كبرى في حرب الخلافة الإسبانية. ضمّن فوز الحلفاء الساحق تأمين فيينا من الجيش البافاري-الفرنسي ، وبالتالي منع انهيار التحالف الكبير.

الضربات الخاطفة

هي المبادرات الجريئة التي تقوم بها مفرزة من الجيش للسيطرة على مواقع متنوعة القوة أو الأهمية[340]. تجمع هذه المبادرات في طبيعتها بين المباغتات والهجمات باستخدام القوة الرئيسية، حيث يمكن استخدام هاتين الوسيلتين في تنفيذ محاولة لتحقيق هدف. على الرغم من أن الضربات الخاطفة تبدو وكأنها عمليات تكتيكية بالكامل، إلا أن أهميتها الكبيرة تعتمد على العلاقات بين المواقع التي تم الاستيلاء عليها والتراكيب الاستراتيجية التي في حوزتها. لذلك من الضروري أن نتكلم قليلاً فيما يخص الضربات الخاطفة الرئيسية في الموضوع السادس والثلاثين، عند الحديث عن المفارز مهما يظهر من أن التكرار مزعج، فإني مضطر لأن أذكر هنا طريقة تنفيذ مثل هذه العمليات، لأنه من الواضح أنها جزء من موضوع الهجوم على الخطوط المحصنة.

أنا لا أدعي بأن قواعد التكتيكات تنطبق على هذه العمليات؛ فاسمها يكفي لجعل هذه العمليات خارج القواعد العادية للتكتيكات. أرغب فقط في لفت الانتباه إليها وإحالة القرّاء إلى الأعمال المختلفة، سواء كانت تاريخية أو تعليمية حيث تم ذكرهم.

لقد سبق لي أن ذكرت أن نتائج مهمة قد تنتج في كثير من الأحيان من هكذا مبادرات. الاستيلاء على سيزبولي في عام 1882، الهجوم غير الناجح بقيادة الجنرال بتراس على Kehl في عام 1796، المباغتات القوية في كريمونا في 1702 وجبل طارق في 1704، وبيرغ أوب زوم في عام 1814، فضلاً عن تسور جدار ميناء ماهون وبادجوس Badajos، تعطي فكرة عن الأنواع مختلفة للضربات الخاطفة. بعضها تعتمد على المباغتة وبعضها على القوة الرئيسية. المهارة والحيل والجرأة من جانب المهاجم، والخوف من جانب المهاجم عليه هي بعض الأشياء التي لها تأثير على إنجاح الضربات الخاطفة.

في حروب العصر الحديث لم يعد الاستيلاء على موقع مهما كان قوياً ذا نفس الأهمية التي كانت سائدة في السابق، إلا إذا كان لها تأثير مباشر على نتائج عملية استراتيجية كبيرة.

[340] يجب مراعاة التمييز بين أهمية الموقع وقوته ؛ فقد تكون قوية جدا وذات أهمية قليلة جدا، والعكس صحيح.

من المبادرات التي تبرر المخاطر التي تتعرض لها المفارز المشتبكة: السيطرة أو تدمير الجسر المحمي بالخطوط المحصنة والقوافل الكبيرة والحصون الصغيرة التي تغلق الممرات المهمة، مثل الهجومين اللذين تم إجراؤهما عام 1799 على حصن لوتشستيغ في جريسونز. السيطرة على لوتاش وشارنيتس بواسطة نيي في 1805، وأخيراً الاستيلاء على موقع غير محصن، ولكنه يستخدم كمخزن كبير للمؤن والذخائر التي يحتاجها العدو بشدة.

يتم الاستيلاء على المواقع من خلال ملء الخنادق في بعض الأحيان بحزم العيدان، وأحياناً بأكياس الصوف، والسماد المستخدم لنفس الغرض.

السلالم ضرورية بشكل عام ويجب أن تكون دائماً جاهزة. وقد استُخدمت السنانير باليدين وملحقة بأحذية الجنود، لمساعدتهم في تسلق المرتفعات الصخرية التي تحكم على الخطوط المحصنة. تم الدخول من خلال المجاري في كريمونا من قبل الأمير يوجين.

في قراءة مثل هذه الحقائق لا نستخلص منها قواعد بل تلميحات؛ ما تم القيام به مرة واحدة يمكن القيام به مرة أخرى.

الفصل الخامس



الفصل الخامس

العمليات المختلطة النصف استراتيجية والنصف تكتيكية

الموضوع السادس والثلاثين: الهجمات التضليلية والمفارز الكبيرة

إن عمليات المفارز التي قد يرسلها الجيش لها أهمية كبيرة في نجاح الحملة، وإن واجب تحديد حجمها والفرصة المناسبة لاستخدامها هي إحدى أهم المسؤوليات المفروضة على القائد وأكثرها حساسية. كما أنه لا يوجد ما هو أكثر نفعاً في الحرب من مفرزة كبيرة يتم إرسالها في الوقت المناسب إلى جانب التنسيق الجيد في العمليات مع الجيش الرئيسي، فمن المؤكد أيضاً أنه لا يوجد أسلوب أكثر خطورة عندما يتم اعتمادها بشكل غير مدروس ومتهور. اعتبر فريدريك الكبير أنه من الصفات الأساسية للجنرال أن يعرف كيف يجبر خصمه على إرسال العديد من المفارز، إما بهدف تدميرهم كل على حدة أو مهاجمة الجيش الرئيسي أثناء غيابهم.

في بعض الأحيان أُستخدِم تقسيم الجيش إلى عدد مبالغ من المفارز ذو نتائج سيئة، مما دفع العديد من الأشخاص في العصر الحديث إلى الاعتقاد بأفضلية عدم استخدام هذا الأسلوب. **مما لا شك فيه أنه أكثر أمناً للجيش أن يبقى في كتلة واحدة وهو أمر أكثر قبولاً من قبل الجنرالات. ولكنه شيء يستحيل أو يتناقض مع السعي لتحقيق انتصار كامل أو حتى جزئي. النقطة الأساسية في هذه المسألة هي إرسال أقل عدد ممكن من المفارز.**

هناك عدة أنواع من المفارز:

1. فيالق كبيرة تُرسل على مسافة من منطقة عمليات الجيش الرئيسي، من أجل القيام بعمليات **تضليلية** ذات أهمية معينة.
2. مفارز كبيرة توضع في منطقة العمليات **لحماية** النقاط المهمة، ولفرض **الحصار** ولحماية القواعد الثانوية وحماية خطوط العمليات المُهددَة.

3. هناك بعض المفارز الكبيرة تُوضَع على جبهة العمليات في مواجهة العدو، للقيام **بالتنسيق مع الجيش الرئيسي بعمليات مشتركة.**
4. هناك مفارز **صغيرة** ترسل إلى مسافات بعيدة **لتباغت** نقاطاً معزولة، والتي قد تمنح السيطرة عليها تأثيراً هاماً لصالح مجرى العمليات للحملة.

أرى عمليات التضليل هذه عبارة عن عمليات ثانوية تُنفَّذ على مسافات بعيدة من منطقة العمليات الرئيسية وفي أطراف مسرح الحرب. مع ذلك رأيت بعض السذج يعلق عليها نجاح الحملة بأكملها. تفيد مثل هذه العمليات في حالتين فقط:

- الأولى عندما لا يمكن للقوات العاملة على هذا النحو أن تعمل بشكل مناسب في مكان آخر بسبب بعدها عن مسرح العمليات الفعلي.
- الثانية هي في الحالات التي تتلقى فيها هذه المفرزة دعماً قوياً من سكان البلد الذي تم إرسالهم إليه، حيث **تنتمي الحالة الأخيرة إلى تراكيب سياسية أكثر منها عسكرية.** سنذكر هنا بعض الأمثلة التوضيحية:

إن النتائج السيئة على جانب الحلفاء في الحملة الأنجلو-روسية إلى هولندا، وكذلك تلك الخاصة بأرشيدوق تشارلز في نهاية القرن الماضي (التي أشرت إليها في الموضوع التاسع عشر) معروفة جيداً.

عندما كان نابليون عام 1805 محتلاً لنابولي (في إيطاليا) وهانوفر (شمال ألمانيا) عزم الحلفاء على إرسال الجيش الأنجلو-روسي لإخراجه من إيطاليا، في حين تعمل القوات المشتركة لإنجلترا وروسيا والسويد على دفعه من هانوفر، حيث تم تخصيص ما يقارب ستين ألف جندي لهذين النقطتين المتباعدتين. وبينما كانت قواتهم تتجمع على طرفي أوروبا، أمر نابليون بإخلاء نابولي وهانوفر، سارع القائد ساينت كير إلى الاتصال والاندماج مع ماسينا في فريول وبيرنادوت تاركاً هانوفر، وتحركا للمشاركة في عمليات أولم وأوستيرليتز.

مفارز التحالف الثالث على ساحة عمليات 1805

بعد هذين الانتصارين المبهرين لم يجد نابليون صعوبة في استعادة نابولي وهانوفر. هذا مثال على تضليل فاشل. سأقدم مثالاً على عملية تضليل ناجحة[341].

لو أن الحلفاء في الحروب الأهلية عام 1793 أرسلوا عشرين ألف جندي إلى فيندي Vende، لأنجزوا أكثر بكثير من زيادة أعداد أولئك الذين كانوا يقاتلون بلا فائدة في تولون Toulon وعند نهر الراين وفي بلجيكا، في هذه الحالة لن يكون التضليل مفيداً فحسب، ولكن حاسماً أيضاً[342].

لقد ذكرنا آنفاً، إلى جانب الهجمات التضليلية لمسافات بعيدة باستخدام فيالق صغيرة سريعة الحركة من الجيش، يتم عادة تخصيص فيالق كبيرة كمفارز في منطقة عمليات الجيش الرئيسي.

إذا كان سوء استعمال مفارز الفيالق الكبيرة في توظيفها لمهمات الثانوية هو أمر أكثر خطورة من الهجمات التضليلية المشار إليها آنفاً[343]، إلا أنها غالباً ما تكون مناسبة للغاية، وربما لا يستغنى عنها.

هذه المفارز الكبيرة بشكل عام على نوعين:

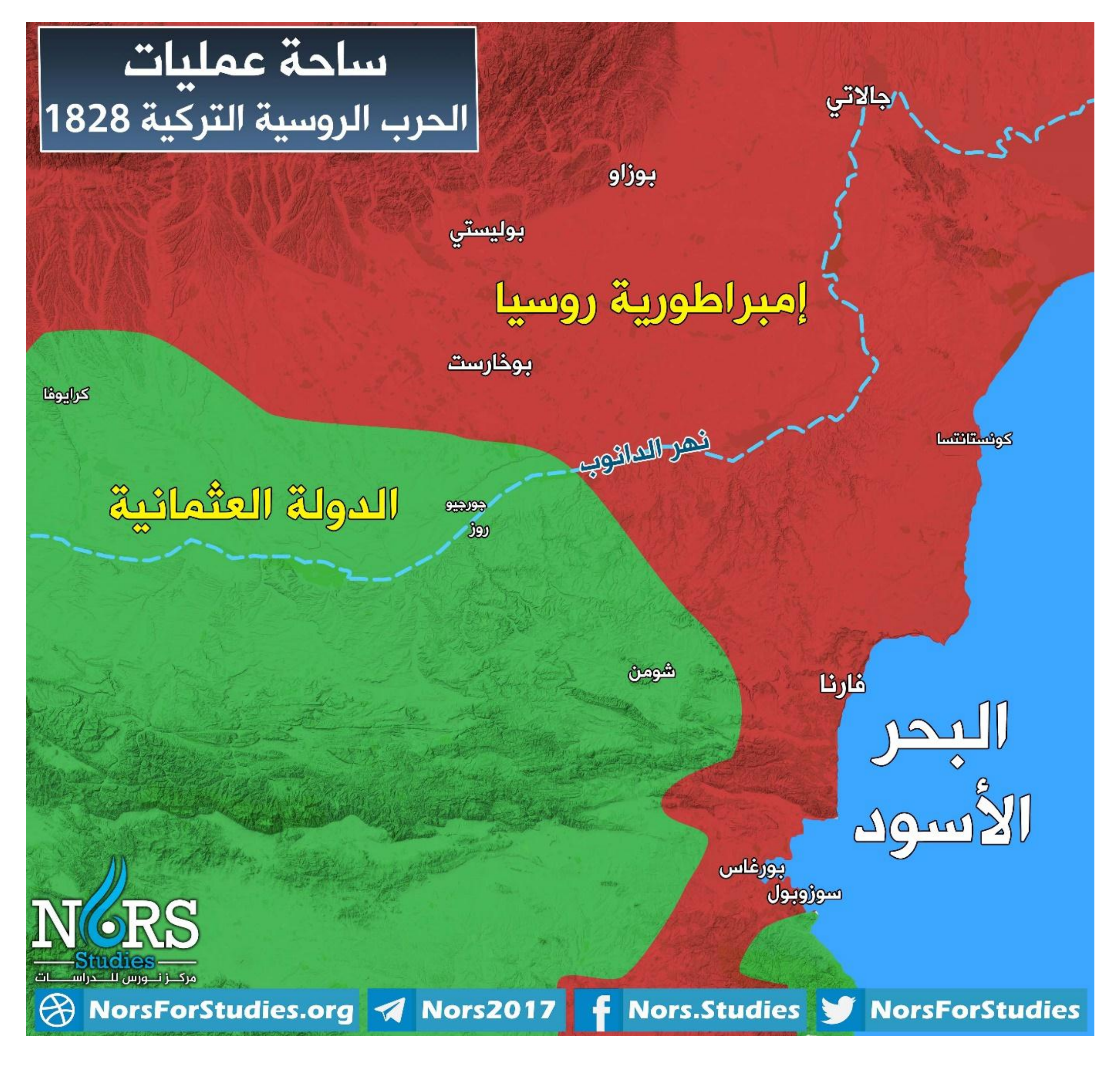
1. المفارز الدائمة التي يجب توجيهها في بعض الأحيان في اتجاه معاكس لخط العمليات الرئيسي، ويجب أن تبقى معاكسة لخط العمليات الرئيسية خلال مجمل الحملة.
2. المفارز المؤقتة لغرض المساعدة في تنفيذ بعض المبادرات الخاصة.

من بين المفارز التي يجب اعتبارها من ضمن النوع الأول بشكل خاص تلك المفارز من أجزاء الجيش المعدة إما لتشكيل الاحتياطي الاستراتيجي (وقد ذكرناه سابقاً) أو لحماية خطوط العمليات والانسحاب عندما تساعد تضاريس مسرح الحرب على تعرض خط العمليات للهجوم. على سبيل المثال: الجيش الروسي الذي يرغب في عبور البلقان ملزم بترك جزء من قواته لمراقبة شوملا (شومن) Shumla وريتشوك (روسه أو روز)

---

[341] حدثت هذه الأحداث خلال حرب التحالف الثالثة.
[342] في تلك السنة كانت الثورة الفرنسية تمر في مرحلة عصيبة، حيث حدثت ثورات مضادة موالية للملكية الفرنسية دعمها التحالف الأول في عدة أماكن من البلاد منها فيندي وطولون وبلجيكا وأماكن أخرى. انتهت كل هذه الثورات بالفشل واستطاعت الجمهورية الفرنسية القضاء عليها.
[343] يقصد باستخدام الفيالق الصغيرة لمهمات بعيدة عن منطقة العمليات.

Routchouk ووادي الدانوب، وهي مواقع اتجاهها عامودي على خط عملياته. مهما تحقق روسيا من انتصارات عليها دائماً ترك قوة معتبرة تجاه جيورجيفو (جورجيو) Giurgevo أو كراجوفا (كرايوفا) Krajova ، وحتى على الضفة اليمنى للنهر نحو ريتشوك.



يوضح هذا المثال لوحده أنه من الضروري في بعض الأحيان أن تكون هناك جبهة استراتيجية مزدوجة، ومن ثم يجب تشكيل مفرزة من فيالق كبيرة من القوات تعطي جبهة باتجاه جزء من جيش العدو عند مؤخرة الجيش الرئيسي.

قد يتم ذكر أماكن وظروف أخرى حيث يصبح هذا الإجراء ضرورياً لضمان السلامة. إحدى هذه الحالات هي الجبهة الاستراتيجية المزدوجة في التيرول وفريول لجيش فرنسي يعبر نهر

أديجي. على أي جانب قد يرغب القائد في توجيه الرتل الرئيسي، فيجب أن يترك مفرزة على الجبهة الأخرى قوية بما فيه الكفاية لمراقبة عدو يهدد بقطع خط الاتصالات. المثال الثالث هو جبهة إسبانيا، التي تمكن الإسبان من إنشاء جبهة مزدوجة، إحداها تغطي الطريق إلى مدريد، والأخرى تغطي سرقسطة أو غاليسيا Galicia كقاعدة. **لأي جهة من المحتمل أن يلتف عليها الجيش الغازي يجب ترك مفرزة من الجهة الأخرى متناسبة مع قوة العدو في هذا الاتجاه.**

كل ما يمكن قوله حول هذه النقطة هو أنه من النافع توسيع نطاق عمليات مثل هذه المفارز قدر الإمكان، ومنحهم أكبر قدر ممكن من القدرة على الحركة، وذلك لتمكينهم من خلال حركات انتهازية من توجيه ضربات حاسمة. وقد أعطى نابليون في هذه الحملة عام 1797 مثالا رائعاً لهذه الحقيقة. في الوقت الذي كان فيه نابليون ملزماً بترك فيلق من خمسة عشر ألف جندي في وادي أديجي لمراقبة التيرول بينما كان يعمل في اتجاه جبال الألب النوركية، فضّل سحب الفيلق لإسناده معرّضاً خطه للانسحاب لخطر فقدانه مؤقتاً، بدلاً من ترك أجزاء جيشه منفصلة وتدمر كل على حدة. مقتنعاً بأنه سينتصر بجيش متحد، لم ير أي خطر محدد من وجود بعض مفارز العدو على خط اتصالاته.

<u>يتم تشكيل مفارز كبيرة متحركة ومؤقتة للأسباب التالية:</u>

1. لإجبار العدو على الانسحاب لحماية خط عملياته، أو لحماية خطك.
2. لاعتراض فيالق العدو ومنعها من التحشد والاتحاد مع جيشها الرئيسي، أو لتسهيل اقتراب التعزيزات الخاصة بك.
3. لمراقبة وتثبيت جزء كبير من جيش العدو، في حين يتم توجيه ضربة لباقي الجيش.
4. للاستيلاء على قوافل المؤن أو الذخائر الكبيرة، التي بوصولها للأعداء يطول الحصار أو تنجح مبادرتهم الاستراتيجية، أو لحماية مسيرة قافلة خاصة بك.
5. لاستدراج العدو للجهة التي ترغب أن يذهب إليها، من أجل تسهيل تنفيذ مبادرة في جهة أخرى.

6. لتغطية أو حتى محاصرة حصن واحد أو أكثر لوقت معين، بهدف مهاجمة الحامية أو إبقاءها محاصرة داخل الأسوار.
7. لاحتلال نقطة مهمة على خطوط اتصالات العدو في حالة انسحاب العدو.

مهما كان القيام بالعمليات المذكورة مغرياً، لا بد أن يوضع في الاعتبار دائماً أنها ثانوية في الأهمية، وأن الأولوية هي تحقيق الانتصار في النقاط الحاسمة. لذلك يجب تجنب تكثير المفارز. بعض الجيوش لم تدمر إلا بسبب تفرقها في مفارز.

سنشير هنا إلى العديد من هذه المبادرات، لنثبت أن نجاحها يعتمد في بعض الأحيان على الحظ وأحياناً على مهارة مخططها، وأنها غالباً ما تفشل نتيجة التنفيذ الخاطئ.

اتخذ بطرس الأكبر الخطوة الأولى في هزيمة تشارلز الثاني عشر عن طريق الاستيلاء على القافلة الشهيرة لوينهوبت Lowenhaupt عن طريق إرسال مفرزة كبيرة عليها[344]. تمكن فيلار (الفرنسي) Villars من هزيمة المفرزة الكبيرة التي أرسلها الأمير يوجين في دينان Denain في عام 1709 تحت قيادة ألبيرمايل (الهولندي) D’Albermale.

[344] كانت إمبراطورية السويد بقيادة الملك تشارلز الثاني عشر (1682م-1718م) تخوض حرباً ضد روسيا القيصرية بقيادة بطرس الأكبر ضمن حرب الشمال العظمى (1700م-1721م). في بداية الحرب أظهر تشارلز عبقرية عسكرية ضد الروس حيث استطاع الانتصار عليهم في عدة معارك بالرغم من تفوقهم العددي.
في عام 1708 خلال مبيت الجيش السويدي في مساكن الشتاء للاستراحة وانتظار إمدادات تأتي بقيادة الجنرال لوينهوبت (السويدي) مع 12000 جندي يقودهم الأخير، قرر تشارلز فجأة عدم انتظار الإمدادات وترك المساكن وتوجه صوب أوكرانيا لغرض دعم التمرد هناك بقيادة مازيبا ضد روسيا القيصرية. اضطر بعد ذلك الجنرال لوينهوبت إلى اللحاق بالملك، وخلال اللحاق به قاد قيصر روسيا بطرس الأكبر مفرزة روسية كبيرة تعدادها 27000 جندي لاعتراض القافلة واصطدم بها في معركة ليسنايا في الآخر من سبتمبر عام 1708. لم تسفر المعركة عن انتصار حاسم، لكنها دمرت كميات كبيرة من الإمدادات وفقد لوينهوبت نصف جيشه. نتيجة لهذه الكارثة قرر تشارلز الثاني عشر الانتقال إلى باتورن مقر حيلفه مازيبا للتزود بالمؤن. استبق الروس هذه الخطوة ودمروا المدينة بمن فيها قبل وصول السويديين. مما اضطر السويديين إلى القتال في ظروف صعبة جدا في شتاء قيل أنه الأبرد على أوربا منذ 500 عام انتهت بهزيمتهم في معركة بولتوفا في 1709 هزيمة منكرة أقصي على إثرها الملك كلاجئ إلى الدولة العثمانية، ونزلت السويد من مصافي الدول الأوربية العظمى بعدها.



تدمير القافلة الكبيرة التي استولى لاودون Laudon (النمساوي) عليها من فريدريك خلال حصار أولموتز؛ أجبر فريدريك على إخلاء مورافيا[345].

يوضح مصير مفرزة فوكي Fouquet في لاندسهوت Landshut في عام 1760[346]، ومفرزة فينك Finck في ماكسن Maxdn في 1759[347] مدى صعوبة تجنب إنشاء مفارز في بعض الأحيان، ومدى خطورتها في نفس الوقت. من الأمثلة القريبة من وقتنا الحاضر، كانت كارثة فاندامي Vandamme في كولم Culm درساً مطعّماً بالدم، يعلمنا أنه لا ينبغي توجيه فيلق إلى الأمام باندفاع شديد. ومع ذلك يجب أن نعترف بأنه في هذه الحالة تم

[345] خلال حصار أولموتز في عام 1758 من قبل فريدريك الثاني احتاج فريدريك لإمدادات للاستمرار في الحصار لمدة أطول، فضل فريدريك الإرسال في طلب قافلة كبيرة محمية بقوة كبيرة أفضل من إرسال قوافل صغيرة تُدمَر بسهولة. تلبية لطلبه تم إرسال قافلة كبيرة مؤلفة من 4000 عربة من العتاد الحربي و2500 رأس من المواشي، مما كشف للأعداء بسهولة وجود هذه القافلة. تجنب النمساويون الاصطدام بجيش فريدريك الرئيسي مفضلين الهجوم على قافلة الإمداد، ومن ثم كُلف القائد لاودن (النمساوي) بهذه العملية، ومن ثم شن معركة دومستادت في 30 من حزيران 1758، مشتتا القافلة وموقعا خسائر فادحة بالبروسيين اضطر على إثرها فريدريك لترك الحصار وترك مورافيا نحو بوهيميا.

[346] في عام 1760 خلال الحرب السيليزية الثالثة (جزء من حرب السبع سنوات) حاول النمساويون بقيادة لاودن احتلال ممرات فارثا وسيلبربيرغ، وتضليلا لأعدائهم من البروسيين هاجموا لاندسهوت التي كانت تحت قيادة الجنرال فوكي البروسي، ولحسن الحظ كان قد أرسل للتو مفرزتين مما أضعف موقعهم الدفاعي كثيراً. في 23 من حزيران عام 1760 تعرضت لاندسهوت لهجوم النمساويين وسقطت بأيديهم وأسر على إثرها قائدهم فوكي.

[347] كان فريدريك قد عزم على تهديد طرق إمداد النمساويين لبوهيميا ودريسدن. أرسل مفرزة من 14000 جندي بقيادة فريدريك أوغست فينك لهذه المهمة. في 20 من تشرين الثاني عام 1759 أوقع الكونت داون النمساوي جيش فينك في مصيدة دفعته للاستسلام بكامل جيشه.

التخطيط للعملية بشكل جيد، والكارثة يتحمل وزرها الأكبر عدم دعم الفيلق بشكل مناسب (وهو ما كان من السهل القيام به) أكثر من عملية إرسال المفرزة نفسها. تم تدمير مفرزة فينك في ماكسن قرب نفس المكان وللسبب نفسه.

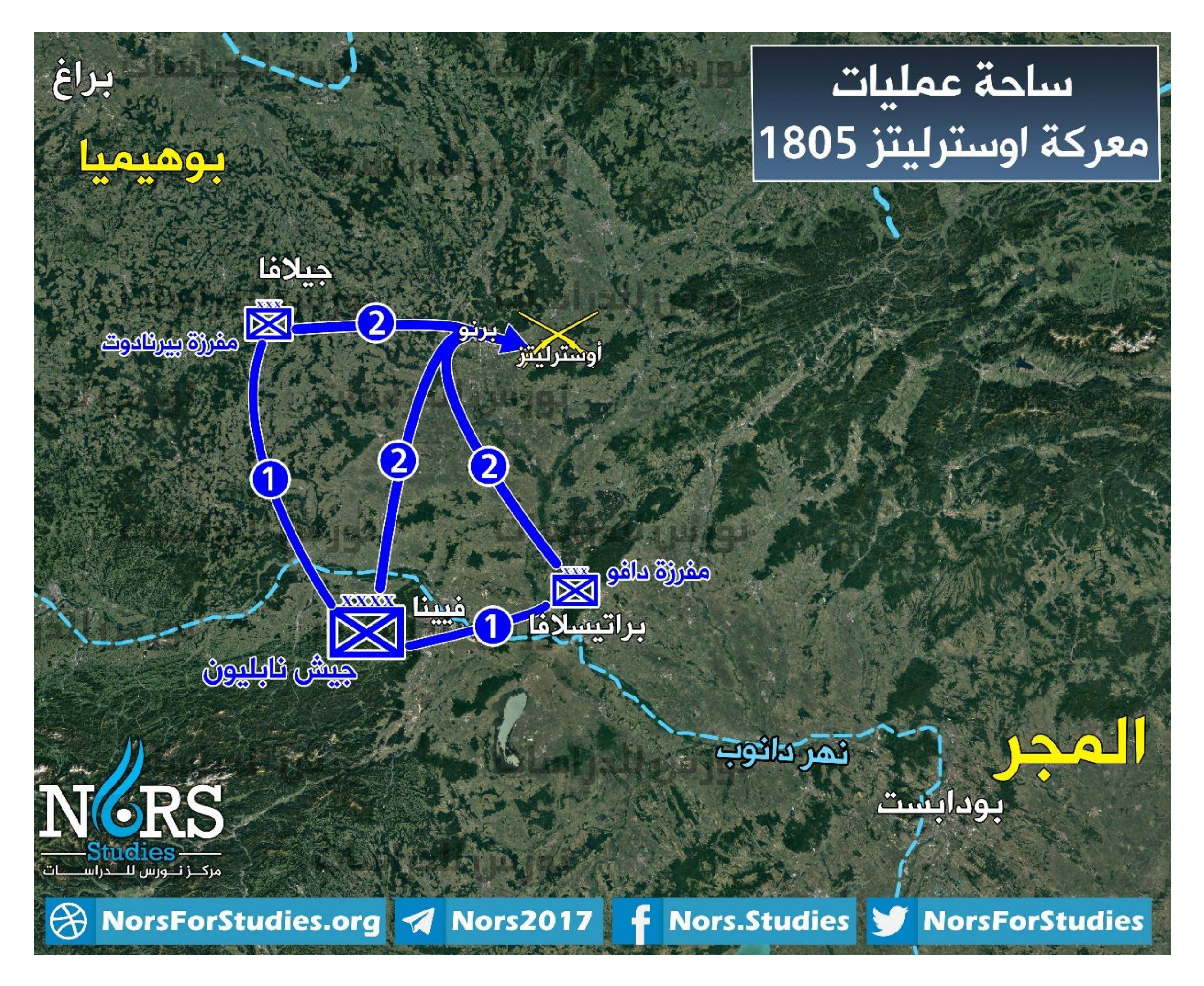
من المؤكد أن عمليات المشاغلة أو التضليل في منطقة عمليات الجيش مفيدة عندما يتم ترتيبها لغرض جذب انتباه العدو في اتجاه معين، في حين يتم تجميع الأجزاء الكبيرة من القوات عند نقطة أخرى حيث يتم توجيه الضربة الحاسمة. **في مثل هذه الحالة، يجب توخي الحذر ليس لغرض تجنب دخول الفيلق المشاغل في اشتباك حقيقي فقط، ولكن لسحبها على الفور نحو الجيش الرئيسي عند الحاجة**. سنذكر مثالين لتوضيح هذه الحقائق:

في عام 1800 قام مورو – محاولاً خداع كراي عن الاتجاه الحقيقي لمسيرته– بتوجيه ميسرته نحو راستات Rastadt من كيهل Kehl، في حين أنه كان ينشر جيشه نحو شتوكاخ Stockach. بعد أن أظهرت الميسرة نفسها ببساطة عادت نحو القلب عبر فريبورغ Fribourg في بريسغاو Brisgau[348].

في عام 1805 قام نابليون –بعد أن احتل فيينا– بإرسال مفرزة من فيلق بيرنادوت Bernadotte إلى إيغلاو (جيلافا) Iglau ليرهب بوهيميا ويشلّ أرشيدوق فيرديناند Ferdinand، الذي كان يقوم بتجميع جيش في تلك المنطقة. من جهة أخرى أرسل دافو Davoust إلى بريسبرغ (براتيسلافا) Presburg لإظهار نفسه في المجر. لكنه سحبهما بعد ذلك إلى برون Brunn، للمشاركة في الحدث الذي حسم الحملة، ومن ثم حقق انتصاراً كبيراً وحاسماً نتيجة لمناوراته العبقرية. عمليات من هذا النوع هي أقرب ما تكون من مبادئ فن الحرب، ومن الضروري تيسير تطبيقها[349].

[348] قاد الجنرال مورو الحملة ضد ألمانيا في عام 1800 ضمن حرب التحالف الثانية، عابرا نهر الراين ومباغتا لعدوه في اتجاه جيشه الرئيسي. استطاع مورو بفضل هذه العملية التضليلية من تحقيق انتصار كبير على الجنرال كراي في معركة هوهنلندن مع انتصار نابليون في معركة مارينغو، على إثر هذا الانتصار انفتح الطريق إلى فيينا مما منح فرنسا ورقة تهديد ضدها مجبرة إياها على توقيع اتفاقية سلام أنهت حرب التحالف الثانية.

[349] خلال حرب التحالف الثالثة، استطاع نابليون احتلال فيينا بعد أن سحق الجيش النمساوي في معركة أولم. أراد نابليون أن يردع أي جيش للنمساويين متبقي في بوهيميا وإيطاليا من محاولة استرداد فيينا، قام بذلك عن طريق إرسال مفرزة بيرنادوت إلى بوهيميا ومفرزة دافوت على طول نهر الدانوب (في المجر) لإرهاب الأرشيدوق تشارلز ومنعه من القدوم من إيطاليا. يسرت هذه المناورات تحضيرات نابليون لمعركة أوسترليتز الشهيرة ومن ثم سحب نابليون هذه الفيالق للمعركة محققا انتصارا ساحقا آخر.



يبدو من الواضح أنه لا يمكن وضع قواعد دقيقة لهذه العمليات، التي تتنوع في طبيعتها، ويعتمد نجاحها على الكثير من التفاصيل الدقيقة. يجب ألا يخاطر الجنرالات في إنشاء مفارز إلا بعد دراسة وملاحظة دقيقة لكل الظروف المحيطة. والقواعد المعقولة الوحيدة حول هذا الموضوع هي: **أرسل أقل عدد من المفارز قدر الإمكان، واستدعها على الفور بعد تنفيذ واجباتها. يمكن تقليل المشاكل المصاحبة لهذه المفارز قدر الممكن، من خلال إعطاء تعليمات ذكية ومعدة بعناية لقادة المفارز. هنا تكمن المواهب العظيمة لرئيس هيئة الأركان.**

إن إحدى وسائل تجنب النتائج الكارثية التي تؤدي إليها أحياناً المفارز هي عدم إهمال أي من الاحتياطات المنصوص عليها في التكتيك لزيادة قوة أي قوة عسكرية عن طريق نشرها في مواقع جيدة. ليس من الحكمة عموماً الدخول في قتال خطير مع حشد كبير جداً من القوات. **في مثل هذه الحالات، من الأفضل أن تضمن سهولة وسرعة الحركة سلامة**

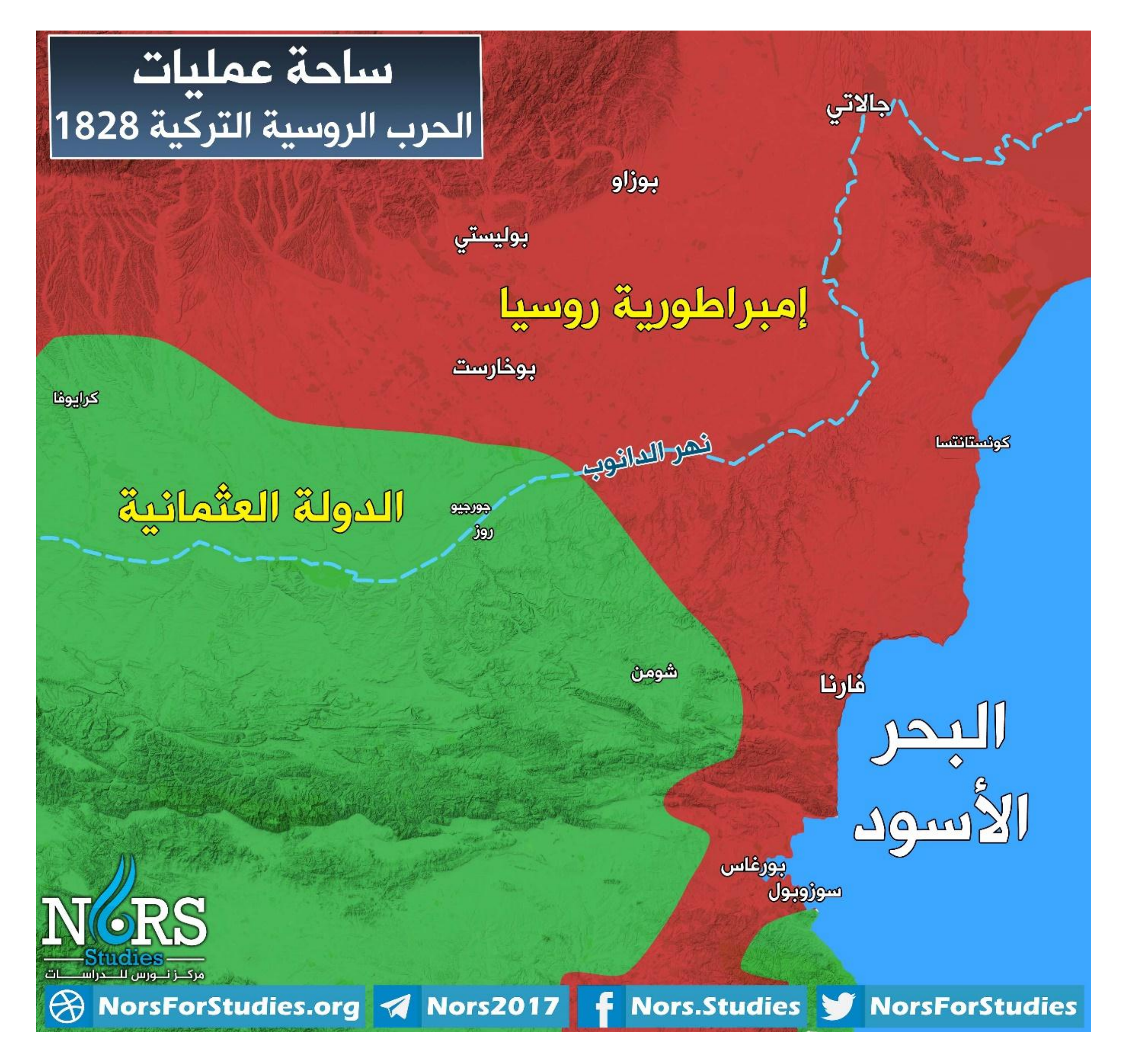
المفرزة. ونادراً ما يكون من الصواب أن تقرر مفرزة القتال حتى النصر أو الموت من أجل موقع سيطرت عليه، سواء كان القتال طوعاً أو إكراهاً (بالأمر).

لاشك أنه من الواجب على المفارز أن تلتزم بقواعد التكتيك وقواعد التحصينات الميدانية قدر الإمكان كما تفعل الجيوش.

وبما أننا أدرجنا في الحالات المفيدة المفارز المخصصة للضربات الخاطفة، فمن المناسب ذكر أمثلة قليلة من هذا النوع لتمكين القارئ من الحكم بنفسه. سنذكر تلك التي تم تنفيذها من قبل الروس في نهاية عام 1828 بهدف الاستيلاء على سيزبولي Sizeboli (سوزوبول Sozopol) في خليج بورغاس Borgas. إن الاستيلاء على هذا الخليج المحصن بشكل ضعيف، والذي عززه الروس بسرعة، منحهم في حالة انتصارهم نقطة ارتكازية point d'appui فوق البلقان، حيث يمكن إنشاء مستودعات متقدمة للجيش الذي ينوي عبور تلك الجبال[350]. وفي حال الفشل لن يخسروا جندياً واحداً، ولا حتى الفيلق الصغير الذي تم إنزاله، حيث لديه طريق انسحاب آمن ومضمون عبر السفن.

---

[350] يشير المؤلف إلى جبال البلقان، حيث إن موقع بورغاس كنقطة إمداد يساعد على اختصار طريق امداد طويل يمر عبر جبال البلقان، وتأمين خط الإمداد ضرورة للمفارز كما هي ضرورة للجيوش الرئيسية.



على نحو مماثل في حملة عام 1796 كان من شأن الضربات الخاطفة التي قام بها النمساويون لغرض الاستيلاء على كيهل kehl وتدمير الجسر فيما كان مورو يعود من بافاريا، أن تكون لها عواقب مهمة للغاية إذا نجحت هذه الضربات[351].

[351] كانت خطة حملة الراين عام 1796 للفرنسيين تتمثل بعبور نهر الراين نحو ألمانيا من محورين، من محور الراين الأسفل (شمالا) قوات بقيادة جوردان، بينما يعبر الراين الأعلى (جنوبا) نحو بافاريا قوات بقيادة مورو، حقق مورو تقدمه نحو بافاريا فيما فشل جوردان مما اضطره للانسحاب، بقي مورو شبه منعزل لوحده في ألمانيا مما اضطره في الأخير إلى الانسحاب كذلك. حاولت قوة نمساوية من 5000 جندي بقيادة بسراخ قطع طريق انسحاب مورو فاستولوا على رأس الجسر المحصن في كيهل. جنى النمساويون على أنفسهم لما انشغلوا بنهب المعسكر عن الاستعجال بتدمير الجسر، حيث تدخل الجنرال الفرنسي شوينبرغ منقذا موقف الفرنسيين واستطاعوا إفشال محاولة النمساويين في قطع طريق انسحاب مورو.

في هكذا عمليات من هذا النوع المخاطر قليلة مقابل مكاسب كبيرة، وبما أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال المساومة على سلامة الجيش الرئيسي، فقد يتم التوصية بهذه العمليات على الدوام.

تعتبر الفيالق الصغيرة المرسلة إلى داخل منطقة عمليات العدو من نفس فئة هذه المفارز المميزة. فالمخاطرة ببضع مئات من الفرسان لن تؤدي إلى خسارة كبيرة إذا تم أسرهم، وقد تكون وسيلة لتحقيق خسائر عظيمة في العدو. كانت المفارز الصغيرة التي أرسلها الروس في 1807 و1812 و1813 بمثابة عائق كبير لعمليات نابليون، وأدت عدة مرات إلى فشل خططه من خلال اعتراض مراسلاته وقطع طرق اتصاله.

في مثل هذه الحملات يجب اختيار الضباط الجريئين والبارعين بالحيل. يجب عليهم أن يوقعوا في العدو أكبر قدر ممكن من الخسائر دون التضحية بأنفسهم. عندما تتاح الفرصة لضربة قوية يجب ألا يفكروا للحظة في أي مخاطر أو صعوبات في طريقهم. ومع ذلك فإن البراعة وحضور الذهن هو الذي يعينهم على تجنب الأخطار غير الضرورية بشكل عام، وهي الصفات اللازمة في رجل الإغارات (العصابات) أكثر من البرود والجرأة المحسوبة. لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع أحيل قرائي إلى الفصل الخامس والثلاثين من بحثي عن العمليات الكبرى، والموضوع الرابع والأربعين من هذا الكتاب عن سلاح الفرسان الخفيف.

الموضوع السابع والثلاثين: عبور الأنهار والمجاري الأخرى

لا يمثل عبور مجرى مائي صغير –يوجد عليه جسر في الأصل أو يمكن بناؤه بسهولة– أياً من التراكيب التي تنتمي إلى التكتيكات الكبرى أو الاستراتيجيات، لكن عبور نهر كبير مثل نهر الدانوب والراين والبو وإلبه وأودير وفيستولا والإين وتيسينو ....إلخ هو عملية متعلقة بهذه الدراسة.

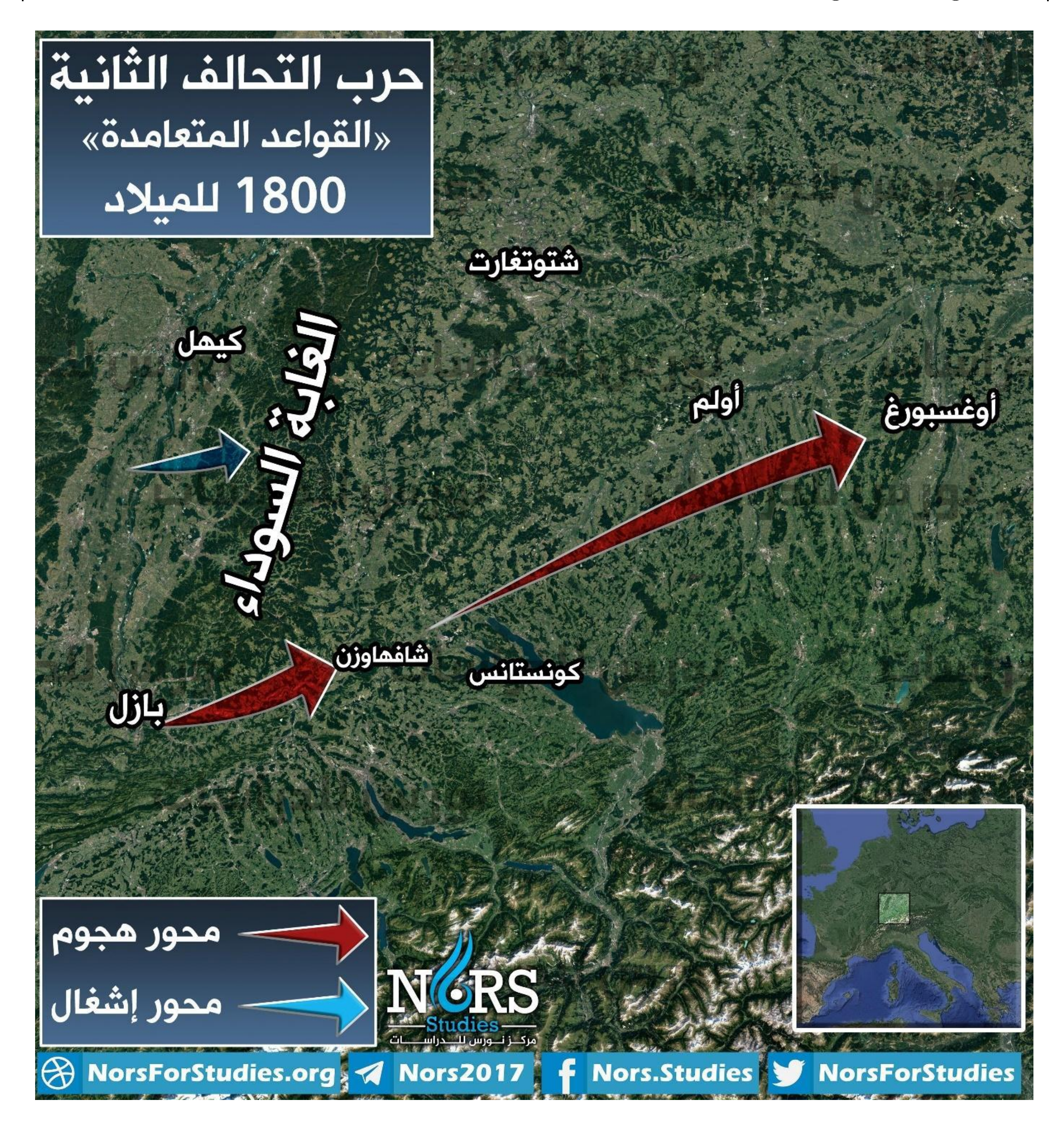
فن بناء الجسور العسكرية هو فرع خاص من العلوم العسكرية، ويكلف به لممهدي الطرق[352] Pioneers أو المهندسين العسكريين[353] Sappers. لن نطرح هنا في عبور المجرى المائي إلا ما يخص الهجوم عليها كمواقع عسكرية وكمناورة.

عملية العبور نفسها هي عملية تكتيكية، لكن موقع نقطة العبور قد يكون مرتبطاً بشكل هام مع جميع العمليات التي تجري داخل مسرح الحرب بأكمله. يُعد عبور الجنرال مورو لنهر الراين في عام 1800 مثالاً ممتازاً لحقيقة هذه الملاحظة. أراد نابليون (وهو استراتيجي ومخطط أكثر مهارة من مورو) لمورو أن يعبر من شافهاوزن من أجل الالتفاف على كامل جيش كراي من الخلف، للوصول إلى أولم قبله، لقطعه عن النمسا ودفعه نحو نهر الماين. كان مورو (الذي كان لديه في الواقع جسراً في بازل) يفضل المرور أمام العدو بسهولة أكبر، لغرض الالتفاف على أقصى ميسرة عدوه.

---

[352] ممهدي الطرق Pioneers: هي إحدى تخصصات الهندسة العسكرية والتي تركز على تمهيد الطرق وإصلاحها وإزالة العوائق وتم تخصيصها من بين مهمات الهندسة العسكرية لشدة خطورتها لقربها من الأعداء.

[353] المهندسون العسكريون Sappers: هم جنود ينفذون مجموعة متنوعة من الواجبات الهندسية العسكرية مثل خرق التحصينات وعمليات الهدم وبناء الجسور ووضع أو إزالة حقول الألغام وإعداد الدفاعات الميدانية وكذلك بناء الطرق وإصلاحها، وتتداخل مهنتي ممهدي الطرق والمهندسين العسكريين إلى حد كبير عبر التاريخ.



بدت المزايا التكتيكية في ذهن مورو مضمونة أكثر بكثير من المزايا الاستراتيجية: فقد فضَّل اليقين بتحقيق انتصار جزئي على المخاطرة الملازمة لانتصار كان من الممكن أن يكون حاسماً. في نفس الحملة يمثل عبور نابليون لنهر البو Po مثالاً آخر على الأهمية الاستراتيجية العالية لاختيار نقطة العبور. كانت خيارات جيش الاحتياط (بعد إشتباك تشيوسيلا Chiusella) إما السير على الضفة اليسرى من بو إلى تورينو، أو أن يعبر النهر في كريسنتينو Crescentino ويسير مباشرة إلى جنوة. فضل نابليون عبور تيسينو ودخول ميلانو والاتصال بجيش مونسي Moncey الذي كان يقترب مع عشرين ألف جندي من

ممر سانت غوثهارد Saint–Gothard، ثم عبور بو في بياتشنسا Piacenza، متوقعاً أن يسبق القائد النمساوي ميلاس في هذا الاتجاه أكثر مما لو هجم في وقت سابق جداً على خط انسحابه[354].

كان عبور نهر الدانوب في دوناوفورت وإنغولشتات في 1805 عملية مشابهة للغاية[355]، فقد كان الموقع المختار للعبور هو السبب الرئيسي في تدمير جيش ماك.

يمكن تحديد نقطة المرور الاستراتيجية المناسبة بسهولة عن طريق تذكر المبادئ المنصوص عليها في الموضوع التاسع عشر، وهنا فقط من الضروري تذكير القارئ بأنه عند عبور النهر (كما في كل عملية أخرى) هناك نقاط حاسمة دائمة أو جغرافية، وغيرها من النقاط النسبية أو المؤقتة وتعتمد على توزيع القوى المعادية.

[354] هذه التحركات سبقت معركة مارينغو عام 1800.
[355] هذه التحركات حدثت في معركة أولم عام 1805.

إذا كانت النقطة المختارة تجمع بين المزايا الاستراتيجية والتكتيكية، فلا يمكن أن تكون هناك نقطة أخرى أفضل منها، ولكن إذا كان في النقطة عقبات يصعب اجتيازها، فيجب أن يتم اختيار نقطة أخرى، وفي اختيار هذه النقطة يجب أن يتم توجيه الحركة إلى أقرب حد ممكن متوافق مع الاتجاه الاستراتيجي الحقيقي. بغض النظر عن التراكيب العامة التي تمارس تأثيراً ملحوظاً في تحديد نقطة العبور، لا يزال هناك اعتبار آخر مرتبط بالمكان نفسه. **إن أفضل موقع للجيش هو الذي يسمح له بعد العبور بأن يجعل جبهة عملياته وخطه للمعركة عمودياً على اتجاه النهر (على الأقل في المسيرات الأولى) دون أن يضطر إلى الانفصال إلى عدة فيالق تتحرك على خطوط مختلفة. هذه الميزة ستحميه من مخاطر خوض معركة مع نهر في الخلف، مثلما حدث لنابليون في إسلنغ Essling.**

قد قلنا ما يكفي فيما يخص الاعتبارات الاستراتيجية التي تؤثر على اختيار نقطة عبور النهر. سنشرع الآن في الحديث عن عملية العبور بحد ذاتها. التاريخ هو أفضل مدرسة لدراسة التدابير التي من المرجح أن تضمن نجاح مثل هذه العمليات. اعتبر القدماء عبور غرانيكوس – وهو مجرى صغير – مفخرة الزمان. بقدر ما نهتم بهذه النقطة يمكن لجيوش العصر الحديث أن يحققوا أفضل بكثير[356].

أشاد الكثيرون بعبور نهر الراين في تولهويس Tholhuys (نايميخين Nimeguen) من قبل لويس الرابع عشر، فلقد كان رائعاً بالفعل[357]. في عصرنا قام الجنرال ديدون Dedon بعبور الراين في كيهل kehl وعبور نهر الدانوب في هوخشتاد 1800 Hochstadt. عمله هو نموذج فيما يتعلق بالتفاصيل. فهذه العمليات عملها العناية الدقيقة بالتفاصيل. في الآونة الأخيرة، فاقت عمليات عبور نهر الدانوب الثلاثة، وعبور بيرسينا Beresina الأشهر، فاقت كل عمليات العبور السابقة على الإطلاق.

356 معركة نهر الغرانيكوس وقعت في مايو من عام 334 ق.م. وهي أولى ثلاث معارك عظمى خاضها الإسكندر المقدوني ضد امبراطورية الفرس. هذه المعركة التي وقعت في أقصى الشمال الغربي من آسيا الصغرى، قرب موقع مدينة طروادة الأثرية، هزم الإسكندر قوّات مرزبانات الفرس في آسيا الصغرى وحدثت هذه المعركة بعد عبور الإسكندر النهر.

357 نفذ هذا العبور الملك لويس الرابع عشر عام 1672 خلال الحرب الفرنسية الهولندية. كان عبوراً عظيماً في العدد والعدة لغرض احتلال هولندا وحدثت على إثرها معركة تولهويس.



لوحة فنية تصور عبور لويس الرابع عشر نهر الراين 1672

نُفذ العبوران الأوليّان من قبل نابليون في إسلنغ Essling وفي فاغرام Wagram، في وجود جيش من مائة وعشرين ألف جندي مزودين بأربعمائة قطعة من المدافع، وعند نقطة حيث كان مجرى النهر أعرض ما يكون. يجب قراءة سرد بيليت Pelet المثير للاهتمام عن هذه الواقعة بعناية. تم تنفيذ العبور الثالث من قبل الجيش الروسي في ساتونوفو satounovo في عام 1828، والذي (على الرغم من أنه لا يمكن مقارنته مع العبورين السابقين) كان رائعاً جدا بسبب الصعوبات التضاريسية الكبيرة والمجهودات الكبيرة التي بذلت للتغلب عليها. أيضاً عبور بيريسينا كان رائعاً حقاً. ليس هدفي أن أعطي تفاصيل تاريخية حول هذا الموضوع، يستطيع القراء البحث عن السرد الخاص لهذه الأحداث. سأقدم عدة قواعد عامة يجب مراعاتها:

1. من الضروري خداع العدو فيما يخص نقطة العبور، حتى لا يحشد قوة مقابلة هناك. بالإضافة إلى التضليل الاستراتيجي، يجب القيام بهجمات تضليلية بالقرب من نقطة العبور، لتشتيت انتباه العدو ووسائله. ولهذا الغرض ينبغي استخدام نصف المدفعية

لإحداث قدر كبير من الضوضاء في النقاط التي لن يحدث عليها العبور، في حين ينبغي الحفاظ على الصمت التام حيثما تكون محاولة العبور الحقيقية.

2. لغرض حماية الجسور خلال بنائها ينبغي إرسال قوات في قوارب لغرض دفع العدو الذي قد يتدخل في سير العمل؛ ويجب أن تستولي هذه القوات فورا على أي قرى أو غابات أو عوائق أخرى في المنطقة القريبة.
3. من الأهمية بمكان أيضاً ترتيب بطاريات مدفعية كبيرة ذات العيار الثقيل، ليس فقط لتمشيط الضفة المقابلة، بل لإسكات أي مدفعية قد يجلبها العدو لقصف الجسر أثناء البناء. ولهذا الغرض من الملائم اختيار الضفة التي يحدث عليها العبور أعلى إلى حد ما من الضفة الأخرى.
4. إن قرب جزيرة نهرية كبيرة من ضفة العدو يوفر تسهيلات كبيرة لنقل الجنود في القوارب وبناء الجسر. ويشبه هذا الحال المجرى الصغير الذي يصب في مجرى أكبر بالقرب من نقطة العبور، فإنه يعتبر مكاناً مناسباً لجمع وإخفاء القوارب والمواد اللازمة للجسر.
5. من الجيد أن تختار موقعاً حيث يصنع النهر منعطفا (كوع)، لأن البطاريات على جانب المهاجِم يمكن أن تعبر نيرانها أمام النقطة التي ستنزل فيها القوات من القوارب وعند نهاية الجسر الذي سيبنى، وبالتالي يتم الهجوم على العدو من الأمام ومن الجناح عندما يحاول مقاومة العبور.
6. يجب أن تكون المنطقة المختارة قريبة من الطرق الجيدة على كلا الضفتين، بحيث يكون لدى الجيش طرق اتصال جيدة مع المقدمة والمؤخرة على ضفتي النهر. ولهذا السبب ينبغي تجنب تلك النقاط التي تكون فيها الضفة عالية ومنحدرة.

إن قواعد منع العبور (الدفاع) تماثل بطبيعتها قواعد تنفيذ العبور (الهجوم)، حيث أن واجب المدافعين هو التصدي لتدابير المهاجمين في تنفيذ العبور. الأمر المهم هو أن تتم مراقبة مجرى النهر بواسطة فيالق من القوات الخفيفة، من دون القيام بالدفاع عن كل نقطة. ركز القوات بسرعة في نقطة التهديد، من أجل التغلب على العدو حين عبور جزء فقط من جيشه.

من الضروري تقليد دوق فاندوم Vendome في كاسانو Cassano[358]، وأرشيدوق تشارلز في إيسلنغ Essling في عام 1809. المثال الأخير جدير بالذكر بشكل خاص، على الرغم من أن العملية لم تنجح بشكل حاسم كما كان متوقعاً لها.

في الموضوع الحادي والعشرين تم ذكر التأثير الذي قد يحدثه عبور النهر (في بداية الحملة) في إعطاء اتجاه لخطوط العمليات. سنرى الآن ما هي العلاقة التي قد تكون لعبور النهر مع الحركات الإستراتيجية اللاحقة.

واحدة من أكبر الصعوبات التي يجب مواجهتها بعد عبور النهر هي حماية الجسر من محاولات العدو لتدميره دون التدخل بشكل كبير في حرية حركة الجيش. عندما يكون الجيش متفوقا في الأعداد على العدو، أو عندما يتم العبور بعد انتصار كبير، فإن الصعوبة المذكورة لا تُذكَر. ولكن عندما يتم تنفيذ العبور في بداية الحملة، والجيوش المتقابلة متساوية في الأعداد، تكون الحالة مختلفة تماماً.

إذا عبر مائة ألف جندي فرنسي نهر الراين في ستراسبورغ Strasburg أو في مانهايم Manheim بحضور مائة ألف جندي نمساوي، فإن أول شيء يجب القيام به هو دفع العدو في ثلاثة اتجاهات، أولاً أمامهم حتى الغابة السوداء، وثانياً يميناً من أجل تغطية الجسور على نهر الراين الأعلى، وثالثاً يساراً لتغطية جسور مايانس والراين السفلى. هذه الضرورة هي سبب التقسيم السيء للقوات؛ ولكن لتقليل مساوئ هذا التقسيم قدر الإمكان، يجب إلغاء فكرة ضرورة تقسيم الجيش إلى ثلاثة أجزاء متساوية، وكذلك فكرة ضرورة بقاء المفارز لفترة أطول من الأيام القليلة المطلوبة للاستيلاء على نقطة متوقعة لتحشد قوات العدو.

مع ذلك لا يمكن إخفاء الحقيقة أن المثال المفترض هي الحالة الأكثر تحدياً للجنرال. لأنه إذا قسّم جيشه إلى أجزاء ليحمي جسوره فقد يصادف أن تصدم إحدى الأجزاء مع الجيش الرئيسي للعدو وقد تتعرض للتدمير، وإذا قام بتحريك جيشه باتجاه واحد فإن العدو قد يقسم جيشه ويعيد تجميعه في نقطة غير متوقعة وبذلك يتم الاستيلاء على الجسور أو

[358] وقعت معركة كاسانو في مدينة كاسانو دي أدا في لومبارديا بإيطاليا في 16 أغسطس 1705 خلال حرب الخلافة الإسبانية بين قوة فرنسية بقيادة دوك دو فاندوم وجيش الإمبراطورية الرومانية المقدسة تحت قيادة الأمير يوجين سافوي. تُعتبَر بشكل عام نصرا تكتيكيا فرنسيًا حيث منعوا الجيش الإمبراطوري من عبور نهر أدا، إلا إن الخسائر كانت كبيرة على كلا الجانبين.

تدميرها ويجد الجنرال نفسه عرضة للخطر قبل أن يتاح له الوقت أو الفرصة لتحقيق انتصار.

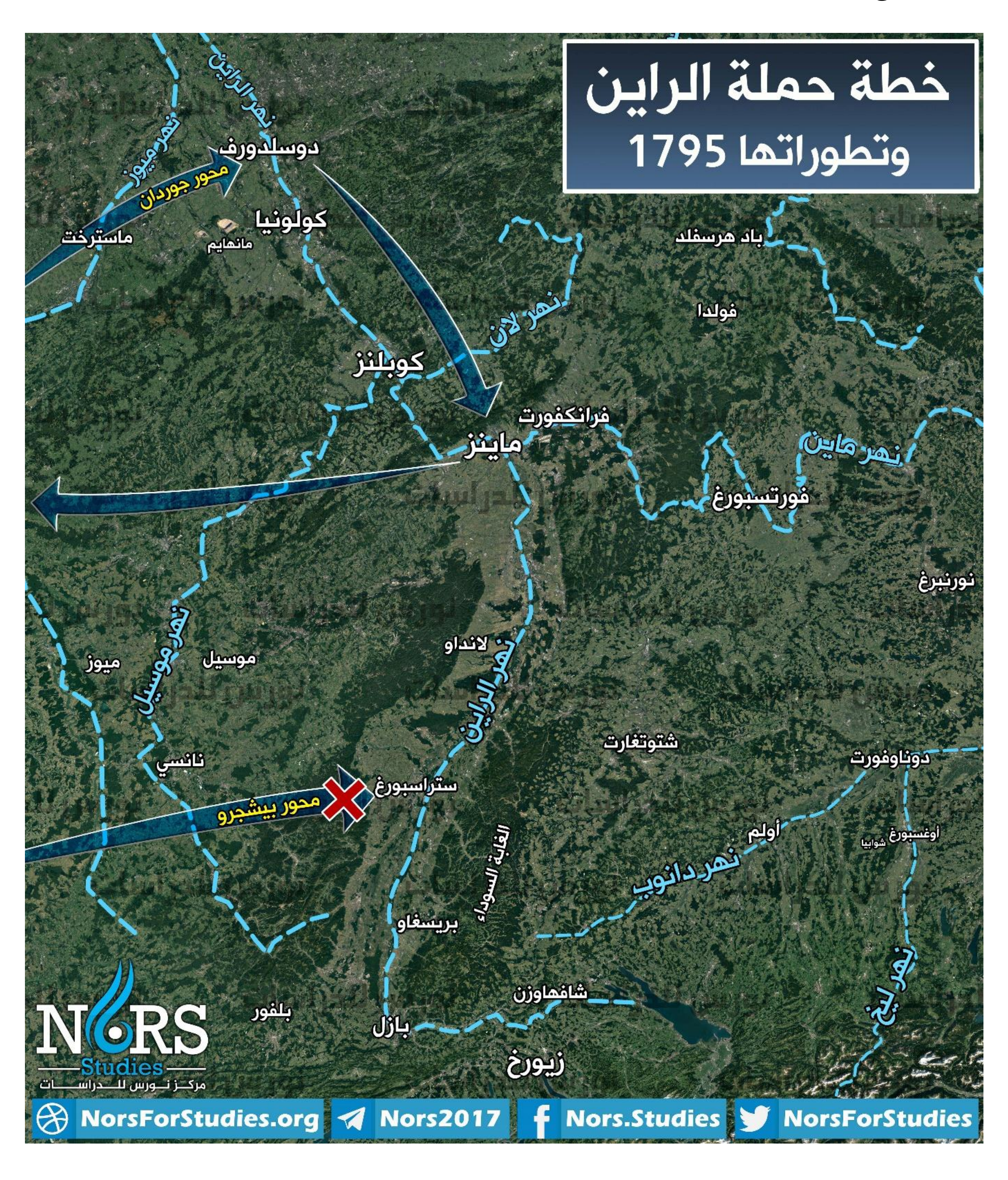
أفضل مسار يجب اتباعه هو وضع الجسور بالقرب من المدن التي ستوفر نقاط دفاعية قوية لحمايتها، لبث كل النشاط والقوة الممكنة في العمليات الأولى بعد العبور للهجوم على أجزاء جيش العدو بالتتابع وضربهم بطريقة لن يفكروا بعدها في الاقتراب من الجسور. في بعض الحالات يمكن استخدام خطوط العمليات المتباعدة. إذا قام العدو بتقسيم مائة ألف جندي إلى عدة فيالق يشغلون نقاطا للمراقبة، فيمكن فتح ممر بمائة ألف جندي في نقطة واحدة بالقرب من قلب خط النقاط، عندها يمكن تدمير الفيلق الدفاعي المعزول في هذه النقطة، ويمكن تشكيل فيلقين كل منهما من خمسين ألف جندي، والتي من خلال استخدام خطوط العمليات المتباعدة يمكنها طرد الأجزاء المتتالية من جيش العدو، ومنعهم من الاتحاد من جديد، ودفعهم أبعد وأبعد عن الجسور.

لكن إذا حدث العكس من ذلك بأن تم تنفيذ العبور على إحدى أجنحة الجبهة الاستراتيجية للعدو من خلال التحرك بسرعة على طول جبهة العدو التي قد تتعرض للهجوم على طولها (بنفس الطريقة التي قام فيها فريدريك بضرب الخط النمساوي في ليوثن Leuthen على طوله) فستكون الجسور آمنة في مؤخرة الجيش، وستظل محمية خلال جميع التحركات الأمامية. بهذه الطريقة استطاع جوردان (بعد عبور الراين في دوسلدورف Dusseldorf في 1795 نحو أقصى ميمنة النمساويين) أن يتقدم في أمان تام نحو نهر الماين.

تم طرده لأن الفرنسيين (الذين لديهم خط مزدوج وخارجي للعمليات) تركوا مائة وعشرين ألف جندي غير فعالين بين مايانس (ماينز) وبازل، بينما دفع كلاريفايت Clairfayt جوردان نحو لاهن Lahn. لكن هذا لا يمكن أن يقلل من أهمية المزايا المكتسبة من خلال عبور نهر نحو إحدى أجنحة الجبهة الإستراتيجية للعدو[359]. يجب على القائد الأعلى إما أن يتبنى هذه

[359] كانت خطة حملة الراين عام 1795 (ضمن حرب التحالف الأولى) تتمثل بعبور نهر الراين عبر محورين أحدهما عبر دوسلدروف شمالا بقيادة جوردان (يمثل ميسرة الجيش الفرنسي ويقابله ميمنة الجيش النمساوي)، بينما المحور الثاني يقوده بيشجرو على بعد 200 ميل جنوب المحور الأول قرب ستراسبورغ (بين بازل وماينز).
بعد نجاح جوردان في العبور توجه جنوبا لعزل بلدة ماينز، إلا أن خيانة بيشجرو واتفاقه مع الفرنسيين الملكيين حال دون نجاح الحملة وفرغ كلاريفايت لصد جوردان وفشلت الحملة.

الطريقة، أو الطريقة التي سبق أن أوضحتها المتمثلة بوضع كتلة مركزية في لحظة العبور، واستخدام الخطوط المتباعدة بعد ذلك وفقاً لظروف الحالة ووضع الجبهات وقواعد العمليات، وكذلك مواقع العدو. إن ذكر هذه التراكيب هنا (التي تكلمنا عن بعضها في موضوع خطوط العمليات) ليست خارج السياق، لأن ارتباط التراكيب بمواقع الجسور كان النقطة الرئيسية في هذا النقاش.



يحدث أحياناً لأسباب قاهرة، أن تتم محاولة عبور مزدوجة على جبهة العمليات، كما كان الحال مع جوردان ومورو عام 1796. إذا تم اكتساب ميزة وجود خط انسحاب مزدوج في حالة الحاجة، فبالمقابل توجد سلبيات في الهجوم على جناحي جبهة العدو، مما يدفع العدو إلى حد ما على التركيز نحو القلب، مما يجعل العدو في وضع يسمح له بسحق الجيشين الذين عبروا عند نقاط مختلفة كل على حدة. ستؤدي مثل هذه العملية دائماً إلى نتائج كارثية عندما يكون لدى الجنرال المقابل قدرة كافية على معرفة كيفية استغلال انتهاك عدوه للمبادئ هذه.

في مثل هذه الحالة، **يمكن تقليل سلبيات العبور المزدوج عن طريق تحريك كتلة القوات المتواجدة في إحدى النقطتين نحو نقطة تواجد الكتلة الأخرى التي تصبح عندئذ النقطة الحاسمة**، وبتركيز الكتلتين بواسطة الخطوط الداخلية بأسرع وقت نستطيع منع العدو من تدمير كل على حدة. لو أن جوردان ومورو قد عملا بهذه القاعدة، وحققا اندماجاً لقواتهما في اتجاه دانوفورت Donauwerth، بدلاً من التحرك بخطوط متباعدة، لكان من الممكن أن يحققا انتصارات كبيرة في بافاريا، بدلاً من التراجع نحو نهر الراين.

الموضوع الثامن والثلاثين: الانسحابات والمطاردات

من المؤكد أن الانسحابات هي أصعب العمليات في الحرب. هذه الملاحظة من الواقعية حتى أن الأمير دي ليجن المشهور قال بأسلوبه المعتاد: إنه لا يستطيع تصور كيف نجح جيش في الانسحاب[360]. عندما نفكر في الوضع الجسدي والنفسي للجيش في حالة تراجع عام بعد معركة خاسرة، وصعوبة الحفاظ على النظام، والكوارث التي قد تحدثها الفوضى، فليس من الصعب أن نفهم لماذا تَرَدَدَ أكثر الجنرالات خبرة للقيام بمثل هذه العملية.

ما هي طريقة الانسحاب الموصى بها؟ هل يجب استمرار القتال رغم جميع الأخطار إلى حين حلول الليل وتنفيذ الانسحاب تحت جنح الظلام؟ أم من الأفضل ألا تنتظر هذه الفرصة الأخيرة، بل نترك ساحة المعركة مادام يمكن القيام بذلك ويمكن مقاومة الجيش المطارِد بقوة؟ هل يجب القيام بمسير حثيث في الليل من أجل الابتعاد أطول مسافة ممكنة عن العدو؟ أم

[360] تشارلز جوزيف أمير دي لجين من بلجيكا ومنظر عسكري (7 أبريل 1766 - 13 ديسمبر 1814).

أنه من الأفضل التوقف بعد نصف المسيرة وإظهار الرغبة في القتال مرة أخرى؟ كل من هذه الأساليب على الرغم من أنها مناسبة تماماً في بعض الحالات، فإنها في البعض الآخر تدمر الجيش بأكمله. **إذا قَصُر علم الحرب النظري عن أية مواضيع، فإن الانسحاب بالتأكيد إحداها.**

إذا قررت أن تقاتل بقوة حتى الليل، فقد تعرض نفسك لهزيمة تامة قبل أن تدرك الليل؛ وإذا كان الانسحاب الاضطراري يجب أن يبدأ عندما يحل ظلام الليل، كيف يمكنك منع تفكك جيشك الذي لا يعرف ماذا يفعل، ولا يمكنه أن يفعل أي شيء بشكل صحيح؟ من ناحية أخرى إذا ترك ميدان المعركة في وضح النهار وقبل بذل كل الجهود الممكنة حتى آخر لحظة، قد تتخلى عن المعركة في اللحظة التي يكون فيها العدو على وشك القيام بنفس الشيء؛ وهذا الأمر إذا علمت به قواتك فقد تفقدهم الثقة بالجنرال، فهم يميلون دوماً إلى إلقاء اللوم على الجنرال المتعقل الذي يتراجع قبل أن تكون ضرورة القيام بذلك واضحة أمام أعينهم. علاوة على ذلك، من يستطيع أن يقول أن انسحاباً بدأ في وضح النهار بوجود عدو مغامر لن يتحول إلى هزيمة؟

عندما يبدأ الانسحاب فعلياً، فإن موضوع تحديد ما إذا كانت المسيرة الحثيثة يجب أن تتم على أساس الابتعاد عن العدو بأسرع وقت ممكن، هو موضوع ليس بأقل صعوبة. لأن هذه الحركة السريعة قد تتسبب أحياناً في تدمير الجيش، وربما في ظروف أخرى تكون سبب خلاصها. **كل ما يمكن تأكيده في هذا الموضوع هو أنه بشكل عام في انسحاب جيش كبير من الأفضل أن تتراجع ببطء وبمسيرات قصيرة، مع وجود حرس خلفي منظم ذي قوّة كافية لتأخير طليعة أرتال العدو لعدة ساعات.**

تنقسم الانسحابات لعدة أنواع اعتماداً على أسبابها. قد يتراجع الجنرال من تلقاء نفسه قبل القتال، من أجل استدراج خصمه إلى الموقع الذي يفضله على الموقع الحالي. الأحرى أن يُسمى هذا الانسحاب بمناورة ذكية بدل الانسحاب. وهكذا تراجع نابليون في 1805 من فيشاو (فيشكوف) Wischau باتجاه برون Brunn ليستدرج الحلفاء إلى موقع يناسبه

كميدان معركة[361]. وهكذا تراجع ولينغتون من كواتري–براس Quatre–Bras إلى واترلو Waterloo. هذا ما اقترحت أن نفعله قبل الهجوم في دريسدن Dresden، عندما علمنا بوصول نابليون. أوضحت ضرورة التحرك نحو ديبولديسفالده Dippoldiswalde لاختيار ميدان معركة مناسب. كان من المفترض أن يحدث هذا التراجع، لكن نظرة البعض أن هذا الأمر يتناقض مع شرف الفروسية منعت القيام بحركة تراجعية دون قتال، والتي كانت ستكون وسيلة لتجنب كارثة في اليوم التالي (26 أغسطس 1813)[362].

قد يتراجع الجنرال من أجل الإسراع في الدفاع عن نقطة مهددة من قبل العدو، إما على الأجنحة أو على خط الانسحاب. عندما يسير الجيش على مسافة بعيدة من مستودعاته في أرض محروقة، قد يضطر إلى التراجع للاقتراب من مستودعات مؤنه. أخيراً، يتراجع الجيش رغماً عنه بعد معركة خاسرة، أو بعد مبادرة فاشلة.

ليست هذه هي الأسباب الوحيدة التي لها تأثير في الانسحابات. ستختلف طبيعة الانسحابات وفقا لطبيعة الأرض، والمسافات والعقبات على الأرض التي يجب تجاوزها. إنها خطيرة بشكل خاص في بلد العدو، **وكلما ازدادت النقاط التي تبدأ منها الانسحابات بعداً عن البلد الصديق وقاعدة العمليات، تزداد الانسحابات خسارة وصعوبة.**

منذ زمن مسيرة العشرة آلاف الشهيرة[363]، وحتى الكارثة الرهيبة التي حلت بالجيش الفرنسي في 1812[364]، لم يذكر التاريخ إلا القليل من الانسحابات الناجحة. انسحاب أنطونيو Antony بعد أن تم دفعه من ميديا Media كان أكثر إيلاماً من كونه مجيداً[365]. انسحاب الإمبراطور جوليان الذي تعرض لمضايقات البارثيين أنفسهم كان كارثياً. في الزمن القريب كان انسحاب تشارلز الثامن إلى نابولي، عندما عبر بفيلق من الجيش الإيطالي في فورنافا

[361] سحبهم نابليون لأرض معركة أوسترليتز الشهيرة، وتقع بالقرب من برون.

[362] لعل اختيار هذه الأرض للانسحاب إليها بسبب وعورتها ووجود مرتفعات فيها خلف جيش الحلفاء مما يسهل لهم احتلالها قبل نابليون، فيما كانت دريسدن على أرض منبسطة مطلة على نهر إلبه.

[363] هو الانسحاب الشهير الذي قامت به وحدات مرتزقة أغلبها يونانية وعادت من فارس إلى اليونان (401-399 قبل الميلاد)، حاول توظيفهم قورش الأصغر في محاولة لانتزاع عرش الإمبراطورية الفارسية من شقيقه، أرتحشستا الثاني. قتل قورش الأصغر فاضطرت القوة إلى الانسحاب والعودة إلى بلادها في ظل ظروف بالغة الخطورة مما خلد هذا الانسحاب في التاريخ.

[364] يقصد حملة نابليون الشهيرة الفاشلة على روسيا عام 1812.

[365] كان ذلك في الحرب الرومانية - البارثية من عام 40 إلى 33 قبل الميلاد وهي حرب كبيرة اندلعت بين الجمهورية الرومانية بقيادة مارك أنتوني والبارثيون. انتهت بهزيمة كارثية لأنتوني، وخلال انسحاب أنتوني هلك من قواته الآلاف من الرومان والقوات الرديفة نتيجة الشتاء القارس.

Fornovo مثيراً للإعجاب. إن انسحاب م. دي بليسل من براغ لا يستحق الثناء الذي تلقاه. الانسحابات التي نفذها ملك بروسيا بعد رفع حصار أولموتز وبعد المباغتة في هوشكرش تم ترتيبها بشكل جيد؛ لكنها كانت مسافات قصيرة. انسحاب مورو عام 1796 الذي تم تضخيمه من حيث الأهمية نتيجة الروح الحزبية، كان مشرفاً ولكن غير مميز على الإطلاق. إن انسحاب ليكوربي Lecourbe من إنكادين Engadin إلى ألتروف Altorf، وانسحاب ماكدونالد من بونتريمولي Pontremoli بعد هزيمة تريبيا Trebbia، كما هو الحال مع سواروف Suwaroff من موتنثال Muttenthal إلى جور Chur كانت مآثر عظيمة للجيوش، ولكنها كانت جزئية في طبيعتها وقصيرة المدة. إن انسحاب الجيش الروسي من نايمين إلى موسكو – عبر مساحة طولها مائتين وأربعين فرسخاً– مع وجود عدو مثل نابليون وسلاح الفرسان بقيادة مورات الفعالة والجريئة، كان بالتأكيد مثيراً للإعجاب. بلا شك ساعدته الظروف المناسبة ولكنه كان يستحق الثناء، ليس فقط للموهبة التي أظهرها الجنرالات الذين كانوا يديرون مراحلها الأولى، ولكن أيضاً من أجل الثبات والبسالة التي أبداها الجنود الذين قاموا بها. على الرغم من أن الانسحاب من موسكو كان كارثة دموية بالنسبة لنابليون، إلا أنه كان مجيداً له وللجنود الذين كانوا في كراسنوي وبريسينا، لأن هيكل الجيش تم إنقاذه عندما كان من المفترض ألا يعود جندي واحد. في هذا الحدث الذي لا ينسى ادعى الطرفان تحقيق المجد.

إن طول المسافات وطبيعة الأرض المطلوب اجتيازها، والموارد التي يوفرها، والعقبات التي ينبغي مواجهتها، والهجمات المتوقعة إما من المؤخرة أو الجناح، والتفوق أو الضعف في سلاح الفرسان، ومعنويات القوات، هي الظروف التي يكون لها التأثير الكبير في تقرير مصير الانسحابات، عدا عن الترتيبات الماهرة التي قد يتخذها الجنرالات لتنفيذها.

يستطيع الجنرال المنسحب نحو أرض الوطن على طول خط مخازنه وإمداداته أن يبقي قواته متجمعة وفي حالة جيدة، وقد ينفذ انسحاباً أكثر أماناً من جنرال مضطر لإعالة وإيواء جيشه في معسكرات كبيرة، مجبراً إياه على الاحتلال والبحث عن منطقة واسعة للإيواء. سيكون من الغباء أن ندعي بأن الجيش الفرنسي المنسحب من موسكو إلى نايمين Niemen بدون إمدادات من المؤن، مع نقص في الفرسان وخيول لجر العربات، يمكن أن

ينفذ الانسحاب بنفس التنظيم الجيد وبنفس الثبات الذي تمتع به الجيش الروسي، والمجهز بكل ما هو ضروري، ويسيرون في أرضهم، ويحميهم عدد هائل من سلاح الفرسان الخفيف.

هناك خمس طرق لترتيب الانسحاب:

1. السير في كتلة واحدة وعلى طريق واحد.
2. تقسيم الجيش إلى فيلقين أو ثلاثة، والسير على طريق، مع الابتعاد مسافة مسيرة يوم بين كل فيلق وآخر، من أجل تجنب الفوضى وخاصة في العتاد.
3. السير على جبهة واحدة عبر عدة طرق متوازية تقريباً ولها نقطة وصول مشتركة.
4. التحرك عبر الطرق المتقاربة باستمرار.
5. على العكس من الانسحاب السابق وذلك بالتحرك على طول الطرق المتباعدة.

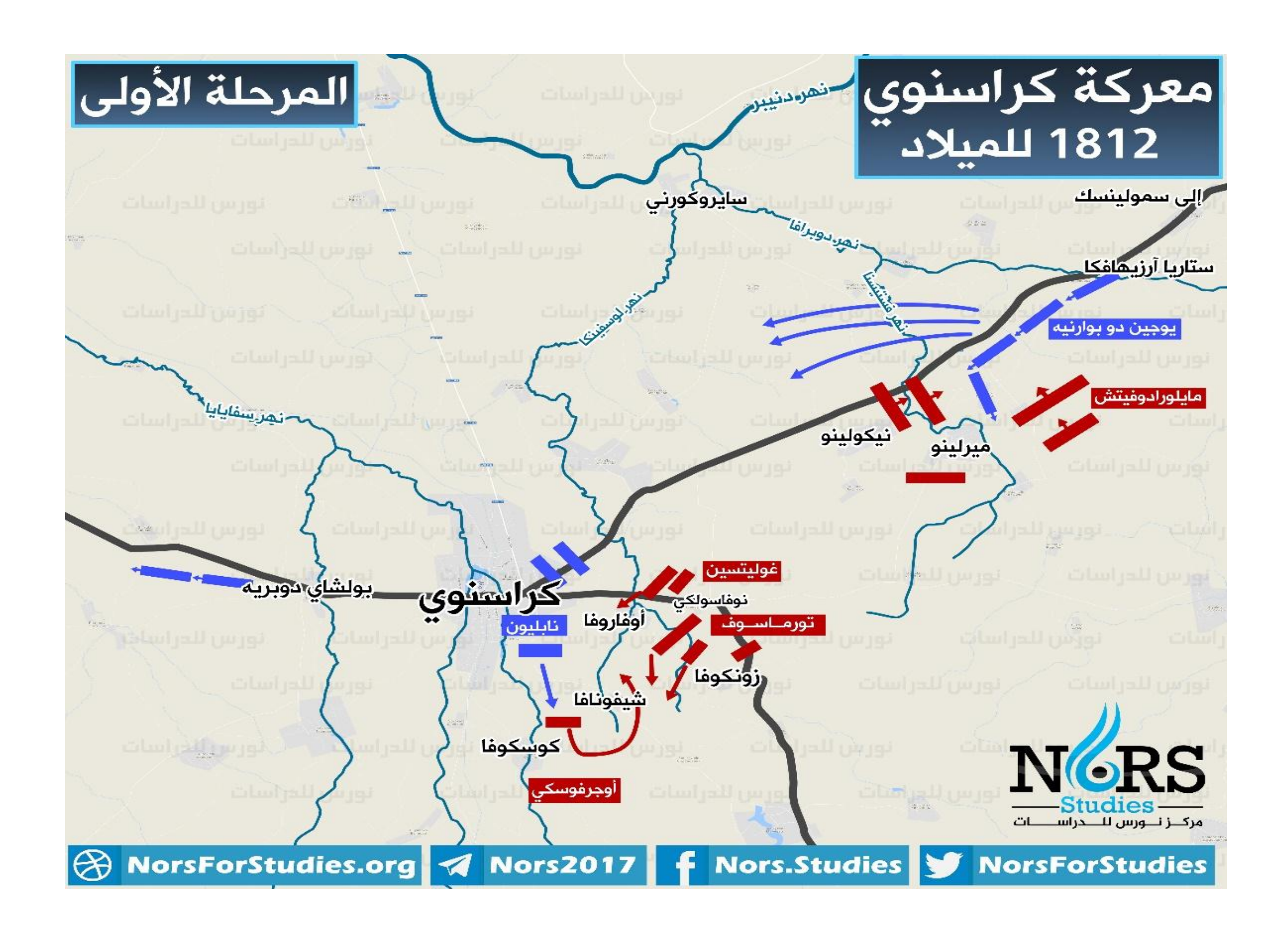
ليس لدي ما أقوله في موضوع تشكيل الحرس الخلفي. ولكن من المسلم به أنه يجب أن يكون الجيش الجيد مستعداً ومسنوداً دائماً بجزء من احتياطيات سلاح الفرسان. هذا الترتيب موجود في جميع أنواع الانسحابات، ولكن لا علاقة لاحتياطات سلاح الفرسان بالارتباطات الاستراتيجية لهذه العمليات.

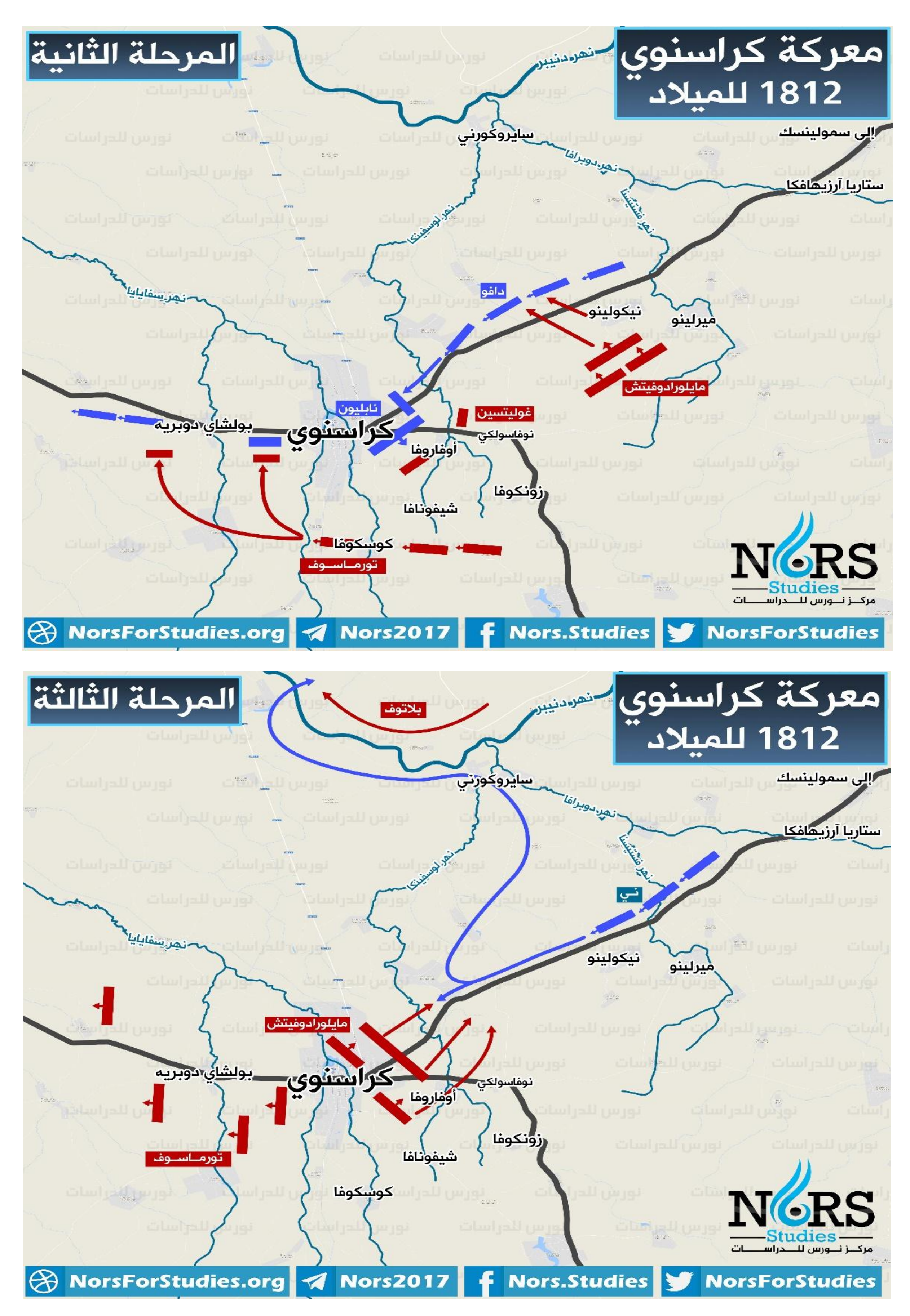
يفضل الجيش الذي ينسحب بنظام جيد استخدام الأسلوب الأول، وذلك إذا كان القصد منه القتال بمجرد وصول التعزيزات المتوقعة أو بمجرد وصوله إلى موقع استراتيجي معين؛ لأن هذا يضمن بشكل خاص تماسك الجيش، ويمكّنه من الاستعداد للمعركة في أي لحظة تقريباً، حيث أنه من الضروري صد طليعة أرتال العدو وتشكيل ما تبقى من القوات تحت حماية التعزيزات أثناء وصولها على التوالي. ومع ذلك يجب على الجيش الذي يستخدم هذه الطريقة ألا يقتصر على الطريق الرئيسي الوحيد، إذا كانت هناك طرق جانبية قريبة بما فيه الكفاية بحيث يمكن احتلالها وبذلك تكون حركتها أكثر سرعة وأماناً.

عندما تراجع نابليون من سمولينسك Smolensk استخدم الطريقة الثانية، حيث فصل أجزاء من جيشه بمسيرة يوم كامل. لقد ارتكب في ذلك خطأ فادحاً، لأن العدو لم يكن يتبعه من خلفه، بل كان يسير على طريق جانبي جعله في اتجاه عمودي تقريباً في وسط فيلقه

الفرنسي المنفصل. كانت النتيجة الأيام الثلاثة الدامية في كراسنوي Krasnoi[366]. إن استخدام هذه الطريقة هو بشكل رئيسي لتجنب ازدحام الطريق، الفاصل الزمني بين مسير عدة فيالق يكفي لانتظام المدفعية في صف مستقل بسهولة. وبدلاً من فصل الفيالق عن بعضها بمسيرة يوم كامل سيكون من الأفضل تقسيم الجيش إلى كتلتين وحرس خلفي مع مسافة مسيرة نصف يوم عن بعضهما البعض. يمكن لهذه الكتل التي تتحرك بالتعاقب بفاصل ساعتين بين مسير عدة فيالق للجيش أن تنتظم بشكل صف، دون التسبب بازدحام في الطريق، على الأقل في الأراضي العادية. عند عبور سانت برنارد أو البلقان، فإن حسابات أخرى ستكون بلا شك ضرورية.

[366] في معركة كراسنوي عمل كوتوزوف على استدراج نابليون فقطع طريق انسحابه عبر كراسنوي نحو فرنسا من الجنوب. تقدم نابليون يقود الحرس الإمبراطوري لفتح الطريق ووراءه بقية الفيالق الفرنسية على مسافة مسيرة يوم، هاجم ميخائيل ميلوردوفيتش مؤخرة الفرنسيين قرب رزافكا، ونجح في عزل فيالق دافو ونيي ويوجين. تدارك نابليون الأمر سريعا فعاد بهجوم مضاد مباغت نحو سوملنسك على قوات ميلوردوفيتش. ساعد هذا الهجوم الفيالق الفرنسية على التملص من محاولة تطويقهم من قبل الروس. كذلك نجت الفيالق الفرنسية من محاولة تطويق أخيرة من قبل الروس في دوبروي.


معركة كراسنوي
1812 للميلاد
المرحلة الأولى
نهر دنيبر
سايروكورني
إلى سمولينسك
نهر دوبرافا
ستاريا آرزيهافكا
نهر لوسيفنكا
يوجين دو بوارنيه
مايلورادوفيتش
نيكولينو
ميرلينو
نهر سفايايا
بولشاي دوبريه
كراسنوي
نابليون
أوفاروفا
غوليتسين
نوفاسولكي
تورماسوف
زونكوفا
شيفونافا
كوسكوفا
أوجرفوسكي
NORS Studies
مركز نورس للدراسات
NorsForStudies.org
Nors2017
Nors.Studies
NorsForStudies


المرحلة الثانية
معركة كراسنوي 1812 للميلاد
نهر دنيبر
سايروكورني
إلى سمولينسك
ستاريا آرزيهافكا
نهر دوبرافا
نهر لوسفينكا
نهر سفايايا
دافو
نيكولينو
ميرلينو
مايلورادوفيتش
نابليون
غوليتسين
بولشاي دوبريه
كراسنوي
نوفاسولكي
أوفاروفا
زونكوفا
شيفوناڤا
كوسكوفا
تورماسوف
NorsForStudies.org
Nors2017
Nors.Studies
NorsForStudies
المرحلة الثالثة
معركة كراسنوي 1812 للميلاد
بلاتوف
ني
مايلورادوفيتش
تورماسوف

أطبّق هذه الفكرة على جيش من مائة وعشرين ألفاً أو مائة وخمسين ألف جندي، ولديهم حرس خلفي من عشرين ألفاً أو خمسة وعشرون ألف جندي بعيدين عنهم بمسيرة نصف يوم خلفهم. قد يقسم الجيش إلى كتلتين كل منهما ستين ألف جندي، ويعسكروا على مسافة ثلاث أو أربع فراسخ عن بعضهم البعض. ويتم تقسيم كل من هذه الكتل إلى فيلقين أو ثلاثة، والتي قد تتحرك إما على التوالي أو تتشكل في خطين عبر الطريق. في كلتا الحالتين، إذا تحرك فيلق واحد من ثلاثين ألف جندي في الساعة الخامسة صباحاً والآخر في السابعة، لن يكون هناك خطر من حدوث تداخل بينهما ما لم يحدث شيء غير عادي، حيث الكتلة الثانية في نفس الساعة تكون على بعد أربعة فراسخ خلف الأولى، ولا يمكنهما أبداً احتلال نفس الجزء من الطريق في نفس الوقت.

عندما تكون هناك طرق سالكة مجاورة مناسبة على الأقل للمشاة والفرسان، قد يتم تقليل الفواصل. من نافلة القول أن نضيف بأن هذا التنظيم للمسيرة لا يمكن استخدامه إلا عندما تكون هناك وفرة في المؤن. والطريقة الثالثة هي الأفضل عادة، لأن الجيش يسير بنظام المعركة. في الأيام الطويلة وفي البلدان الحارة، أفضل الأوقات للمسيرة هي الليل والصباح الباكر. واحدة من أصعب المشاكل في الخدمات اللوجستية هي وضع الترتيبات المناسبة لساعات المغادرة وتوقف الجيوش؛ وهذا هو الحال على وجه الخصوص في الانسحابات.

العديد من الجنرالات يهملون ترتيب طريقة وأوقات التوقف، ونتيجة ذلك الاضطراب الكبير في المسيرة، حيث يتوقف كل لواء أو فرقة عندما يكون جنوده متعبين قليلاً ويجدون الوقت المناسب ليعسكروا في العراء. وكلما ازداد حجم الجيش والمسيرات التي يسير فيها؛ كلما ازدادت أهمية ترتيب ساعات المغادرة والتوقف، خاصة إذا كان الجيش يتحرك في الليل. قد يؤدي التوقف عن المسير لجزء من الرتل في غير أوانه إلى حدوث أذى كبير قد يؤدي إلى الانهيار.

إذا تم الضغط على الحرس الخلفي بشدة، يجب على الجيش أن يتوقف من أجل التخلص من الضغط بإرسال فيلق جديد يُأخَذ من الكتلة الثانية ليريح الحرس الخلفي، والذي سيتخذ موقعاً لتحقيق هذا الهدف. العدو الذي يرى ثمانين ألف جندي متشكلين بنظام المعركة سيرى

أنه من الضروري إيقاف أرتاله وجمعها، ومن ثم ينبغي استكمال الانسحاب عند حلول الظلام، ليستعيد العدو المناطق التي سيطر عليها الفيلق القادم من الكتلة الثانية.

الطريقة الثالثة للانسحاب على طول عدة طرق متوازية ممتازة عندما تكون الطرق قريبة بما فيه الكفاية. ولكن إذا كانت بعيدة جداً، فإن جناحاً منفصلاً عن القلب وعن الجناح الآخر قد يتضرر إذا هاجمه العدو بقوة ويجبره على الوقوف في موقع دفاعي. الجيش البروسي المتحرك من ماغدبورغ Magdeburg إلى أودر Oder في عام 1806 أعطى مثالاً من هذا النوع.

والطريقة الرابعة التي تتكون من المسير في طرق تراكزية هي بلا شك أفضل ما يكون إذا كانت القوات بعيدة عن بعضها البعض عندما يُأمَر بالانسحاب. لن يكون هناك أي شيء أفضل في مثل هذه الحالة من توحيد القوى، والانسحاب التراكزي هو الطريقة الوحيدة لتنفيذ ذلك.

الطريقة الخامسة المشار إليها ليست سوى نظام الخطوط المتباعدة المشهورة التي نسبتها إلى بولو Bulow، وقد عارضت هذه الطريقة بشدة في الطبعات السابقة من أعمالي، حيث اعتقدت عدم وجود سوء فهم بالنسبة لي فيما يخص آراءه حول هذا الموضوع أو فيما يتعلق بهدف نظامه. فهمت من تعريفه أنه أوصى الجيش المنسحب من أي موقع معين، بالانفصال إلى أجزاء وسلك الطرق المتباعدة، مع تحقيق هدف مزدوج يتمثل في الانسحاب بسهولة أكثر من العدو في المطاردة وإيقاف مسيرته من خلال تهديد أجنحته وخط الاتصالات الخاص به. لقد وجدت خطأً كبيراً في هذا النظام لسبب بسيط هو أن الجيش المهزوم أصبح ضعيفاً بما فيه الكفاية، وتقسيم القوات من الحماقة التي ستزيد من تفاقم الوضع في مواجهة عدو منتصر.

وقد حُظِي بولو بمدافعين يصرحون بأنني أخطأت في فهم المعنى المقصود، وأنه بمصطلح الخطوط المتباعدة لم يقصد الانسحاب على عدة طرق متباعدة، ولكن بدلاً من توجيه الجيش نحو مركز قاعدة العمليات أو مركز البلاد، يجب أن يكون متباعداً بالنسبة لمركز العمليات، وعلى طول خط الحدود من البلاد.

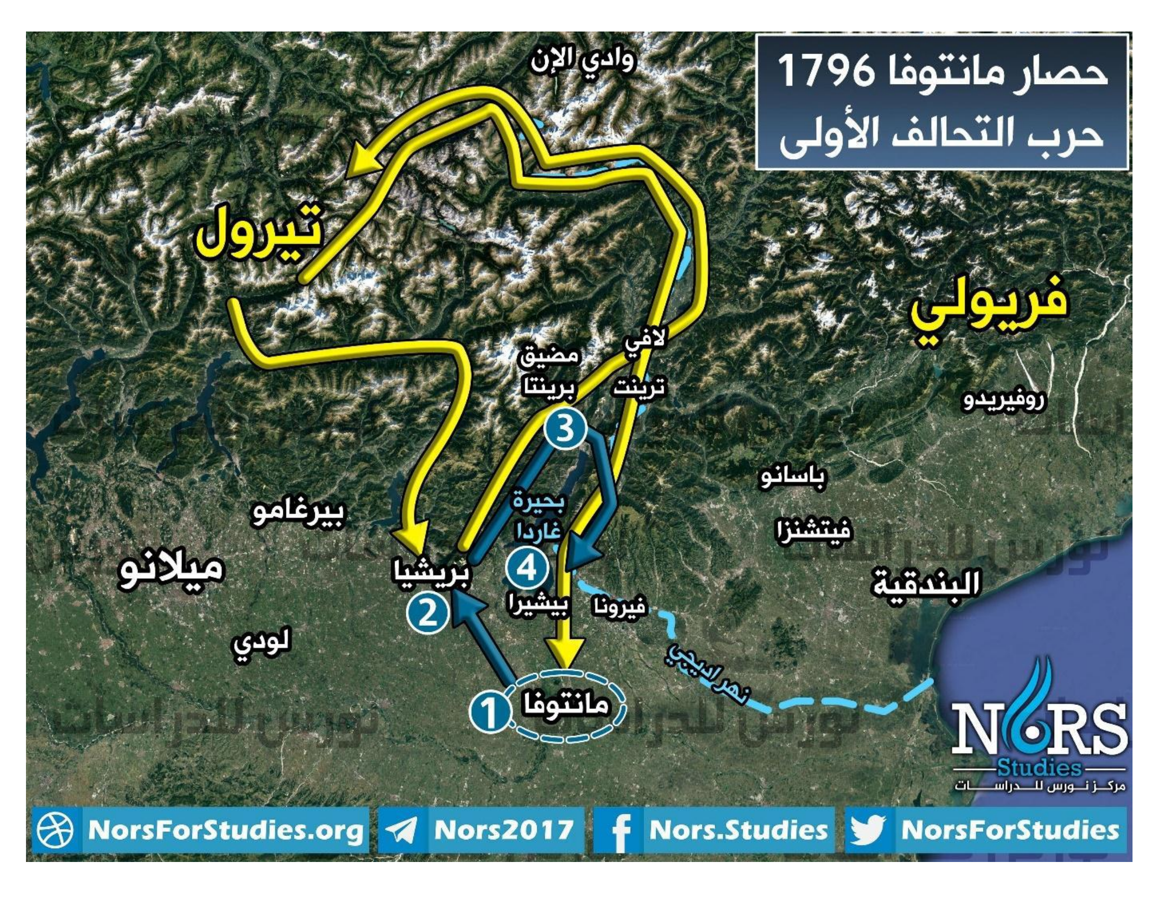
ربما أخطأت في الفهم بسبب لغته، وفي هذه الحالة أتراجع عن انتقادي. لأني أوصيت بشدة بهذا النوع من الانسحاب الذي أعطيته اسم الانسحاب الموازي. من وجهة نظري أن جيشاً تاركاً الخط الذي يؤدي من الحدود إلى مركز الدولة، بهدف الانتقال إلى اليمين أو اليسار، قد يسلك مسارًا موازٍ تماماً لخط الحدود، أو جبهة عملياته وقاعدته. يبدو لي أكثر عقلانية أن أعطي اسم الانسحاب الموازي لمثل هذه الحركة، مع بقاء مصطلح انسحاب متباعد لتلك الانسحابات التي تتم انطلاقا من الجبهة الاستراتيجية نحو طرق متباعدة.

لكن هذا الخلاف حول الكلمات هي نتيجة غموض نص بولو Bulow، وأجد خطأً واحداً فقط مع تلك الانسحابات، وهي تنفيذها على طول عدة طرق متباعدة، تحت ذريعة تغطية أكبر قدر من الحدود وتهديد جناحي العدو.

يعطي استخدام كلمة الأجنحة ذات الوقع الكبير، قدراً من الأهمية لأنظمة مخالفة بالكامل لمبادئ الفن. الجيش في حالة الانسحاب دائماً ما يكون في حالة سيئة، سواء جسدياً أو معنوياً؛ لأن الانسحاب لا يمكن إلا أن يكون نتيجة لهزيمة أو لقلة عدد. ألن يكون جيش كهذا أكثر ضعفاً بتقسيمه؟ لا أجد أي مشكلة في الانسحابات المنفذة في عدة أرتال لزيادة سهولة الحركة في حالة كون هذه الأرتال تسند بعضها البعض؛ لكنني أتحدث عن تلك التي تحدث على طول خطوط العمليات المتباعدة. افترض جيشاً من أربعين ألف جندي يتراجع أمام آخر من ستين ألفاً. إذا شكل الأول أربع فرق معزولة كل منها حوالي عشرة آلاف جندي، فيمكن للعدو أن يناور بمجموعتين كل منها ثلاثين ألف جندي. ألا يستطيع أن يلتف على خصمه ويطوق فرقه ويشتتها ويدمرها على التوالي؟ كيف يمكنهم الهروب من هذا المصير؟ الجواب هو بالتركيز. وهذا معارض تماماً للنظام المتباعد، فهذا الأخير يسقط تلقائياً.

لدعم آرائي استشهد بدروس مستفادة من الخبرة. عندما تم صد فرق الطليعة للجيش الفرنسي في إيطاليا من قبل وورمسر Wurmser جمعها بونابرت جميعاً في روفربيلا Roverbella. وعلى الرغم من أنه كان لديه أربعين ألف جندي فقط، إلّا أنّه حارب وانتصر على ستين ألفاً، لأنه كان عليه فقط أن يقاتل ضد الأرتال المعزولة. لو أنه نفذ انسحاباً متباعداً ماذا

كان سيحدث لجيشه وانتصاراته؟ بعد أن تم دفع ورمسر أول مرة، قام ورمسر بانسحاب متباعد، جاعلاً جناحيه نحو طرفي خطّ الدفاع. ماذا كانت النتيجة؟ دمرت ميمنته في تورينتو Trent على الرغم من كونها مسنودة على جبال التيرول. ثم هجم بونابرت على مؤخرة ميسرته ودمرها في باسانو Bassano ومانتوفا Mantua.



عندما تراجع الأرشيدوق تشارلز أمام الجهود الأولى للجيوش الفرنسية في 1796، هل أنقذ ألمانيا بحركة متباعدة؟ ألم يكن خلاص ألمانيا بتراجع تراكزي؟ استوعب مورو في الأخير (الذي تحرك بفرق معزولة على طول خطوط ممتدة للغاية) أن هذا النظام كان مدمراً له بامتياز في حال أنه صمد في أرضه وحارب أو نفذ انسحاباً بديلاً. ركز تشارلز قواته المتفرقة، وفشلت جميع جهود عدوه في وجود كتلة كان من الضروري مراقبتها طوال خط يصل طوله إلى مائتي ميل[367]. يجب أن يقطع هذا المثال النقاش[368].

[367] ذكرنا تفاصيل أكثر عن هذه الحملة ودور الخطوط الداخلية والخارجية فيها في الفصل الثالث في موضوع بحوث عن خطط العمليات في حروب الثورة الفرنسية.

[368] المؤلف: بعد عشر سنوات من هذا الدحض الأولي لفكرة بولو، أنقذ الانسحاب التراكزي لباركلي Barclay وبوغرشن Bagration الجيش الروسي. على الرغم من أنه لم يمنع انتصارات نابليون الأولى، إلا أنه في النهاية كان السبب وراء دماره. (ضمن حملة نابليون ضد روسيا)

هناك حالتان تكون فيها الانسحابات المتباعدة مقبولة، ولا تكون إلّا كحل أخير فقط وهما:

1. **عندما يتعرض جيش لهزيمة كبيرة في بلده، فتسعى الأجزاء المتناثرة من الجيش إلى الاحتماء داخل جدران الحصون.**
2. **في الحروب القومية، حين يتعاطف الشعب مع الجيش، فيمكن أن يعمل كل جزء من الجيش المنقسم بمثابة نواة للثورة في كل مقاطعة، ولكن في حرب منهجية بحتة مع الجيوش النظامية وتتم وفقاً لمبادئ الفن، تصبح الانسحابات المتباعدة بكل بساطة تحرك أحمق.**

لا يزال هناك اعتبار استراتيجي آخر بشأن اتجاه الانسحاب، من أجل تحديد متى يجب أن يتم بشكل عمودي على الحدود وفي اتجاه داخل البلاد، أو اتجاه موازي للحدود. على سبيل المثال عندما تخلى مارشال سولت (الفرنسي) عن خط جبال البيرينيه في عام 1814، كان عليه أن يختار أحد اتجاهين لانسحابه، إما عن طريق بوردو bordeaux نحو المناطق الداخلية من فرنسا، أو عن طريق تولوز Toulouse موازية للحدود المشكلة من جبال البيرينيه[369]. بنفس الطريقة، عندما انسحب فريدريك من مورافيا، سار نحو بوهيميا بدلاً من العودة إلى سيليزيا.

هذه الانسحابات الموازية غالباً ما تكون الأفضل، وذلك لكونها تحول العدو عن المسير نحو عاصمة الدولة ومركز قوتها. يجب تحديد مدى ملاءمة إعطاء مثل هذا الاتجاه للانسحاب من خلال شكل الحدود، ومواقع الحصون، وكبر أو قلة المساحة المتاحة لمسيرة الجيش، والتسهيلات لاستعادة الاتصالات المباشرة مع مركز الدولة.

إسبانيا مناسبة لاستخدام هذا النظام بشكل مذهل. إذا قام جيش فرنسي باختراق طريق بايون Bayonne، قد يثبّت الإسبان أنفسهم على بامبيلونا Pampeluna وسرقسطة، أو على ليون وأستورياس Asturias. وفي كلا الحالتين لا يستطيع الفرنسيون التحرك مباشرة إلى مدريد، لأن خط عملياتهم سيكون تحت رحمة خصمهم.

[369] حدث هذا الانسحاب خلال حرب شبه الجزيرة الإيبيرية منهية فرنسا بذلك احتلال إسبانيا.

تقدم حدود الإمبراطورية التركية على نهر الدانوب نفس المزايا إذا عرف الأتراك كيف يستفيدون منها.

في فرنسا أيضاً، يمكن استخدام الانسحاب الموازي، خاصة عندما لا تنقسم الأمة نفسها إلى حزبين سياسيين يسعى كل منهما جاهداً لاحتلال العاصمة. إذا كان الجيش المعادي يخترق جبال الألب يمكن للفرنسيين العمل على نهر الرون Rhone وساون Saone، والالتفاف عبر الحدود حتى نهر موزيل على جانب واحد، أو على المقاطعة من ناحية أخرى. إذا دخل العدو البلاد عن طريق ستراسبورغ Strasbourg أو مايانس Mayence أو فالنسيان Valenciennes، فإن الشيء نفسه يمكن فعله. سيكون احتلال العدو لباريس أمراً مستحيلاً، أو على الأقل شديد الخطورة طالما بقي الجيش الفرنسي في حالة جيدة وتمركز في دائرة من البلدات المحصنة. ينطبق نفس الأمر على جميع البلدان التي لها جبهات مزدوجة من العمليات[370].

ربما لم تكن النمسا محظوظة في موقعها، بسبب اتجاهات جبال الألب الراهيتية والتيروليانية ونهر الدانوب. ومع ذلك اعتبر لويد Lloyd بوهيميا وتيرول منطقتين محصنتين متصلتين بواسطة ستار قوي من نهر الإين Inn، وتعتبر هذه الحدود ملائمة بشكل جيد للغاية للانسحابات الموازية. هذا الرأي ناقض الواقع عند البعض في أحداث حملات 1800 و1805 و1809، ولكن بما أن الطريقة الموازية لم تخضع بعد لتجربة كافية على هذا الأساس فإن السؤال لا يزال مفتوحاً.

يبدو لي أن ملاءمة تطبيق الأسلوب الموازي يعتمد بشكل رئيسي على الظروف الحالية والسابقة لكل حالة. إذا كان على الجيش الفرنسي الاقتراب من نهر الراين عن طريق بافاريا، وأن يجد قوة من الحلفاء على ليخ Lech وإسير Iser، فسيكون توجه الجيش النمساوي كله إلى التيرول وإلى بوهيميا أمراً حساساً (دقيقاً) للغاية، مع التوقع بإيقاف الحركة الأمامية نحو

[370] المؤلف: في كل هذه الحسابات افترضت أن القوى المتنازعة متساوية تقريباً. إذا كان الجيش الغازي ضعف القوة الدفاعية فقد يتم تقسيمه إلى قسمين متساويين، يتحرك أحدهما مباشرة نحو العاصمة، بينما يطارد الآخر الجيش المنسحب على طول الحدود. وإذا كانت الجيوش متساوية فهذا الأمر مستحيل.

فيينا بهذه الطريقة. إذا تُرِك نصف الجيش النمساوي على نهر الإين لتغطية الطرق إلى العاصمة، فإن التقسيم السيء للقوة هو النتيجة. وإذا تقرر توجيه الجيش بأكمله إلى التيرول تاركاً الطريق مفتوحاً أمام فيينا، فسيعاني النمساويون من خطر كبير إذا كان العدو مندفعا. في إيطاليا وراء نهر منيشيو ستكون الطريقة الموازية صعبة التطبيق على جانب التيرول. وكذلك في بوهيميا ضد عدو يقترب من ولاية سكسونيا، لسبب أن مسرح العمليات سيصبح ضيقا للغاية.

في بروسيا استخدام هذا الانسحاب الموازي المتميز له ميزة كبيرة ضد جيش ينساح من بوهيميا نحو نهر إلبه أو أودر، في حين أن توظيفه سيكون مستحيلاً ضد جيش فرنسي يتحرك من نهر الراين، أو جيشاً روسياً من فيستولا، إلا إذا كانت بروسيا والنمسا حليفتين. وهذا ناتج من التكوين الجغرافي للبلد، والذي يسمح بل وحتى يفضل الحركات الجانبية في اتجاه أطول بعد(من ميميل Memel إلى مايانس) ولكن هذه الحركة ستكون كارثية إذا نفذت من دريسدن إلى Stettin ستيتين (شتيتين).

عندما يتراجع الجيش، أيا كان الدافع وراء ذلك، فإن المطاردة تتبع ذلك دائماً. حتى عندما ينفذ الانسحاب بأكثر الطرق مهارة والجيش في حالة جيدة، فإن ذلك يعطي تفوقاً للجيش المطارِد دائماً، وبالأخص بعد الهزيمة وعندما يكون مصدر الإمدادات والتعزيزات على مسافة بعيدة؛ ولذلك يصبح الانسحاب أكثر صعوبة من أي عملية أخرى في الحرب، وتزداد صعوباته بما يتناسب مع المهارة التي يظهرها العدو المطارِد.

بطبيعة الحال يعتمد الاندفاع وسرعة المطاردة على طبيعة القادة وعلى اللياقة البدنية ومعنويات الجيشين. من الصعب وضع قواعد ثابتة لجميع حالات المطاردات، ومع ذلك يجب أن نحفظ النقاط التالية:

1. من الأفضل بشكل عام توجيه المطاردة نحو أجنحة الأرتال المنسحبة، خاصة عندما يحدث الانسحاب في بلد المطارِد، وحيث لا يعاني من أي خطر في التحرك بشكل عمودي أو مائل على خط عمليات العدو. ومع ذلك يجب الحرص على عدم جعل حركة الالتفاف كبيرة للغاية حتى لا نفقد العدو المنسحب تماماً.

2. **يجب أن تكون المطاردة بشكل عام جريئة وسريعة قدر الإمكان، خاصة بعد الانتصار في معركة؛ لأن الجيش المنهار معنوياً يسهل تشتيته بالكامل إذا تمت مطاردته بقوة.**
3. هناك عدد قليل جداً من الحالات التي يكون فيها من الحكمة القيام بتكتيك الجسر الذهبي مع العدو[371]، بغض النظر عن ما يقوله المثل الروماني القديم. لأنه من النادر أن يتقبل الجيش ترك العدو ينسحب، إلا في حالة كان المطلوب من الجيش تحقيق انتصار صعب على عدو يتفوق عليه في الأعداد.

لا يوجد شيء نضيفه في موضوع الانسحابات، فيما يخص المواضيع المرتبطة بالتراكيب الاستراتيجية الكبرى. سنشير الآن إلى عدة إجراءات تكتيكية التي قد تجعل تنفيذ الانسحابات أكثر سهولة.

واحدة من أضمن الوسائل لجعل الانسحاب ناجحاً هو تعريف الضباط والجنود بفكرة أن من الممكن مقاومة العدو عندما يقترب من الخلف تماماً كما يقترب من الأمام، وأن الحفاظ على النظام هو الوسيلة الوحيدة لإنقاذ كتلة من القوات يتحرش بها العدو خلال حركة تراجعية. **والانضباط الصارم في كل الأوقات هو أفضل وسيلة لحفظ النظام، ولكنه ذو أهمية خاصة أثناء الانسحاب.** لفرض الانضباط يجب توفير الإعاشات، وألا تضطر القوات إلى الابتعاد لغرض الحصول على الإمدادات عن طريق النهب والسلب.

إنها خطة جيدة أن تولي قيادة الحرس الخلفي لضابط ذو رباطة جأش، وتلحق به ضباط في طاقمه يقومون (قبل التحرك) بفحص واختيار النقاط المناسبة لاحتلالها بغرض عرقلة العدو مؤقتاً. لدى سلاح الفرسان سرعة كبيرة في التحشد لدى الكتلة الرئيسية للجيش، مما يرغب في وجود مجموعات كبيرة من هذه القوات، حيث أنها تسهل إلى حد كبير تنفيذ انسحاب بطيء ومنهجي، وتساعد على الفحص الدقيق للطريق نفسه وللناحية، وذلك لمنع هجوم غير متوقع للعدو على أجنحة الأرتال المنسحبة.

وعادة ما يكون كافياً للحرس الخلفي أن يبقي العدو على مسافة مسيرة نصف يوم من الكتلة الرئيسية للجيش. سوف يتعرض الحرس الخلفي لخطر كبير بأن يتم عزله إذا كان أبعد من

[371] تكتيك الجسر الذهبي يتمثل في ترك ممر انسحاب آمن للعدو بغرض عدم إحكام الخناق عليه بحيث لا يدفعه للاستبسال في القتال حتى الموت.

هذه المسافة. غير أنه عندما تكون هناك ممرات ضيقة (شعب) في المؤخرة، وتُمسك بها قوات الصديقة فإنها قد تزيد من نطاق عملياتها وتبقى على بعد مسيرة يوم كامل عن المؤخرة؛ لأن السيطرة على الشِعب تسهل الانسحاب بنفس القدر الذي تجعله أكثر صعوبة إذا كانت تحت سيطرة العدو. إذا كان تعداد الجيش كبيراً جداً، وكان تعداد الحرس الخلفي كبيراً متناسباً مع الجيش، فمن الممكن أن تبقى المؤخرة على بعد مسيرة يوم إلى الخلف. ولكن هذا يعتمد على قوة المؤخرة وطبيعة الأرض وطبيعة وقوة المجموعة التي تطاردهم. إذا ضغط العدو عن كثب فمن المهم عدم السماح له بالقيام بذلك مع الإفلات من العقاب، خاصة إذا تم الانسحاب بتنظيم جيد. **في مثل هذه الحالة يكون من التخطيط الجيد التوقف من حين لآخر والهجوم بشكل غير متوقع على الحرس المتقدم للعدو**، كما فعل الأرشيدوق تشارلز عام 1796 في نيرسهايم Neresheim[372]، ومورو في بيبراخ Biberach[373]، وكليبر في أوكيراث Ukerath. هذه المناورة تنجح في غالب الأحيان، بسبب المفاجأة الناجمة عن هجوم مضاد غير متوقع على مجموعة من القوات التي لا تفكر في شيء آخر غير جمع الغنائم والنهب.

عبور الأنهار في الانسحابات هي أيضاً عمليات مهمة. إذا كان التيار ضيقاً وهناك جسور دائمة فوقه، فإن العملية ليست أكثر من عبور ممر ضيق (شعب)، ولكن عندما يكون النهر عريضاً ويجب أن يتم عبوره على جسر عسكري مؤقت، فإن ذلك يمثل مناورة شديدة الحساسية. من بين الاحتياطات التي يجب اتخاذها، ومن المهمة بمكان هي الحصول على مواقف متقدمة بمسافة كافية بحيث تكون بعيدة عن طريق الجيش. ولهذا الغرض من الجيد أن يتوقف الجيش على مسيرة نصف يوم من النهر. يجب أن يحافظ الحرس الخلفي أيضاً على مسافة من كتلة الجيش الرئيسية أبعد من المعتادة، على قدر ما ستسمح بذلك التضاريس (المكان) والقوى المتقابلة. قد يقوم الجيش بذلك عبر التحرك بطابور عبر الجسر

[372] شهدت معركة نيرسهايم (11 آب / أغسطس 1796) انتصاراً للجيش الفرنسي الجمهوري تحت قيادة جان فيكتور ماري مورو على جيش هابسبورغ النمساوي في أرشيدوق تشارلز. شن جيش تشارلز هجوماً ضد الفرنسيين الذين كانوا يطاردونه. في الوقت الذي شهد فيه الجناح اليساري النمساوي بعض النجاح، تحولت المعركة إلى حالة من الهزيمة وانسحب الأرشيدوق نحو بافاريا. حدثت هذه المعركة خلال حرب التحالف الأولى

373 حدثت المعركة في 2 أكتوبر 1796 بين جيش الجمهورية الفرنسية بقيادة مورو وجيش هابسبورغ النمساوي بقيادة أنتون كارل. توقف الجيش الفرنسي في انسحابه نحو نهر الراين ليحطم النمساويين. حدثت هذه المعركة خلال حرب التحالف الأولى، جزء من الحروب الثورية الفرنسية.

دون أن يسرع كثيراً. ينبغي تنظيم مسيرة الحرس الخلفي بحيث تكون قد وصلت إلى موقع أمام الجسر تماماً في اللحظة التي يعبر فيها آخر فرد من الجيش الرئيسي. وستكون هذه لحظة مناسبة لتبديل الحراسة الخلفية بقوات جديدة منشورة بمواقع جيدة مستطلعة سابقاً. سوف يمر الحرس الخلفي عبر القوات الجديدة في الموقع وسيعبر النهر. ويجد العدو القادم قوات جديدة جاهزة لخوض معركة ضده، ومن ثم لن يبذل جهداً شديداً للضغط عليهم. سيحافظ الحرس الخلفي الجديد على موقعه حتى الليل، ثم يعبر النهر ويدمر الجسور بعد عبورها.

من المفهوم بالطبع أنه كلما أسرع الجنود في العبور؛ كلما استطاعوا نصب بطاريات المدفعية على الضفة المقابلة من أجل حماية الفيلق المتبقي لعرقلة العدو.

إن مخاطر مثل هذا العبور في الانسحاب، وطبيعة الاحتياطات التي تيسره، تدعو إلى ضرورة اتخاذ التدابير دائماً برفع تحصينات في النقطة التي سيتم فيها بناء الجسر والعبور. حين لا يسمح الوقت لبناء رأس جسر نظامي، سيكون عدد قليل من الطابيات المسلحة جيداً وذات قيمة كبيرة في تغطية تراجع آخر القوات.

إذا كان عبور نهر كبير صعباً جدًا عندما يضغط العدو على مؤخرة الرتل فقط، فسيكون الأمر أكثر صعوبة عندما يكون الجيش مهدداً من الأمام والخلف، ويحرس العدو النهر.

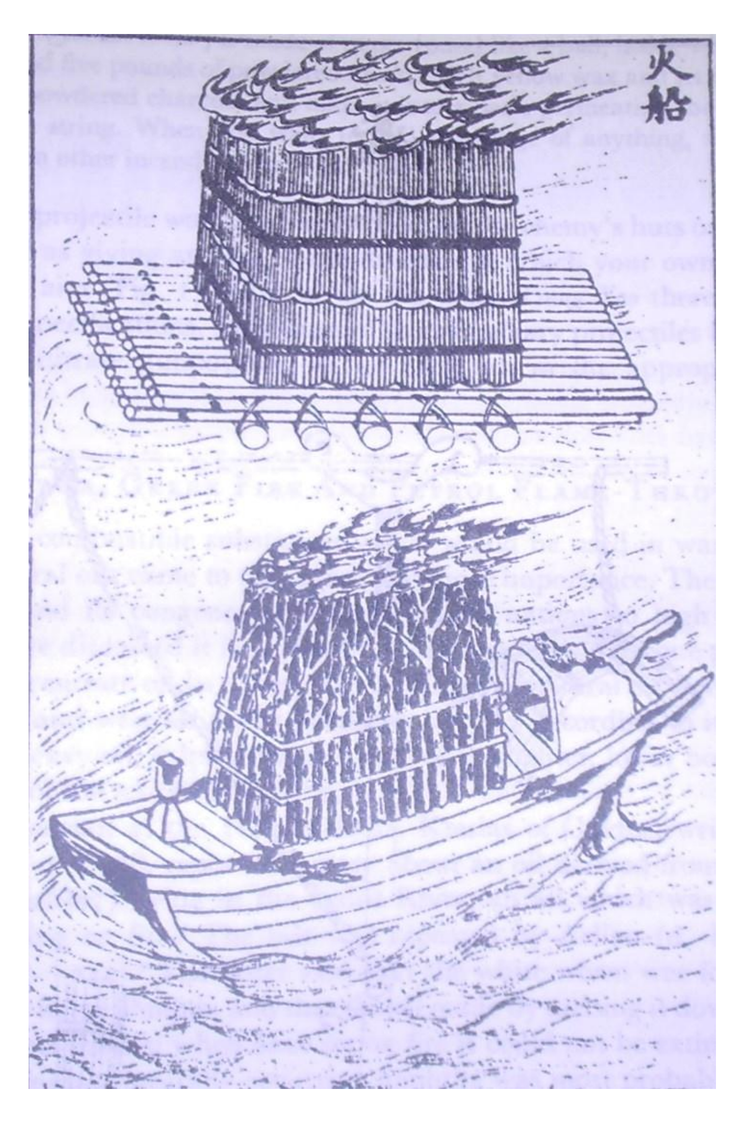
ويعتبر العبور الفرنسي الشهير في بيريسينا Beresina أحد أبرز الأمثلة على هذه العملية. لم يكن هناك ما هو أكثر بؤساً من هذا الجيش، ومع ذلك كانت عملية إخراجه الأكثر تميزاً ومهارة. ضغطت عليه المجاعة والبرد، وكان بعيداً بمسافة 1200 ميل عن قاعدة عملياته، وهاجمه العدو من الأمام والخلف، مع وجود نهر ذي ضفاف مستنقعية إلى الأمام، وتحيط بها الغابات الشاسعة، كيف يمكن الفرار؟ بالتأكيد دفع الجيش ثمناً باهظاً مقابل المجد الذي اكتسبه. خطأ الأدميرال تشيتشاغوف Tschitchagoff ساعد بلا شك في هروبه، لكن الجيش قام بأعمال بطولية، يجب أن يُثنى عليها. لا ندري أنعجب بخطة العمليات التي جلبت الجيوش الروسية من أطراف مولدافيا ومن موسكو ومن بولوتسك Polotzk إلى

بيريزينا للالتقاء بأمان، وهي خطة كادت أن تأسر عدواً عظيماً، أم نعجب بالصلابة الباهرة للأسد، الذي نجح في فتح طريق من خلال أعدائه[374].

القواعد الوحيدة التي يجب وضعها هي عدم السماح للعدو أن يضغط بشدة، وضرورة خداع العدو عن نقطة العبور، والهجوم بسرعة على الفيلق الذي يعترض الطريق قبل أن تأتي قوات العدو التي تطارد مؤخرة أرتال الجيش. لا تضع نفسك أبداً في موقع يسمح لك بالتعرض لمثل هذا الخطر؛ فالهروب في مثل هذه الحالة أمر نادر.

إذا كان على الجيش المتقهقر أن يسعى لحماية جسوره إما عن طريق رأس جسر نظامي، أو على الأقل من خلال خطوط من الطابيات لتغطية الحرس الخلفي، فمن الطبيعي أيضاً أن يسعى العدو إلى بذل كل الجهود لتدمير الجسور. عندما يتم الانسحاب من ضفة النهر، قد يتم رمي المنازل الخشبية في مجرى النهر، وكذلك سفن النار والطواحين من قبل العدو. وهي وسائل استخدمها النمساويون في عام 1796 ضد جيش جوردان، بالقرب من نيوفيد Neuwied على نهر الراين، حيث كادوا أن يقضوا على جيش سامبر Sambre وميوز Meuse. فعل الأرشيدوق تشارلز الشيء نفسه في إسلنغ Essling في 1809. كسر الجسر فوق نهر الدانوب، وجلب نابليون إلى حافة الدمار.

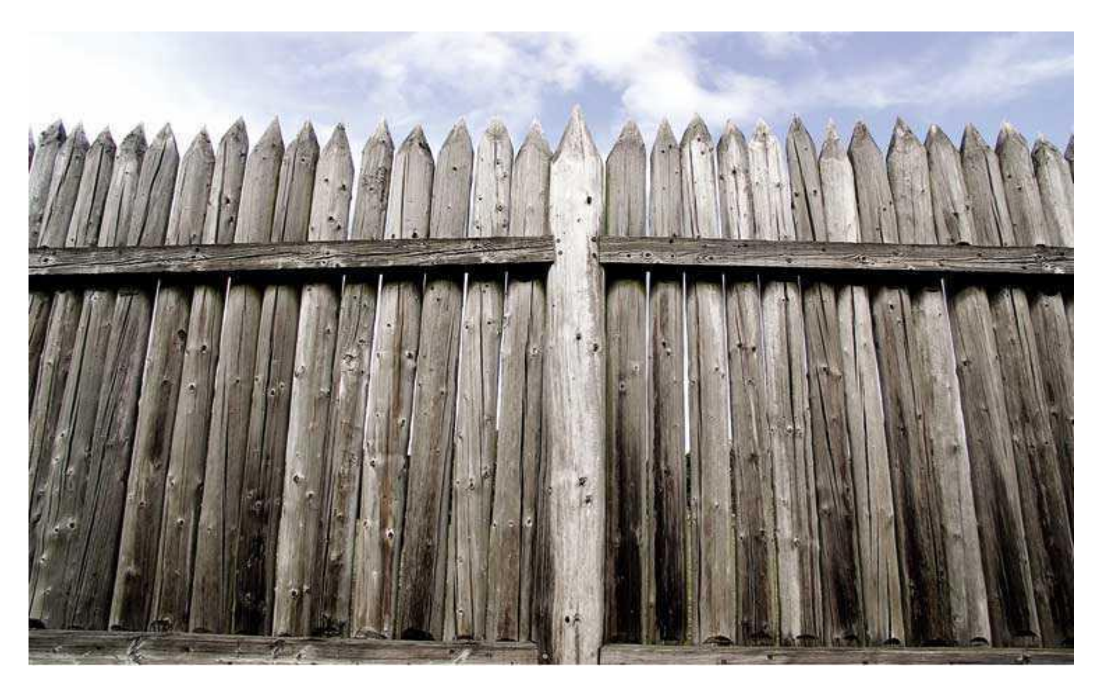
[374] وقعت معركة بيريزينا (أو بيريسينا) في الفترة من 26-29 نوفمبر 1812 بين جيش نابليون الأول الفرنسي، منسحباً بعد غزوه لروسيا قرب بوريسوف في روسيا البيضاء، والجيوش الروسية تحت قيادة كوتوزوف ميخائيل وبيتر فيتجنشتاين والأدميرال بافل تشيتشاغوف. عانى الفرنسيون خسائر فادحة جدا لكنهم تمكنوا من عبور النهر وتجنب الوقوع في الفخ. حاول الروس إطباق الحصار على ما تبقى من جيش نابليون الكبير من 3 جهات قبل أن يعبر نهر بيريزينا، من الشرق كوتوزوف قادما من موسكو يقود 80000 جندي، وتشيتشاغورف من الجنوب قادما من مولدافيا يقود 34000 جندي، وفيتجنشتاين من الشمال يقود 30000 جندي. استطاع تشيتشاغورف من تدمير الجسر في بورسوف وحصر نابليون في الضفة الشرقية للنهر حتى أيقن نابليون بالهلاك مما دفعه لإحراق أوراق الدولة وراياته. عمل نابليون بخطة ذكية على خداع تشيتشاغورف موهما إياه بمحاولة بناء جسر جديد جنوب بورسوف بستة أميال محدثا ضجيجا متعمدا ومن ثم وقع تشيتشاغورف بالفخ وسحب قواته نحو الجنوب. استغل الفرنسيون ذلك وحاولوا بناء 3 جسور تم منها اثنين في مخاضة قرب ستودنكا شمال بورسوف. بعد العبور استطاع نابليون تشكيل رأس جسر قوي وتركيز بطاريات مدفعيته حتى استطاع دفع تشيتشاغورف عن طريقه متجهاً غرباً نحو فيلنا.



سفن النار[375]

من الصعب تأمين جسر ضد مثل هذه الهجمات، ما لم يكن هناك وقت لوضع حاجز (خط من القضبان مغروزة) stockade فوقها. قد ترسو القوارب مزودة بالحبال وخطافات الصيد لمسك المواد الطافية ومزودة بوسائل لإطفاء زوارق النار.

[375] سفن النار هي سفن تملأ بالمواد القابلة للاحتراق، ويشغل فيها الحريق عن عمد وتوجه نحو أسطول العدو، من أجل حرق السفن أو لخلق حالة من الذعر عند العدو.



stockade

الموضوع التاسع والثلاثين: معسكرات الإيواء (cantonments) عند المسير أو عند تأسيسها في مساكن الشتاء

لقد كُتِب الكثير عن هذه النقطة، واتصاله بموضوعي غير مباشر للغاية، فسأتكلم عنها باختصار شديد.

إن الحفاظ على جيش في معسكرات الإيواء، في حرب مستمرة بقوة هو أمر صعب للغاية مهما كان تنظيمهم متصلاً، وتبقى هناك دائماً نقطة معرضة لهجمات العدو. إن البلدان التي تزخر فيها المدن الكبيرة مثل لومبارديا وساكسونيا وهولندا وسوابيا وبروسيا القديمة تقدم المزيد من التسهيلات لإنشاء المساكن أكثر من تلك الدول التي تكون فيها البلدات قليلة؛ ففي الحالة الأولى لا يكون لدى القوات إمدادات كافية من الطعام فحسب، بل حتى الملاجئ التي تسمح بإبقاء فرق الجيش قريبة من بعضها البعض. في بولندا وروسيا وأجزاء من النمسا وفرنسا وفي إسبانيا وفي جنوب إيطاليا يصعب وضع الجيش في المساكن الشتوية.

في السابق كان من المعتاد أن يذهب كل طرف إلى المساكن الشتوية في نهاية أكتوبر، وبعد ذلك الوقت كان القتال ذا طابع حرب عصابات وينفذ من قبل القوات المتقدمة التي تتموضع في نقاط متقدمة.

تعتبر مباغتة المساكن الشتوية النمساوية في منطقة الألزاس العليا في عام 1674 من قبل تورين (الفرنسي) مثالاً جيداً، يمكن من خلاله تعلم أفضل الطرق لإجراء مثل هذه المبادرة، والاحتياطات الواجب اتخاذها على الجانب الآخر لمنع نجاحها[376].

يبدو لي أن أفضل القواعد التي يجب وضعها حول هذا الموضوع هي ما يلي:

1. يجب إنشاء معسكرات إيواء متراصة للغاية ومتصلة وتحتل حيزاً عرضها بقدر طولها، وذلك لتجنب وضع القوات في خط طويل جداً، والذي يمكن اختراقه بسهولة دائماً ولا يمكن تركيزه في الوقت المناسب.
2. يجب وضع القوات بمكان محمي بنهر، أو حمايتهم بخط أول من الأكواخ تتحصن بها قوات حماية، مع تعزيز مواقعها بالتحصينات الميدانية.
3. يجب تحديد نقاط التجمع التي يمكن الوصول إليها من قبل جميع القوات قبل أن يتمكن العدو من الاختراق وصولاً إليها.
4. إرسال دوريات من سلاح الفرسان باستمرار على جميع مقتربات معسكر الإيواء التي قد يسلكها العدو.
5. وضع إشارات إنذار إذا حدث هجوم في أي مكان.

في شتاء عام 1807 أنشأ نابليون لجيشه معسكراً للإيواء وراء نهر الباسارج Passarge في مواجهة العدو، وكان حرس المقدمة بمفردهم يسكنون في أكواخ بالقرب من مدن أوستيرود Osterode وغوستاد Gutstadt ومدن أخرى. بلغ تعداد الجيش أكثر من مائة وعشرون ألف رجل، وكان الأمر يتطلب مهارة كبيرة في إطعامهم وإبقائهم مرتاحين في هذا الموقع حتى يونيو. كانت طبيعة الأرض مناسبة، لكن لا يمكن توقع أن يكون هذا هو الحال في كل مكان[377].

[376] حدثت هذه الأحداث في الحملة الشتوية لتورين خلال الحرب الفرنسية الهولندية من 1672 - 1678 خلال شتاء عام 1764 خيم النمساويون في كولمار في مساكن الشتاء، وتوقعوا كعادة الجيوش في ذلك الزمان أن يأوي الفرنسيون إلى مساكنهم. إلا أن المفاجأة الاستراتيجية التي حققها الفرنسيون اعتمدت على تطور نظام الامداد لديهم وإعادة هيكلته في ذلك العام بحيث أصبح من الممكن لهم القيام بحملة عسكرية في أي فصل من السنة. خلال ديسمبر 1674 ويناير 1675، قاد تورين القوات الفرنسية بمسيرة التفافية (محققا بذلك مفاجأة تكتيكية كذلك) أسفرت عن هزيمة جيش النمساويين في معركتي ميلوز وتوركيم وطردهم من الألزاس.

[377] كان ذلك ضمن حرب التحالف الرابعة، قبل معركة إيلاو.

قد يجد جيش مؤلف من مائة ألف جندي أنه من السهل للغاية وضع نظام متراص ومتصل لمساكن الشتاء في البلدان التي تكثر فيها المدن الكبيرة، وتزيد الصعوبة مع زيادة حجم الجيش. ومع ذلك يجب ملاحظة أنه إذا زادت مساحة الأرض المشغولة بما يتناسب مع أعداد الجيش، فإن وسائل معارضة اختراق العدو تزداد صعوبة بنفس النسبة. الأمر المهم هي أن تكون قادراً على جمع خمسين ألف أو ستين ألف رجل في أربع وعشرين ساعة. مع وجود جيش في متناول اليد ومع ضمان زيادة أعداده بسرعة، فمن الممكن تأخير العدو مهما كانت قوته حتى يتم تجميع الجيش بأكمله.

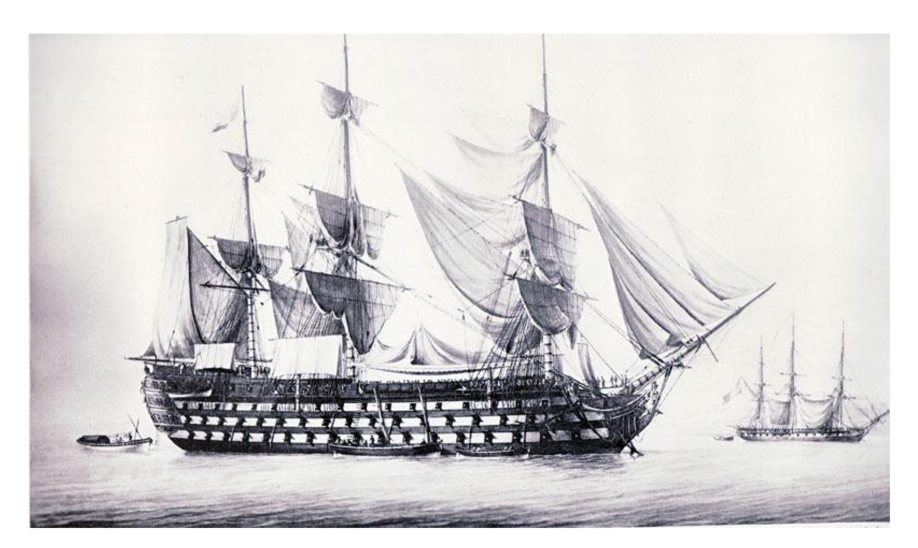
مهما يكن يجب الاعتراف بأنه سيبقى هناك دائماً خطر في الدخول إلى مساكن الشتاء إذا أبقى العدو جيشه محتشداً في كتلة واحدة وله استعداد في القيام بتحركات هجومية. والخلاصة التي يمكن استخلاصها من هذه الحقيقة هي أن الطريقة الوحيدة لإعطاء ضمانة آمنة للجيش في الشتاء أو في خضم الحملة هي إقامة مساكِنَهُ في مواقع محمية بنهر، أو ترتيب هدنة.

في المواقع الاستراتيجية التي يتخذها الجيش في سياق حملة، سواء كانت للمسيرة أو للمراقبة أو لانتظار فرصة مواتية للقيام بهجوم، فإنه من المحتمل أن يشغل الجيش معسكرات إيواء متراصة للغاية. إن اختيار مثل هذه المواقع يتطلب خبرة كبيرة من جانب الجنرال، حتى يتمكن من التوصل إلى توقعات صحيحة حول ما قد يفعله العدو. يجب على الجيش أن يحتل مساحة كافية تمكنه من الإعاشة بسهولة، كما ينبغي أن يحتفظ بأكبر قدر ممكن من التركيز، وأن يكون مستعداً للعدو في حال أظهر نفسه. ولا يمكن التوفيق بين هذين الشرطين بسهولة. ليس هناك ترتيب أفضل من وضع فرق الجيش في مساحة تقارب شكل المربع، بحيث يمكن تجميعهم في أي وقت يظهر العدو فيه نفسه في حالة الضرورة. إذا تم وضع تسع فرق بهذه الطريقة على مسيرة نصف يوم من بعضها البعض فستتجمع في المركز خلال اثني عشر ساعة، ويجب مراعاة نفس القواعد في مساكن الشتاء.

الموضوع الأربعين: الإنزال

هذه عمليات نادرة الحدوث، ويمكن تصنيفها على أنها من بين أصعب العمليات في الحرب عندما تنفذ في وجود عدو مستعد.

منذ اختراع البارود والتغييرات التي أحدثت في القوات البحرية، أصبحت وسائل النقل لا حول لها ولا قوة بوجود السفن الحربية الضخمة ذات ثلاث طوابق المسلحة بمئات المدافع، فالجيش يمكن أن يحقق الإنزال فقط بمساعدة أسطول كبير من سفن الحرب التي يمكن أن تسيطر على البحر، على الأقل حتى يتم إنزال الجيش.



سفينة ذات ثلاث طوابق

قبل اختراع البارود كانت السفن الحربية وسائل نقل أيضاً. كانت السفن تتحرك بأريحية على طول السواحل باستخدام مجاذيف خفيفة. كان عدد السفن متناسباً مع حجم القوات التي سيتم إنزالها؛ وبغض النظر عن خطر العواصف يمكن ضمان ترتيب العمليات التي يتم إجراؤها من قبل الأساطيل كضمان سهولة ترتيب عمليات القوات البرية. لهذه الأسباب التاريخ القديم يعطينا أمثلة على إنزالات أكبر حجما من الإنزالات الحديثة.

نتذكر حملة الفرس على اليونان، حيث نقلوا قوات ضخمة على البحر الأسود والبوسفور والأرخبيل وهبطت في اليونان يقودها خشاريا وداريوس، والحملات العظيمة للقرطاجيين والرومان إلى إسبانيا وصقلية، وحملة الإسكندر في آسيا الصغرى، وحملة قيصر إلى إنجلترا

وأفريقيا، وحملة جرمانيكوس[378] Germanicus إلى مصب إلبه، والحروب الصليبية، وبعثات الشماليين[379] إلى إنجلترا وفرنسا وحتى إيطاليا.

منذ اختراع المدفع، كانت حملة فيليب الثاني البحرية المشروع الوحيد من النوع الكبير، إلى أن حاول نابليون غزو انجلترا في 1803. كانت جميع الحملات البحرية الأخرى قريبة. على سبيل المثال: مثل حملة تشارلز الخامس وسيباستيان من البرتغال إلى الساحل الافريقي، أيضاً العديد من الإنزالات للفرنسيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية ومصر وسانت دومينغو، وكذلك الانجليز إلى مصر وهولندا وكوبنهاغن وأنتويرب وفيلادلفيا. لم أذكر إنزال هوج Hoche الذي كان مزمعاً في إيرلندا لأنه فشل، وهو في الوقت نفسه مثال على الصعوبات التي تتم مواجهتها في مثل هذه المحاولات.

إن الجيوش الكبيرة التي تحتفظ بها الدول الكبرى في أيامنا تمنع الإنزالات من ثلاثين أو أربعين ألف جندي، باستثناء الدول الضعيفة؛ لأنه من الصعب للغاية العثور على وسائل لنقل مائة أو مائة وخمسين ألف جندي بمعداتهم الضخمة من المدفعية والذخائر والفرسان.

ومع ذلك، كنا على وشك رؤية حل للمشكلة الكبيرة في عملية إنزال قوة كبيرة، لو أن نابليون نقل مائة وستين ألف جندي من بولون إلى الجزر البريطانية، للأسف فشله في تنفيذ هذا العمل الضخم تركنا في جهل تام عن جواب هذا السؤال الخطير.

ليس من المستحيل جمع خمسين سفينة خطية[380] فرنسية في القناة عن طريق تضليل الإنجليز، هذا في الواقع ما كان على وشك أن يحدث، عندئذٍ لم يعد من المستحيل مع رياح مواتية العبور بأسطول بحري صغير في يومين وتنفيذ الإنزال. لكن ماذا كان سيحدث للجيش إذا تسببت العاصفة بتفريق أسطول السفن الحربية، واستطاع الإنجليز العودة بقوة إلى القناة وهزيمة الأسطول الفرنسي أو إجباره على العودة إلى موانئه؟

---

[378] جرمانيكوس (24 مايو 15 قبل الميلاد - 10 أكتوبر 19 ميلادي) كان أحد أفراد سلالة يوليوس وكلوديوس وجنرالاً بارزاً في الإمبراطورية الرومانية وعرف بحملاته في جرمانيا.

[379] الشماليين هم أقوام جرمانية استوطنت شبه الجزيرة الاسكندنافية قامت بغزوات على أوروبا بين عام 800-1200م.

[380] سفينة الخط أو سفينة خط المعركة Ship of the line هي نوع من السفن الحربية التي بنيت في القرن السابع عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر وهي مصممة بحيث تأخذ دور قتالي في التكتيك البحري المعروف باسم خط المعركة والذي تكون فيه السفن الحربية مصطفة على شكل خط لمواجهة السفن المعادية، ومع ظهور الطاقة البخارية وظهور البواخر في نهاية الأربعينيات من القرن التاسع عشر قل استخدام السفن الشراعية.

ستندم الأجيال القادمة على عدم تنفيذ هذه المهمة الكبيرة أو على الأقل عدم محاولة تنفيذها، لفقدان نموذج يفيد جميع الأجيال القادمة. مما لا شك فيه أن العديد من الرجال الشجعان كانوا سيموتون. ولكن ألم يُقتَل هؤلاء الرجال بلا فائدة على سهول شوابيا ومورافيا وقشتالة في جبال البرتغال وغابات ليتوانيا؟ كم سينال الرجل من المجد في حال مساهمته في إنهاء أعظم صراع من ناحية القوة والمهارات بين دولتين عظيمتين؟ على أية حال فإن الأجيال القادمة سوف تجد في الاستعدادات لهذا الإنزال واحدة من أثمن الدروس التي قدمها القرن الحالي لتُدرَّس للعسكريين والسياسيين. إن كل أنواع العمل التي تم إجراؤها على سواحل فرنسا من 1803 إلى 1805 ستكون من بين أهم المعالم التاريخية لنشاط وبصيرة ومهارة نابليون، ومن المستحسن الحذر في تعليمها للضباط الجدد. ولكن عندما نعترف بإمكانية النجاح لإنزال كبير على ساحل قريب جداً كقرب إنجلترا من بولون، فما هي النتائج التي ينبغي توقعها إذا خاض هذا الأسطول رحلة بحرية طويلة؟ كيف يمكن أن تبحر العديد من السفن الصغيرة لمدة يومين وليلتين؟ ما هي فرص نجاة العديد من القوارب الهزيلة عند الملاحة في البحار المفتوحة؟ وعلاوة على ذلك فإن المدفعية والذخائر الحربية والمعدات والمؤن والمياه العذبة التي يجب حملها مع هذا العدد الكبير من الجنود تتطلب عملاً هائلاً في التحضير ووسائل نقل كبيرة.

لقد أظهرت التجربة بوضوح الصعوبات التي تواجه مثل هذه الحملة حتى بالنسبة لثلاثين ألف جندي. من الحقائق المعروفة الواضحة أن الإنزالات يمكن أن تنفذ بعدد من الجنود في أربع حالات:

1. ضد المستعمرات أو الممتلكات البعيدة.
2. ضد الدول من الدرجة الثانية التي لا يمكن دعمها فوراً من الخارج.
3. لغرض إجراء مشاغلة مؤقتة، أو للسيطرة على موقع من المهم الاحتفاظ به لفترة من الوقت.
4. لغرض القيام بإشغال سياسي وعسكري في آنٍ واحد، ضد دولة انخرطت في حرب عظيمة، تعمل قواتها على مسافة بعيدة من نقطة الإنزال.

من الصعب وضع قواعد لعمليات هذه طبيعتها. التوصيات الوحيدة التي يمكنني تقديمها هي التالية:

1. خداع العدو عن موقع الإنزال.
2. اختر مكاناً ترسو فيه السفن في أمان وتهبط القوات كذلك.
3. ضخ أكبر قدر ممكن من النشاط في العملية، وقم بالاستيلاء على بعض النقاط الحصينة لحماية تقدم القوات أثناء نزولها.
4. ضع على الشاطئ جزءاً من المدفعية في الحال، لإعطاء الطمأنينة والحماية للقوات التي نزلت.

وُجدَت صعوبات كبيرة في مثل هذه العمليات بسبب حقيقة أن السفن لا يمكن أبداً أن تقترب من الشاطئ، ويجب أن تنزل القوات في القوارب والطوافات، وذلك يستغرق وقتاً طويلاً ويمنح العدو مزايا عظيمة. إذا كان البحر قاسياً فإن الجنود الذين سينزلون سيتعرضون لمخاطر كبيرة. ما الذي يمكن أن تفعله مجموعة من المشاة مزدحمة بالمراكب تقذفها الأمواج، وتصبح عادة بسبب مرض دوار البحر غير قادرة على الاستخدام السليم لأسلحتها؟

لا يسعني إلا أن أنصح الطرف المدافع بعدم تقسيم قواته أكثر من اللازم كمحاولة لحماية كل نقطة. من المستحيل أن نَصُفَّ البطاريات والكتائب على طول الساحل من أجل الدفاع عنه، ولكن يجب إغلاق المقتربات في الأماكن التي يجب حماية المنشآت الكبيرة فيها. يجب تنظيم الإشارات لإعطاء إشعار سريع للنقطة التي سينزل فيها العدو، ويجب تركيز جميع القوة المتاحة بسرعة، لمنع العدو من الحصول على موطئ قدم ثابت.

تضاريس السواحل لها تأثيرات كبيرة على الإنزالات وما يتبعها. هناك بلدان تكون فيها السواحل شديدة الانحدار وتوجد نقاط قليلة يسهل الوصول إليها بالنسبة للسفن وتنزل فيها القوات. فهذه الأماكن القليلة يمكن مراقبتها بسهولة من قبل العدو أكثر من غيرها، وبذلك يصبح الإنزال أكثر صعوبة.

وأخيراً يمكننا الإشارة بما هو مفيد إلى اعتبار استراتيجي مرتبط بالإنزالات. نفس المبدأ الذي يحرّم على الجيش القاري حشر كتلة قواته بين العدو والبحر يحتم **(على العكس)** على الجيش الذي ينزل على الساحل بأن يحافظ على تواصل دائم بين كتلته الرئيسية مع الشاطئ، الذي هو خط انسحابه وقاعدة إمداده في نفس الوقت. وللسبب نفسه ينبغي أن نضمن امتلاك ميناء واحد محصّن أو على الأقل لسان أرض مناسب لمرسى جيد ويمكن تعزيزه بسهولة بواسطة التحصينات، وذلك في حالة حدوث هزيمة تصعد القوات في السفن من جديد دون عجل وخسارة.

الفصل السادس



الفصل السادس

اللوجستيات، أو الفن العملي لتحريك الجيوش

الموضوع الحادي والأربعين: بعض الملاحظات العامة عن اللوجستيات

هل اللوجستية ببساطة علم دقيق (اختصاصي)؟ أم هل هي على العكس من ذلك علم عام، تشكل أحد أهم أجزاء فن الحرب؟ أم أنها مجرد مصطلح، تم تكريسه من خلال استعماله لفترة طويلة، يهدف إلى تحديد وجمع الفروع المختلفة لمهام الأركان، أي هي الوسائل المختلفة للقيام في الواقع بالتراكيب النظرية لهذا الفن؟

ستبدو هذه الأسئلة شاذة بالنسبة لأولئك الأشخاص الذين هم على قناعة راسخة بأنه لم يبق موضوع لنتكلم فيه عن فن الحرب، ويعتقدون أنه من الخطأ البحث عن تعريفات جديدة حيث كل شيء بالفعل تم تعريفه بدقة. من ناحيتي، أنا مقتنع بأن التعاريف الجيدة تؤدي إلى أفكار (مفاهيم) واضحة، مع إقراري ببعض الصعوبات في الإجابة على هذه الأسئلة التي تبدو بسيطة للغاية.

في الطبعات السابقة لهذا الكتاب احتذيت بالكتاب العسكريين الآخرين، وأطلقت مصطلح اللوجستي على تفاصيل مهام الأركان، التي هي موضوع لوائح الخدمة الميدانية والتعليمات الخاصة المتعلقة بهيئة ضباط الإمداد والتموين quartiermasters. كان هذا نتيجة لأحكام مسبقة تم تكريسها عبر الزمن. كلمة "لوجستيات" مشتقة كما نعلم من لقب اللواء ديس لوجاس des logis (المترجم باللغة الألمانية بكلمة "كوارتييرميستر Quartiermeister")، وهو ضابط كان من واجبه سابقاً أن يُسكِن القوات ويُخَيّمها، ويعطوي التوجيه لمسيرات الأرتال وينزلهم في أماكن على الأرض. كانت الخدمات اللوجستية محدودة للغاية، ولكن عندما بدأت تُشن الحروب بدون معسكرات، أصبحت التحركات أكثر تعقيداً، وكان لضباط الأركان وظائف موسعة أكثر. وبدأ رئيس الأركان في أداء واجب نقل تصورات الجنرال إلى أبعد النقاط في مسرح الحرب، وتزويده بالوثائق اللازمة لترتيب خطط العمليات. وتم استدعاء رئيس الأركان لمساعدة الجنرال في ترتيب خططه، ويقدم معلومات عن الخطط إلى

المرؤوسين في أوامر وتعليمات، ويشرحها ويشرف على تنفيذها بمجموعها وبتفاصيلها الدقيقة. لذلك كانت واجباته مرتبطة بجميع عمليات الحملة بشكل واضح.

ولكي يصبح رئيساً جيداً للأركان؛ فقد أصبح من الضروري على هذا النحو أن يتعرف الرجل على جميع فروع فن الحرب المختلفة. إذا كان المصطلح "اللوجستيات" يشمل كل هذا، فإن كتابي الأرشيدوق تشارلز، والبحوث المثيرة لجوبيرت Guibert ولاروش أيمون Laroche-Aymon وبوزمارد Bousmard وتيرناي Ternay كلها مجتمعة، بالكاد تكفي لإعطاء صورة غير مكتملة لماهية الخدمات اللوجستية؛ لأنها لن تكون أكثر ولا أقل من علم تطبيق كل المعارف العسكرية الممكنة.

يبدو مما قيل أن مصطلح اللوجستيات قديماً لا تكفي لتعيين واجبات ضباط الأركان، وأن الواجبات الحقيقية لهيئة من هؤلاء الضباط (إذا جرت محاولة لإعطائهم تعليمات مناسبة لأدائهم) يجب أن تحدد بدقة من خلال اللوائح الخاصة المتوافقة مع المبادئ العامة للفن. وينبغي للحكومات أن تتخذ الاحتياطات اللازمة لنشر لوائح مدروسة بعناية. ينبغي أن تحدد جميع واجبات ضباط هيئة الأركان، وأن تقدم تعليمات واضحة ودقيقة عن أفضل الطرق للقيام بهذه الواجبات.

كان لدى الأركان النمساوية سابقاً مثل هذه اللوائح الخاصة بحكومتهم، لكنها كانت إلى حد ما قديمة، وأكثر ملاءمة للطرق القديمة في شن الحروب من الطرق الحالية. هذا هو العمل الوحيد من هذا النوع الذي رأيته. هناك بلا شك أعمال أخرى، سواء المنشورة للعامة أو السرية لكن ليس لدي علم بوجودها. قام العديد من الجنرالات - على سبيل المثال غيرمورد Grimoard وثايباوت Thiebaut - بإعداد لوائح لضباط الأركان، وأصدرت الهيئة الملكية الجديدة لفرنسا مجموعات صغيرة من التعليمات، إلاّ أنه لا يمكن العثور في أي مكان على دليل كامل حول هذا الموضوع.

إذا اتفقنا على أن الخدمات اللوجستية القديمة لم تكن تتضمن إلاّ تفاصيل المسيرات والمخيمات، وعلاوة على ذلك فإن مهام ضباط الأركان في يومنا هذا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتراكيب الاستراتيجية الأكثر أهمية، فيجب الاعتراف بأن اللوجستيات تشمل جزء صغير

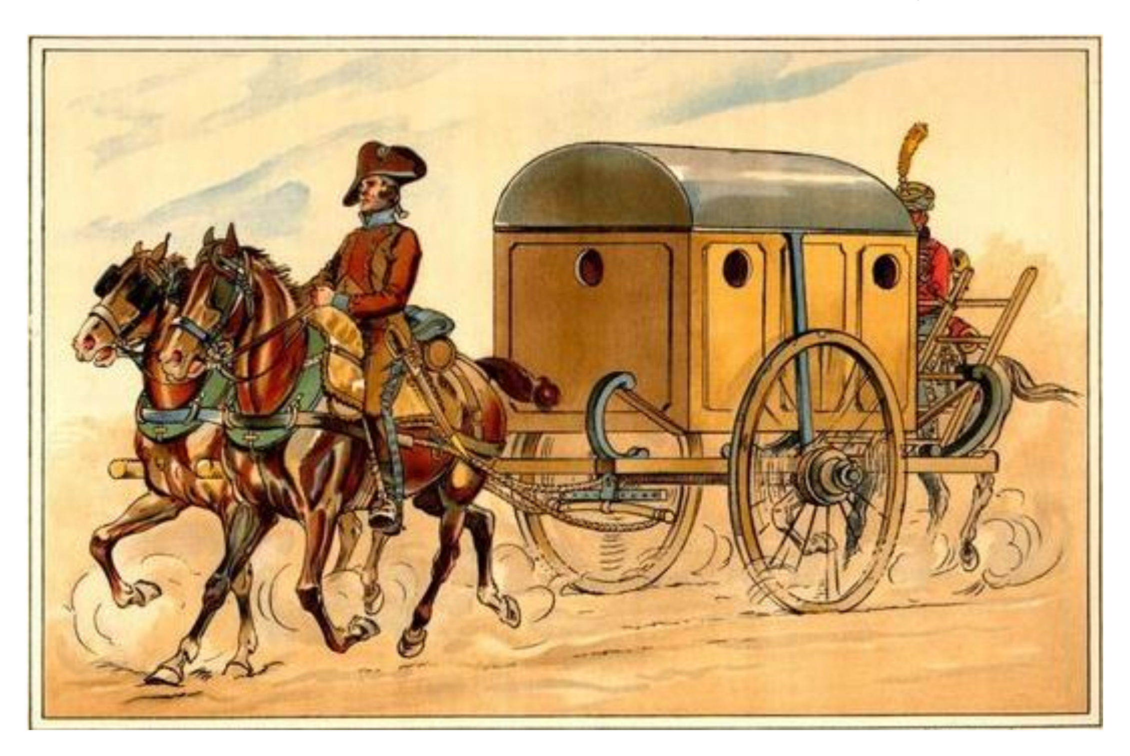
من واجبات ضباط الأركان فقط. وإذا احتفظنا بهذا المصطلح فلا بد أن يتم توسيعه وتطويره بشكل كبير في المضمون، بحيث لا يقتصر على واجبات ضباط الأركان العاديين فقط، بل يتضمن أيضاً واجبات القائد الأعلى.

لإقناع قرّائي بهذه الحقيقة، سوف أذكر النقاط الرئيسية التي يجب إدراجها إذا أردنا أن نحقق رؤية موحدة لكل الواجبات والتفاصيل المتعلقة بحركات الجيوش والمبادرات الناتجة عن هذه الحركات:

1. إعداد جميع المواد اللازمة لتحريك الجيش، أو بعبارة أخرى لبدء الحملة. إعداد الأوامر والتعليمات وخطوط السير لتجميع الجيش وانطلاقه بعد ذلك إلى مسرح العمليات.
2. كتابة أوامر القائد العام بطريقة سليمة لمختلف المبادرات، وكذلك رسم خطط الهجوم في المعارك المتوقعة.
3. ترتيب الإجراءات الواجب اتخاذها لضمان أمن المواقع التي سيتم استخدامها كمستودعات مع قادة المدفعية والمهندسين، وكذلك تلك التي سيتم تحصينها من أجل تسهيل عمليات الجيش.
4. إعطاء أوامر وتوجيهات عمليات الاستطلاع من كل نوع، واستخدام الجواسيس للحصول على المعلومات الدقيقة قدر الإمكان عن مواقع وتحركات العدو.
5. اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة للتنفيذ السليم للحركات التي يأمر بها الجنرال. ترتيب مسيرة الأرتال المختلفة بحيث يمكن للجميع التحرك بطريقة منظمة ومتصلة، والتأكد من أن الوسائل اللازمة لتأمين المسيرات وتسهيلها جاهزة، وتنظيم طريقة التوقف وأوقاتها.
6. فرض تشكيل مناسب لحرس المقدمة والمؤخرة والأجناب وجميع المفارز، وإعداد تعليمات جيدة لتوجيههم، وتوفير جميع الوسائل اللازمة لأداء واجباتهم.
7. وصف النماذج والتعليمات الخاصة بالقادة المرؤوسين (قادة الفيالق) أو ضباط أركانهم، فيما يتعلق بالطرق المختلفة لوضع القوات في أرتال عند اقتراب العدو بالإضافة إلى تشكيلهم بالطريقة الأنسب عندما يكون الجيش منخرطاً في معركة، وفقا لطبيعة الأرض وطبيعة العدو[381].

[381] المؤلف: أشير هنا إلى التعليمات والنماذج العامة، التي لا تتكرر كل يوم. فمثل هذا التكرار أمرٌ غير عملي

8. الإشارة إلى نقاط التجمع المنتقاة جيداً لحرّاس المقدمة والمفارز الأخرى في حالة تعرضهم لهجوم بقوة تفوقهم عدداً، وإبلاغهم بالدعم الذي قد يأملون في تلقيه عند الحاجة.
9. تنظيم مسيرة قوافل الأمتعة والذخائر والمؤن والمشافي الميدانية (عربات الإسعاف) والإشراف عليها، سواء كانت في الأرتال أو في المؤخرة، بحيث لا تتضارب مع تحركات القوات وتبقى قريبة، واتخاذ الاحتياطات لحفظ النظام والأمن سواء في المسيرات أو عند توقف القوافل ورصفها.



عربات الإسعاف في العصر النابليوني

10. تأمين الوصول المستمر لقوافل الإمدادات. جمع كل وسائل النقل للبلاد والجيش وتنظيم استخدامها.
11. توجيه إنشاء المخيمات واعتماد اللوائح الخاصة بسلامتهم وحسن تنظيمهم وقوة حماية المعسكر.
12. إنشاء وتنظيم خطوط العمليات والإمدادات، وكذلك خطوط الاتصالات مع هذه الخطوط للمفارز المؤلفة من فيالق. تعيين ضباط قادرين على تنظيم وقيادة مؤخرة الجيش. التأكد من سلامة المفارز والقوافل، وتزويدهم بتعليمات جيدة، والحفاظ على وسائل الاتصال المناسبة للجيش بقاعدته.

13. تنظيم استراحات للنقاهة والجرحى والمرضى والمستشفيات المتنقلة وورش التصليح وتأمين سلامتها.
14. الاحتفاظ بسجل دقيق لجميع المفارز، إما على الأجنحة أو في الخلف، ومراقبة تحركاتهم، والتأكد من عودتهم إلى رتلهم الرئيسي بمجرد إنجاز مهمتهم، ومنحهم عند الحاجة مركزاً للعمل، وتشكيلهم في احتياطيات استراتيجية.
15. تنظيم كتائب أو سرايا مُسيَّرة لجمع الجنود المعزولين أو المفارز الصغيرة المتحركة إما من الجيش إلى القاعدة أو من القاعدة إلى الجيش.
16. في حالات الحصار، إعطاء الأوامر على عمل القوات في الخنادق والإشراف عليها، مع اتخاذ الترتيبات اللازمة وتنسيقها مع قادة المدفعية والمهندسين فيما يخص الجهود التي ينبغي أن تقوم بها تلك القوات وإدارتها في عمليات الإغارة والهجوم.
17. في الانسحابات، اتخاذ تدابير احترازية للحفاظ على النظام، ونشر قوات جديدة لدعم وتخفيف الضغط على الحرس الخلفي (تبديلهم)، وتوجيه الضباط الفطنين في فحص واختيار المواقع المفيدة ليتمركز فيها الحرس الخلفي لمقاومة العدو وعرقلته، وبالتالي كسب الوقت، واتخاذ الترتيبات مسبقاً لحركة القوافل بحيث لا يترك عربة أو عتاد إلى الوراء وأن تمضي في أكمل نظام، مع اتخاذ جميع الاحتياطات المناسبة لضمان السلامة.
18. في معسكرات الإيواء، يتم توزيع الأماكن بين مختلف الفيالق، ويتم تعيين لكل فيلق للجيش موقعاً للتجمع في حالة الإنذار، واتخاذ التدابير لمراقبة الالتزام بشكل دقيق بجميع الأوامر والتعليمات واللوائح.

إن نظرة في هذه القائمة الطويلة – التي يمكن بسهولة أن نطيلها أكثر من خلال الدخول في التفاصيل أكثر – ستقود كل قارئ إلى ملاحظة أن واجبات القائد العام أكثر من كونها واجبات ضباط الأركان. **هذه الحقيقة أعلنتها للتو، وهي لغرض السماح للقائد العام بإيلاء اهتمامه الكامل للاتجاه العام للعمليات، ذلك بأنه ينبغي تزويده بضباط أركان مختصين لإراحته من تفاصيل التنفيذ. وبالتالي فإن واجباتهم مترابطة بالضرورة ارتباطاً وثيقاً للغاية. وويلٌ لجيش تتوقف فيه هذه القيادات عن التنسيق في العمل! وغالباً ما يحدث هذا الأمر،**

لأن الجنرالات بشر يخطئون، وثانياً لأنه في كل جيش توجد مصالح فردية وطموحات، تنتج تنافساً بين قيادات الأركان وتعيقهم عن أداء واجباتهم[382].

لن أضع في هذا البحث قواعد لتوجيه ضباط الأركان في جميع تفاصيل مهامهم المتنوعة لسببين؛ الأول، كل دولة لديها ضباط أركان بأسماء ومجموعة مهام مختلفة، بحيث أضطر إلى كتابة قواعد جديدة لكل جيش. الثاني، يتم شرح هذه التفاصيل بالكامل في الكتب الخاصة المتعلقة بهذه الموضوعات.

لذلك سأكتفي بالتوسع في بعض الموضوعات الأولى عن اللوجستيات المذكورة أعلاه:

1. تشمل التدابير التي يتعين على ضباط الأركان اتخاذها لإعداد الجيش للدخول في عمليات نشطة في الميدان جميع التدابير التي يحتمل أن تسهل نجاح خطة العمل الأولى. يجب عليهم بالطبع التأكد من خلال عمليات التفتيش المتكررة أن عتاد جميع صنوف الأسلحة في حالة جيدة. يجب أن يتم فحص الخيول والعربات وعربات الذخيرة (المتفجرات) والفرق وألجمة الخيل والأحذية ...الخ بعناية وأي نقص يجب تعويضه. يجب أن يتم فحص مواد بناء الجسور وقوافل الأدوات الهندسية وعتاد المدفعية وأدوات الحصار إذا كانت ستحرك وعربات الإسعاف (بمعنى آخر كل شيء يدخل تحت بند العتاد) بعناية وتوضع بترتيب جيد.

   إذا كانت الحملة ستبدأ في منطقة أنهار كبيرة، فيجب إعداد زوارق المدفعية وزوارق العبور، ويجب جمع جميع المراكب الصغيرة في النقاط وفي الضفة، حيث من المحتمل أن يتم استخدامها. ينبغي على الضباط النبيهين أن يتفحصوا النقاط الأكثر ملاءمة لكل من عمليات الركوب والإنزال، مع اختيار تلك المواقع التي تقدم أكبر فرص لنجاح الإنزال الأولي على الضفة المقابلة.

[382] المؤلف: يزعم كل من قادة المدفعية والمهندسين والمؤسسات الإدارية أنهم على صلة مباشرة بالقائد الأعلى، وليس مع رئيس الأركان. من الطبيعي ألا يكون هناك أي عائق أمام التواصل المفتوح بين هؤلاء الضباط الرفيعين والقائد الأعلى. ولكن يجب أن يعمل معهم بحضور رئيس الأركان، ويرسلوا له جميع مراسلاتهم. وإلا فإن الالتباس (الفوضى) أمر حتمي الوقوع.

سيقوم ضباط الأركان بإعداد جميع المسارات التي ستكون ضرورية لحركة عدة فيالق من الجيش إلى نقاط التجمع المناسبة، مع بذل كل الجهود لإعطاء التوجيهات للمسيرات التي يكون العدو غير قادر على معرفة المبادرة المزمعة منها.

إذا كانت الحرب هجومية، فيقوم ضباط الأركان مع الضباط المهندسين بترتيب أي تحصينات ستُقام بالقرب من قاعدة العمليات، واختيار الوقت المناسب لتشييد رؤوس الجسور أو المعسكرات المخندقة فيها. إذا كانت الحرب دفاعية، سيتم بناء هذه التحصينات بين خط الدفاع الأول والقاعدة الثانية.

2. من الفروع الأساسية لفرع اللوجستيات بلا منازع ما يتعلق بترتيب المسيرات والهجمات التي يحددها الجنرال ويكلف بها أشخاص مناسبون من جانب رؤساء الأركان. المؤهل التالي الأكثر أهمية للجنرال بعد معرفة كيفية رسم خطط جيدة هو من دون شك صياغة الأوامر بشكل واضح مما يسهل تنفيذ الأوامر. مهما كان العمل الحقيقي لرئيس هيئة الأركان، فإن عظمة القائد الأعلى ستظهر دائماً في خططه. ولكن إذا كان القائد يفتقر إلى القدرات فيجب على رئيس الأركان تعويضها بقدر ما يستطيع، مع وجود التفاهم والتنسيق بينه وبين القائد المسؤول.

لقد رأيت طريقتين مختلفتين للغاية في هذا الفرع من الخدمة. الطريقة الأولى والتي قد تمثل المدرسة القديمة، تتمثل في إصدار –لتنظيم تحركات الجيش– تعليمات عامة يومية مقرنة بتفاصيل دقيقة إلى حد التكلف والتحذلق، وفي غير محلها لدرجة عنونتها إلى قادة الفيالق الذين من المفترض أن يكونوا من ذوي الخبرة الكافية حتى لا يحتاجوا إلى نفس نوع التعليمات التي تُعطَى للدارسين المبتدئين الخارجين من المدرسة العسكرية.

الطريقة الثانية تتمثل في الأوامر الخاصة بكل ضابط كما كان يفعل نابليون مع قادته، يصف لكل واحد منهم ببساطة ما يخصه، ويخبره فقط بالفيلق الذي سينسق معه، إما على ميمنته أو ميسرته، ولكن لا يشير أبداً إلى مجموع عمليات الجيش كلها[383]. لدي أسباب وجيهة للقول أنه قام بذلك عن قصد، إما لإحاطة عملياته بجو من الغموض، أو خشية أن تقع الأوامر التفصيلية في أيدي العدو مما يساعدهم على إفشال خططه.

[383] المؤلف: أرى أنه عند عبوره لنهر الدانوب أمام فاغرام، وعند بداية الحملة الثانية عام 1813، انحرف نابليون عن عادته المعتادة مصدرا أوامر عامة.

من المؤكد أنه من الأفضل أن يُبقي الجنرال على خططه سرية. **كان فريدريك الثاني على صواب عندما قال أنه إذا عرفت قبعة نومه ما يدور في رأسه فسيرميها في النار.** كان هذا النوع من السرية ممكناً عملياً في زمن فريدريك، عندما كان جيشه كله محيط به عن قرب. ولكن عندما يتم تنفيذ مناورات باتساع مناورات نابليون ويتم شن الحرب كما هو الحال في عصرنا، فما هو التنسيق المتوقع في العمل من الجنرالات الذين هم جاهلون تماما بما يجري من حولهم؟

من هذين النظامين يبدو أن الأخير هو الأفضل. ويمكن تبني وسيلة حكيمة بين الإيجاز المبهم لنابليون وبين الإطناب الدقيق التي قد توضع لجنرالات من ذوي الخبرة مثل باركلي Barclay وكليست Kleist وفيتجنشتاين Wittgenstein من توجيهات دقيقة حتى لتشكيل السرايا والفصائل وتشكيل خط المعركة مرة أخرى، وفوق ذلك هو هراء مثير للسخرية لأن تنفيذ مثل هذا الأمر في وجود العدو أمر غير عملي. في اعتقادي سيكون من الكافي في مثل هذه الحالات إعطاء الأوامر الخاصة لكل جنرال بما يخص فيلقه، وإضافة بضعة أسطر مشفرة فيما يتعلق بالخطة الكاملة للعمليات بإيجاز، والجزء الذي سيتولاه كل منهم في تنفيذه. في حال لم يتم إعداد تشفير مناسب قد يتم إرسال الأوامر شفهياً بواسطة ضابط قادر على فهمها وتكرارها بدقة. عندئذٍ لا خوف من إفشاء أحمق للأسرار، وسيتم ضمان توحيد وتنسيق العمل.

3. يتم تجميع الجيش ورفع جاهزيته للقيام بمبادرة ما، الأمر المهم هنا هو تأمين أكبر قدر ممكن من التنسيق والدقة في العمل، مع أخذ كل الاحتياطات المعتادة للحصول على معلومات دقيقة عن المسار المتبع وتغطية التحركات بأكملها.

هناك نوعان من المسيرات، تلك التي تنفذ بعيداً عن أنظار العدو، وتلك التي تنفذ في حضوره، إما تقدماً أو تراجعاً. شهدت هذه المسيرات تغييرات كبيرة في السنوات الأخيرة. في السابق نادراً ما يحدث الصدام بين الجيوش قبل مرور عدة أيام من التقائها في ساحة المعركة، ويتم خلال ذلك فتح الطرق من طرف المهاجم من قبل ممهدي الطرق pioneers للأرتال لتتقدم بموازاة بعضها البعض. في الوقت الحاضر يتم الهجوم بشكل أسرع، وعادةً ما تحقق الطرق الحالية جميع الأغراض. ومع ذلك فإنه من الأهمية بمكان، عندما يتحرك

الجيش أن يرافق ممهدو الطرق pioneers والمهندسين العسكريين sappers حرس المقدمة، لزيادة عدد الطرق السالكة ولإزالة العوائق ولوضع الجسور الصغيرة فوق الجداول ... الخ إذا لزم الأمر، وتأمين وسائل الاتصال السهلة بين مختلف فيالق الجيش.

وبطريقة السير الحالية يصبح حساب الأوقات والمسافات أكثر تعقيداً، فالأرتال التي لكل منها مسافة مختلفة لتعبرها، وفي تحديد ساعة رحيلها وإعطائها تعليمات يجب مراعاة التفاصيل التالية:

- المسافات التي يتعين عبورها.
- كمية العتاد في كل قافلة.
- طبيعة البلاد (الأرض).
- العوائق التي وضعها العدو في الطريق.
- ضرورة إخفاء المسيرة من عدمها.

في ظل الظروف الحالية فإن أضمن وأبسط طريقة لترتيب تحركات الفيالق الكبيرة التي تشكل أجنحة جيش، أو كل تلك الفيالق التي لا تسير مع الرتل الملحق بالمقر العام، ستكون في تفويض هذه التفاصيل لخبرة الجنرالات الذين يقودون تلك الفيالق، مع الحرص مهما يكن لأن يفهموا بدقة ما هو المتوقع منهم. عندئذ سيكون كافياً أن يشار لهم إلى النقطة التي يجب الوصول إليها، والهدف الذي يجب تحقيقه، والطريق الذي يجب سلوكه والساعة الواجب أن يصلوا فيها. يجب أن يتم إخبارهم بالفيالق التي تسير معهم إما على نفس الطريق أو على الطرق الجانبية إلى اليمين أو اليسار لكي ينظموا أنفسهم وفقاً لذلك؛ يجب أن يتلقوا أي أخبار عن أي تواجد للعدو، وأن يكون لهم خط انسحاب مخصص لهم[384].

كل تلك التفاصيل اليومية التي تصف لرؤساء الفيالق طريقة تشكيل أرتالهم ووضعها في موقعهم هي مجرد تحذلق وتنطع، وضررها أكثر من نفعها. من الضروري جعل مسيراتهم

[384] لم يفعل نابليون ذلك أبداً، لأنه رأى أنه لا ينبغي على أي جنرال أن يفكر أبدا في إمكانية تعرضه للهزيمة. بالتأكيد هو إجراء احترازي عديم الفائدة في العديد من المسيرات. لكنها غالبًا لا يُستغنَى عنها.

المعتادة وفقا للوائح أو العرف السائد وتركهم أحراراً في ترتيب تحركاتهم؛ مع إلزامهم في الوصول إلى المكان والزمان المحددين، تحت طائلة معاقبتهم بالعزل من القيادة إذا فشلوا في ذلك دون سبب مقنع. على أية حال في الانسحابات التي يتم إجراؤها على طول طريق واحد من قبل جيش مقسم إلى فرق يجب تنظيم ساعات المغادرة والتوقف بعناية.

يجب أن يكون لكل رتل حرس مقدمة وأجناب خاص به، بحيث يمكن إجراء مسيرته مع الاحتياطات المعتادة. إنه من الملائم أيضاً حتى عندما يسيروا في خط ثاني أن يسبق رأس كل رتل عدد قليل من الممهدين للطرق والمهندسين العسكريين، ومزودين بأدوات لإزالة العوائق أو إجراء إصلاحات في حالة وقوع حوادث، يجب أن يرافق عدد قليل من هؤلاء العمال كل قافلة. على نحو مماثل يجب أن تتوفر قافلة لنقل ركائز جسور خفيفة.

4. غالباً ما يسبق الجيش في المسيرة حرس مقدمة يتبع لعموم الجيش، أو كما هو أكثر استخداماً الآن في النظام الحديث لكل من القلب والجناحين حرس متقدم خاص به. من المعتاد للاحتياطيات والقلب أن يرافق القيادة العامة، وكذلك حرس المقدمة لعموم الجيش -إذا كان هناك- عادة ما يتبع نفس الطريق، بحيث يتم تجميع نصف الجيش على الطريق المركزي. في ظل هذه الظروف يجب إيلاء أقصى قدر من العناية لمنع عرقلة الطريق، في بعض الأحيان يتوجب القيام بهجوم في اتجاه إحدى الأجنحة بحيث ينقل الاحتياطي والقيادة العامة وحتى حرس المقدمة العام في هذا الاتجاه، في هذه الحالة يجب تطبيق جميع القواعد المعتادة التي تنظم مسيرة القلب نحو ذلك الجناح.
يجب أن يرافق حرس المقدمة ضباط أركان أكفاء، قادرين على تكوين تصور صحيح لتحركات العدو وإعطاء معلومات دقيقة عنها إلى الجنرال، وبالتالي تمكينه من وضع خططه على بصيرة. يجب على قائد حرس المقدمة مساعدة الجنرال بنفس الطريقة. يجب أن يتألف حرس المقدمة العام من قوات خفيفة من جميع الأسلحة، تحتوي على بعض من قوات النخبة في الجيش كجزء رئيسي، وعدد قليل من الفرسان (مشاة محمولين على الخيول) dragoons المستعدين للقتال سيراً على الأقدام، وبعض المدافع التي تجرها الخيول، وممهدي الطرق والمهندسين العسكريين، وركائز خفيفة وعوامات (لتركيب جسور عائمة) لعبور مجاري الأنهار الصغيرة، إضافة إلى الرماة الماهرين Marksman. يجب

أن يرافقهم ضباط مختصين بالطوبوغرافية، لرسم خريطة للأرض لمسافة ميل أو اثنين على كل جانب من الطريق. يجب دائماً إرفاق مجموعة من سلاح الفرسان غير النظاميين، للحفاظ على الفرسان النظاميين والعمل كمستطلعين، لأنهم الأنسب لهذه الخدمة.

5. مع تقدم الجيش وابتعاده عن قاعدته يصبح من الضروري إيجاد خط مناسب للعمليات والمستودعات تحفظ اتصال الجيش بقاعدته. وسيقوم ضباط الأركان بتقسيم المستودعات إلى قطاعات، حيث يتم إنشاء المستودع الرئيسي في المدينة التي يمكن إيداع أكبر قدر من المؤن فيها، ومن ثم تزويد أكبر عدد من الجنود. إذا كان هناك حصن مناسب فينبغي اختياره كموقع للمستودع الرئيسي.

يتم فصل المستودعات الثانوية بمسافات من 15 إلى 30 ميلاً، وعادة توزع حسب البلدات الموجودة. وسيبلغ متوسط المسافة بين 20 إلى 25 ميلاً. هذا سيضع خمسة عشر مستودعاً على خط ثلاث مائة ميل، والتي يجب أن تقسم إلى ثلاثة أو أربعة ألوية من المستودعات. سيخصص لكل واحد منها قائد ومفرزة من الجنود أو جنود في فترة نقاهة، الذين ينظمون ترتيبات لمساكن الجنود وإعطاء حماية لسلطات البلدة –في حال بقيت– ويقومون بتوفير مرافق لنقل رسائل البريد وحرس مرافقين لتوفير الحماية الضرورية لها. يفحص القائد الطرق والجسور ويتأكد من أنها في حالة جيدة. يجب توفير موقف لعدد من العربات في كل مستودع إن أمكن ذلك، ومن اللازم توفيرها في المقر الرئيسي في كل لواء. يجب أن تُعهد قيادة جميع المستودعات الموجودة بما فيها من فرق ضمن حدود جغرافية معينة إلى ضباط نبيهين وأصحاب كفاءة؛ حيث سيعتمد الجيش في كثير من الأحيان عليهم لحفظ الاتصالات[385]. **هذه القيادات بما تحتهم من فرق قد يصبحوا في بعض الأحيان احتياطيات استراتيجية،** كما هو موضح في الموضوع الثالث والعشرون؛ بعدد قليل من الكتائب القوية وبمساعدة من مفارز متحركة تتحرك باستمرار بين الجيش والقاعدة ستتم حماية طرق الاتصال.

[385] قد يتم الاعتراض بحجة أنه في بعض الحروب (حيث السكان معادين كما في الحروب القومية) يصبح من الصعب جداً أو غير العملي ترتيب المستودعات في خطوط. في مثل هذه الحالات سوف يتعرضون بالتأكيد لأخطار كبيرة. لكن هذه هي الحالات التي يصبح فيها هذا الترتيب ضرورياً للغاية، ويجب أن تكون الخطوط أكثر عدداً. صمد خط بايون Bayonne إلى مدريد لمدة أربع سنوات في وجه هجمات الغوار، على الرغم من حدوث عمليات استيلاء على القوافل في بعض الأحيان. في إحدى الأوقات تم تمديد الخط حتى قادس.

6. إن دراسة التدابير (النصف لوجستية والنصف تكتيكية) التي يتعين على ضباط الأركان اتخاذها من أجل تحويل القوات من نظام المسيرة إلى الأنظمة المختلفة للمعركة مهمة جداً، ولكنها تتطلب الدخول في تفاصيل دقيقة من هذا القبيل، فالأفضل المرور عليها مرور الكرام، مكتفياً بإحالة قراءي إلى الكتابات العديدة المكرسة لهذا الفرع من فن الحرب.

قبل أن أغادر هذا الموضوع الهام، ينبغي إعطاء بعض الأمثلة كإيضاحات للأهمية الكبيرة لنظام جيد من الخدمات اللوجستية. إحدى هذه الأمثلة هي التركيز الرائع للجيش الفرنسي في سهول جيرا في عام 1806 وبداية حملة عام 1815.

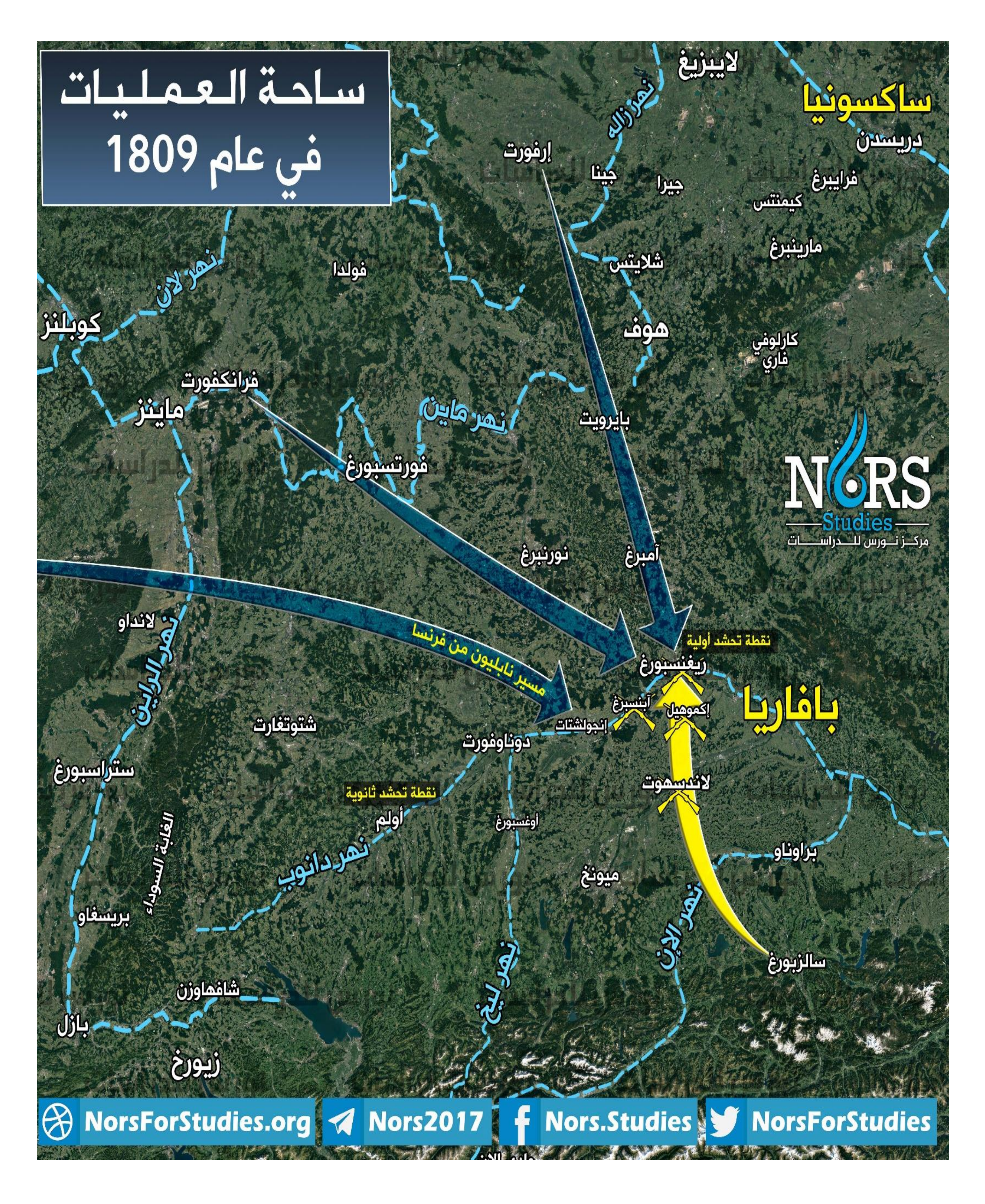
في كل من الحالتين، كان لدى نابليون القدرة على القيام بترتيبات تساعد على تركيز أرتاله، بدءاً من النقاط التي تفصل بينها مسافات بعيدة، وصولاً إلى النقاط الحاسمة في منطقة العمليات بدقة كبيرة؛ وبهذه الطريقة ضمن نجاح مصير الحملة. كان اختيار النقطة الحاسمة نتيجة لتطبيقه الماهر لمبادئ الاستراتيجية. والترتيبات الخاصة بنقل قواته تعطينا مثالاً على الخدمات اللوجستية التي نشأت من بنات أفكاره. لطالما زعموا أن بيرتييه[386] Berthier صاغ تلك التعليمات التي تم تصميمها بدقة كبيرة، وأن نابليون فهمها بدقة ونقلها بوضوح، لكن في أكثر من مناسبة اكتشفت أن هذا الأمر غير صحيح. كان الإمبراطور هو بنفسه رئيس أركان جيشه، وكان مزوداً بزوج من البوصلات مفتوحة على مسافة تتراوح بين سبعة عشر إلى عشرين ميلاً في خط مستقيم، (مع الأخذ بعين الاعتبار لانحناءات الطريق تصبح 22 إلى 25 ميلاً) منحنياً وفي بعض الأحيان ممتداً على طول خريطته، يضع عليها دبابيس بألوان مختلفة لتمييز مواقع فيالقه ومواقع عدوه المفترضة، وكان قادراً على إعطاء أوامر للقيام بتحركات كبيرة بيقين ودقة مذهلة. محركاً بوصلته من نقطة إلى أخرى على الخريطة، يقرر في لحظة عدد أيام المسير اللازمة لكل رتل من أرتاله للوصول إلى النقطة المطلوبة في يوم معين. بعد ذلك يضع دبابيس في المواقع الجديدة، مع الأخذ في الاعتبار سرعة السير التي يجب عليه تعيينها لكل رتل، وساعة رحيله، ويملي تلك التعليمات التي بمفردها كانت كافية لجعله قائداً عسكرياً عظيماً.

[386] لويس الكساندر بيرتييه (20 تشرين الثاني1753-1 حزيران1815) مارشال فرنسي ورئيس أركان نابليون.

قدم ناي من شواطئ بحيرة كونستانس، ولانس من شوابيا العليا، وسولت ودافو من بافاريا، وبالتينايت Palatinate وبرنادوت وأوجيريا من فرانكونيا، والحرس الامبراطوري من باريس، حيث تم ترتيبهم جميعاً في الخط على ثلاثة طرق متوازية لينساحوا في وقت واحد بين سافيلد Saalfeld وجيرا و بلاون Plauen، عدد قليل من الأشخاص في الجيش أو في ألمانيا ليس لديهم أي تصور لهذه الحركات التي بدت معقدة للغاية.

بنفس الطريقة في عام 1815 عندما آوى بلوخر جيشه بهدوء في معسكرات بين سامبر والراين، فيما كان ويلنغتون يحضّر في بروكسل مراسيم واحتفالات، كلاهما ينتظران إشارة لغزو فرنسا، نابليون (الذي كان من المفترض أن يكون في باريس) على رأس هذه المراسيم الدبلوماسية، يقود حرسه الذي كان قد أعاد تشكيله مؤخراً في العاصمة، نزل كالصاعقة على أطراف شارلروا Charleroi ومقرات بلوخر، وأرتاله تتقدم من جميع أنحاء الأفق وبدقة زمنية عالية في الرابع عشر من يونيو على سهول بومونت Beaumont وعلى ضفاف نهر سامبر. (لم يغادر نابليون باريس حتى يوم 12 يونيو).

كانت التراكيب الموضحة أعلاه نتيجة حسابات استراتيجية ذكية، لكن تنفيذها كان بلا شك تحفة لوجستية. من أجل إظهار مزايا هذه التدابير بشكل أكثر وضوحاً سوف أذكر على النقيض من ذلك حالتين كانت فيها أخطاء الخدمات اللوجستية كادت إلى حد كبير أن تؤدي إلى عواقب وخيمة. بعد أن تم استدعاء نابليون من إسبانيا في عام 1809 بسبب تجهُّز النمسا للقتال، والتأكد من أنها كانت تنوي الحرب، أرسل بيرتييه إلى بافاريا بمهمة دقيقة تتمثل في تركيز الجيش الممتد من براونو Braunau حتى ستراسبورج وإرفورت Erfurt. كان دافو عائداً من المدينة الأخيرة، وأودينوت Oudinot من فرانكفورت. كان ماسينا (الذي كان في طريقه إلى إسبانيا) منسحباً نحو أولم على طريق ستراسبورغ. كان الساكسونيون والبافاريون وجيش فيتنبرغ منطلقين من بلدانهم. وهكذا تم فصل الفيالق بمسافات كبيرة، والنمساويين الذين كانوا مركزين قوة لفترة طويلة كان بإمكانهم بسهولة اختراق شبكة العنكبوت هذه أو تشتيت أجزائها. بصراحة كان نابليون مضطرباً إلى حدٍّ ما، وأمر بيرتييه بتجميع الجيش في راتيسبون إذا لم تكن الحرب قد بدأت فعلاً لدى وصوله، ولكن إذا كان الأمر كذلك فيركز الجيش في موقع أكثر تراجعاً نحو أولم.


ساحة العمليات
في عام 1809
لايبزيغ
ساكسونيا
دريسدن
نهر زاله
إرفورت
جينا
جيرا
فرايبرغ
كيمنتس
مارينبرغ
فولدا
نهر لان
شلايتس
كوبلنز
هوف
كارلوفي فاري
فرانكفورت
ماينز
نهر ماين
بايرويت
فورتسبورغ
NORS
Studies
مركز نورس للدراسات
نورنبرغ
آمبرغ
لانداو
نقطة تحشد أولية
ريغنسبورغ
مسير نابليون من فرنسا
نهر الراين
آبنسبرغ
إكموهيل
بافاريا
إنجولشتات
شتوتغارت
دوناوفورت
ستراسبورغ
نقطة تحشد ثانوية
لاندسهوت
أولم
أوغسبورغ
الغابة السوداء
نهر دانوب
براوناو
ميونخ
بريسغاو
نهر الإن
نهر ليخ
سالزبورغ
شافهاوزن
بازل
زيورخ
NorsForStudies.org
Nors2017
Nors.Studies
NorsForStudies

سبب هذا الترتيب البديل كان واضحاً. إذا كانت الحرب قد بدأت، فإن راتسبون كانت قريباً جداً من الحدود النمساوية على أن تكون نقطة تحشد، حيث قد يتم القضاء على الفيالق كل على حدة من قبل مائتي ألف جندي للعدو. ولكن بتثبيت أولم كنقطة تحشد، سيتم تركيز الجيش في وقت أقرب، أو على الأقل سيكون لدى العدو مسيرة خمس أو ست أيام أخرى قبل الوصول للجيش الفرنسي، وهذا كان أمراً جوهرياً لكلا الطرفين.

الفائدة من هذا الأمر كانت بديهية. ومع ذلك عندما بدأت الأعمال القتالية وبمجرد مرور أيام قليلة من وصول بيرتيه إلى ميونيخ، أثبت قائد الأركان المعروف جداً هذا غباءه لدرجة أنه كان يلتزم بالطاعة الحرفية للأمر الذي تلقاه، دون التفكر في الهدف الواضح من ورائه؛ لم يصر على حشد الجيش في راتيسبون فقط، ولكن حتى أجبر دافو Davoust على العودة نحو تلك المدينة، عندما كان هذا المارشال يستحسن التراجع من أمبيرغ Amberg تجاه انغولشتات Ingolstadt.

نابليون الذي كان من حسن حظه أن تم ابلاغه بالتغراف عن عبور العدو لنهر الإين بعد يوم من حدوثه، فأتى بسرعه البرق في اللحظة التي كان سيُحاصَر فيها دافو من قبل جيش الحلفاء المكون من 180 الف جندي ليقسمه الى كتلتين. نعلم كيف نجح نابليون بشكل بارع في تجميع جيشه وكسب الانتصارات في الأيام المجيدة لآبنسبورغ Abensberg وزيغبورغ Siegberg ولاندسهوت Landshut وإكموهيل Eckmuehl وراتيسبون، مصلحاً بذلك الأخطاء اللوجستية القبيحة لرئيس أركانه[387].

سننهي هذه الأمثلة بالإشارة إلى الأحداث التي سبقت وتزامنت مع عبور نهر الدانوب وقبل معركة فاغرام. إن التدابير المتخذة لإيصال كل من فيلق يوجين نائب الإمبراطور Viceroy في إيطاليا من المجر وفيلق مارمونت Marmont من ستيرميا Styrmia وفيلق برنادوت من لينز Linz، إلى نقطة محددة من جزيرة لوباو Lobau هي تدابير أقل تميزاً من المرسوم

[387] حدثت هذه الأحداث إبان حرب التحالف الخامسة. دخلت النمسا بقيادة الأرشيدوق تشارلز بخطة تتمثل بتوجيه جزء من الجيش النمساوي شرقا على ضفة الدانوب والجزء الرئيسي من الجيش للالتفاف على ميمنة خصمه المتمثل بالبافاريين التابعين لفرنسا. كادت الخطة أن تنجح في إطباق الحصار على دافو في راتسبون مقسماً بذلك الفرنسيين إلى كتلتين. إلا أن تدخل نابليون وتوجيهه لماسينا لضرب ميسرة النمساويين أنقذ الموقف. على إثر هذه التحركات حدثت معارك آبنسبورغ وزيغبورغ ولاندسهونت وإكموهيل وراتسبون في أبريل ومايو من عام 1809 وانتصر الفرنسيين في جميعها.

الإمبراطوري الشهير المتمثل بواحد وثلاثين مادة نظمت تفاصيل العبور وتشكيل القوات في سهول انزرسدورف Enzersdorf، بوجود مائة وأربعين ألف جندي نمساوي وخمسمائة مدفع، كما لو كانت العملية عبارة عن عرض عسكري. تم تجميع كل هذه الكتل على الجزيرة مساء يوم 4 يوليو. وضعت على الفور ثلاثة جسور على ذراع الدانوب بعرض مائة وخمسين ياردة، في ليلة دهماء مظلمة مع هطول وابل من الأمطار.

عبر مائة وخمسين ألف جندي الجسور في وجود جموع هائلة للعدو، وتشكلوا قبل الظهر في السهل، ثلاثة أميال بعد الجسور التي غطتها بتغيير الجبهة. العملية بأكملها تم إنجازها في وقت أقل من المتوقع لبساطة المناورة في التعليمات وتكرارها عدة مرات. صحيح أن العدو كان مصمماً على عدم مقاومة العبور أبداً؛ لكن نابليون لم يكن يعرف هذه الحقيقة، ولا ينتقص ذلك من أهمية هذا العبور على الإطلاق.

مهما يكن فإن الأمر الأشد غرابة ما قام به رئيس الأركان لدى نسخه عشرة نسخ من المرسوم الامبراطوري، حيث أخطأ وجعل دافو الذي هو في الميمنة على الجسر الذي في المنتصف، واودينوت الذي هو في القلب على الجسر اليمين. مر الفيلقان على بعضهما البعض في الليل ولولا نباهة الجنود وضباطهم لحدثت فوضى عارمة في تلك الليلة. بفضل تراخي العدو نجا الجيش من أية فوضى، باستثناء ما نشأ عن بعض المفارز التي تتبع فيالق لا تنتمي لها. الأمر الأكثر إثارة للسخرية والصدمة أنه بعد كل هذا التخبط تلقى بيرتييه لقب أمير فاغرام.

بلا شك فإن سبب الخطأ كان من نابليون خلال إملائه المرسوم، و لكن أليس من المفترض أن يكتشف رئيس الاركان الخطأ خلال إعداده لعشرة نسخ من الأمر والذي مهمته الإشراف على تشكيل القوات؟

مثال آخر أكثر تميزاُ عن أهمية اللوجستيات الجيدة في معركة لايبزج. كان من الأهمية الكبيرة عند خوض هذه المعركة –مع وجود ممر ضيق في مؤخرة الجيش، وفي وسط أرض منخفضة مشجرة، ومقطعة بعدد من المجاري الصغيرة والمزارع– وجود عدد من الجسور الصغيرة لتسهيل عبور الضفاف وفتح الطرق. هذه التدابير لن تمنع الهزيمة الحاسمة في

المعركة ولكنها كانت ستنقذ أرواح عدد كبير من الجنود، وكذلك المدافع وصناديق الذخيرة التي تُركَت بسبب الفوضى وعدم وجود طرق للهروب. التفجير الغير مسؤول لجسر لنديناو Lindenau، كان نتيجة الإهمال من طرف الأركان، التي كانت موجودة بالاسم فقط نتيجة أسلوب بيرتييه في إدارتها يجب أن نقر بأن نابليون كان ملماً بالتدابير اللوجستية لحملة هجومية، ولم يفكر باتخاذ التدابير في حالة الهزيمة، ولم يفكر أحد باقتراح ترتيبات لاعتقادهم أنه أعد كل شيء.

لأكمل ما اقترحته في هذا الموضوع، فمن الضروري إضافة بعض الملاحظات في ما يخص الاستطلاع، فهما نوعان الأول يخص الطبوغرافية والإحصائية، وموضوعهما معرفة الأرض وتضاريسها والطرق والشعب والجسور...الخ. ومعرفة موارده وإمكانياته من جميع الانواع. في الحاضر بما أن الجغرافية والطبوغرافية والاحصاء في وضع المتقدم فإن الاستطلاع يصبح أقل أهمية من ذي قبل، ولكنها تبقى مفيدة جداً، ومن الغير ممكن أن تكون جميع الإحصاءات لكل الأراضي دقيقة جداً، بحيث يمكن الاعتماد عليها كلياً. هناك كثير من الكتب المميزة في هذا المجال وأوجه قرائي إليها.

الاستطلاع من النوع الثاني هو الضروري للحصول على معلومات عن تحركات العدو. ويتألف من مفارز ذات قوة محددة. إذا كان العدو قد شكل نظام المعركة فإن القائد الأعلى أو رؤساء الأركان يقومون بالاستطلاع بأنفسهم. إذا كان العدو في مسير فيجب توجيه فرق من الخيالة لخرق ستار المواقع المحيطة به.

الموضوع الثاني والأربعين: عن الاستطلاع ووسائل الحصول على المعلومات الصحيحة عن تحركات العدو

واحدة من أضمن وأهم الطرق لتشكيل تراكيب جيدة في الحرب هي أن تأمر بالحركات فقط بعد الحصول على معلومات كاملة عن تحركات ومساعي العدو. في الواقع كيف يمكن لأي رجل أن يقول ما يجب أن يفعله هو نفسه، إذا كان جاهلاً بما يفعل خصمه من حوله؟
وبما أنه لا شك في الأهمية العظيمة في الحصول على هذه المعلومات، فإن هذا الأمر يمثل

أشد الصعوبات، إن لم يكن مستحيلاً. وهذا هو أحد الأسباب الرئيسية للاختلاف الكبير بين النظرية والتطبيق العملي في الحرب.

من هذا السبب تحدث أخطاء هؤلاء الجنرالات الأكاديميين المفتقدين للموهبة الطبيعية للحرب، والذين لم يكتسبوا البصيرة العسكرية بالخبرة الطويلة في توجيه العمليات العسكرية. من السهل للغاية للأكاديمي أن يضع خطة على الخريطة للتغلب على جناح العدو أو تهديد خط اتصالاته، حيث يمكنه وضع مواقع كلا الطرفين على خريطة جغرافية أو من نسج الخيال لتناسب هواه. ولكن عندما يواجه خصماً ماهراً ونشطاً وجريئاً حيث تعد تحركاته لغزاً مثالياً هنالك تظهر الصعوبات، ويظهر لنا عجز جنرال عادي لا يملك أية عبقرية.

لقد رأيت الكثير من الأدلة على هذه الحقيقة طوال حياتي، أنه إذا كان علي أن اختبر جنرالاً، فيجب أن أكون أكثر احتراماً للرجل الذي يمكن أن يشكل استنتاجات سليمة فيما يتعلق بتحركات العدو من الرجل الذي يمكن أن يقدم عرضاً كبيراً لنظريات يصعب تنفيذها، ولكن يسهل فهمها فور حدوثها.

هناك أربع وسائل للحصول على معلومات حول عمليات العدو. الأولى هي نظام تجسس جيد التنظيم، والثانية تتمثل في الاستطلاع الذي يجريه ضباط ماهرون وقوات خفيفة. الثالثة تتمثل في استجواب أسرى الحرب. الرابعة تتمثل في رسم فرضيات من الاحتمالات. هذه الفكرة الأخيرة سوف أقوم بشرحها لاحقا. هناك أيضًا الطريقة خامسة وهي الإشارات. على الرغم من أنها تستخدم للإشارة إلى وجود العدو بدل تكوين استنتاجات حول نواياه، إلا أنها تُصنَّف مع الوسائل الأخرى.

سيساعد الجواسيس الجنرال على معرفة ما يحدث في معسكرات الأعداء بدقة أكثر من أي وسيلة أخرى؛ لأن الاستطلاع مهما أجري لن يقدم أية معلومات عن أي شيء خلف خط الحراس المتقدمين. لا أعني ألا نجري استطلاعاً، بل يجب أن نستخدم جميع الوسائل للحصول على المعلومات، ولكن أقول بأن نتائجها ضعيفة ولا يُعتمَد عليها. **تقارير الأسرى في العادة مفيدة ولكن من الخطير التسليم المطلق بها.** يجب أن يكون رئيس الأركان

الماهر دائماً قادراً على اختيار الضباط الأذكياء الذين يمكنهم صياغة أسئلتهم للحصول على معلومات مهمة من السجناء والفارين.

بلا شك فإن المناصرين (العصابات) الذين يتم إرسالهم للتجول حول خط عمليات العدو يعلمون شيئاً عن تحركات العدو، ولكن يكاد يستحيل إيصال المعلومات التي بحوزتهم. نظام شامل للتجسس بشكل عام وسيلة ناجحة، على أية حال فإنه من الصعب على الجاسوس الاختراق حتى حجرة الجنرال الخاصة ومعرفة مخططاته السرية التي يرسمها؛ فمن الأفضل له أن يقتصر على ما يراه ويسمعه من الاشخاص الموثوقين. حتى لو وصلت المعلومات للجنرال من الجواسيس، فإنه لا يعرف ما سيحدث بعد ذلك ولا ما هو الهدف النهائي للعدو. افترض على سبيل المثال إذا علم الجنرال بعبور فيلق نحو فيمار عبر جينا، وعبور فيلق آخر نحو نمبورغ عبر جيرا فيجب أن يسأل نفسه الأسئلة التالية أين يتوجهون؟ وماذا ينون القيام به؟ هذه الاشياء لا يستطيع أمهر الجواسيس معرفتها.

عندما كانت الجيوش تخيم في الخيام وفي كتلة واحدة، كانت المعلومات عن عمليات العدو مضمونة، لأنه يمكن توجيه المفارز الاستطلاعية للأمام على مرأى من المعسكرات، ويمكن للجواسيس الإبلاغ بدقة عن تحركاتهم؛ ولكن مع التنظيم الحالي في فيالق والتي تخيم في معسكرات إيواء أو في العراء فمن الصعب جداً الحصول على أية معلومات عنهم. ومع ذلك قد يقدم الجواسيس فائدة كبيرة جداً عندما يكون الجيش المعادي تحت قيادة قائد عسكري عظيم أو أمير عظيم يتحرك دائماً مع كتلة (الجزء الأكبر من) قواته أو مع الاحتياطيات. مثل ما كان يفعل الإمبراطور الإسكندر ونابليون. إذا عرف تحركهم ومن أي طريق لم يكن من الصعب استنتاج ما هو المشروع الذي في بالهم، مع عدم الانشغال بتحركات الفيالق الأصغر بشكل خاص.

يستطيع الجنرال الماهر سد النقص في الوسائل الاخرى بوضع فرضيات منطقية صحيحة. أستطيع القول بكل ثقة بأنني نادراً ما أخطأت في هذه الوسيلة. بالرغم من أن الحظ لم يضعني على رأس جيش، فقد كنت رئيس اركان ما لا يقل عن 100.000 جندي، ودعيت في كثير من المرات إلى مجالس حربية حضرها أعظم الملوك في هذا الزمان، حيث طُلب

مني إعطاء التوجيه الصحيح للجيوش المتحالفة لأوروبا، ولم أخطئ أكثر من مرتين أو ثلاثة في فرضياتي وفي محاولتي لحل المسائل التي تعرض علي. كما قلت سابقاً فإني لاحظت دوماً أن الجيش يستطيع العمل على وسط أو إحدى طرفي جبهة عملياته، ومن النادر أن تكون هناك أكثر من ثلاث او أربع احتمالات يمكن أن تقع. فصاحب العقل المتأصل بهذه الحقائق والملم بمبادئ الحرب سيكون قادر دوماً على رسم مخطط يوفر سلفاً جميع الاحتمالات الممكن وقوعها في المستقبل. سأذكر بضعة امثلة وقعت أمامي:

في عام 1806 عندما كان الناس في فرنسا غير متأكدين من حدوث الحرب مع بروسيا، دونت في مذكراتي عن احتمالات الحرب والعمليات الممكن وقوعها فوضعت هذه الفرضيات الثلاثة:

1. سينتظر البروسيين هجوم نابليون خلف نهر إلبه، وسيتخذوا موضع دفاعي حتى نهر أودر، منتظرين مؤازرة من الروس والنمساويين.
2. أو يتقدمون نحو نهر زاله، مسندين ميسرتهم على حدود بوهيميا، ويدافعون عن ممرات جبال فرانكونيا.
3. أو يتوقعون الفرنسيين على طريق ماينز الكبير يتقدمون نحو إرفورت بشكل غير مدروس.

لا أصدق أنه يمكن وضع فرضية أخرى، إلا أن يقوم البروسيين بتصرف غبي؛ بحيث يقسموا قواتهم الضعيفة أصلاً أمام الفرنسيين في اتجاهين هما فيزل Wesel وماينز، وهو خطأ عقيم، حيث لم يطأ جندي فرنسي هذه الطرق منذ حرب السبع سنوات.

بوضعي لهذه الفرضيات الآنفة في المقابل ينبغي السؤال عن المسار الأفضل لنابليون اتباعه، ومن السهولة الجواب على ذلك، بأن الجزء الأكبر من الجيش الفرنسي المتجمع في بافاريا ينبغي توجيهه نحو ميسرة البروسيين في جيرا وهوف Hoff حيث مفتاح الحملة في هذا الاتجاه مهما كانت الخطة المتبعة.

بما أنه تم تحديد اتجاه نابليون للعمليات بوضوح كبير، فماذا يهمه أن يعرف تفاصيل تحركاتهم؟ ولأنني على يقين من صحة هذه المبادئ لم أتردد في الإعلان قبل شهر من الحرب، بأن نابليون سيقوم بما قام به فعلاً، وأنه إذا عبر البروسيون نهر زاله فإن المعارك ستحدث في جينا ونومبورغ!

أنا أذكر هذه الحالة ليس من باب الغرور، لأنه إذا كان هذا هو دافعي، فقد أذكر العديد من الحالات المشابهة. لم أكن متحرقاً إلا لإظهار أنه قد يتم في كثير من الأحيان ترتيب خطة عمليات، مستندة ببساطة إلى المبادئ العامة للفن، دون إيلاء اهتمام كبير إلى تفاصيل تحركات العدو.

بالعودة إلى موضوعنا يجب أن أذكر أن استخدام الجواسيس قد تم إهماله بدرجة ملحوظة في العديد من الجيوش الحديثة. في عام 1813 لم يكن لدى أركان الأمير شوارزنبرغ[388] أي مبلغ من أجل الإنفاق على مثل هذه الخدمات، واضطر الإمبراطور ألكسندر إلى تزويد ضباط الأركان بأموال من ماله الخاص لتمكينهم من إرسال عملاء إلى لوساتيا لغرض معرفة مكان نابليون.

لم يكن الجنرال ماك في أولم (في 1805) ودوق برونزويك في 1806 على علم أفضل بما يجري حولهم. وكثيراً ما عانى الجنرالات الفرنسيون في إسبانيا بشدة، لأنه كان من المستحيل الحصول على جواسيس والحصول على معلومات حول ما يجري حولهم.

الجيش الروسي هو أفضل من أي جيش في جمع المعلومات، من خلال استخدام الفيالق الجوالة من القوزاق، ويؤكد التاريخ رأيي.

كانت بعثة الأمير كوداشيف Koudacheff التي أرسلت بعد معركة دريسدن Dresden إلى أمير السويد، والتي عبرت نهر إلبه عن طريق السباحة وسارت في وسط الأرتال الفرنسية حتى قاربت فيتنبرغ Wittenberg، كانت مثالاً رائع من هذه الفئة. كانت المعلومات التي قدمتها قوات الأنصار (العصابات) للجنرالات تشيرنيشيف Czernicheff

388 كارل فيليب شوارزنبرغ هو القائد العام للجيش النمساوي وقائد الجيش الكبير للحلفاء إبان حرب التحالف السادسة.

وبينكيندورف Benkendorf ودافيدوف Davidoff وسسلاوين Seslawin ذات قيمة كبيرة للغاية. نذكر أنه كان من خلال اعتراض الرسالة التي أرسلها نابليون إلى الإمبراطورة ماريا لويزا بالقرب من شالون Chalons من قبل القوزاق، علم الحلفاء بالخطة التي رسمها من الهجوم على خطوط اتصالهم بكل قواته، بوضع قاعدة عملياته في المدن المحصنة وهي لورين Lorraine والألزاس Alsace[389]. ودفعت هذه المعلومات الهامة بلوتشر وشوارزنبرغ أن يدمجا جيوشهما، حيث لم ينجح الحلفاء في توظيف المبادئ الاستراتيجية بتناغم كنجاحهم في لايبزش وبرين Brienne.

ونعلم أيضاً أن التحذير الذي قدمه سيسلافين Seslawin للجنرال دوكتيوروف Doctoroff أنقذ جيشه من الهزيمة في بوروفسك Borovsk على يد نابليون، الذي كان قد غادر لتوه موسكو منسحباً مع جيشه كله. لم يصدق Doctoroff في البداية هذا الخبر، مما استفز Seslawin حتى للقيام بأسر ضابط فرنسي وعدة جنود من الحرس من المعسكرات الفرنسية في العراء وجههم له كبراهين لصحة الخبر.

هذا التحذير الذي دفع كوتوزوف إلى المسير نحو مالوي ياروسلايتس Maloi-Yaroslavitz، منع نابليون من أخذ طريق كالوغا Kalouga، حيث كان سيجد تسهيلات وموارد أكثر لإنعاش جيشه، وكان سينجو من وقعة كاراسنوي وبيريسينا Beresina الكارثية، ومن ثم تخفيف الكارثة لا منعها مطلقاً.

مثل هذه الأمثلة وهي نادرة الوقوع، تعطينا فكرة ممتازة عن ما يمكن أن تحققه قوات الأنصار (العصابات) الجيدة عندما يقودها ضباط أكفاء. سوف أختتم هذه الموضوع بالملخص التالي:

1. **يجب على الجنرال ألا يهمل أي وسيلة للحصول على معلومات عن تحركات العدو، ولهذا الغرض يجب أن يستفيد من الاستطلاع والجواسيس، وفيالق القوات الخفيفة التي يقودها ضباط أكفاء والإشارات واستجواب الفارين والسجناء.**

---

389 ماريا لويزا هي زوجة نابليون الثانية بعد طلاقه من زوجته الأولى جوسفينا وهي بنت امبراطور النمسا فرانسيس الثاني. تزوجها نابليون بعد انتصاره في حرب التحالف الخامسة على النمسا لتقوية مكانته بين الدول وبغية ضمان السلام والتحالف مع النمسا. لم يدم هذا الزواج طويلا طبعا. أخطأ نابليون خطأ لا يُغتفَر بإرسال رسالة لزوجته يطمئنها ويحدثها عن تحركاته العسكرية قائلا: "لقد عزمت على الالتجاء بنفسي إلى مارن من أجل دفع العدو من باريس، والإقتراب من تحصيناتي (يقصد الألزاس ولورين). سأكون هذا المساء في سان ديزييه. ومن ثم وقعت هذه الرسالة في إيدي الأعداء.

2. **بمضاعفة وسائل الحصول على المعلومات؛ غالباً ما يتم استخراج الحقيقة منها، بغض النظر عن مدى نقص هذه الوسائل وتضارب المعلومات المستخلصة منها.**
3. **لا يجب الاعتماد التام على واحدة من هذه الوسائل.**
4. **بما أنه من المستحيل الحصول على أعلى درجة من الدقة في المعلومات من خلال الوسائل المذكورة، يجب على الجنرال ألا يتحرك مطلقاً دون ترتيب عدة مسارات عمل لنفسه، مستندة إلى فرضيات محتملة تقدمها الأوضاع النسبية لكل جيش، مع عدم الابتعاد عن مبادئ الحرب على الإطلاق.**

أستطيع أن أؤكد للجنرال أنه مع مثل هذه الاحتياطات، لا يمكن لأي شيء غير متوقع أن يصيبه ويسبب له الدمار، وهو ما يحدث معظم الأحيان مع الآخرين. ما لم يكن غير قادر على قيادة الجيوش، فإنه يجب عليه على الأقل أن يكون قادراً على رسم فرضيات منطقية حول ما سيفعله العدو، وأن يحدد لنفسه خطاً معيناً من السلوك يتناسب مع كل من هذه الفرضيات[390]. لا يمكن أن أصر كثيراً على أن السر الحقيقي للعبقري العسكري هو في القدرة على القيام بهذه الفرضيات المعقولة في كل حالة، وعلى الرغم من أن عدد هؤلاء العباقرة قليل دائماً، إلا أنه أمر مريع مدى إهمال هذه الطريقة المفيدة للغاية في تنظيم العمل.

من أجل جعل هذا الموضوع كاملاً، يجب أن أذكر ما يمكن الحصول عليه باستخدام نظام الإشارات. توجد عدة أنواع من الإشارات. يمكن الإشارة إلى الإشارات البرقية باعتبارها الأهم على الإطلاق. يدين نابليون بنجاحه المذهل في راتسبون Ratisbon في عام 1809 إلى حقيقة أنه أقام اتصالاً تلغرافياً بين المقر الرئيسي للجيش وفرنسا. كان لا يزال في باريس عندما عبر الجيش النمساوي نهر الإين في برونو Braunau بنية غزو بافاريا وكسر خط معسكرات الإيواء.

[390] المؤلف: سأتهم على ما أظن بقولي أنه لا يمكن حدوث أي حدث في الحرب لا يمكن توقعه أو التنبؤ به. لإثبات كذب هذا الاتهام يكفي أن أستشهد بمباغتات كريمونا Cremona وبيرغ أوب زوم Berg-op-zoom وهوتشيرش Hochkirch. ومع ذلك، ما زلت أرى أن مثل هذه الأحداث على الرغم من أنها كانت دائماً متوقعة، كلياً أو جزئياً، على الأقل في حدود الاحتمالية أو الإمكانية.

بعد علمه في أربع وعشرين ساعة ما عبر على النهر من مسافة سبع مائة ميل طار بنفسه في عربة السفر، وبعد أسبوع حقق انتصارين اثنين تحت جدران راتسبون Ratisbon. كان مصير الحملة بدون التلغراف إلى الفشل. هذه الواقعة لوحدها كافية لإعطائنا فكرة عن قيمتها.

وقد أُقترِح استخدام التلغراف المحمول (اللاسلكي). هذا الجهاز البرقي يشغله عامل على ظهور الجياد على أرض مرتفعة، ويمكنه نقل أوامر المركز إلى أطراف خط المعركة، وكذلك تقارير الأجنحة إلى المقر الرئيسي. جرت تجارب متكررة لها في روسيا؛ ولكن تم التخلي عن المشروع لسبب لم أعرفه. هذه الاتصالات يمكن أن تكون لفترة وجيزة جداً، وفي الطقس الضبابي (الغائم) لا يمكن الاعتماد عليها. يمكن اختزال الكلمات لمثل هذه الأغراض إلى بضع عبارات قصيرة، والتي يمكن تمثيلها بسهولة برموز. أعتقد أنها طريقة لا يمكن أن تكون عديمة الفائدة بأي حال من الأحوال، حتى إذا كان من الضروري إرسال نسخ مكررة من الأوامر من قبل الضباط القادرين على نقلها بدقة. سيكون هناك بالتأكيد زيادة في السرعة[391]. تم إجراء محاولة من نوع آخر في عام 1794 في معركة فلوروس، حيث استفاد الجنرال جوردان من خدمات المناطيد لمراقبة وملاحظة تحركات النمساويين. لست على علم بأنه وجد الطريقة المفيدة للغاية، حيث لم يتم استخدامها مرة أخرى، ولكن ادعى في ذلك الوقت أنه ساعده في تحقيق النصر، مع ذلك لدي شكوك كبيرة بصحة هذا الكلام.

من المحتمل صعوبة وجود طيارين مناطيد جاهزين للصعود في الوقت المناسب، وأصحاب ملاحظة دقيقة على ما يجري تحتهم، في حين الطيران تحت رحمة الرياح في الأعلى أدى إلى التخلي عن هذه الطريقة في الحصول على المعلومات.

من خلال رفع منطاد لارتفاع قليل، وإرسال ضابط معه قادر على تكوين آراء صحيحة لتحركات العدو، وإتقان نظام إشارات لاستخدامها في الاتصال مع المنطاد، فقد يتم تحقيق مزايا كبيرة من استخدامها. في بعض الأحيان دخان المعركة الناتج من المدفعية، وصعوبة

[391] المترجمون الامريكيون: عندما كتبت تلك السطور لم يكن التلغراف المغناطيسي قد اخترع بعد.

تمييز الأرتال، التي تبدو كأنها مجموعة من الأقزام، وكذلك معرفة انتمائها لأي طرف، يجعل تقارير المنطاديين غير موثوقة للغاية.



لوحة معركة فلوريس 1794، ويظهر فيها المنطاد في الأعلى

على سبيل المثال، كان المنطاديون سيتعرضون لإحراج كبير في معركة واترلو في تحديد هل كان غروشي (الفرنسي) أم بلوشر الذي شوهد يتقدم على طريق سانت لامبرت Saint-Lambert. لكن هذا الغموض لا يحدث في ظل عدم اختلاط الجيوش. تيقنت من الفائدة المستقاة من مثل هكذا مراقبة عندما كنت متمركزاً في مستنقعات غاوتسش Gautsch في معركه لايبزج، ولا يستطيع معاون (ياور) الأمير شوارزنبيرغ أن ينكر توسلاتنا التي دفعته للخروج من المستنقعات بين Pleisse بليز وإلستر Elster. لا شك في وجود مراقب في برج الساعة أسهل من وجوده في سلة واهية تطفو في الجو. لكن الأبراج ليست متوفرة في المناطق القريبة من ساحات المعارك، ولا يمكن نقلها حسب المطلوب.

لا تزال هناك طريقة أخرى للإشارة، من خلال استخدام حرائق كبيرة تضرم عند نقاط مرتفعة من الأرض. قبل اختراع التلغراف، أتاحت النيران نقل أخبار غزو من أقصى البلاد إلى أقصاها. وقد استفاد السويسريون من النيران في استدعاء المليشيات لحمل السلاح، وقد استخدمت لتقديم الإنذار لمساكن الشتاء وتجميع القوات بسرعة أكبر. من الممكن للإشارات النارية أن تُقدم فائدة أكبر إذا رُتِّبت لكي تشير للفيلق اتجاه الحركات التهديدية للعدو والنقطة التي ينبغي أن يركزوا عليها لمقابلته. قد تعمل هذه الإشارات أيضاً على سواحل بحرية لإعطاء إشعارٍ بحدوث إنزال بحري.

أخيراً، هناك نوع من الإشارات المعطاة للقوات أثناء العمل من خلال المعدات العسكرية. لقد بلغت هذه الطريقة من الإشارات أعلى حد من الإتقان في الجيش الروسي أكثر من أي جيش آخر أعرفه. وبينما أدرك الأهمية الكبرى لاكتشاف طريقة مضمونة لتحريك كتلة كبيرة من القوات بإشارة من القائد في نفس الوقت، فإنني مقتنع بأن ذلك سيستغرق وقتاً طويلاً قبل حل المشكلة. الإشارات بالمعدات قليلة الاستخدام باستثناء المناوشين. قد تكون حركة خطّ طويل من القوات متزامنة تقريبا عن طريق الصيحة التي تبدأ من شخص وتنتقل بسرعة من شخص إلى آخر، لكن هذه الصيحات تبدو بشكل عام نوعاً ما عفوية، ونادراً ما تكون نتيجة لأمر. لقد رأيت حالتين منها فقط في ثلاث عشرة حملة.

الفصل السابع



الفصل السابع

تشكيل القوات في المعركة والتوظيف المفرد والمجتمع لأصناف الأسلحة الثلاث

الموضوع الثالث والأربعين: تموضع القوات في خط المعركة

أوضحنا سابقاً في الموضوع الثلاثين مصطلح خط المعركة، ومن المناسب أن نضيف الوسائل التي يتم تشكيلها فيها، وكيفية توزيع مختلف القوات فيها.

قبل الثورة الفرنسية كانت جميع قوات المشاة تُجمع في أفواج وألوية، ومن ثم تجمع في فيلق قتالي واحد مشكلين خطين، ولكل خط ميمنة وميسرة، بينما كانت توضع الخيالة على الأجنحة، والمدفعية (كانت غير عملية وثقيلة تبلغ أوزان بعضها 16 رطلاُ مع عدم وجود خيالة تجر المدافع) توضع على طول كل خط.

كانت الجيوش تخيم سوية، وتتقدم في مسيرات على شكل خطوط أو أجنحة، وكان يوجد جناحين من الخيالة وجناحين من المشاة؛ فإذا كان التقدم بأجنحة كان يتم تشكيل أربعة أرتال بينما إذا كان التقدم بخطوط (وهذا يطبق خاصة في الحركات الالتفافية)؛ كان يتم تشكيل خطين، وفي ظل ظروف خاصة كان يتم سحب الخيالة أو جزء من المشاة في خط ثالث وهو أمر نادر.

هذه الطريقة تبسط اللوجستيات كثيراً، حيث كان من الضروري فقط إعطاء الأوامر على النحو التالي: "الجيش يتحرك في هذا الاتجاه، على شكل خطوط أو أجنحة، من اليمين أو من اليسار". نادراً ما يخالف الجيش هذا التشكيل الرتيب ولكن البسيط؛ ولم يكن من الممكن ابتكار أي شيء أفضل في حروب ذلك الوقت.

حاول الفرنسيون القيام بشيء جديد في مندن Minde، من خلال تشكيل العديد من الأرتال على قدر عدد الألوية، وفتح طرق لمسيرهم إلى الجبهة في الخط، إنه أمر سهل ممتنع.

إذا تضاءل عمل ضباط الأركان باستخدام هذا الأسلوب في التخييم والسير بخطوط، فمن الواضح في حالة تطبيق هذا النظام على جيش من مائة ألف أو مائة وخمسين ألف جندي،

فلن تكون هناك نهاية للأرتال، والنتيجة ستكون تكرار حدوث كارثة ككارثة معركة روسباخ Rossbach.

قدمت الثورة الفرنسية نظام الفرق، الذي خفف الاكتظاظ المفرط للتشكيل القديم، وأحضرت للميدان الأجزاء القادرة على الحركة المستقلة على أي نوع من الأرض. كان هذا التغيير تحسناً حقيقياً، على الرغم من أنهم تحولوا من النقيض إلى النقيض، من خلال العودة لأقرب ما يكون لتشكيل الفيالق الرومانية. هذه الفرق تتألف عادة من المشاة والمدفعية والفرسان، تناور وتقاتل بشكل مستقل. كانت ممتدة إلى حد كبير، إما لتمكينهم من الإعاشة دون الحاجة للمستودعات، أو لاعتقاد باطل في أن إطالة الخط سيساعد على الالتفاف على العدو. في بعض الأحيان شُوهدت سبع أو ثماني فرق للجيش تسير على نفس العدد من الطرق، تبتعد عشرة أو اثني عشر ميلاً عن بعضها البعض. كانت القيادة العامة في المركز (القلب)، ومن دون أي إسناد سوى خمسة أو ستة أفواج صغيرة من سلاح الفرسان مؤلفة من ثلاثمائة أو أربعمائة حصان، بحيث إذا ركز العدو كتلة (الجزء الأكبر) قواته ضد إحدى هذه الفرق وتدمرها، يكون قد اخترق الخط، ولم يكن بمقدور القائد العام الذي لا يملك احتياطياً من سلاح المشاة متوفر، لم يكن بمقدوره فعل أي شيء سوى إعطاء الأمر بالانسحاب لجمع الأرتال المتناثرة.

عالج بونابرت في حملته الإيطالية الأولى هذه الصعوبة جزئياً وذلك من خلال حركة جيشه وسرعة مناوراته، وجزئياً بتركيز كتلة (الجزء الأكبر) قواته على النقطة الحاسمة. عندما أصبح رئيس الحكومة، ورأى مدى إمكانياته وخططه تتزايد باستمرار في الحجم، أدرك بسهولة أن وجود تنظيم أقوى ضروري. وابتغى سبيلاً بين النظام القديم والجديد، مع الاحتفاظ بمزايا نظام الفرق. بدءاً بحملة عام 1800 نظم كل فيلق من فرقتين أو ثلاث، ووضعه تحت قيادة ضباط برتبة فريق، وشكل منهم الجناحين والقلب والاحتياطي[392].

---

[392] المؤلف: وهكذا فإن جيش الراين كان يتألف من ميمنة مكونة من ثلاث فرق تحت قيادة ليكورب Lecourbe، وقلب من ثلاث فرق تحت قيادة سان-سير، ومن ميسرة من فرقتين تحت قيادة سانت-سوزانsaint-suzane، والقائد العام لديه ثلاث فرق كاحتياطي تحت أمره المباشر.

وقد تم تطوير هذا النظام بشكل كامل في معسكر بولوني Boulogne، حيث قام بتنظيم فيالق دائمة للجيش تحت قيادة مشيريه، الذين كان تحت تصرفهم (كل واحد منهم) ثلاث فرق من المشاة، وفرقة واحدة من سلاح الفرسان الخفيف، ومن ستة وثلاثين إلى أربعين قطعة مدفع، ومهندسين عسكريين. وهكذا كان كل فيلق جيشاً صغيراً قادراً على التصرف بشكل مستقل كجيش. تم جمع سلاح الفرسان الثقيل في احتياطي واحد قوي، يتكون من فرقتين من الفرسان المدرعين cuirassiers، وأربع فرق من المشاة المحمولة على الخيول dragoon، وفرقة من الفرسان الخفيفة. شكّل رماة القنابل[393] grenadier والحرس احتياطياً جيداً من المشاة. في وقت لاحق - 1812 - تم تنظيم الفرسان أيضاً في فيلق من ثلاث فرق، لإعطاء وحدة عمل أكبر للكتل المتزايدة في الحجم باستمرار من هذا السلاح. كان هذا التنظيم أقرب ما يكون من الكمال؛ والجيش الكبير الذي حقق مثل هذه النتائج العظيمة كان النموذج الذي سرعان ما قلدته كل جيوش أوروبا.

وقد أوصى بعض المفكرين العسكريين، في محاولاتهم لتحسين فن الحرب، بأن تحتوي فرقة المشاة (التي يتعين عليها في بعض الأحيان التصرف بشكل مستقل) على ثلاث ألوية بدلاً من لوائين، لأن هذا العدد سيسمح بتكوين قلب وجناحين. بالتأكيد يعتبر هذا الأمر تحسيناً؛ لأنه إذا كانت الفرقة تحتوي على لواءين فقط سيكون هناك فراغ مفتوح في الوسط بين اللوائين على الجناحين؛ لأنه لا يمكن لهذين اللوائين اللذين ليس لهما إسناد مركزي مشترك أن يعملا بسلامة بمعزل عن بعضها البعض. بالإضافة لذلك مع وجود ثلاثة ألوية في الفرقة فقد يشتبك اثنان منهما في حين يتم الاحتفاظ بالثالث كاحتياطي، وهي ميزة واضحة. ولكن إذا كان ثلاثون لواءً متشكل في عشر فرق أفضل من تشكيل ثلاثون لواءً في خمس عشرة فرقة من لواءين، يصبح من الضروري من أجل الحصول على هذا التنظيم الفرقي المثالي، زيادة عدد المشاة بمقدار الثلث، أو تقليص فرق فيلق الجيش من ثلاث إلى فرقتين (وهذا

[393] رماة القنابل grendiers: هم فئة النخبة من المشاة في جيوش القرن السابع عشر المختصين برمي القنابل اليدوية (القديمة) grendiers. في القرن الثامن عشر اختفى استعمال تلك القنابل اليدوية لكن بقيت هذه الفئة من المشاة كنخبة نظرا لاختيارهم على أساس المواصفات الجسدية القوية.

الأخير خيار سلبي خطير)، لأنه يُطلب من فيالق الجيش أن تعمل بشكل مستقل أكثر من الفرق، ويكون التقسيم إلى ثلاثة أجزاء أفضل لذلك بالأخص[394].

إن إعطاء أفضل تنظيم لجيش يوضع في إطار حملة تبقى معضلة لوجستية يصعب حلها؛ لأنه من الصعب للغاية الحفاظ على التنظيم الأصلي في خضم عمليات الحرب ووجوب استمرار إرسال المفارز.

إن تاريخ الجيش الكبير في بولوني، الذي يبدو أن تنظيمه لم يترك شاردة ولا واردة، يبرهن صحة ما أوردنا. وقد شكل القلب تحت سيطرة سولت، والميمنة تحت قيادة دافو، والميسرة تحت قيادة ناي، والاحتياطي تحت قيادة لانس، شكلوا فيالق قتالية منظمة مؤلفة من ثلاث عشرة فرقة من المشاة، دون عد تلك الفيالق للحرس ورماة القنابل. إلى جانب ذلك كان فيلقا بيرنادوت ومارمونت منفصلين إلى اليمين، وفيلق أوجيرو إلى اليسار، وكانت هذه الفيالق جاهزة للعمل على الأجناب. ولكن بعد عبور نهر الدانوب في دوناوفورت تغير كل شيء. تقلص فيلق ناي (في البداية كان خمسة فرق) إلى فرقتين؛ ومن ثم انقسمت الفيالق القتالية بعضها إلى اليمين وبعضها إلى اليسار، حتى تم تدمير هذا الترتيب.

سيكون من الصعب دائماً الثبات على تنظيم مستقر. ومع ذلك نادراً ما تكون الأحداث معقدة للغاية مثل أحداث 1805؛ وتثبت حملة مورو لعام 1800 أن التنظيم الأصلي قد يتم الحفاظ عليه أحياناً، على الأقل بالنسبة للجزء الأكبر من الجيش. من وجهة النظر هذه يبدو من الحكمة تنظيم الجيش في أربعة أجزاء، جناحين وقلب واحتياطي. قد يختلف تكوين هذه الأجزاء مع قوة الجيش. ولكن من أجل الإبقاء على هذا التنظيم يصبح من الضروري وجود عدد معين من الفرق خارج الخط العام من أجل توفير المفارز الضرورية. في حين أن هذه الفرق مرفقة مع الجيش، فإنها تعمل على تعزيز جزء الجيش الذي يوجه أشد الضربات أو يتلقاها. أو قد يتم توظيفهم على أجنحة الجيش الرئيسي، أو لزيادة قوة الاحتياطي. قد يتألف

---

[394] إن جيش مؤلف من ثلاثين لواءً مكونين خمس عشرة فرقة مؤلفة من لواءين، سيكون له خمسة عشر لواءً فقط في الخط الأول، في حين أن نفس الجيش المؤلف من ثلاثين لواءً المكونين لعشر فرق من ثلاثة ألوية سيكون له عشرين لواءً في الخط الأول وعشر في الخط الثاني. ولكن يصبح من الضروري بعد ذلك تقليل عدد الفرق فتكون الفرقتين فيلقا، وهذا سيكون ترتيبا خاطئا، لأن احتمال استدعاء الفيلق للعمل المستقل أكبر بكثير من الفرق.

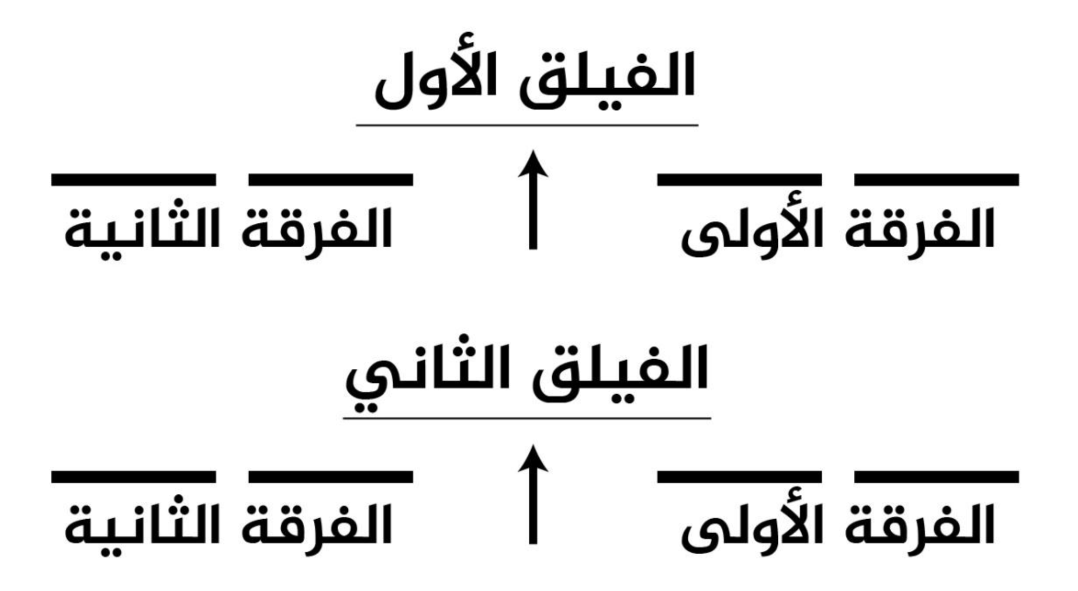
كل جزء من الأجزاء الأربعة الكبيرة للجيش من فيلق مؤلف من ثلاث أو أربع فرق، أو على فيلقين مؤلف كل منهما من فرقتين. في هذه الحالة الأخيرة سيكون هناك سبعة فيالق، إحداها احتياطي؛ لكن يجب أن يحتوي هذا الفيلق الأخير على ثلاث فرق، لتوفير احتياطي لكل جناح وإلى القلب.

بوجود سبعة فيالق – ما لم يتم الاحتفاظ بعدة فيالق أخرى خارج الخط العام من أجل تخصيصها كمفارز– فقد يحدث أن يتم فصل الفيالق الطرفية كمفارز، بحيث يحتوي كل جناح على فرقتين، ومن هذه الفرق يتم فصل لواء كمفرزة أحياناً للالتفاف على مسيرة الجيش، وترك ثلاثة ألوية في كل جناح. سيكون هذا نظاماً ضعيفاً للمعركة.

هذه الحقائق تقودني إلى الاستنتاج بأن تنظيم خط المعركة في أربعة فيالق مؤلفة كل منها من ثلاث فرق من المشاة وواحدة من سلاح الفرسان الخفيف، مع ثلاثة أو أربعة فرق للمفارز، سيكون أكثر استقراراً من التنظيم المؤلف من سبع فيالق، يتألف كل منها من فرقتين.

ولكن بما أن كل شيء يعتمد على قوة الجيش والوحدات التي يتكون منها، وكذلك على طبيعة العمليات التي يمكن أن تنخرط فيها، فإن الترتيبات قد تتنوع كثيراً. لا أستطيع الخوض في هذه التفاصيل، وسوف أعرض ببساطة التراكيب الرئيسية التي قد تنتج عن تشكيل الفرق من لوائين أو ثلاثة ألوية، والفيلق من فرقتين أو ثلاث فرق. لقد أشرت إلى تشكيل فيلقي المشاة في خطين، سواء الواحد خلف الآخر أو جنباً إلى جنب. (راجع الأشكال من 17 إلى 28).

تشكيلات مختلفة لخطوط المعارك لفيلقي مشاة



لشكل 17 – فيلقي مشاة منشورين، أحدهما خلف الآخر

الفيلق الأول

الفيلق الثاني

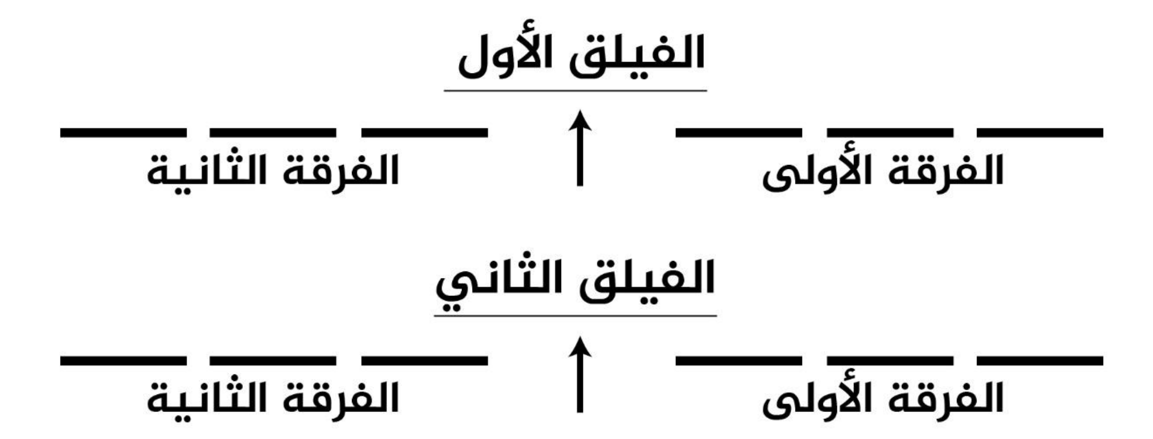
الفرقة الأولى

الفرقة الأولى

الفرقة الثانية

الفرقة الثانية

الشكل 18 – فيلقين مشكلين جنبًا إلى جنب



الشكل 19– فيلقين من فرقتين مؤلفة كل واحدة منهما من 3 ألوية

الفيلق الأول

الفيلق الثاني

الفرقة الأولى

الفرقة الأولى

الفرقة الثانية

الفرقة الثانية

الشكل 20– فيلقين من فرقتين كل واحدة منهما من 3 ألوية

الفيلق الأول

الفرقة الأولى
الفرقة الثانية

الفيلق الثاني

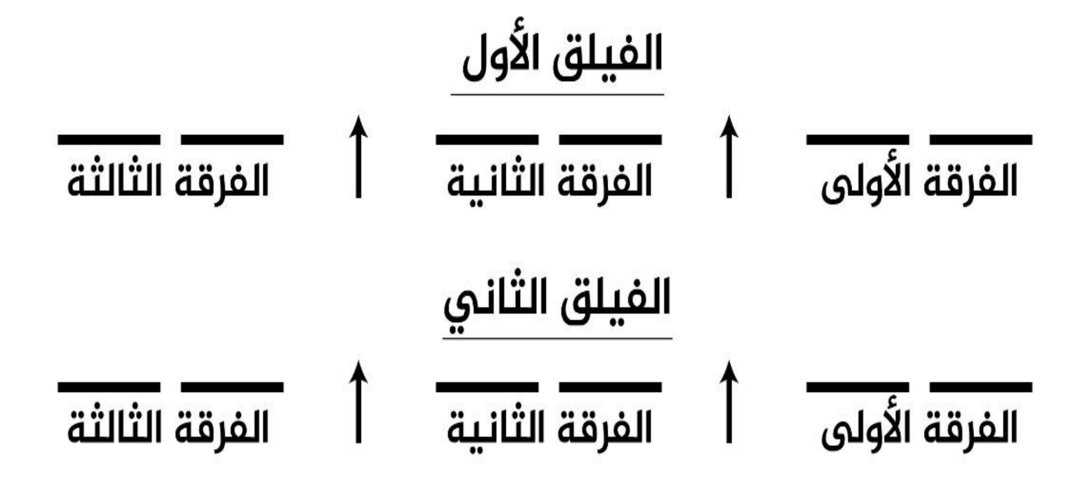
الفرقة الأولى
الفرقة الثانية

الشكل 21- فيلقين من فرقتين كل واحدة منهما من 3 ألوية

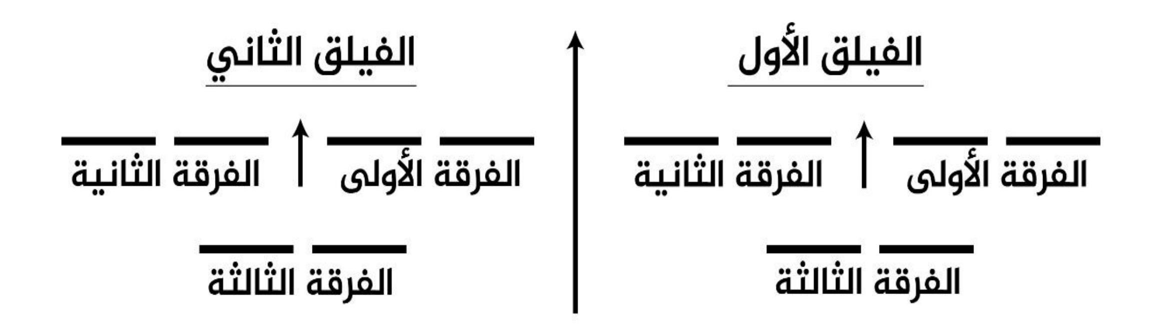
الفيلق الأول
الفرقة الأولى
الفرقة الثانية

الفيلق الثاني
الفرقة الأولى
الفرقة الثانية

الشكل 22- فيلقين من فرقتين كل واحدة منهما من 3 ألوية، جنبا إلى جنب



الشكل 23– تشكيل فيلقين من 3 فرق كل واحدة منهم من لوائين



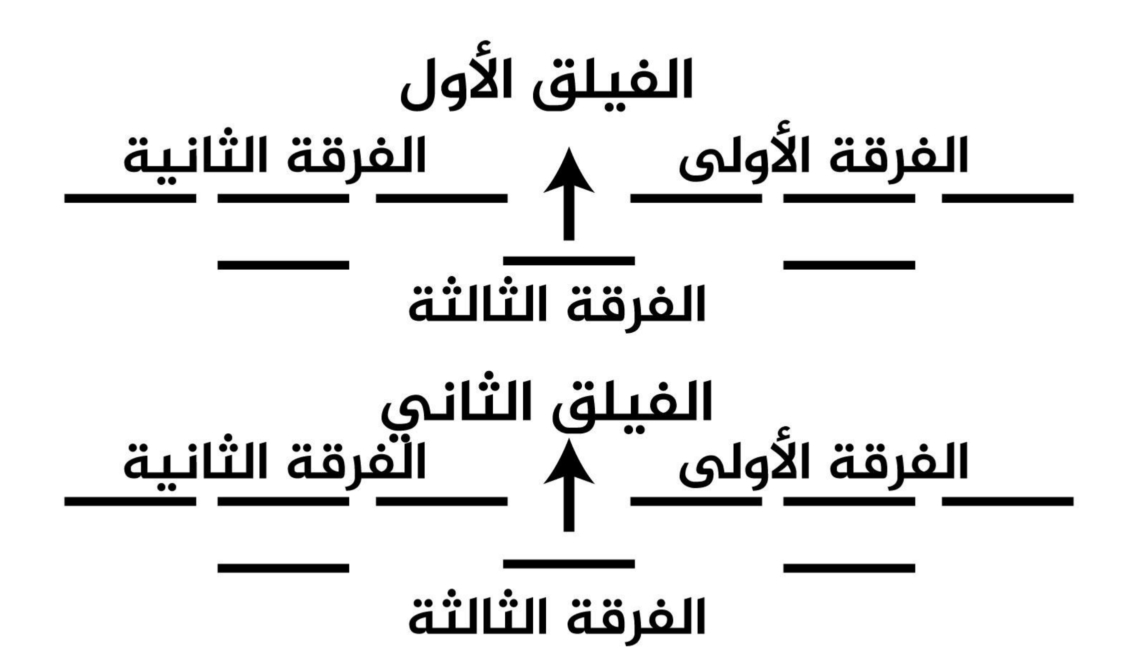
الشكل 24

الفيلق الأول
الفرقة الأولى
الفرقة الثانية
الفرقة الثالثة

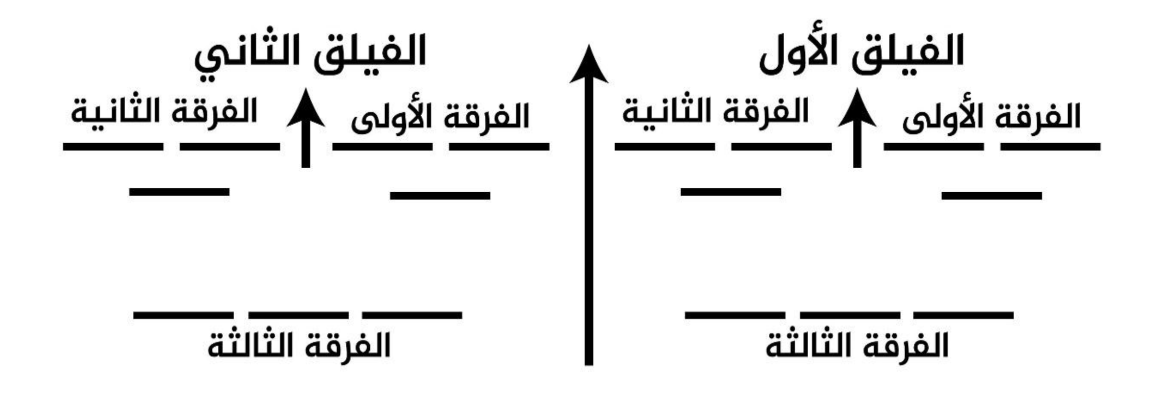
الفيلق الثاني
الفرقة الأولى
الفرقة الثانية
الفرقة الثالثة

الشكل 25 فيلقين من 3 فرق كل واحدة منهم من 3 ألوية

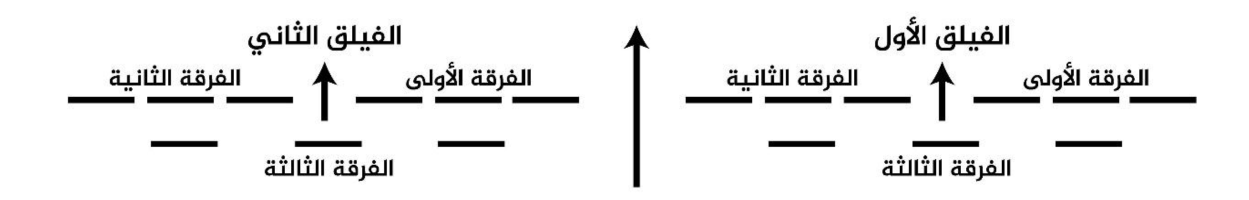




الشكل 26– فرقتين في الخط الأول وواحدة في الخط الثاني



الشكل 27– نفس النظام مع لواء ثالث كاحتياطي، وفيلقين جنبا إلى جنب



الشكل 28



ملاحظة: في كل هذه التشكيلات الوحدة هي اللواء المتمثل بالخط. ولكن قد يتم تشكيل هذه الخطوط من كتائب التي تم نشرها، أو كتائب في أرتال هجومية مقسمة إلى سريتين. يتم وضع الفرسان المرتبطة بالفيلق على الأجنحة. قد يتم تشكيل الألوية بحيث يكون هناك فوجين، الأول في الخط الأول والآخر في الخط الثاني.

يطرح السؤال هنا نفسه، ما إذا كان من المناسب دائماً وضع فيالق الواحد خلف الأخر، كما فعل نابليون في الغالب، خاصة في فاغرام. أعتقد أنه – ما عدا الاحتياطيات– لا يجوز استخدام هذا الترتيب إلا في وضع الانتظار، وليس أبداً كنظام معركة؛ لأنه من الأفضل بكثير لكل فيلق أن يكون له خطه الثاني الخاص به وأن يكون له احتياطيه من تكديس عدة فرق، واحدة خلف الأخرى تحت قادة مختلفين. مهما تم إعداد وتجهيز جنرال لدعم زميل له، سيعترض دائماً على تقسيم قواته لهذا الغرض. وعندما لا يرى الجنرال في الخط الأول زميلاً له، بل منافس يبغضه كما يحدث كثيراً، فمن المحتمل أن يكون بطيئًا جدًا في تقديم المساعدة التي قد يكون في أمس الحاجة إليها. علاوة على ذلك لا يمكن للقائد الذي تنتشر قواته في خط طويل أن ينفذ مناوراته بنفس القدر من السهولة كما لو أن جبهته كانت نصف ما هي عليه، وكانت مسنودة ببقية قواته التي وضعت في الخلف.

سوف يوضح الجدول أدناه أن عدد الجنود في الجيش سيكون له تأثير كبير في تحديد أفضل تشكيل له، وأن الموضوع أعقد بكثير مما نتصور.

1. في فوج من كتيبتين مؤلفتين من 800 جندي لكل منهما.				
	فرقة	لواء	كتيبة	
أربعة فيالق من فرقتين إلى جانب 3 فرق للمفارز	11	22	83	=72,000 جندي
أربعة فيالق من ثلاث فرق إلى جانب 3 فرق للمفارز	15	30	120	=96,000 جندي
سبعة فيالق من فرقتين، والثامن للمفارز	14	28	128	= 103,000جندي

2. في افواج من ثلاثة كتائب، واللواء من ست كتائب.				
أربعة فيالق من فرقتين إلى جانب المفارز	11 فرقة	22 لواء	132 كتيبة	105،000 جندي
أربعة فيالق من ثلاث فرق	15 فرقة	30 لواء	180 كتيبة	105000 جندي
ثمانية فيالق من فرقتين	16 فرقة	32 لواء	192 كتيبة	154000 جندي

إذا أضفنا إلى هذه الأرقام ربع لجيش الفرسان والمدفعية والمهندسين، فإن القوة الكلية للتشكيلات المذكورة أعلاه قد تكون معروفة.

من الملاحظ أنه إذا كانت الأفواج مؤلفة من كتيبتين وكل كتيبة تضم ثمانمائة جندي، فإنها في هذه الحالة ستكون ضعيفة جداً في نهاية حملة شهرين أو ثلاثة. إذا لم تكن تتألف من ثلاث كتائب فيجب أن تحتوي كل كتيبة على ألف جندي.

عند إجراء حساباتنا في وقتنا الحاضر يظهر أنه من النادر أن يتم توفير مثل هذه الأجزاء الكبيرة من (الكتل) الجيوش الهائلة في الميدان كما كان يحدث في 1812 إلى 1815، عندما يحتوي جيش واحد على أربعة عشر فيلقاً متفاوتاً في القوة مؤلف كل واحد منهم من فرقتين إلى خمس فرق. مع مثل هذه الأعداد الكبيرة، لا يمكن اقتراح أي شيء أفضل لهذه الأعداد الكبيرة من التقسيم إلى فيالق مؤلفة من ثلاث فرق لكل منها. ومن هذه الفرق ثمانية منهم سيشكلون الجيش الرئيسي (خط المعركة)، وستبقى هناك ستة كمفارز ولتقوية أي نقطة من الخط الرئيسي قد تتطلب الإسناد. إذا تم تطبيق هذا النظام على جيش من مائة وخمسين ألف جندي، فلن يكون من الممكن عملياً استخدام فرق من لوائين في كل مكان استخدم فيه نابليون والحلفاء الفيالق.

إذا شكلت تسع فرق الجيش الرئيسي –أي الأجنحة والقلب– وشكلت ستة أخرى الاحتياطي والمفارز، ستكون هناك حاجة إلى خمس عشرة فرقة، أو ثلاثين لواءً، والتي ستشكل مائة وثمانين كتيبة، إذا كان كل فوج منها يحتوي على ثلاث كتائب. هذا الافتراض يجعل تعداد جيشنا مائة وخمسة وأربعين ألف جندي مشاة ومئتي ألف جندي بالعموم. بوجود أفواج من كتيبتين ستكون هناك حاجة إلى مائة وعشرين كتيبة، أو ستة وتسعين ألف جندي مشاة، ولكن إذا كان كل فوج يحتوي على كتيبتين، يجب أن تكون كل كتيبة من ألف جندي، وهذا سيزيد المشاة إلى مائة وعشرين ألف جندي والجيش بأكمله إلى مائة وستين ألف جندي.

تُظهر هذه الحسابات أن قوة التقسيمات الصغرى يجب النظر فيها بعناية في ترتيبها في الفيالق والفرق. إذا كان الجيش لا يحتوي على أكثر من مائة ألف جندي، فإن التشكيل عن طريق الفرق ربما يكون أفضل من الفيالق. مثال على ذلك هو جيش نابليون في عام 1800.

بعد أن سعيت إلى شرح أفضل طريقة لإعطاء تنظيم دائم إلى حد ما للجيش الرئيسي، سيكون من المناسب لي أن أتساءل عما إذا كان الدوام على هذا التنظيم مرغوباً فيه، وهل من المفيد خداع العدو من خلال التغيير في كثير من الأحيان لتكوين الفيالق ومواقعها.

أعترف بميزة خداع العدو؛ ولكن قد يتم اكتسابها مع الاحتفاظ بتنظيم دائم للجيش الرئيسي. إذا كانت الفرق المخصصة للمفارز مرتبطة بالأجنحة والقلب، أي إذا كانت تلك الأجزاء تحتوي كل منها على أربع فرق بدلاً من ثلاث، وتم إضافة فرقة أو فرقتين إلى الجناح الذي من المحتمل أن يتحمل العبء الأكبر في الاشتباك وتوجيه الضربة القاضية، فسيتألف كل جناح من فيلق مؤلف من أربع فرق. لكن المفارز ستقللها عموماً إلى ثلاث، وأحياناً اثنتين، بينما قد يتم تعزيزها مرة أخرى بواسطة جزء من الاحتياطي حتى تصل إلى خمس فرق. وبالتالي فإن العدو لن يعرف أبدًا قوة الأجزاء المختلفة من الخط.

لقد أمعنت النظر بما فيه الكفاية في هذه التفاصيل. من المحتمل أنه مهما كانت قوة وأعداد التقسيمات الصغرى للجيش، فستحتفظ جميع القوى العظمى في أوروبا بتنظيم الفيالق، ويجب إجراء حسابات لترتيب خط المعركة على هذا الأساس.

تغيَّر توزيع القوات في خط المعركة في الوقت الحالي، وكذلك الحال في ترتيب الخط. سابقاً كانت تتألف من خطين عادة، ولكن الآن من خطين وخط أو أكثر للاحتياط. في الصراعات الأخيرة في أوروبا[395]، عندما توجه كتل كبيرة جداً للتصادم، لم يتم تشكيل الفيلق في خطين فقط، ولكن تم وضع الفيالق الواحدة تلو الأخرى، مما يشكل أربعة خطوط. والاحتياطي الذي يتم إعداده بنفس الطريقة، مما يشكل ستة خطوط من المشاة، والعديد من الخطوط لسلاح الفرسان. مثل هذا التشكيل قد يصلح نوعاً ما كتشكيل تحضيري، لكنه لا يصلح للمعركة أبداً، لأنه عميق للغاية.

لا يزال التشكيل التقليدي – إذا جاز لي استخدام هذا المصطلح – خطين للمشاة. إن اتساع ميدان المعركة وقوة الجيش قد يؤدي بالضرورة إلى عمق أكبر في بعض الأحيان. لكن هذه

[395] المترجمين الامريكيين: يشير مصطلح الأخيرة هنا إلى حروب نابليون الأول الأخيرة.

الحالات هي الاستثناء، لأن تشكيل الخطين والاحتياطي يعطي صلابة كافية، ويمكّن عدداً أكبر من الرجال من الاشتباك في آن واحد.

عندما يكون للجيش حرس دائم، قد يتم تشكيله إما أمام خط المعركة أو يتم نقله إلى المؤخرة لتعزيز الاحتياطي[396]؛ ولكن كما سبق أن ذكرنا فلن يحدث هذا غالباً مع الطريقة الحالية لتشكيل وتحريك الجيوش. كل جناح له حرسه الخاص عادة، والحارس المتقدم للجزء الرئيسي أو المركزي من الجيش مجهز أصلاً من قبل الفيلق الرائد. عند رؤية العدو تعود هذه الفيالق المتقدمة إلى مواقعها المناسبة في خط المعركة. غالباً ما يكون أغلب احتياطي الفرسان مع حرس المقدمة؛ لكن هذا لا يمنع اتخاذها –عند الضرورة في لحظة وقوع المعركة– المكان الثابت لها في خط المعركة حسب طبيعة الموقع أو حسب أوامر القائد العام.

تبعاً لما ذكر أعلاه سيجمع قرائي تلك التغييرات العظيمة جداً في تنظيم الجيوش في الحقبة منذ زمن نهضة فن الحرب واختراع البارود إلى الثورة الفرنسية، وذلك من أجل إعطاء التقدير الصحيح لحروب لويس الرابع عشر وبطرس الأكبر وفريدريك الثاني. يجب أن ينظروا إليها من وجهة نظر تلك الأيام.

جزء واحد من الطريقة القديمة قد لا يزال يستخدم؛ على سبيل المثال، إن نشر سلاح الفرسان على الأجنحة لا تعد قاعدة أساسية بعد الآن، إلا أنها تبقى ترتيباً جيداً لجيش من خمسين أو ستين ألف جندي، خاصة عندما تكون الأرض في الوسط ليست مناسبة جداً لعمل سلاح الفرسان كتلك الأرض التي في الأجنحة. ومن المعتاد إرفاق لواء أو فرقتين من سلاح الفرسان الخفيف بكل فيلق مشاة، حيث يتم وضع ألوية فرسان القلب باتجاه المؤخرة، بينما توضع التي في الأجنحة على الأجناب. إذا كانت احتياطيات سلاح الفرسان كبيرة بما فيه الكفاية للسماح بتنظيم ثلاث فيالق من هذا السلاح مع إعطاء واحد كاحتياطي للقلب وواحد لكل جناح، فإن الترتيب بالتأكيد جيد. إذا كان ذلك مستحيلاً، يمكن تشكيل هذا الاحتياطي

[396] المؤلف: وبما أن الحرس المتقدم في احتكاك مع العدو كل يوم، ويشكل الحرس الخلفي في حالة الانسحاب، فيبدو أنه من العدل في ساعة المعركة تخصيص موقع أكثر تراجعا من ذلك الموقع أمام خط المعركة.

في رتلين، أحدهما على يمين الجناح الأيسر والآخر على يسار الجناح الأيمن. وبالتالي تنتقل هذه الأرتال بسهولة إلى أي نقطة من الخط قد تكون مهددة[397].

تمتلك المدفعية في الوقت الحاضر قدرة أكبر على الحركة، وقد تكون كما كانت سابقاً موزعة على طول الجبهة، أي كل فرقة مدفعيتها تبقى بالقرب منها. علاوة على ذلك يمكن ملاحظة أن تنظيم المدفعية قد تحسن إلى حد كبير، ويمكن توزيعها الآن توزيعاً مفيداً بسهولة أكبر؛ لكن من الخطأ العظيم أن تبعثرها أكثر من اللازم. يمكن وضع القليل من القواعد الدقيقة للتوزيع الصحيح للمدفعية. على سبيل المثال، من يجرؤ على تقديم المشورة كقاعدة عامة لملء فجوة كبيرة في خط معركة بمائة قطعة مدفع في بطارية واحدة دون إسناد كاف، كما فعل نابليون بنجاح في فاغرام؟ لا أرغب في الخوض بالتفاصيل فيما يخص استخدام هذا السلاح، لكني سأعطي القواعد التالية:

1. يجب وضع المدفعية التي تجرها الخيل على أرض يمكن التحرك عليها بحرية في كل اتجاه.
2. سيتم نشر المدفعية التي يجرها الجنود على العكس من ذلك وخصوصاً مدفعية العيار الثقيل حيث تكون محمية بواسطة خنادق أو أسيجة من الهجمات المباغتة لسلاح الفرسان. ليس من الضروري بالنسبة لي أن أضيف – ما ينبغي على كل ضابط صغير أن يعرفه بالفعل – أن المواقع المرتفعة كثيراً ليست هي تلك التي تعطي المدفعية أكبر تأثير. الأرض المسطحة أو المنحدرة بلطف هي الأفضل.
3. تناور المدفعية التي تجرها الخيول عادة مع الفرسان، ولكن من الجيد أن يكون لكل فيلق في الجيش مدفعية خاصة بها تجرها الخيول، بحيث يتم توجيهها بسهولة على أي موضع مطلوب. وعلاوة على ذلك من المناسب وجود مدفعية تجرها الخيول كاحتياط، حيث يمكن نقلها في أسرع وقت ممكن إلى أي نقطة مهددة. من حق الجنرال بيننغسن Benningsen أن يهنئ نفسه في إيلاو Eylau لأنه كان يملك 50 قطعة مدفعية خفيفة كاحتياط؛ حيث كان لها تأثير قوي في تمكينه من التعافي عندما تم كسر خطه بين القلب والميسرة.

---

[397] المؤلف: هذا الترتيب لسلاح الفرسان بطبيعة الحال يتم على افتراض أن الأرض مناسب له. هذا هو الشرط الأساسي لكل خط جيد للمعركة.

4. من الناحية الدفاعية، من الأفضل وضع بعض البطاريات الثقيلة في المقدمة، بدلاً من وضعها في الاحتياط، لأن من المستحسن مهاجمة العدو بأقصى مدى ممكن، بهدف عرقلة حركته إلى الأمام والتسبب في اضطراب في أرتاله.
5. من الناحية الدفاعية أيضاً، يبدو من المستحسن توزيع المدفعية – التي ليست احتياط– على مسافات متساوية في البطاريات على طول الخط بأكمله، نظراً لأنه من المهم صد العدو في جميع النقاط. غير أن هذا لا ينبغي اعتباره قاعدة ثابتة؛ لطبيعة الموقع ونوايا العدو قد تلزم كتلة – الجزء الأكبر– المدفعية للانتقال إلى الجناح أو إلى القلب.
6. عند الهجوم فإنه من المفيد بنفس القدر تركيز نيران المدفعية القوية على نقطة واحدة حيث يكون من المطلوب إحراز ضربة حاسمة، بهدف تحطيم خط العدو إلى درجة أنه لن يتمكن من تحمل هجوم يحدد مصير المعركة. سأتكلم في مكان آخر أكثر عن توظيف المدفعية في المعارك.

الموضوع الرابع والأربعين: تشكيل المشاة واستخدامهم

سلاح المشاة بلا شك أهم أسلحة الجيش، لأنه يشكل أربعة أخماس الجيش ويُستخدَم في الهجوم والدفاع عن المواقع. إذا كان علينا الاعتراف بأن سلاح المشاة هو الأداة الأكثر أهمية في تحقيق النصر (بعد عبقرية الجنرال)، فإن هذا لا يقلل من حقيقة أن أهم إسناد لهم هو الذي يقدمه سلاح الفرسان والمدفعية، وأنه بدون إسنادهما قد يتعرض المشاة لخطر شديد في بعض الأحيان، وفي أحسن الأحوال يحقق نجاحاً جزئياً فقط.

لن ندخل هنا في النقاشات القديمة حول التشكيلات العميقة والغير عميقة، على الرغم من أن هذه المسألة التي كان من المفترض أن يُبت فيها، ما زالت بعيدة تماماً عن الحل. أدت الحرب في إسبانيا ومعركة واترلو إلى نشوب نزاعات حول المزايا النسبية للنار والنظام الغير عميق وبين أرتال الهجوم والنظام العميق. سوف أعطي رأيي الخاص لاحقاً.

ومع ذلك يجب ألا يُساء فهمنا حول هذا الموضوع. والسؤال المطروح الآن ليس ما إذا كان لويد على صواب في رغبته في إضافة صف رابع مسلح بالحراب إلى تشكيل المشاة، مع توقعه إيقاع صدمة أكبر عند الهجوم، أو إبداء مقاومة أكبر عند الدفاع. كل ضابط صاحب

خبرة يعرف صعوبة التحرك بطريقة منظمة من عدة كتائب منتشرة في ثلاث صفوف مرتبة متراصة، وأن الصف الرابع سيزيد من الاضطراب دون إضافة أي تفوق. إنه لأمر مدهش أن لويد Lloyd الذي خدم في الجيش، كان يصر كثيراً على التفوق المادي من خلال زيادة كتلة الكتيبة؛ لأنه من النادر جداً أن مثل هذا التصادم بين القوات المتقابلة يحسمه مقدار الكتلة فقط. إذا أدارت ثلاثة صفوف ظهرها للعدو فإن الرابع لن يمنعهم. هذه الزيادة في عدد الصفوف تُقصِّر الجبهة وتقلل عدد الجنود الذين يطلقون النار من موقع دفاعي، بينما في الهجوم فإن قابليتها للحركة أبعد ما تكون عن قابلية حركة الرتل الهجومي النظامي. تحريك ثمانمائة جندي في خط المعركة في أربعة صفوف أصعب بكثير من تحريكهم في ثلاثة، على الرغم من أنه في الحالة الأولى يكون طول الجبهة أقل، ولا يمكن أن تبقى الصفوف متراصة بشكل صحيح.

إن اقتراح لويد لعلاج هذا النقص في الجبهة هو اقتراح سخيف إلى درجة أنه من الصعب التصديق أن رجل عبقري مثله يتصور هذا الاقتراح. كان بوده أن ينشر عشرين كتيبة، ويترك بينهم مائة وخمسين ياردة[398]، أو فاصل مساوٍ لطول جبهتهم. قد نتساءل ما الذي يمكن أن يحدث لهذه الكتائب المتباعدة؟ سيخترق فرسان العدو هذه الفواصل ويجعلونهم هباءً منبثاً.

لكن السؤال الحقيقي الآن هو هل سيتكون خط المعركة من كتائب منتشرة تعتمد بشكل رئيسي على نيرانها، أم من أرتال هجوم، كل كتيبة يتم تشكيلها في رتل في الفرقة المركزية وتعتمد على قوتها واندفاعها؟

وسأشرع الآن في تلخيص التفاصيل المتعلقة بحسم المسألة المطروحة. هناك في الواقع خمس طرق فقط لتشكيل قوات لمهاجمة العدو:

1. كمناوشين
2. في الخطوط المنتشرة، إما مستمرة أو شطرنجية.
3. في خطوط الكتائب التي تشكلت في رتل في الفرق المركزية.

[398] حوالي 137 متراً

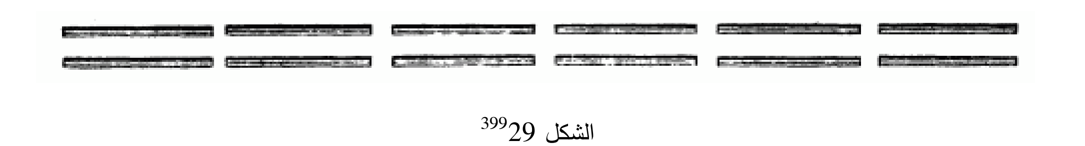


4. في الكتل العميقة.
5. في المربعات الصغيرة.

نظام المناوشين نظام مكمل، يُستخدَم لغرض مهمات المناوشين وليست لتشكيل خط المعركة، وإنما لتغطيتها باتخاذ مواقع حاكمة لحماية تحركات الأرتال، ولملء الفواصل ولحماية جوانب المواقع.

وبالتالي يمكن اختزال طرق التشكيل المختلفة هذه إلى أربعة:

- النظام الغير عميق حيث يتم نشر الخط في ثلاثة صفوف.
- النظام النصف عميق المكون من خط من كتائب في أرتال مزدوجة على المركز أو في مربعات الكتائب.
- النظام المختلط حيث يكون الفوج نصفه في الخط والباقي في الأرتال.
- النظام العميق المؤلف من أرتال ثقيلة من الكتائب تنتشر الواحدة تلو الأخرى.



الشكل 29[399]

أُستخدِم التشكيل في خطين منتشرين مع وجود احتياطي إلى حد كبير؛ فهو مناسب للدفاع بالتحديد. قد تكون الخطوط المنتشرة إما مستمرة (الشكل 29) أو شطرنجية أو مائلة.

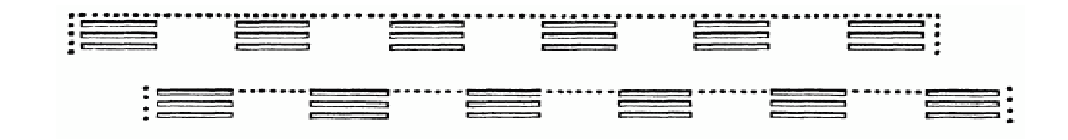


الشكل 30– 12 كتيبة في أرتال هجومية من خطين، مع مناوشين في الفواصل

الشكل 30 هو نظام أكثر تراص، حيث كل كتيبة مشكلة في أرتال هجومية، على شكل فرق في الفرقة المركزية. إنها حقيقة خط من الأرتال الصغيرة.

[399] المؤلف: في هذا الشكل والأشكال التالية سنفترض بأن الفرق تتألف من 12 كتيبة.

في التشكيل الثلاثي الصفوف تتألف الكتيبة المؤلفة من أربع فرق[400] (يعني ثماني سرايا) من 12 صفا في أرتال كالتي عرضناها فيما سبق. بهذه الطريقة يصبح لدينا الكثير من غير المقاتلين (الذين لا يستطيعون إطلاق النار)، والأرتال تمثل أهدافاً جيدة للغاية بالنسبة للمدفعية. لمعالجة هذه المشكلات جزئياً تم اقتراح بأنه كلما تم استخدام المشاة في أرتال هجومية، لتشكل صفين لوضع ثلاثة فرق فقط من كتيبة واحدة خلف الأخرى، ونشر الرابعة كمناوشين في الفواصل بين الكتائب وعلى الجناحين؛ عندما تنقض الخيالة يحتشد المناوشون خلف الفرق الثلاثة الأخرى (انظر الشكل 31). سيكون لدى كل كتيبة أكثر من مائتي جندي آخر جاهزين لإطلاق النار، بالإضافة إلى أولئك الذين تم جلبهم إلى الصفوف الأمامية من الصف الثالث. سيكون هناك أيضاً زيادة في طول الجبهة كلها. من خلال هذا الترتيب سيصل عمقهم إلى ستة صفوف فيما سيكون هناك مائة جندي إلى الأمام وأربعمائة جندي يمكنهم استخدام أسلحتهم النارية لكل كتيبة. وبذلك تتحقق القوة وقابلية الحركة على حد سواء[401]. تضم الكتيبة ثمانمائة جندي في التشكيل النظامي المؤلف من 4 فرق (أي مجموعها 8 سرايا) في رتل، وتتألف من حوالي ستين طابوراً في كل فرقة، الأولى بمفردها – وفقط من الصفين الأوليين منها – تطلق نيرانها. بالتالي ستطلق كل كتيبة مائة وعشرين طلقة في كل رمية، بينما الكتيبة المشكلة كما في الشكل 31 ستقدر على إطلاق أربعمائة طلقة في الرمية.



الشكل 31

عند البحث عن طرق الحصول على المزيد من النيران عند الضرورة، يجب ألا ننسى أنه لا يُقصد من الرتل الهجومي إطلاق النار، وأن نيرانه يجب أن تظل محفوظة حتى النهاية؛ لأنه إذا بدأ إطلاق النار أثناء المسيرة يفقد تأثيره الاندفاعي نحو الأمام. علاوة على ذلك فإن هذا

[400] المؤلف: تستخدم كلمة فرقة للإشارة إلى أربعة أفواج أو خمسة، وكذلك تستخدم للإشارة إلى سريتين من الكتيبة، هناك خطر من حدوث الالتباس في هذا الاستخدام.

[401] المؤلف: في الجيش الروسي يتم أخذ المناوشين من الصف الثالث لكل فرقة، مما يجعل الرتل من ثمانية جنود في العمق بدلا من اثني عشر، مما يعطي المزيد من قابلية الحركة. لتسهيل حشد المناوشين على الأرتال ربما يكون من الأفضل أن تأخذ الفرقة الرابعة بأكملها لهذا الغرض، وبالتالي إعطاء تسعة صفوف، أو ثلاث فرق من ثلاثة صفوف ضد المشاة، بينما ضد الفرسان سيكون هناك 12 صفا.

النظام قليل العمق سيكون مفيداً فقط ضد المشاة، حيث أن الرتل المؤلف من أربعة فرق في ثلاثة صفوف – تشكل نوعًا من المربع الصلب – سيكون أفضل ضد الفرسان. وجد الأرشيدوق تشارلز أنه من المفيد في إسلنغ Essling، ولا سيما في فاغرام Wagram اعتماد هذا النظام الأخير، الذي اقترحته بنفسي في الفصل الخاص بالمبادئ العامة للحرب الذي نُشر عام 1807. لم يتمكن الفرسان الشجعان للجنرال (الفرنسي) بيسريز Bessieres من التأثير على هذه الكتل الصغيرة.

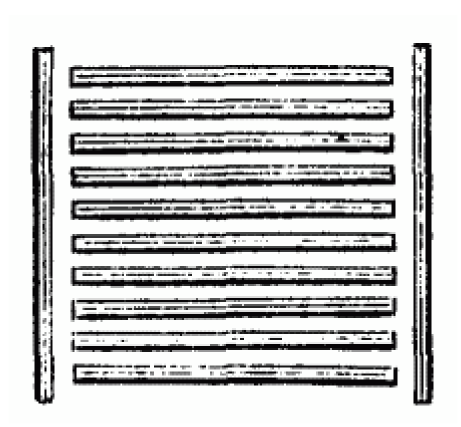
لإضفاء مزيد من الصلابة على الرتل المقترح، يتوجب استدعاء المناوشين، وأن تكون الفرقة الرابعة قد أعيد تشكيلها؛ لكن هذا سيكون تشكيلاً من صفين، وسيقاوم الانقضاضات أقل بكثير من التشكيل الثلاثي الصفوف، وبشكل خاص على الأجنحة. لعلاج هذه المشكلة يُقترح تشكيل مربعات، يعتقد العديد من العسكريين أنه عندما تكون المربعات في صفين لن تقاوم بشكل جيد مثل الأرتال. مع ذلك كانت المربعات الإنجليزية في واترلو في صفين فقط، وعلى الرغم من الجهود البطولية التي بذلها سلاح الفرسان الفرنسي تم كسر كتيبة واحدة فقط. بقي أن أبدي ملاحظتي، أنه إذا استخدم التشكيل ذو الصفين للأرتال الهجومية، سيكون من الصعب الحفاظ على التشكيل في ثلاثة صفوف للخطوط المنشورة، حيث أنه من النادر أن يكون ممكناً وضع تشكيلين، أو على الأقل توظيفهما بالتناوب في نفس الاشتباك. ليس من المحتمل أن يقوم أي جيش أوروبي (باستثناء الإنجليز) باستخدام خطوط منشورة في صفين. إذا فعلوا ذلك فيجب ألا يتحركوا أبداً إلا في أرتال هجومية.

أخلص إلى أن النظام الذي استخدمه الروس والبروس بتشكيل أرتال من أربعة فرق في ثلاثة صفوف، والتي من الممكن استخدام إحدى هذه الفرق كمناوشين عند الضرورة، هو أكثر قابلية للتطبيق من أي نظام آخر. في حين أن الآخر الذي تم ذكره لن يكون مناسباً إلا في حالات معينة ويتطلب تشكيلاً مزدوجاً.

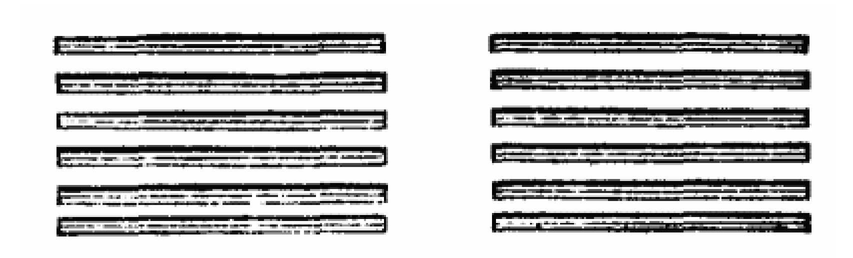


الشكل 32

هناك نظام مختلط استخدمه نابليون في تاليامنتو Tagliamento والروس في إيلاو، حيث تم نشر الأفواج المؤلفة من ثلاث كتائب، فوج واحد لتشكيل الخط الأول، واثنين آخرين إلى العمق (نحو المؤخرة) في أرتال. (انظر الشكل 32). هذا النظام – الذي ينتمي أيضاً إلى النظام نصف العميق – مناسب للدفاع والهجوم، لأن الخط الأول يسلط نيراناً قوية على العدو، مما يتسبب بنشر الفوضى في صفوفه لحد ما، وقد تنساح القوات التي تشكلت في أرتال من خلال الفواصل وتهجم بتفوق على العدو أثناء حدوث الفوضى. من المحتمل أن يتم تحسين هذا النظام من خلال وضع الفرق الرائدة المؤلفة من كتيبتين للأجنحة على نفس الخط مع الكتيبة المركزية المنشورة. سيكون هناك بالتالي نصف كتيبة أكثر لكل فوج في الخط الأول، وهذا الأمر لن يُعدم من الفائدة عند القيام بالرمايات. قد يكون هناك سبب للخوف من أن هذه الفرق ستنخرط في إطلاق النار، لكن كتائبهم التي تشكلت في رتل يمكن إطلاقها بسهولة ضد العدو، إلا أنه لا يمكن فكها عن الاشتباك بسهولة لهذا الغرض. قد يكون النظام مفيداً في كثير من الحالات. ولذلك أشرت إليه.



الشكل 33

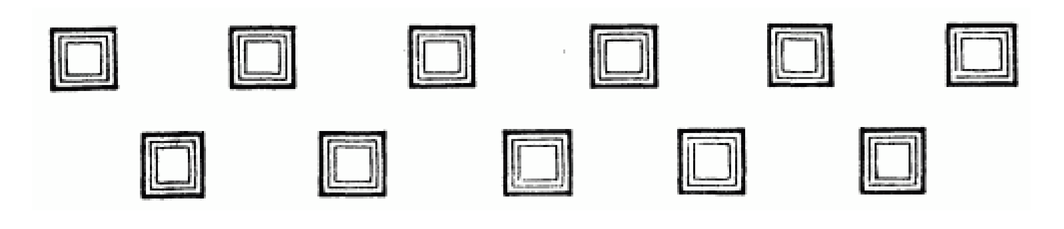


الشكل 34

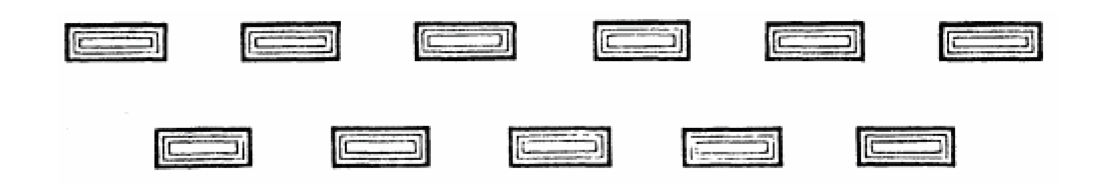
من المؤكد أن نظام الكتل العميقة جداً (انظر الشكلين ٣٣ و٣٤) هو النظام الأسوأ. في حروب نابليون الأخيرة تم نشر اثني عشر كتيبة في بعض الأحيان مع رص الواحدة تلو الأخرى، مما شكل ستة وثلاثين صفا متراصاً. مثل هذه الكتل معرضة إلى حد كبير للتأثيرات المدمرة للمدفعية، وقابلية حركتها واندفاعها قليل، وكذلك قوتها. كان استخدام مثل هذه الكتل في واترلو أحد أسباب هزيمة الفرنسيين. كان رتل ماكدونالد أكثر حظاً في فاغرام، ولكن مع تضحيات كبيرة. ولعل هذا الرتل كان سيُهزم لولا نجاحات دافو Davoust وأودينوت Oudinot على ميسرة خط الأرشيدوق.

عندما يُتخَذ قرار بالمجازفة بكتلة باستخدام هذا التشكيل، يجب ضمان اتخاذ الاحتياطات من خلال وضع كتيبة في كل جناح تسير في طابور، بحيث إذا حاول العدو الانقضاض على الكتلة من أجنابها، فلن تستطيع إيقاف تقدم الرتل (انظر الشكل 33). تحت حماية هذه الكتائب التي قد تواجه العدو، قد يستمر الرتل في مسيرته إلى النقطة التي يتوقع الوصول إليها، وإلا فإن هذه الكتلة الكبيرة إذا تعرضت لنيران متقاطعة قوية فليس لديه أي وسيلة للعودة، وسوف تقع في حالة من الارتباك مثل الرتل في فونتينوي Fontenoy، أو تتكسر كما تعرضت التشكيلات السلامية phalanx المقدونية من قبل باولوس إميلوس Paulus Emilius.

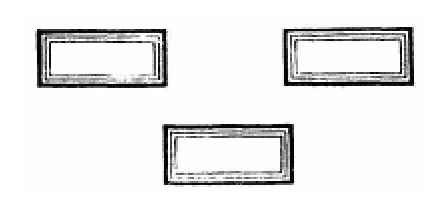
المربعات جيدة في السهول لمواجهة العدو الذي لديه تفوق في سلاح الفرسان. من المتفق عليه أن الأفواج المربعة هي الأفضل للدفاع، والكتائب المربعة هي الأفضل للهجوم (انظر الأشكال 35 و36 و37).



الشكل 35- فرقة في كتائب مربعة



الشكل 36– نفس الفرقة في كتائب مستطيلة



الشكل 37– أفواج من 3 كتائب مربعة

قد تكون الأشكال عبارة عن مربعات مثالية، أو مستطيلات لتكوين جبهة كبيرة ولصب وابل كثيف من النيران في اتجاه العدو. وهكذا يشكل الفوج من ثلاث كتائب مستطيلاً، بتحريك كتيبة القلب نصفها إلى الميمنة والنصف الثاني إلى الميسرة.

في الحروب التركية يكاد ينحصر عمل المشاة في تشكيل المربعات، لأن العمليات القتالية كانت تتم في السهول الشاسعة من بيسارابيا أو مولدافيا، أو والاشيا، وكان لدى الأتراك قوة هائلة من الفرسان. ولكن عندما انتقلت ساحة الحرب إلى جبال البلقان أو ما وراءها، واستبدل سلاح الفرسان غير النظامي بجيش منظم حسب النسب المعتادة في أوروبا، فإن أهمية المربعات اختفت، وأظهر المشاة الروس تفوقهم في روميليا.

ومع ذلك قد يكون هذا النظام (الكتائب المربعة أو الأفواج) مناسباً لكل نوع من الهجمات، عندما لا يمتلك المهاجم التفوق في سلاح الفرسان والمناورات على أرض مستوية تكون لصالح انقضاضات العدو. المستطيلات خاصة عند تطبيقها على كتيبة من ثماني سرايا، ثلاث منها ستسير في الأمام وواحدة على كل جانب؛ ستكون أفضل بكثير من شن هجوم بكتيبة منشورة. لن يكون ذلك جيداً مثل الرتل المقترح أعلاه. ولكن سيكون أكثر استقراراً واندفاعاً مما لو سارت الكتيبة في خط منتشر. سيكون لها تفوق أيضاً في كونها مستعدة لمقاومة الفرسان.

يمكن أيضاً وضع المربعات في أنساق درجية، بحيث تتكشف جميع المربعات تماماً. يمكن تشكيل كل نظام المعركة من المربعات كما يتم تشكيلها من الخطوط المنشورة.

لا يمكن القول بحقيقة أن أي من هذه التشكيلات الموصوفة دائماً جيدة أو سيئة دائماً. ولكن هناك قاعدة واحدة صحيحة التي سيوافق عليها الجميع، وهو أن **التشكيل المناسب للهجوم يجب أن يمتلك خصائص الصلابة والحركة والزخم، في حين أن التشكيل المناسب للدفاع من الضروري أن يمتلك الصلابة، وكذلك القدرة على إطلاق أكبر قدر من النيران.**

مع الاعتراف بهذه الحقيقة لا يزال يتعين البت فيما إذا كانت القوات الشجاعة المشكلة في أرتال ولكنها غير قادرة على إطلاق النار، يمكن أن تقف طويلاً في وجود خط منتشر يطلق عشرين ألف كرة مسكيت في جولة واحدة، وقادرة على إطلاق مائتي ألف أو ثلاثمائة ألف في خمس دقائق. في الحروب الأخيرة في أوروبا، كانت الأرتال الروسية والفرنسية والبروسية تحمل السلاح على الكتف وبدون إطلاق النار تستولي على المواقع. كان هذا انتصاراً للزخم وتأثيراً معنوياً ينتج عن الأرتال، ولكن تحت وطأة النيران المميتة للقوات الإنجليزية، لم تنجح الأرتال الفرنسية في معارك طلبيرة Talavera وبوساكو Busaco وفوينتيس دي أونور fuente-de-Onore والبويرا Albuera وواترلوو.

ومع ذلك يجب ألا نستنتج من هذه الحقائق بالضرورة أن الميزة هي لصالح تشكيلات إطلاق النار الغير العميقة؛ لأن الفرنسيون عندما شكلوا مشاتهم في تلك الكتل الكثيفة، بحيث لم يكن من المفاجئ أبداً بأن تتلقى تلك الكتائب المنشورة والمتقدمة المشكلة للأرتال النيرانَ المميتة من جميع الجهات، مما أدى في النهاية لصدها. هل كانت النتيجة نفسها ستحصل لو أنهم استخدموا الأرتال الهجومية المؤلفة كل واحدة منها من كتيبة واحدة مزدوجة في القلب؟ لا أعتقد ذلك. قبل اتخاذ رأي نهائي يحكم بتفوق النظام الغير عميق مع سهولتها لإطلاق النار على النظام النصف عميق وزخمه، يجب أن تكون هناك العديد من التجارب لنرى كيف سيقف الخط المنتشر على هجوم من تشكيل مثل الشكل 31، وقد رأيت نجاح هذه الأرتال الصغيرة دائما أينما جُرّبت.

هل حقا من السهل اتخاذ أي نظام آخر عند المسيرة لمهاجمة أحد المواقع؟ هل يمكن نقل خط منشور كبير إلى العمل أثناء إطلاق النار؟ أعتقد أن لا أحد سيجيب بالإيجاب.

لنفترض أننا سنحاول إحضار عشرين أو ثلاثين كتيبة في الخط أثناء إطلاق النار على شكل طابور أو سرية، للهجوم على موقع محمي بشكل جيد. فإن احتمال وصولهم للنقطة المطلوبة ضعيف جداً، حتى لو فعلوا لن يكونوا بنظام أفضل من قطيع أغنام.

ما هي الاستنتاجات التي سنستخلصها من كل ما قيل؟

1. إذا كان النظام العميق خطيراً، فإن النظام النصف عميق ممتازٌ للهجوم.
2. إن الرتل الهجومي المؤلف من كتيبة واحدة هو أفضل تشكيل للاستيلاء على موقع عن طريق الهجوم، ولكن يجب تقليل عمقها قدر المستطاع، بحيث يمكن عند الضرورة أن تكون قادرة على إيصال أكبر قدر من النيران، والتقليل من تأثير نيران العدو. يجب أن يتم تغطيتها بشكل جيد من قبل المناوشين وإسنادهم بواسطة الفرسان.
3. تشكيل الخط الأول المنتشر والخط الثاني في أرتال هو الأنسب للدفاع.
4. قد يكون أي منهما ناجحاً في يد جنرال موهوب، الذي يعرف كيفية استخدام قواته بشكل صحيح على النحو المبين في الموضوع السادس عشر والثلاثين.

منذ كتابة هذا الفصل لأول مرة تم إجراء العديد من التحسينات في الأسلحة على حد سواء في المشاة والمدفعية، مما جعلها أكثر تدميراً. تأثير هذا هو ميل الجنود إلى تفضيل التشكيلات الغير عميقة، حتى في الهجوم. ومع ذلك لا يمكننا تجاهل دروس التجارب السابقة، وبغض النظر عن استخدام بطاريات الصواريخ والقذائف المتشظية وبندقية بيركنز لا يمكنني تخيل طريقة أفضل لتشكيل المشاة للهجوم من أرتال الكتائب. قد يرغب بعض الأشخاص في أن يعود المشاة لارتداء الخوذ والدروع الصدرية من القرن الخامس عشر، قبل أن يقودهم إلى الهجوم في الخطوط المنتشرة. ولكن إذا كانت هناك عودة عامة إلى النظام المنشور، فيجب وضع بعض الترتيبات أفضل من السير للهجوم في خطوط طويلة مستمرة، ويجب استخدام الأرتال مع مسافات مناسبة للنشر عند الوصول بالقرب من موقع العدو، أو الخطوط الشطرنجية، أو يجب أن تكون المسيرة على أجناب السرايا، جميع المناورات تكون

خطرة في وجود عدو قادر على الاستفادة من المزايا على جانبه. سوف يستخدم القائد الماهر إحدى هذه الترتيبات أو مزيج من جميعها وفقا للظروف.

علمتني الخبرة منذ زمن بعيد أن إحدى أكثر المشاكل التكتيكية صعوبة هي تحديد أفضل تشكيل للقوات في المعركة؛ لكنني تعلمت أيضاً أن حل هذه المشكلة عن طريق استخدام طريقة واحدة هو أمر من المستحيلات.

في المقام الأول في التأثير، تضاريس (طوبوغرافية) مختلف البلدان المتنوعة جداً. في البعض (مثل الشمبانيا) يمكننا المناورة بمائتي ألف جندي في خطوط منتشرة. في مناطق أخرى (مثل إيطاليا وسويسرا ووادي الراين ونصف المجر) بالكاد يمكن نشر فرقة من عشرة كتائب. كذلك درجة تعليم القوات وخصائصها القومية لها تأثير على نظام التشكيل.

بسبب الانضباط التام للجيش الروسي وتعليماته في المناورات من كل نوع، فإنه قد يحافظ في حركات طويلة على الكثير من النظام والثبات حتى يتمكن من تطبيق نظام يكون مستحيلاً تماماً بالنسبة للجيوش الفرنسية أو البروسية في يومنا هذا. لقد علمتني تجربتي الطويلة أن أصدق أنه لا شيء مستحيل. وأنا لا أنتمي إلى فئة الرجال الذين يعتقدون أنه يمكن أن يكون هناك نوع واحد ونظام واحد لجميع الجيوش وجميع البلدان.

لتقريب الوصول إلى حل المشكلة يبدو لي أنه يجب علينا معرفة:

1. أفضل طريقة للتحرك عند رؤية العدو، ولكن بعيداً عن متناوله.
2. أفضل طريقة لقتاله عن قرب.
3. أفضل نظام دفاعي.

بأي طريقة يمكننا حل هذه النقاط، يبدو من المرغوب فيه في جميع الحالات تدريب القوات:

1. على المسير في أرتال الكتائب المزدوجة في القلب بهدف الانتشار إذا لزم الأمر، عند وصولهم إلى مدى المسكيت، أو حتى الهجوم في أرتال.
2. على المسير في الخطوط المنتشرة المتصلة من ثماني أو عشرة كتائب.
3. على المسير في الكتائب المنتشرة في خطوط شطرنجية، هذه الخطوط المكسورة يمكن نقلها بسهولة أكثر من الخطوط المتصلة.

4. في الانتقال إلى الأمام من أجناب السرايا.
5. على المسير أمام المربعات الصغيرة، سواء في خط متصل أو شطرنجي.
6. على تغيير الجبهة أثناء استخدام هذه الأساليب المختلفة من المسير.
7. على تغيير الجبهة التي تنفذها أرتال السرايا على مسافة كاملة دون نشرها وهي طريقة أكثر سرعة من غيرها في تغيير الجبهة، والأكثر ملاءمة لجميع أنواع الأرض.

من بين جميع الطرق للانتقال إلى الأمام، ستكون تلك من أجناب السرايا هي الأفضل إذا لم تكن خطرة إلى حد ما. في السهول تنجح الطريقة بشكل يثير الإعجاب، وفي الأرض الوعرة سهلة للغاية. تقطع هذه الطريقة الخط كثيراً جداً. ولكن عن طريق تعويد الضباط والجنود عليه، وبإبقاء المرشدين وحاملي الرايات في وضع جيد يمكن تجنب كل الارتباك. والاعتراض الوحيد على ذلك هو الخطر الذي تتعرض له السرايا المنفصلة من الفرسان. يمكن تجنب هذا الخطر من خلال وجود مستطلعين جيدين من الفرسان، وعدم استخدام هذا التشكيل بالقرب من العدو، ولكن فقط في الاستيلاء على الجزء الأول من الفراغ الكبير الذي يفصل بين الجيشين. في أول علامة على اقتراب العدو يمكن إعادة تشكيل الخط على الفور، لأن السرايا يمكن أن تقدم في صف واحد على وجه السرعة. مهما كانت الاحتياطات التي يمكن اتخاذها ينبغي فقط أن تمارس هذه المناورة مع قوات جيدة الانضباط، ولا يمكن أبداً القيام بها مع الميليشيات أو مع قوات مبتدئة. لم أشهد أبداً على تجربة هذه الطريقة في وجود عدو، ولكن في كثير من الأحيان في المناورات التدريبات، حيث وجد أنها تنجح بشكل جيد، خاصة في تغيير الجبهة.

لقد رأيت أيضاً محاولات للقيام بالمسير بكتائب منشورة بنظام الشطرنج. لقد نجحوا بشكل جيد. بينما مسيرات نفس الكتائب في خطوط متصلة لم تنجح. الفرنسيون على وجه الخصوص لم يتمكنوا من السير بثبات في الخطوط المنتشرة. إن النظام الشطرنجي خطير في حالة وجود انقضاضات غير متوقعة من سلاح الفرسان. قد يتم توظيفه في المراحل الأولى من الحركة إلى الأمام لجعله أكثر سهولة، والكتائب الخلفية ستصطف مع الكتائب الرائدة قبل الوصول إلى العدو. وعلاوة على ذلك من السهل تشكيل خط في لحظة

الانقضاض عن طريق ترك مسافة صغيرة فقط بين الكتيبة الرائدة واللاحقة؛ لأننا يجب ألا ننسى أنه في النظام الشطرنجي لا يوجد خطين، بل خط واحد منكسر، لتجنب التذبذب والفوضى الملاحظة في مسيرات الخطوط المتصلة.

من الصعب للغاية تحديد أفضل تشكيل للقيام بهجوم قوي وعنيف على الأعداء. من بين كل الطرق التي رأيتها وتمت تجربتها، يبدو أن ما يلي هو الأفضل، شكل 24 كتيبة في خطين من كتائب في الأرتال المضاعفة على القلب جاهزة للنشر: الخط الأول سوف يتقدم بخطى متسارعة نحو خط العدو بقدر مدى المسكيت مرتين، ثم يتم نشره بشكل سريع. سوف تنتشر سرايا المناوشين النخبة voltigeur لكل كتيبة في نظام المناوشين، بينما تقوم السرايا المتبقية بتشكيل الخط وتصب نيران مستمرة في طابور؛ يتبع الخط الثاني من الأرتال الخط الأول، وتنتقل الكتائب التي تتكون منها منقضين من خلال الفراغات في الخط الأول. يتم تنفيذ هذه المناورة عندما لا يكون هناك عدو. ولكن يبدو لي هذا عبارة عن مزيج رائع من مزايا إطلاق النار والأرتال.

إلى جانب خطوط الأرتال هذه، توجد ثلاث طرق أخرى للهجوم في النظام النصف عميق:

الأولى: هي الخطوط التي تتكون من كتائب منشورة مع آخرين في أرتال على أجنحة أولئك تلك المنشورة (الشكل 32). ستفتح الكتائب المنشورة والفرق الرائدة لأولئك الموجودين في الرتل ستفتح النيران من نصف المدى، وسيتم بعد ذلك الهجوم.

الثانية: هو التقدم بخط منشور وإطلاق النار حتى تصل إلى نصف مدى المسكيت musket، ثم توجيه الأرتال من الخط الثاني من خلال الفراغات في الأولى.

الثالثة: هو النظام في أنساق درجية المذكورة سابقاً، ويظهر في الشكل 15 من الفصل الرابع.

الرابعة: وهي الأخيرة وتتمثل في التقدم بشكل كامل في الخطوط المنتشرة، اعتماداً على تفوق النار بمفرده، إلى أن يهرب أحد الطرفين، وهذه حالة من غير المحتمل حدوثها.

لا أستطيع أن أؤكد بشكل إيجابي على أي من هذه الأساليب هي الأفضل؛ لأني لم أراها تُستخدم في الخدمة الفعلية. في الواقع في المعارك الحقيقية من المشاة لم أرَ أبداً شيئاً سوى الكتائب التي تم نشرها للبدء بإطلاق النار على شكل السرايا، وأخيراً بالطوابير، أو بالأرتال

التي تسير بثبات ضد العدو، الذي إما أن يهرب دون حتى إطلاق الأرتال للنار، أو تصدها قبل وقوع الاصطدام الفعلي باستخدام النيران، أو يتحركون للاصطدام بالأرتال بأنفسهم. لقد شاهدت الاشتباك القريب للمشاة في الشعب وفي القرى، حيث تصطدم طليعة الأرتال تصادماً جسدياً ويطعن بعضهم البعض بالحراب. لكنني لم أر مثل هذا الشيء في ساحة المعركة العادية.

وبأية طريقة تنتهي بها هذه المناقشات، فإنها مفيدة ويجب مواصلتها. سيكون من السخف أن ننبذ نيران المشاة على أنها عديمة الجدوى، وكذلك التخلي عن التشكيل النصف عميق بالكامل. وسيدمر الجيش إذا أُجبِر على التمسك بالضبط بنفس أسلوب المناورات التكتيكية في كل دولة قد يدخلها وضد كل الدول المختلفة. **إنه ليس أسلوب التشكيل بقدر ما هو الاستخدام المشترك الصحيح لمختلف الأسلحة الأمر الذي سيضمن النصر**. ومع ذلك لا بد لي من استثناء الكتل العميقة، حيث ينبغي التخلي عنها تماماً.

سأختتم هذا الموضوع بالقول إن النقطة الأكثر حيوية التي يجب أن يستحضرها من يقود المشاة للقتال هي حماية الجنود قدر المستطاع من نيران مدفعية العدو، وذلك ليس عن طريق سحبها في لحظات غير ملائمة، وإنما بالاستفادة من وعورة الأرض وتضاريسها لإخفاء المشاة عن نظر العدو. عندما تصل القوات المهاجمة إلى داخل نطاق المسكيت، فإنه لا فائدة من حمايتها (تغطيتها) لفترة أطول، ومن ثم يجب القيام بهجوم بعد ذلك. في مثل هذه الحالات لا تناسب التغطية (الحماية) إلا المناوشين والقوات في موقع دفاعي.

من المهم بشكل عام الدفاع عن القرى المتقدمة على المواقع، أو السعي إلى أخذها عندما يكون فيها عدو نهاجمه، لكن أهميتها لا ينبغي المبالغة فيها؛ لأننا يجب ألا ننسى معركة بلينهايم Blenheim المرموقة، لما شاهد مارلبورو ويوجين كتل المشاة الفرنسية في القرى منغلقين فيها، هجما على القلب ومن ثم تم تدمير وأسر 24 كتيبة فرنسية ضُحِّي بهم في الدفاع عن هذه المواقع.

لأسباب شبيهة يصبح من المفيد احتلال كتل الأشجار أو الأدغال، مما قد يوفر غطاء للطرف الممسك بها. إنها تأوي القوات، وتخفي تحركاتهم، وتغطي سلاح الفرسان، وتمنع العدو من المناورة في الجوار. تعد حديقة هوجومونت في معركة واترلو مثالاً رائعاً عن تأثير

امتلاك مثل هذه المواقع، الذي تم اختياره بعناية وحمايته بقوة، في تقرير مصير المعركة. في هوخكيرش Hochkirch وكولين Kolin كانت السيطرة على الغابة مهمة جداً.

الموضوع الخامس والأربعين: الخيالة

يعتمد استخدام الجنرال لسلاح الفرسان بعض الشيء على قوته النسبية بالمقارنة بخيالة العدو من ناحية العدد وجودة الخيل. حتى الخيالة الرديئة إذا ما أُحسن استعمالها ستقدم نتائج رائعة جداً، إذا ما فُعِّلَت في اللحظات المناسبة.

تفاوتت النسبة العددية لسلاح الفرسان إلى سلاح المشاة في الجيوش بشكل كبير. يعتمد ذلك على الطبيعة الخاصة بكل أمة بحيث تجعل شعبها بشكل أو بآخر فرساناً جيدين. عدد وجودة الخيول أيضاً لها تأثير في هذا الأمر. في حروب الثورة قام سلاح الفرسان الفرنسي بأداء عظيم على الرغم من تنظيمه بشكل سيئ وأدنى بكثير من النمسا. في عام 1796 رأيت ما سُمِّي تفخيماً باحتياطي سلاح الفرسان في جيش الراين، وفي الحقيقة هو لواء ضعيف بالكاد يصل إلى ألف وخمسمائة حصان! بعد عشر سنوات رأيت نفس الاحتياطي يتألف من خمسة عشر ألفاً أو عشرين ألف حصان، الكثير من الأفكار والوسائل تغيرت.

كقاعدة عامة، يمكن القول بأن جيشاً في بلد مفتوح يجب أن يحتوي على سلاح خيالة يصل تعداده إلى سدس مجموع قوته؛ بينما في البلدان الجبلية العُشْر يكفي.

تستمد القيمة الأساسية لسلاح الفرسان من سرعته وسهولة حركته. لهذه الخصائص يمكن أن تضاف لها صفة الاندفاع؛ ولكن يجب أن نكون حذرين لئلا يُساء استخدام هذا الأخير.

مهما كانت أهميتها في مجموع عمليات الحرب، فلا يمكن لخيالة الفرسان أن تدافع عن المواقع بدون إسناد المشاة. واجبها الرئيسي هو فتح الطريق لكسب النصر، أو جعله مكتملاً عن طريق حمل الأسرى والغنائم وملاحقة العدو وسرعة الاستجابة لنقطة تهديد والقضاء على مشاة العدو وهم في حالة اضطراب وتغطية انسحاب المشاة والمدفعية. نادراً ما يحقق جيش يفتقد إلى سلاح الفرسان نصراً عظيماً، وينسحب بصعوبة بالغة.

يعتمد الوقت المناسب وطريقة إرسال الفرسان إلى العمل على أفكار القائد الأعلى وخطة المعركة وحركات العدو وآلاف الظروف الأخرى التي لا يمكن ذكرها هنا. لا أستطيع أن أتطرق إلا إلى المواضيع الرئيسية التي يجب مراعاتها عند استخدامها.

يتفق الجميع على أن القيام بهجوم عام من سلاح الفرسان ضد خط في حالة جيدة فرص نجاحه قليل، إلا إذا كان السلاح مسنوداً من المشاة والمدفعية. في واترلو دفع الفرنسيون ثمناً باهظاً لانتهاكهم هذه القاعدة. وسلاح فرسان فريدريك الكبير لم يكن أفضل في كونيرسدورف[402] Kunnersdorf. قد يشعر القائد أحياناً أنه مضطر لدفع فرسانه إلى الأمام بمفردهم، ولكن عادةً ما يكون أفضل وقت للانقضاض على خط من المشاة هو عندما يكون مشتبكاً بالفعل مع قوات المشاة المقابلة. تثبت ذلك معاركُ مارينغو وايلاو وبورودينو ومعارك أخرى.

هناك حالة واحدة يحقق فيها سلاح الفرسان تفوقاً حاسماً للغاية على المشاة، وهي عند سقوط الأمطار أو الثلوج واسترطاب سلاح المشاة وعندها لا يستطيعون إطلاق النار. حدث ذلك لفيلق أوجيرو التعيس في إيلاو Eylau، وكذلك لميسرة النمساويين في دريسدن Dresden.

يمكن تحقيق انقضاض ناجح على المشاة لدى صدمهم بنيران مدفعية كثيفة أو بأي وسيلة أخرى. وقد قام سلاح الفرسان البروسي في هوهينفريدبيرغ Hohenfriedberg في عام 1745 بانقضاض رائع من هذا النوع. ولا يمكن أن تنجح الانقضاضات ضد مربعات المشاة المتماسكة والمنتظمة بشكل جيد.

يتم توجيه الانقضاض العام لسلاح الفرسان للاستيلاء على بطاريات المدفعية وتمكين المشاة من أخذ الموقع بسهولة أكبر؛ ولكن يجب أن يكون المشاة قريبين لإسناد سلاح الفرسان، لأن

[402] معركة كونيرسدورف هي معركة وقعت بين الجيشين الروسي والبروسي ضمن سلسلة العمليات العسكرية التي قام بها التحالف النمساوي الفرنسي الروسي ضد التحالف البريطاني البروسي في إطار حرب السنوات السبع ,جرت المعركة في 12\أغسطس\1759 على بعد ستين ميلاً من العاصمة البروسية برلين ,وتعتبر واحدة من أكبر معارك حرب السنوات السبع، حيث التقى جيش روسي مكون من 68 ألف جندي يقودهم الجنرال ألكسندر سالتيكوف بالجيش البروسي المكون من 48 ألف جندي تحت قيادة الملك البروسي فردريك العظيم , في الوقت الذي زحف فيه الروس إلى برلين لإنهاء الحرب، بينما كان فردريك قد بلغ أقصى درجات تحمله مع نفاد إمكانياته البشرية والمادية التي أنهكتها الحملات من ثلاث قوى عظمى من الشرق والجنوب والغرب، وكان يحاول يائساً الدفاع عن عاصمته، لكنه تكبد هزيمة ثقيلة بخسارته لعشرين ألفاً ما بين قتيل وأسير، واضطر للهرب بعد إدراكه أن الاستمرار في القتال لا فائدة منه وتوسل قادته وضباطه إليه لينجو بنفسه، بعد أن أبدى شجاعة منقطعة النظير في القتال، حتى أن ثلاثة احصنة تحته اصيبت بطلقات نارية، وكاد هو نفسه أن يُقتل لولا أن علبة ذهبية كان يحتفظ بها في جيب الصدر أنقذته.

طبيعة تأثير هذه الانقضاضات خاطفة فقط، ويجب الاستفادة منها قبل أن يتمكن العدو من القيام بهجوم مضاد على الخيالة المبعثرة. إن الانقضاض الرائع للفرنسيين في غوسا في معركة لايبزش في 16 أكتوبر هي مثال جيد من هذا النوع. الانقضاض الذي نُفِذ في واترلو بنفس الهدف كان رائعاً، لكنه فشل بسبب عدم إسناده. إن الانقضاض الجريء لخيالة ناي الضعيفة على مدفعية الأمير هوهينلوه في جينا هي مثال لما يمكن حدوثه في مثل هذه الظروف.

كما يتم توجيه انقضاضات عامة ضد فرسان العدو، لدفعهم خارج ميدان المعركة والعودة للعمل بحرية أكبر ضد مشاته. وقد يتم توجيه الخيالة بنجاح ضد الجناح أو مؤخرة خط العدو في لحظة تعرضه للهجوم من الأمام من قبل المشاة. إذا تم صدها فإنها تعود عدْواً لتتحشد عند الجيش، وإذا نجحت فإنها قد تؤدي إلى هلاك جيش العدو. نادراً ما يتم تطبيق هكذا عمل، لكنني لا أرى سبباً يجعلها غير ناجحة وجيدة. لا يمكن قطع مجموعات فرسان حسنة الأداء حتى لو كانت في مؤخرة العدو. هذا أنسب واجب يتم تكليف سلاح الفرسان الخفيف به بالتحديد.

في الدفاع قد ينتج الفرسان أيضا نتائج قيّمة جداً من خلال انقضاضات انتهازية نحو مجموعات العدو المشتبكة مع الخط المقابل وإما كسره أو على دفعه الى شفير الانهيار. قد يستعيد التفوق، ويغير الوضع لصالح الجيش، ويتسبب في تدمير عدو في حالة فوضى. وقد ثبت ذلك في إيلاو Eylau حيث قام الروس بتوجيه انقضاض جيد، وفي واترلو Waterloo من قبل الفرسان الإنجليز. قد يتقدم سلاح الفرسان الخاص بفيلق لينتهز فرصة، إما للتعاون في هجوم مشترك، أو للاستفادة من حركة خاطئة للعدو، أو لهزيمته بالضغط عليه أثناء انسحابه.

ليس من السهل تحديد أفضل طريقة للهجوم، حيث أنها تعتمد على الهدف الموجود وظروف أخرى. لا يوجد سوى أربع طرق للانقضاض وهي: في أرتال، وفي خطوط عند الهرولة، وفي الخطوط عند العَدْو، وفي نظام مفتوح (مناوشات)، يمكن استخدام كل منها بنجاح. الرماح مفيدة جداً عند الانقضاض في خط. بينما في المبارزات فالسيف الضالع (Saber)

أفضل بكثير، ومن هنا تأتي فكرة إعطاء الرمح للصف الأمامي، الذي يقوم بالاختراق الأول، وإعطاء السيف الضالع إلى الصف الثاني، حيث تنتهي المواجهة عادة في قتال فردي. قليلاً ما تُستخدَم المسدسات إلا في المخافر الأمامية، أو في الغارات لجمع المؤن، أو عندما يرغب سلاح الفرسان الخفيف في إزعاج المشاة ودفعه لإطلاق النيران قبل الانقضاض. لا أعرف استخداماً نافعاً للكاربين carbine (البنادق القصيرة). حيث يجب أن تتوقف مجموعة الفرسان المسلح بها ليطلقوا النيران بدقة، وعندئذ يكونون عرضة لهجوم العدو. هناك عدد قليل من الرماة الماهرين المناوشين الذين يستطيعون إطلاق النار بدقة ببندقية بينما هم على ظهور الخيل خلال الحركة السريعة.

لقد قلت للتو أن جميع أساليب الانقضاض قد تكون جيدة على حد سواء. لا يجب أن يُفهم على أية حال أن الاندفاع يمنح تفوقاً دائماً في تحقيق الصدمة لسلاح الفرسان ضد الفرسان، فالهرولة السريعة على العكس، تبدو لي أفضل مشية للانقضاضات في خط، لأن كل شيء يعتمد في مثل هذه الحالة على الانسجام في الحركة والنظام الجيد للحركة، تلك الأشياء لا يمكن تحقيقها عليها في العَدْو السريع للأحصنة. العَدْو هو الحل الصحيح ضد سلاح المدفعية عندما يكون من المهم قطع الأرض في أسرع وقت ممكن. وبطريقة مماثلة إذا كان سلاح الفرسان مسلحاً بالسيوف الضالعة، فقد يعدو من مسافة مائتي ياردة من خط العدو إذا كان يقف العدو بانتظام لتلقي الهجوم. ولكن إذا كان سلاح الفرسان مسلحاً بالرماح فإن الهرولة السريعة هي المشية الصحيحة، لأن الاستخدام المفيد لذلك السلاح يعتمد على الحفاظ على النظام الجيد، وفي المبارزة يكاد يكون الرمح عديم الفائدة.

إذا هرول العدو بسرعة، لا يبدو من الحكمة أن نعْدوَ اتجاهه؛ لأن الطرف الذي يعْدوا سيضطرب خطه أكثر، بينما الطرف المهرول لن يحدث له ذلك. الميزة الوحيدة من العدْو هو جرأته الظاهرة والأثر المعنوي الذي ينتجه. ولكن إذا قدر هذا الأمر بقيمته الحقيقية من قبل العدو، فمن المنطقي أن نتوقع أن تنتصر كتلته الثابتة والمنتظمة والمتماسكة على مجموعات الفرسان المسرعة بلا انتظام.

أثبت الأتراك والمماليك أهميةَ قليلة للاندفاع ضد المشاة؛ حيث لن تخترق الخيالة المكان الذي لن تستطيع فيه الخيالة الرماحة Lancers أو الخيالة المدرعة Cuirassiers المهرولتين الاختراق. فقط عندما يكون المشاة أكثر اضطراباً، أو نيرانهم متقطعة، يكون هناك ميزة في الاندفاع عدْواً على الهرولة الثابتة. يتطلب تحطيم المربعات المتماسكة مدافع وخيالة رماحة، أو أفضل من ذلك خيالة مدرعة cuirassiers مسلحة برماح. للانقضاضات بنظام مفتوح لا توجد نماذج أفضل للتقليد من الأتراك والقوزاق.

مهما كانت الطريقة التي يتم اعتمادها في الانقضاض، فإن واحدة من أفضل الطرق لاستخدام سلاح الفرسان هي توجيه العديد من الأسراب على مجنبات خط العدو الذي يتعرض للهجوم أيضاً من الأمام. لغرض تحقيق النجاح التام في هذه المناورة، خاصةً في الانقضاضات بسلاح الفرسان ضد الفرسان، يجب إجراؤها في اللحظة التي تتصادم فيها الخطوط. يضيع التأخير أو التبكير في هذا العمل لدقيقة نجاحَ هذه المناورة. لذلك فمن المهم للغاية أن يكون قائد سلاح الفرسان لديه بصيرة عسكرية سريعة وسليمة وبرودة أعصاب.

وقد جرت مناقشات كثيرة حول الطريقة الصحيحة لتسليح سلاح الفرسان وتنظيمه. إن الرماح هو أفضل سلاح للأغراض الهجومية عندما تقوم مجموعة من الفرسان بالانقضاض على شكل خط. لأنها تمكنهم من ضرب العدو الذي لا يستطيع الوصول إليهم؛ لكن من الإحكام الجيد للخطة أن تضع صفاً ثانياً أو احتياطياً مسلحاً بالسيوف الضالعة، والتي يسهل التعامل معها أكثر من الرماح في المبارزة عندما تختلط الصفوف. ربما لا يزال من الأفضل إسناد انقضاض الرماحين بمفرزة من الفرسان الخفيفة Hussars، الذين يمكنهم متابعة الانقضاض واختراق خط العدو واستكمال الانتصار.

الدرع الصدري البسيط cuirass هو أفضل درع دفاعي. يبدو لي أن الرمح والدرع الجلدي القوي المزدوج أفضل تسليح للسلاح الفرسان الخفيفة، والسيف والدرع الحديدي أفضل تسليح لسلاح الفرسان الثقيل. يميل بعض رجال الجيش من ذوي الخبرة حتى لتسليح الخيالة المدرعة cuirassiers برماح، معتقدين أن مثل هكذا فرسان يشبهون إلى حد كبير رجال المدرعين بالكامل في القديم، ومن شأنه أن يقضي على كل شيء أمامهم. من المؤكد أن

الرمح يناسبهم بشكل أفضل من المسكيت القصير؛ وأنا لا أرى لماذا لا ينبغي أن يكون لديهم رماح مثل تلك الخاصة بسلاح الفرسان الخفيف.

ستنقسم الآراء دائماً في قوات المشاة المحمولة على الخيول dragoons. من المؤكد أنه من المفيد امتلاك عدة كتائب من المشاة الراكبة، الذين يمكنهم تلقي العدو في الممرات الضيقة، أو الدفاع عنها في حالة التراجع، أو تمشيط الغابات، لكن جعل الشخص جندياً (من المشاة) وفارساً في آن واحد أمر صعب للغاية. ربما كان من المفترض أن يكون هذا النقاش قد انتهى بعد معرفة مصير الفرسان الفرنسيين عند القتال مشياً على الأقدام، حتى لو لم نعرف أن سلاح الفرسان التركي لم يقاتل بشكل جيد على الأقدام كقتاله على الخيول. لقد قيل إن أكبر خطأ ناتج عن استخدام المشاة المحمولين على الخيول هو حقيقة أنه يلزم في الصباح أن تخبرهم أن مربعات المشاة لا تستطيع مقاومة انقضاضاتهم، وفي الليل تخبرهم بتفوق المشاة الحاملين للمسكيت على أي خيالة في العالم. بدلاً من محاولة إقناع الجنود بمثل هذه التصريحات المتناقضة، سيكون منطقياً أكثر إخبارهم بأنه قد يتمكن الفرسان الشجعان من تحطيم مربعاً للمشاة، ومع ذلك قد يقاوم المشاة الشجعان هذا الانقضاض؛ لأن النصر لا يعتمد دائماً على تفوق السلاح ولكن على ألف عامل آخر، حيث شجاعة الجنود، وحضور أذهان القادة، وملاءمة المناورات، وتأثير المدفعية والنيران، والمطر –وحتى الطين– قد تكون أسباب هزائم أو انتصارات، وأخيراً فإن الجندي الشجاع سواء كان ماشياً على الأقدام أو راكباً سيكون دائماً أكثر من كفء لجبان. من خلال تلقين هذه الحقائق للمشاة المحمولين على الخيول، سيؤمنون بأنهم أفضل من خصومهم سواء كانوا يقاتلون مشياً على الأقدام أو على ظهور الخيل. هذا هو الحال مع الأتراك والشركس الذين غالباً ما يترجل فرسانهم للقتال سيراً على الأقدام في الغابات أو خلف ساتر، حاملين المسكيت في أيديهم مثل الجنود المشاة.

ومع ذلك فإن الأمر يتطلب جنود أقوياء وقادة كفوئين ليرفعوا معرفة الجنود في واجباتهم إلى هذا الحد من الكمال.

إن الاقتناع بما يمكن أن يحققه الرجال الشجعان، سواء أكانوا مشياً على الأقدام أو راكبين دفعت الإمبراطور نيكولاي (الأول) دون شك إلى جمع العدد الكبير من المشاة الراكبين من

أربعة عشر أو خمسة عشر ألف فارس في فيلق واحد، في حين أنه لم يعتبر من تجربة نابليون المؤسفة مع هذا الصنف من الخيالة الفرنسيين، ولم يتقيد بالحاجة في كثير من الأحيان إلى فوج من هذه القوات في أوقات معينة. من المحتمل أن يكون هذا التركيز غرضه تيسير توحيد تعليمات الرجال في واجباتهم كجنود مشاة وكفرسان راكبين، وفي الحرب يتم توزيعهم على الفرق الكبرى المختلفة للجيش. ومع ذلك لا يمكن إنكار أن الجنرال يكتسب مزايا كبيرة من قدرته على نقل عشرة آلاف جندي على ظهر الجياد بسرعة إلى نقطة حاسمة ويجلبهم للعمل كمشاة. وهكذا يبدو أن أساليب التركيز والتوزيع لها مزاياها وعيوبها. الوسيلة الحكيمة هي الوسط بين هذين النقيضين وهي أن نلحق فوجاً لكل جناح من الجيش ولحرس المقدمة، (أو لحرس المؤخرة في الانسحاب)، ثم توحيد القوات المتبقية من هذا السلاح في فرق أو فيالق.

كل ما قيل فيما يخص تشكيلات المشاة ينطبق على الفرسان مع التعديلات التالية:

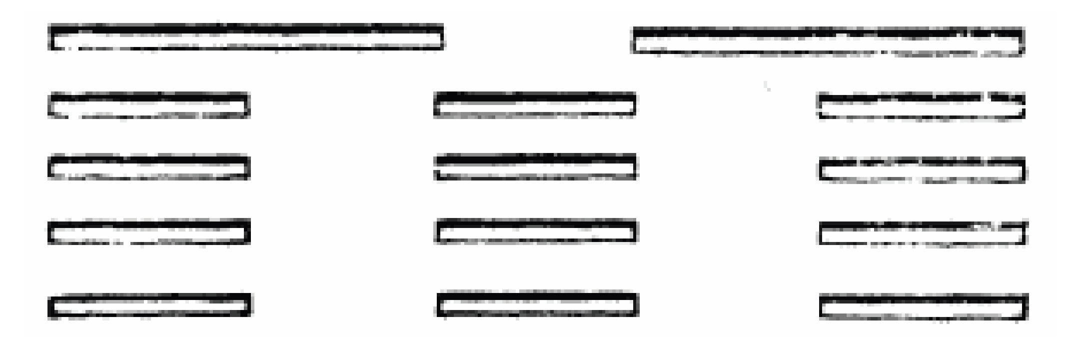
1. الخطوط المنشورة شطرنجياً أو بنسق درجي هي أفضل بكثير من نشر الفرسان في خطوط كاملة؛ في حين أن خطوط المشاة الشطرنجية مفككة للغاية، وستكون في خطر إذا ما نجح سلاح الفرسان في الاختراق والهجوم على كتائب المشاة من الأجناب. إن التشكيل الشطرنجي ليس مفيداً للمشاة إلا في الحركات التحضيرية قبل الوصول إلى العدو، أو لخطوط الأرتال الهجومية التي يمكنها الدفاع عن نفسها في كل اتجاه ضد الفرسان. وسواء تم استخدام خطوط شطرنجية أو خطوط كاملة فيجب أن تكون المسافة بينهما بحيث إذا تعرضوا للهجوم واضطربت صفوفهم فلا ينتقل للآخرين هذا الأمر. من الجيد ملاحظة أنه في الخطوط الشطرنجية قد تكون المسافة أقل من الخطوط الكاملة. على أية حال يجب ألا يكون الخط الثاني ممتلئاً. يجب أن يتم تشكيلها في أرتال من الفرق (المؤلفة من سريتين) أو على الأقل يجب ترك مساحات فارغة في الخط لسربين، بحيث يكونوا أرتالاً على طرف كل فوج، لتسهيل المرور عبر القوات التي تم احضارها.
2. عندما يتم استخدام نظام الأرتال الهجومية مزدوجة على القلب فيجب تشكيل سلاح الفرسان في أفواج والمشاة في كتائب فقط. يجب أن يحتوي الفوج على ستة أسراب، لكي

يتم تشكيل ثلاثة من خلال المضاعفة في القلب في فرق. إذا كان هناك أربعة أسراب فقط يمكن أن يكون هناك خطين فقط.

3. لا ينبغي أبدا تشكيل أرتال الفرسان الهجومية بشكل متراص مثل المشاة. ولكن يجب أن يكون هناك دائماً مسافة فاصلة بمقدار سرب أو نصف سرب، بحيث قد يكون لكل منهما مساحة للقيام بالاشتباك وإنهائه بشكل مستقل. سوف تكون هذه المسافة كبيرة جداً فقط لتلك القوات المشتبكة. عندما يكونون في وضع الراحة خلف خط المعركة قد يتم رصهم لتغطية مساحة أقل وتقليص المساحة التي يتم العبور عليها عند الشروع بعمل. يجب بالطبع أن تبقى الكتل خارج نطاق المدفع.
4. يُخشى من الهجوم على الأجناب بالفرسان أكثر مما هو عليه في قتال المشاة مع المشاة، يجب أن تتشكل عدة أسراب في أنساق من الفصائل على أجنحة خط سلاح الفرسان، على ميمنتها أو ميسرتها لملاقاة العدو القادم من هذا الاتجاه.
5. للسبب نفسه من المهم توجيه عدة أسراب ضد أجنحة خط سلاح الفرسان في وقت تعرضها للهجوم من الأمام. الفرسان غير النظامية جيدة جداً بمثل الفرسان النظامية لهذا الغرض، وربما تكون أفضل.
6. من المهم أيضاً خاصة في سلاح الفرسان أن يزيد القائد الأعلى من عمق (الطول) بدلاً امتداد (العرض) التشكيل. على سبيل المثال في فرقة تم نشرها من لواءين لن يكون وضع لواء في خط واحد خلف الآخر خطة جيدة، ولكن يجب أن يكون لكل لواء فوج واحد في الخط الأول وفوج آخر في الثاني. وبالتالي سيكون لكل وحدة من الخط احتياطياً خاصاً بها وراءها، وهي ميزة لا ينبغي اعتبارها تافهة؛ ففي الانقضاضات تتعاقب الأحداث بسرعة بحيث أنه من المستحيل لجنرال السيطرة على الأفواج المنتشرة.

باعتماد هذا الترتيب سيكون كل قائد لواء قادراً على تنظيم احتياطيه الخاص، وسيكون من الجيد الحصول على احتياطي عام للفرقة بأكملها. هذا التفكير يقودني إلى الاعتقاد بأن خمسة أفواج تكفي الفرقة. وقد يتم بعد ذلك توجيه الانقضاض بألوية مؤلفة من فوجين، حيث يبقى الفوج الخامس كاحتياطي عام خلف المركز. أو قد تشكل ثلاثة أفواج الخط واثنان قد يشكلان أرتال، واحد خلف كل جناح. أو قد يكون من الأفضل استخدام نظام مختلط ونشر

فوجين والحفاظ على الآخرين في أرتال. هذا ترتيب جيد، لأن الأفواج الثلاثة التي تشكلت في أرتال من الفرق – المؤلفة من سريتين- خلف المركز وأجنحة الخط تغطي هذه النقاط ويمكن أن يمر الخط الأول بسهولة إذا هُزِم (انظر الشكل 38).



الشكل 38: فرقة الخيالة من خمسة أفواج. يجب أن يكون الفرسان منشورين بنظام شطرنجي بدلاً من خطوط كاملة

7. يتم النظر في نقطتين أساسيتين بشكل عام لجميع مواجهات سلاح الفرسان ضد سلاح الفرسان. أحدهما هو أنه سيتم دفع الخط الأول عاجلاً أم آجلاً؛ لأنه حتى لو افترضنا أن انقضاضهم على الخط الأول كان ناجحاً تماماً، فمن المحتمل دائماً أن يجلب العدو أسراباً جديدة إلى القتال، ويتم دفع الخط الأول للتجمع خلف الخط الثاني. **النقطة الأخرى هي أنه مع وجود الجنود والقادة من الجانبين على قدم المساواة سيبقى النصر حليف الطرف المحتفظ باحتياطي حتى الرمق الأخير ليتم توجيهه على الجناح من خط العدو بينما جبهته مشتبكة.**

إن الانتباه إلى هذه الحقائق سيوصلنا إلى استنتاج سوي بشأن الطريقة الصحيحة لتشكيل كتلة كبيرة من سلاح الفرسان في المعركة.

مهما كان النظام الذي يتم تبنيه فيجب توخي الحذر لتجنب نشر فيالق سلاح الفرسان الكبيرة في خطوط كاملة؛ لأن مثل هذه الكتل لا يمكن السيطرة عليها، وإذا تم دفع الخط الأول فجأة في مسيرتها، فإن الثاني سيلحقه مباشرة، وذلك دون وجود فرصة لتوجيه ضربة، وقد ثبت ذلك عدة مرات. خذ على سبيل المثال الهجوم الذي قام به نانسوتي في أرتال من الأفواج على سلاح الفرسان البروسي المنتشر أمام شاتو تييري.

في مواجهة تشكيل الخيالة المتشكلة في خطين، لم أكن أنوي استبعاد استخدام عدة خطوط شطرنجية أو درجية، تشكيل احتياطات في أرتال. كنت أعني فقط عندما يتم تشكيل الخيالة في خطوط الواحدة خلف الأخرى (متوقعين أن تنقض) فإن الكتلة بأكملها ستقع في فوضى بمجرد انكسار الخط الأول وانسحابه[403].

أهمية المعنويات مع الفرسان أكثر من المشاة. إن البصيرة العسكرية ورباطة جأش القائد، وذكاء وشجاعة الجندي، سواء في الاشتباك أو عند التجمع في كثير من الأحيان وسيلة لضمان النصر أكثر من الاعتماد على هذا التشكيل أو ذاك. ومع ذلك عندما يتم تبني تشكيل جيد والمزايا المذكورة أعلاه موجودة أيضاً فإن النصر مضمون أكثر؛ ولا شيء يمكن أن يبرر استخدام تشكيل سيئ.

يجدد تاريخ الحروب بين 1812 و1815 الخلافات القديمة حول مسألة ما إذا كانت الفرسان النظامية سوف تحقق نتائج أفضل من الفرسان غير النظامية التي تتجنب جميع الاشتباكات الحاسمة، وتتراجع بسرعة العصابات وتعود إلى القتال بنفس السرعة، مع إنهاك قوة عدوها من خلال المناوشات المستمرة. رفض لويد هذا الرأي. ويبدو أن العديد من ملاحم القوزاق في الاشتباك مع الفرسان الفرنسيين الممتازين تؤكد رأيه. (عندما أتحدث عن سلاح الفرسان الفرنسي الممتاز، أشير إلى شجاعة اندفاعاتها، وليس إلى كمالها؛ لأنها لا تقارن بالفرسان الروسية أو الألمانية سواء في الفروسية أو التنظيم أو في رعاية الأحصنة). مع هذا لا نعني القول بأنه من الممكن لمجموعة من سلاح الفرسان الخفيف النظامية يتم نشرها كمناوشين أن تنجز بقدر ما ينجز القوزاق أو غيرهم من الفرسان غير النظامية. إنهم يكتسبون عادة الانتقال بطريقة غير منظمة على ما يبدو، بينما هم دائماً يوجهون جهودهم

[403] المؤلف: لدحض رأيي يستشهد م. فاغنر بمعركة الراميليز Ramillies حيث نجح مارلبورو Marlborough بانقضاض كبير من سلاح الفرسان في خطوط كاملة في ضرب خطوط الفرنسيين الشطرنجية. ما لم تكن ذاكرتي خدعتني فقد تم تشكيل فرسان الحلفاء في البداية من خطين شطرنجيين. لكن السبب الحقيقي لنجاح مارلبورو هو رؤيته أن فيليروي قد شل نصف جيشه بوضعه خلف أندركيرش وجيت، ونباهته الجيدة بسحب 38 سرب من هذا الجناح لتدعيم ميسرته، وبهذه الطريقة وفر ضعف عدد الفرسان الفرنسيين، والتف عليهم. لكنني أعترف بصراحة من تلقاء نفسي أنه قد يكون هناك استثناءات كثيرة لقاعدة لم أقم بوضعها بشكل أكثر كمالا من القواعد الأخرى المتعلقة بتكتيكات سلاح الفرسان. والتكتيكات متغيرة كتغير الأسلحة نفسها.

الفردية نحو هدف مشترك. لا يمكن للفرسان الأكثر خبرة أن يؤدوا مثل أداء القوزاق والشركس والأتراك، لأن قوة هؤلاء بالفطرة.

وقد أظهرت التجربة أن الانقضاضات غير النظامية قد تتسبب في هزيمة أقوى الفرسان في مناوشات صغيرة؛ لكنه ثَبتَ أيضاً أنه لا يمكن الاعتماد عليها في المعارك النظامية التي قد تحدد مصير الحرب. هذه الانقضاضات هي مكملات قيمة للهجوم في خط، ولكن لوحدها لا يمكن أن تؤدي إلى أي نتائج حاسمة.

من الحقائق السابقة نتعلم أنه من الأفضل دائماً أن نعطي سلاح الفرسان تنظيماً نظامياً، وأن نوفر لهم أسلحة طويلة، وفي نفس الوقت نوفر لسلاح الفرسان غير النظامي المسدسات والرماح والسيوف الضالعة.

بغض النظر عن النظام المتبع فمن المؤكد أن عدداً كبيراً من الفرسان سواء كانوا نظاميين أو غير نظاميين، يجب أن يكون لهم تأثير كبير في مجريات الحرب. قد يثيروا الرعب حتى أقصى مناطق العدو، ويمكنهم أن يستولوا على قوافله، ويمكنهم تطويق جيشه، وتهديد اتصالاته، ويمنعوا العدو من التنسيق في عملياته. باختصار إنها تكاد تنتج نفس نتائج الزيادة الكبيرة في عدد الجنود، مما يتسبب في مشاكل على الجبهة والأجنحة ومؤخرة الجيش، وينحدر بالقيادة إلى حالة الشك في حساباته.

لذلك فإن أي نظام سيكون نظاماً جيداً إذا كان يسمح بزيادة سلاح الفرسان في وقت الحرب من خلال إضافة ميليشيات. لأنهم بمساعدة بضعة أسراب نظامية قوية، يمكنهم أداء عملهم كغوار على أتم وجه. من المؤكد أن هذه الميليشيات لن تمتلك كل صفات تلك القبائل الرحل المولعة بالحروب والتي تعيش على ظهور خيولها وكأنهم فرسان بالفطرة. لكنهم يستطيعون بتدبير ما سد محلهم أحياناً. وفي هذا الصدد فإن روسيا أفضل حالاً من أي من جيرانها، وذلك بسبب عدد فرسانها وجودتهم لخيول سلالة الدون Don، وطبيعة الميليشيات غير النظامية التي يمكنها إحضارهم إلى الميدان في وقت قصير جداً.

قبل عشرين عاماً قدمت المعلومات التالية في الفصل الخامس والثلاثين من أطروحة العمليات العسكرية الكبرى عند الكتابة عن هذا الموضوع:

"إن المزايا الهائلة للقوزاق في الجيش الروسي لا تُقدَّر بثمن. هذه القوات الخفيفة التي لا تُذكر لها فائدة في عمليات الصدمة في المعارك الكبرى، (باستثناء الهجوم على الأجنحة) لها تأثير مريع في المطاردات وفي حرب الاستنزاف war of posts، إنها عقبة كأداء أمام تنفيذ خطط الجنرال، لأنه لا يمكن أبداً التأكد من وصول أوامره وتنفيذها، وقوافله دائماً في خطر، وعملياته غير مؤكدة، إذا لم يكن لدى الجيش سوى عدد قليل من أفواج الفرسان النصف نظاميين، فإن قيمتها الحقيقية لن تكون معروفة؛ ولكن عندما يرتفع عددهم إلى خمسة عشر ألفاً أو عشرين ألفاً فإن فائدتهم ستكون معروفة تماماً – خاصة في دولة لا يكون فيها السكان معادين لهم.

"عندما يكونون (الفرسان الغير نظاميين من العدو) في الجوار فيجب توفير مرافقة قوية مع كل قافلة للحماية منهم، ولا يمكن توقع أي حركة دون وجود عائق. ومن ثم أصبح يتطلب من فرسان الطرف الآخر جهداً غير عادي، والذي سرعان ما ينكسر من خلال التعب غير المعتاد. "قد يكون الفرسان الخفيف Hussar أو الرماحون، الذين تطوعوا في وقت اندلاع الحرب، قد يكونوا بنفس قيمة القوزاق، إذا زودوا جيداً بالضباط (وجهوا جيداً) ويتحركون بحرية من نقطة إلى أخرى".

لدى المجر وترانسلفانيا والكروات والنمسا موارد تمتلكها القليل من الدول الأخرى. بيد أن الخدمات التي تقدمها الميليشيات الراكبة أثبتت أن هذا النوع من سلاح الفرسان قد يكون مفيداً للغاية، هذا إلى جانب التخفيف عن الفرسان النظاميين من تلك الواجبات العرضية والإضافية التي يتعين القيام بها في جميع الجيوش، مثل تشكيل المرافقة والعمل كمبعوثين وحماية القوافل والخدمة في المخافر الأمامية ...الخ. قد تكون الفيالق المختلطة من سلاح الفرسان النظاميين والغير نظاميين أكثر فائدة في الواقع مما لو كانت مكونة بالكامل من الفرسان المنتظمين في خط، لأن الخوف من التضحية بفيلق من هذه الأخيرة غالباً ما يقوم

بتقييد جنرال من دفعهم إلى الأمام في عمليات جريئة، فيما لا يتردد في المخاطرة بغير النظاميين في مثل هذه العمليات، وإلا سيفقد فرص ممتازة لتحقيق نتائج عظيمة.

الموضوع السادس والأربعون: استخدام المدفعية

المدفعية هي سلاح كبير هجومي كان أم دفاعي على حد سواء. كسلاح هجومي يمكن لبطارية كبيرة تدار بشكل جيد أن تكسر خط العدو وإرباك صفوفه، وتمهيد الطريق للقوات التي ستقوم بالهجوم. وكسلاح دفاعي فإنه يضاعف مناعة الموقع، ليس فقط بسبب الضرر المادي الذي يلحقه بالعدو بينما هو على مسافة بعيدة وما يترتب على ذلك من تأثير معنوي على قواته، ولكن أيضاً من خلال زيادة خطر الاقتراب منه؛ وخاصة في نطاق القذائف المتشظية grapeshot. ليست المدفعية بأقل أهمية في الهجوم والدفاع عن الأماكن المحصنة (الحصون) أو المعسكرات المخندقة؛ لأنها واحدة من الثوابت الرئيسية في أنظمة التحصين الحديثة.

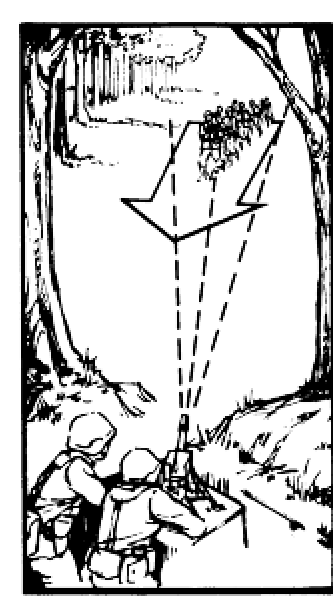
ذكرت في جزء سابق من هذا الكتاب بعض التوجيهات لتوزيع المدفعية في خط المعركة، ولكن من الصعب شرح الطريقة المناسبة بالتحديد لاستخدامها في المعركة نفسها. لن يكون من الصواب أن نقول إن المدفعية يمكن أن تتصرف بشكل مستقل عن الأسلحة الأخرى، لأنها بالأحرى ملحقة. على أية حال ففي معركة فاغرام Wagram وجه نابليون بطارية من مائة قطعة مدفعية في الثغرة التي خلَّفها انسحاب فيلق ماسينا، وبالتالي عرقل (ثبت) قلب النمساويين، على الرغم من جهودهم الجبارة للتقدم. كانت هذه حالة خاصة، ويجب ألا يحتذى بها في كثير من الأحيان.

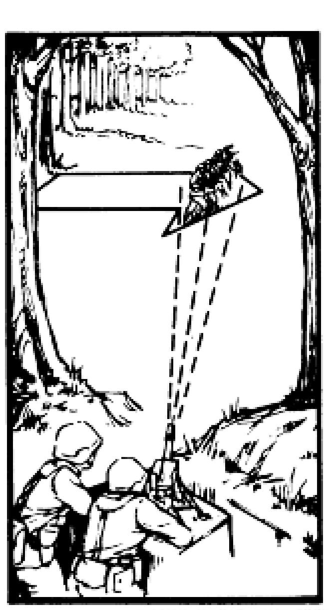
سأكتفي بوضع بعض القواعد الأساسية، مع ملاحظة أنها تشير إلى الحالة الراهنة لخدمات المدفعية في 1838. لم يتم بعد اختبار الاكتشافات الأخيرة بالكامل، سأقول القليل عنها.

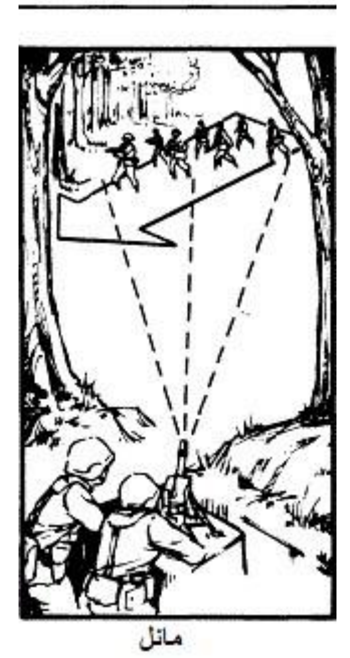
1. في الهجوم ينبغي لجزء معين من المدفعية أن تركز نارها على النقطة التي يجب ضربها ضربة حاسمة. أول فائدة لهذا هو تحطيم خط العدو، ومن ثم تساند بنيرانها هجوم المشاة والفرسان.

2. يجب أن تتبع عدة بطاريات من مدفعية الخيول الحركات الهجومية للأرتال الهجومية، بالإضافة إلى بطاريات يجرها الأفراد مخصصة لنفس الغرض. يجب ألا يتحرك عدد كبير من مدفعية الأفراد مع الأرتال الهجومية. قد يتم نشرها بحيث تتعاون مع الأرتال دون مرافقتها. عندما يتمكن رجال المدفعية من تحميل الصناديق، قد يكون لهم قدر أكبر من الحركة ويتقدموا إلى الأمام أكثر.
3. سبق أن قيل إن نصف مدفعية الخيول ينبغي الاحتفاظ بها كاحتياط، وأنه قد يتم نقلها بسرعة إلى أي نقطة مطلوبة[404]. لهذا الغرض يجب وضعها على الأرض بشكل أكثر انفتاحاً، حيث يمكنها التحرك بسهولة في كل اتجاه. لقد أشرت بالفعل لأفضل المواقع للمدفعية الثقيلة.
4. ينبغي للبطاريات أياً كان توزيعها العام على طول الخط الدفاعي أن توجه انتباهها على وجه الخصوص إلى النقاط التي من الراجح أن يقترب منها العدو، نظراً لسهولة العبور عن طريقها أو التفوق التي تمنحه. لذا يجب على قائد المدفعية أن يعرف النقاط الاستراتيجية والتكتيكية الحاسمة في ميدان المعركة، بالإضافة إلى طوبوغرافية المساحة الكاملة التي تحتلها. سيتم تنظيم توزيع احتياطيات المدفعية من قبل هذه الأمور.
5. إن المدفعية الموضوعة على مستوى الأرض أو الأرض المنحدرة برفق إلى الأمام هي الأفضل لإطلاق النار برمايات مباشرة أو النيران المرتدة. النيران المتقاطعة هي الأفضل.
6. ينبغي أن يوضع في الاعتبار أن المهمة الرئيسية لجميع قطع المدفعية في المعارك هي التغلب على قوات العدو، وعدم الرد على بطارياتهم. ومع ذلك فمن المفيد في كثير من الأحيان إطلاق النار على بطارياتهم، من أجل جذب نيرانهم. يمكن تخصيص ثلث المدفعية المستعملة في هذا الواجب، ولكن يجب أن يتم توجيه الثلثين على الأقل ضد مشاة وفرسان العدو.
7. إذا تقدم العدو منتشراً في خط فيجب أن تحاول البطاريات إيصال النيران من أجل ضرب الخطوط بشكل مائل. يجب وضع المدافع بوضع يضرب الخطوط على طولها enfilade لإحداث تأثير حاسم إذا كان من الممكن ذلك.

[404] المؤلف: يتم الآن إعطاء قدر أكبر من الحركة إلى المدفعية من خلال ركوب الجنود على الصناديق.







مائل

8. عندما يتقدم العدو في أرتال فمن المستحسن ضربه من الأمام. ومن المفيد أيضاً مهاجمته بشكل مائل، وخاصة في الجناح والخلف. لا يمكن تخيل التأثير المعنوي للنيران الخلفية على مجموعة من الجنود؛ فحتى أفضل الجنود عادة يهربون في هذه الحالة. تم تحييد الحركة الدقيقة لـ Ney على بريتيتز Preititz في باوتزن Bautzen بواسطة بضع قطع من مدفعية كليست Kleist، والتي هجمت على أرتاله من أجنابها، وعرقلتهم، ودفعت المارشال لأن ينحرف عن الاتجاه الممتاز الذي كان يسعى إليه. قد تؤدي بعض

القطع من المدفعية الخفيفة، التي تم وضعها على جناح العدو في وجه الأخطار إلى نتائج مهمة للغاية، مما يرجح كفة منافعها على مخاطرها.

9. يجب أن يكون للبطاريات دائماً إسناداً من المشاة أو الفرسان، وخاصة على أجنابها. قد تحدث الحالات التي ننحرف فيها عن هذه القاعدة: معركة فاغرام Wagram هي مثال رائع جداً على ذلك.

10. من المهم جداً أن يحافظ المدفعيون على رباطة جأشهم لدى تهديدهم من قبل فرسان العدو. يجب أن يطلقوا النار لأول مرة بالكرات المدفعية Shot، ومن ثم بالقذائف المدفعية Shell، ومن ثم بالقذائف المتشظية Grape، لأطول فترة ممكنة. يجب أن تشكل قوات المشاة المساندة في مثل هذه الحالة المربعات في الجوار لإيواء الخيول، وعند الضرورة المدفعيين. عندما يتم وضع المشاة خلف قطع المدفعية فإن أفضل المربعات الكبيرة ذات الحجم الكافي لاحتواء ما يجب أن تغطيه، ولكن عندما يكون المشاة على جانبي المدفعية تكون المربعات الأصغر أفضل. قد تكون بطاريات الصواريخ أيضاً فعالة جداً في تخويف خيول العدو.

11. عندما يهدد مشاة العدو المدفعية فعلى الأخير أن يواصل إطلاق النار حتى اللحظة الأخيرة، مع الحرص على عدم إطلاق النار قبل الأوان. يمكن دائماً تأمين المدفعيين من هجوم المشاة إذا كانت البطارية مسنودة بشكل صحيح. هنا حالة للتعاون بين الأسلحة الثلاثة، أنه إذا استطاعت المدفعية نشر الفوضى في صفوف مشاة العدو، فإن الهجوم المشترك عليه بواسطة سلاح الفرسان والمشاة سيتسبب في تدميره.

12. اختلفت نسب المدفعية في الحروب المختلفة. احتل نابليون ايطاليا في عام 1800 بأربعين أو خمسين قطعة مدفعية. في عام 1812 غزا روسيا بألف قطعة مجهزة تجهيزاً كاملاً، وفشلت الحملة. تظهر هذه الحقائق أن أي قاعدة ثابتة حول هذا الموضوع غير مقبولة. عادة ما يتم السماح بثلاث قطع مدفعية لكل ألف محارب. لكن هذا السماح يعتمد على الظروف.

نسب المدفعية الثقيلة والخفيفة تتفاوت بشكل كبير أيضاً. إنه لخطأ كبير أن يكون لدينا الكثير من المدفعية الثقيلة، التي تكون قدرتها على الحركة أقل بكثير من المدفعية

الخفيفة. قدم نابليون بعد معركة إيلاو دليلاً رائعاً على الأهمية الكبيرة لوجود سلاح مدفعي قوي. إن الدمار الكبير بين قواته بسبب مدافع الروس الكثيرة فتح عينيه على ضرورة زيادة المدافع الخاصة به. بحيوية باهرة أعد جميع مخزون المدفعية البروسية للعمل تلك الموجودة على طول نهر الراين وحتى في ميتز لزيادة عدد قطعه، ولصب مدافع جديدة من أجل تمكينه من استخدام الذخائر التي غنمها سابقاً. في غضون ثلاثة أشهر ضاعف عتاد مدفعيته والعاملين عليها على مسافة ألف ميل من حدوده الخاصة، وهو إنجاز لا مثيل له في تاريخ الحرب.

13. من أكثر الوسائل تفوقاً في استخدام المدفعية هو تنصيب قائد جيد تكتيكياً واستراتيجياً في آن واحد عليها. يجب أن يُؤذن لهذا القائد بتنظيم ليس فقط المدفعية الاحتياطية، ولكن أيضاً نصف القطع التابعة لمختلف الفيالق أو الفرق في الجيش. يجب عليه أيضاً التشاور مع القائد العام بشأن لحظة تركيز كتلة (الجزء الأكبر من) مدفعيته ومكان هذا التركيز من أجل المساهمة إلى أقصى حد في كسب المعركة، ويجب ألا يتحمل مطلقاً مسؤولية حشد مدفعيته بدون أوامر سابقة من القائد العام.

الموضوع السابع والأربعون: الاستخدام المشترك للأسلحة الثلاثة

ولإنهاء هذه الخلاصة بطريقة مناسبة، ينبغي أن أتكلم عن الاستخدام المشترك للأسلحة الثلاثة، ولكنني مقيد عن ذلك من خلال النظر في مجموعة كبيرة ومتنوعة من النقاط الضرورية للتطرق إليها إذا كان ينبغي على محاولة إجراء فحص لجميع العمليات التفصيلية التي قد تنشأ في تطبيق القواعد العامة الموضوعة لكل سلاح.

لقد عالج العديد من المؤلفين – معظمهم من الألمان – هذا الموضوع على نطاق واسع للغاية، وكانت كتاباتهم قيّمة أساساً لأنها تتكون بشكل رئيسي من اقتباسات من أمثلة عديدة مأخوذة من الاشتباكات البسيطة التي وقعت في الحروب الأخيرة. هذه الأمثلة يجب أن تحل محل القواعد، حيث أثبتت التجربة أنه لا يمكن وضع قواعد ثابتة حول هذا الموضوع. **من نافلة القول التذكير بأن قائد مجموعة من القوات المكونة من الأسلحة الثلاثة يجب أن يستخدمهم كي يقدموا الإسناد والمساعدة المتبادلين.** غير أن هذه هي القاعدة الأساسية

الوحيدة التي يمكن تحديدها، لأن محاولة أن تضع لكل قائد وصفاً لمسار السلوك الخاص به في كل الحالات التي قد تنشأ والتي قد تتنوع بشكل لا متناه، ستدخله في متاهة معقدة من التعليمات. وبما أن هدف هذ الخلاصة وحدودها لا تسمح لي بالدخول في النظر في مثل هذه التفاصيل، لا يمكنني إلا أن أحيل القراء إلى أفضل الكتابات عن هذه الأمور.

لقد قلت كل ما يمكنني قوله بشكل صحيح عندما نصحت بأن يتم نشر الأسلحة المختلفة بما يتفق مع طبيعة الأرض، ووفقاً للهدف المطلوب والخطط المفترضة للعدو، وأنها تستخدم بشكل متزامن بأفضل طريقة تناسبهم، مع الحرص على تمكينهم من تقديم الإسناد المتبادل. إن دراسة متأنية لأحداث الحروب السابقة وخاصة في ممارسة العمليات الحربية ستعطي للضباط أفكاراً صحيحة حول هذه النقاط، والقدرة على استخدام معرفته بخصائص الأسلحة الثلاثة في الوقت والمكان المناسبين، سواء كل على حدة أو مجتمعة.

الخلاصة

إنني مقيد في تلخيص الحقائق الأساسية التي يمكن اعتبارها أساسية في الحرب. الحرب في مجموعها ليست علماً، بل فناً. الاستراتيجية على وجه الخصوص يمكن تنظيمها بالفعل من خلال قوانين ثابتة تشبه تلك الخاصة بالعلوم القطعية، لكن هذا لا ينطبق على الحرب ككل. من بين أشياء أخرى التي قد تُذكَر هي بأن المعارك غالباً ما تكون مستقلة تماماً عن التراكيب العلمية، وقد تصبح العناصر المتحكمة في جوهرها دراماتيكية وصفات شخصية والهامات وأشياء أخرى كثيرة في كثير من الأحيان. العواطف التي تحرض الكتل المتصادمة، وميولها الحربية، وطاقة وموهبة قادتهم، والروح، وبشكل ما العتاد، للأمم والأجيال[405] – في كلمة واحدة هو كل شيء يمكن أن يطلق عليه الشعر واللاماديات في الحرب، سيكون لها تأثير دائم على نتائجها.

هل سَيُفهم مني أنني أقول بأنه لا توجد أشياء مثل القواعد التكتيكية، وأنه لا يمكن لأي نظرية تكتيكات أن تكون مفيدة؟ من هو العسكري الذي من الذكاء بحيث يخطئ بمثل هذا السخف؟ هل علينا أن نتخيل أن يوجين ومارلبورو قد انتصروا ببساطة بالإلهام أو بشجاعة فائقة وانضباط كتائبهم؟ أم نجد في مناورات تورينو وبلينهايم ورامبليز تشبه تلك التي حدثت في تالافيرا أو واترلو أو يينا أو أوسترليتز، والتي كانت أسباب الانتصار في كل حالة؟ عندما يكون تطبيق القاعدة وما يترتب عليها من مناورة قد حقق النصر لمئات المرات للجنرالات الماهرين، وكان دائماً لصالحهم الاحتمال الكبير المتمثل في الوصول إلى النجاح، فهل فشلهم العرضي يكون سبباً كافياً لإنكار قيمة هذا القواعد بالكامل وعدم الثقة بها؟ هل تصبح النظرية سخيفة لأنها حققت النجاح بنسبة ثلاثة أرباع في محاولات تطبيقها؟

إن معنويات الجيش وضباطه لها تأثير على مصير الحرب. ويبدو أن هذا يرجع إلى تأثير مادي معين ناتج عن السبب المعنوي. على سبيل المثال: فإن الهجوم المتهور على خط للأعداء بعشرين ألف جندي شجاع متحمسين لقضيتهم سيخلق تأثيراً أقوى بكثير من هجوم أربعين ألف رجل محبطين أو غير مبالين بهذا الأمر.

---

[405] المثل الإسباني المعروف، كان شجاعا يوما ما، ينطبق على الأمم فضلا عن الأفراد. الفرنسيين في معركة روسباخ لم يكونوا نفس الأشخاص في جينا، ولا البروسيين في برينتزلو نفسهم في دينيويتز.

لقد ذكرنا بأن الاستراتيجية هي فن جلب الجزء الأكبر من قوات الجيش نحو النقطة الهامة من ساحة الحرب أو منطقة العمليات.

التكتيكات هي فن استخدام هذه الكتل في النقاط التي تؤدي إليها المسيرات المنظمة، بمعنى آخر هو فن التنفيذ في اللحظة الحاسمة والنقطة الحاسمة من ساحة المعركة. عندما تفكر هذه الكتل في الهروب أكثر من تفكيرها بالقتال؛ لا يمكن أن أسميها كتل بالاصطلاح الذي أعنيه.

إن الجنرال المتمكن من نظريات الحروب، ولكن لا يملك البصيرة العسكرية ورباطة الجأش والمهارة، يستطيع أن يضع خطة استراتيجية ممتازة، ولكن في نفس الوقت لا يستطيع أبداً أن يطبق القواعد التكتيكية في وجود العدو، حيث لن تُنفذ مشاريعه بنجاح واحتمالية هزيمته واردة. إذا كان رجلاً مميز الصفات فيستطيع تقليل التأثيرات الضارة لفشله، ولكن إذا فقد فطنته فسيخسر جيشه.

من جهة أخرى نفس الجنرال قد يكون تكتيكياً واستراتيجياً ناجحاً، وقد يُعد جميع الترتيبات لكسب النصر. في هذه الحالة إذا قام جنوده وضباطه بأداء متوسط فمن المحتمل أن يحقق نصراً حاسماً. على أية حال إذا لم تمتلك قواته الانضباط ولا الشجاعة وكان ضباطه يحسدونه ويخادعونه[406]، فمن المرجح أن آماله الجميلة ستتلاشى وتراكيبه الباهرة لن تعدو تأثيراتها إلا تقليل الكوارث الحتمية لهزيمته.

لا يوجد نظام للتكتيكات ممكن أن يؤدي للنصر عندما تنهار معنويات الجيش وحتى عندما تكون المعنويات عالية فإن النصر يعتمد على بعض الحوادث مثل انهيار الجسور فوق نهر الدانوب في إسلنغ. لا يحدث النصر أو الهزيمة بالضرورة نتيجة التمسك الصارم بطريقة لتشكيل القوات في المعركة أو رفض هذه الطريقة.

يجب ألا تؤدي هذه الحقائق إلى نتيجة مفادها أنه لا يمكن أن تكون هناك قواعد سليمة في الحرب، حيث أن مراعاتها مع تساوي الفرص ستؤدي إلى النجاح. صحيح أن النظريات لا

[406] المؤلف: إن السلوك الغير كفء للضباط المرؤوسين الغير قادرين على فهم ميزة المناورة التي أُمِر بها، والذي سيرتكب أخطاء فادحة في تنفيذه، قد ينتج نفس النتيجة التي تسببت في فشل خطط قائد ممتاز.

تستطيع تعليم الرجال بدقة رياضية ما يجب عليهم فعله في كل حالة ممكنة، ولكن من المؤكد أيضاً أنها ستشير دائماً إلى الأخطاء التي يجب تجنبها، وهذا اعتبار ذو أهمية كبيرة، وبالتالي تصبح هذه القواعد في أيدي جنرالات ماهرين يقودون جنوداً شجعان وسائل نجاح شبه مؤكد.

لا يمكن إنكار صحة هذا الكلام. ويبقى فقط أن نكون قادرين على التمييز بين القواعد الجيدة والسيئة. تتألف هذه القدرة من كامل عبقرية الجنرال في الحرب. غير أن هناك مبادئ رائدة تساعد في الحصول على هذه القدرة. سيكون كل حُكم يتعلق بالحرب جيّداً إذا كان يشير إلى توظيف الجزء الأكبر من وسائل العمل في اللحظة الحاسمة والمكان الحاسم. في الفصل الثالث حددت جميع التراكيب الاستراتيجية التي تؤدي إلى مثل هذه النتيجة. فيما يتعلق بالتكتيكات فإن الشيء الرئيسي الذي يجب فعله هو اختيار نظام المعركة الأكثر ملاءمة بالنسبة للهدف. عندما نأخذ بعين الاعتبار حركة الكتل في الميدان قد تكون الوسيلة لاستخدامها هي انقضاض سلاح الفرسان بشكل مناسب، أو وضع بطارية قوية في موقع وكشفها في اللحظة المناسبة، أو رتل للمشاة في مسيرة حثيثة، أو فرقة منشورة بثبات ورسوخ تصب نيرانها على الأعداء، أو قد تتألف من مناورات تكتيكية لتهديد مؤخرة العدو أو أجنابه، أو أي مناورة محسوبة تزعزع أمن العدو. كل من هذه الأشياء قد تكون في حالة معينة سبب النصر. إن تحديد الوسيلة المفضلة لكل حالة أمر مستحيل.

إذا رغب جنرال في النجاح في دوره في مجريات الكبرى للحرب، فإن المهمة الأولى هي دراسة مسرح العمليات بدقة، بحيث يرى بوضوح المزايا والمشاكل النسبية التي تقدمها له ولأعدائه. بتنفيذ ذلك سيستطيع الجنرال إعداد قاعدة العمليات بوضوح، ومن ثم اختيار منطقة العمليات الأنسب لجهوده الرئيسية، وللقيام بذلك يُبقي في ذهنه دائماً مبادئ فن الحرب المتعلقة بخطوط العمليات وجبهاتها. يجب أن يسعى جيش الهجوم بالتحديد لقطع جيش عدوه بمهارة من خلال اختيار نقاط الأهداف للمناورة، ومن ثم سيتولى بعد ذلك في المبادرات المقبلة الاستيلاء على النقاط الجغرافية المهمة نوعاً ما، بالاعتماد على نجاحاته الأولى.

يسعى الجيش الدفاعي على العكس من ذلك بكل الوسائل إلى تحييد الحركة الأمامية الأولى لخصومه، وإطالة عملياته لأطول فترة مع عدم تعريض الدولة للخطر، وتأجيل المعركة الحاسمة حتى الوقت الذي يتم فيه استنفاد جزء من قوات العدو نتيجة الإجهاد، أو بعثرة قواته ولغرض احتلال المقاطعات، وحماية الأماكن المحصنة، وتغطية الحصار، وحماية خط العمليات والمستودعات ...الخ.

حتى هذه النقطة كل شيء يتعلق بالخطة الأولية للعمليات، لكن لا توجد خطة مضمونة دائماً لما ستكون عليه طبيعة الصدام الأولي ومآلها. إذا تم اختيار خطوط العمليات الخاصة بك بمهارة وتم إخفاء تحركاتك بشكل جيد، ومن ناحية أخرى إذا كان عدوك يقوم بحركات خاطئة تسمح لك بالهجوم على أجزاء من جيشه المبعثرة، ربما ستنتجح في حملتك دون خوض معارك ضارية، وذلك باستخدام مزاياك الاستراتيجية فقط. ولكن إذا بدا الطرفان متساويين في وقت النزاع، فسوف ينتج عن ذلك واحدة من تلك المآسي الهائلة مثل بورودينو وفاغرام وواترلو وباوتسن ودرسدن، حيث مبادئ التكتيكات الكبرى كما هو مبين في الفصل الخاص بهذا الموضوع يكون لها تأثير قوي.

بعد قراءة هذا الكتاب ودراسة التاريخ التفصيلي والصحيح لحملات أسياد فن الحرب العظماء، إذا كان بعض العسكريين المتحاملون ما زالوا يؤكدون أنه ليس للحرب مبادئ ولا قواعد، فلا يمكنني إلا أن أشفق عليهم وأن أرد عليهم بكلمات فريدريك الشهيرة بأن "البغل الذي قام بعشرين حملة في عهد الأمير يوجين لن يكون تكتيكاً أفضل مما كان في البداية".

النظريات الصحيحة التي تستند إلى المبادئ الصحيحة التي تدعمها الأحداث الفعلية للحروب وتضاف إلى التاريخ العسكري الدقيق، ستشكل مدرسة حقيقية لتعليم الجنرالات. إذا كانت هذه الوسائل لا تنتج رجالاً عظماء فإنها على الأقل ستنتج جنرالات من ذوي المهارات الكافية للحصول على المرتبة التالية بعد أسياد فن الحرب بالفطرة.

الملحق



ملحق

احتوى ملخصي لفن الحرب (الذي نُشر عام 1836، للمساعدة في التعليم العسكري لوريث الدوق الأكبر الروسي) على مقال ختامي لم يُطبع أبداً. أرى أنه من الملائم أن أضعه الآن على شكل ملحق، وأضيف مادة خاصة عن وسائل الحصول على بصيرة عسكرية استراتيجية سريعة ومعينة (مضمونة).

من الضروري أن يفهم قارئ الموجز الخاص بي بوضوح أنه في العلوم العسكرية، كما هو الحال في كل شيء آخر، فإن دراسة التفاصيل سهلة بالنسبة للقائد الذي تعلم كيفية تحصيل السمات الأساسية. أنا على وشك محاولة تطوير الكلام عن هذه العناصر من الفن، وينبغي أن يسعى قرائي إلى فهمها بشكل واضح وتطبيقها بشكل صحيح.

أكرر أن نظريتي في التراكيب الكبرى للحرب هي في حد ذاتها بسيطة للغاية، ولا تتطلب أكثر من ذكاء عادي ودراسة متأنية. على الرغم من بساطتها، فإن العديد من الرجال العسكريين المتعلمين يجدون صعوبة في استيعابها بشكل كامل. تتجه عقولهم إلى التفاصيل الإضافية، بدلاً من تثبيت الأسباب الأولى، ويقطعون شوطاً طويلاً في البحث عما هو في متناولهم لو وعوا ذلك.

يجب أن يكون هناك شيئين مختلفين جداً في الرجل لجعله جنرالاً: يجب أن يعرف كيفية وضع خطة عمليات جيدة (التخطيط)، وكيفية قيادتها إلى نهاية ناجحة (التنفيذ). قد تكون أولى هاتين الموهبتين موهبة طبيعية، ولكن يمكن الحصول عليها وتطويرها من خلال الدراسة. والثانية تعتمد أكثر على طبيعة الفرد، بل هي سمة شخصية، ولا يمكن إنشاؤها عن طريق الدراسة على الرغم من أنه يمكن تحسينها.

من الضروري بشكل خاص أن يملك الملك أو رئيس الحكومة أولى هذه المواهب، لأنه في مثل هذه الحالة مع أنه قد لا يمتلك القدرة على التنفيذ، إلّا أنه بإمكانه أن يضع خطط العمليات ويقرر بشكل صحيح فيما يتعلق بميزات أو عيوب الخطط المقدمة إليه من قبل الآخرين. وبذلك فهو ممكَّن من تقدير قدرة جنرالاته بشكل صحيح، وعندما يجد جنرال يضع

خطة جيدة (خطة تنفيذية)، ولديه الحزم ورباطة الجأش، فيمكنه الوثوق بمثل هذا في قيادة جيش.

من ناحية أخرى، إذا كان رئيس الدولة رجل يتمتع بقدرة تنفيذية، ولكنه لا يمتلك القدرة على تنظيم تراكيب عسكرية ذكية، فمن المرجح أن يرتكب جميع الأخطاء التي ميزت حملات العديد من المحاربين الذين ميزتهم شجاعتهم فقط دون أن تتحسن على الإطلاق عن طريق الدراسة.

من المبادئ التي وضعتها، ومن تطبيقاتها على العديد من الحملات الشهيرة، سوف يرى قرائي أن نظرية (علم) التراكيب الكبرى في الحرب يمكن تلخيصها في الحقائق التالية.

يتألف علم الاستراتيجية في المقام الأول من معرفة كيفية اختيار مسرح حرب بشكل جيد وتقدير تلك التي لدى العدو بشكل صحيح. للقيام بذلك يجب على الجنرال أن يعود نفسه لاتخاذ قرار بشأن أهمية النقاط الحاسمة، وهي ليست مسألة صعبة عندما يستعين بالتلميحات التي قدمتها حول هذا الموضوع، خاصة في المواضيع من الثامن عشر إلى الثاني والعشرين.

يتألف الفن بعد ذلك من توظيف الجنود على مسرح العمليات، سواء كان هجومياً أم دفاعياً. (أنظر الموضوع السابع عشر). يجب أن ينظم استخدامَ القوات مبدآن أساسيان:

الأول: هو تحقيق التفوق من خلال الحركات الحرة والسريعة لتوجيه كتلة القوات ضد أجزاء العدو.

الثاني: هو الضرب في أكثر الاتجاهات حسماً، وهذا يعني الاتجاه الذي يجعل هزيمة العدو أكثر كارثية، بينما في نفس الوقت لن يحقق العدو إذا انتصر فيه أي مزايا كبيرة.

يتمثل العلم الكامل للتراكيب العسكرية الكبرى في هاتين الحقيقتين الأساسيتين. لذلك فإن جميع الحركات المتباعدة أو الممتدة أكثر من تلك الخاصة بالعدو ستكون أخطاء خطيرة. وكذلك يُعتبر احتلال موقع بعيد أكثر من اللازم خطأً كبيراً، أو إرسال مفرزة كبيرة بلا داعٍ. على العكس من ذلك سيكون كل نظام عمليات متصل بشكل جيد أمراً جيداً. كذلك تُعتبَر

الخطوط الاستراتيجية المركزية أمراً جيداً، وكل موقع استراتيجي أقل امتداد من تلك التي للعدو.

تطبيق هذه المبادئ الأساسية هو أيضاً أمرٌ بسيطٌ جداً. إذا كان لديك مائة كتيبة ضد عدد مساو من كتائب العدو، يمكنك بتحريكهم وبأخذ المبادرة إحضار ثمانين منهم إلى النقطة الحاسمة بينما تستخدم العشرين المتبقية لمراقبة وخداع نصف جيش العدو. سيكون لديك ثمانون كتيبة مقابل خمسون في النقطة التي سيجري فيها القتال الهام. سوف تصل إلى هذه النقطة من خلال المسيرات الحثيثة أو الخطوط الداخلية أو عن طريق حركة عامة باتجاه أحد طرفي خط العدو. لقد أشرت إلى الحالات التي تكون فيها إحدى هذه الوسائل أو غيرها هي المفضلة (انظر الفصل الثالث في مبادئ خطوط العمليات).

في ترتيب خطة العمليات من المهم أن نتذكر "أن المسرح الاستراتيجي وكذلك كل موقع يشغله جيش له قلب وطرفان". عادة ما يكون المسرح ثلاث مناطق: الميمنة والميسرة والقلب. عند اختيار منطقة عمليات اختر واحدة تمتاز بما يلي:

1. من شأنها أن توفر قاعدة آمنة ومفيدة (متفوقة).
2. تعرضك لأقل قدر من المخاطر، في حين يكون العدو أكثر عرضة للإصابة.
3. الأخذ في الاعتبار الأوضاع السابقة للطرفين.
4. الأخذ في الاعتبار ترتيبات واستعدادات القوى التي تقع أراضيها بالقرب من مسرح الحرب.

واحدة من المناطق الثلاث ستكون دائماً سيئة أو خطيرة، في حين أن الاثنتين الأخريين ستكونان أكثر ملاءمة أو أقل وفقاً للظروف.

بعد تحديد منطقة العمليات وقاعدة العمليات، يجب تحديد هدف المحاولات الأولى. وهذا هو اختيار هدف العمليات. هناك نوعان مختلفان للغاية من الأهداف:

الأول: يطلق عليهما الأهداف الإقليمية أو الجغرافية، يشيران ببساطة إلى خط دفاع العدو الذي نرغب في الحصول عليه، أو حصن أو معسكر مخندق.

أما الثاني: على العكس فهو تدمير قوات العدو أو بعثرتها، بغض النظر عن النقاط الجغرافية من أي نوع. كانت هذه هي الأهداف المفضلة لنابليون[407].

لا أستطيع أن أضيف شيئاً مفيداً إلى ما كتبت بالفعل حول هذه النقطة، وبما أن اختيار الهدف هو أهم شيء في خطة العمليات فإنني أوصي بكل الموضوع التاسع عشر.

الهدف الذي يتم تحديده سوف يتحرك الجيش باتجاهه بخط أو خطين من العمليات، مع الحرص على الالتزام بالمبدأ الأساسي المنصوص عليه، وتجنب الخطوط المزدوجة ما لم تكن طبيعة مسرح الحرب تفرض استخدامها، أو العدو أقل بكثير سواء في عدده أو نوعية قواته. الموضوع الحادي والعشرون يعالج هذا الموضوع بشكل كامل. إذا تم استخدام خطين جغرافيين، فمن الضروري تحريك الكتلة الضخمة من القوات على طول أهمها، واحتلال الخط الثانوي بمفارز بخطوط ذات اتجاه متراكز إن أمكن مع الكتلة الرئيسية للجيش.

إن الجيش في طريقه نحو الهدف قبل وصوله إلى أرض المعركة في ظل وجود العدو والدخول في معركة ضده، يحتل مواقع استراتيجية يومية أو مؤقتة: الجبهة التي تمسكها، أو التي قد يهاجمها العدو، هي جبهة العمليات. هناك اعتبار مهم فيما يخص اتجاه جبهة العمليات وتغييرها، والتي أسهبت في الكلام عنها في الموضوع العشرين.

يتطلب المبدأ الأساسي (حتى عندما تكون القوى عن الطرفين متساوية) أن تكون الجبهة أقل امتداداً من جبهة العدو، خاصة إذا ظلت الجبهة دون تغيير لبعض الوقت. إذا كانت مواقعك الاستراتيجية أكثر ترابطاً من مواقع العدو فيمكنك التركيز بسرعة أكبر وبسهولة أكبر منه، وبهذه الطريقة سيتم تطبيق المبدأ الأساسي. إذا كانت مواقعك داخلية ومركزيّة، لا يمكن للعدو أن يركز إلاّ بالمرور من كتلة فرقك الخاصة بك أو بالانتقال في دائرة حولها، فهو إذن في حالة غير قادرة على تطبيق المبدأ الأساسي، بينما أنت في أفضل ترتيب لتطبيق المبدأ.

ولكن إذا كنتَ ضعيفاً جداً وكان العدو قوياً جداً، فإن الموقع المركزي المحاط من جميع الأطراف من قبل قوى متفوقة في كل نقطة، لا يمكن الدفاع عنه ما لم تكن فرق العدو

[407] قد يكون الهدف سياسياً إلى حد ما، خاصة في حالات حروب التدخل في شؤون بلد آخر. لكنها بعد ذلك في الواقع تصبح جغرافية.

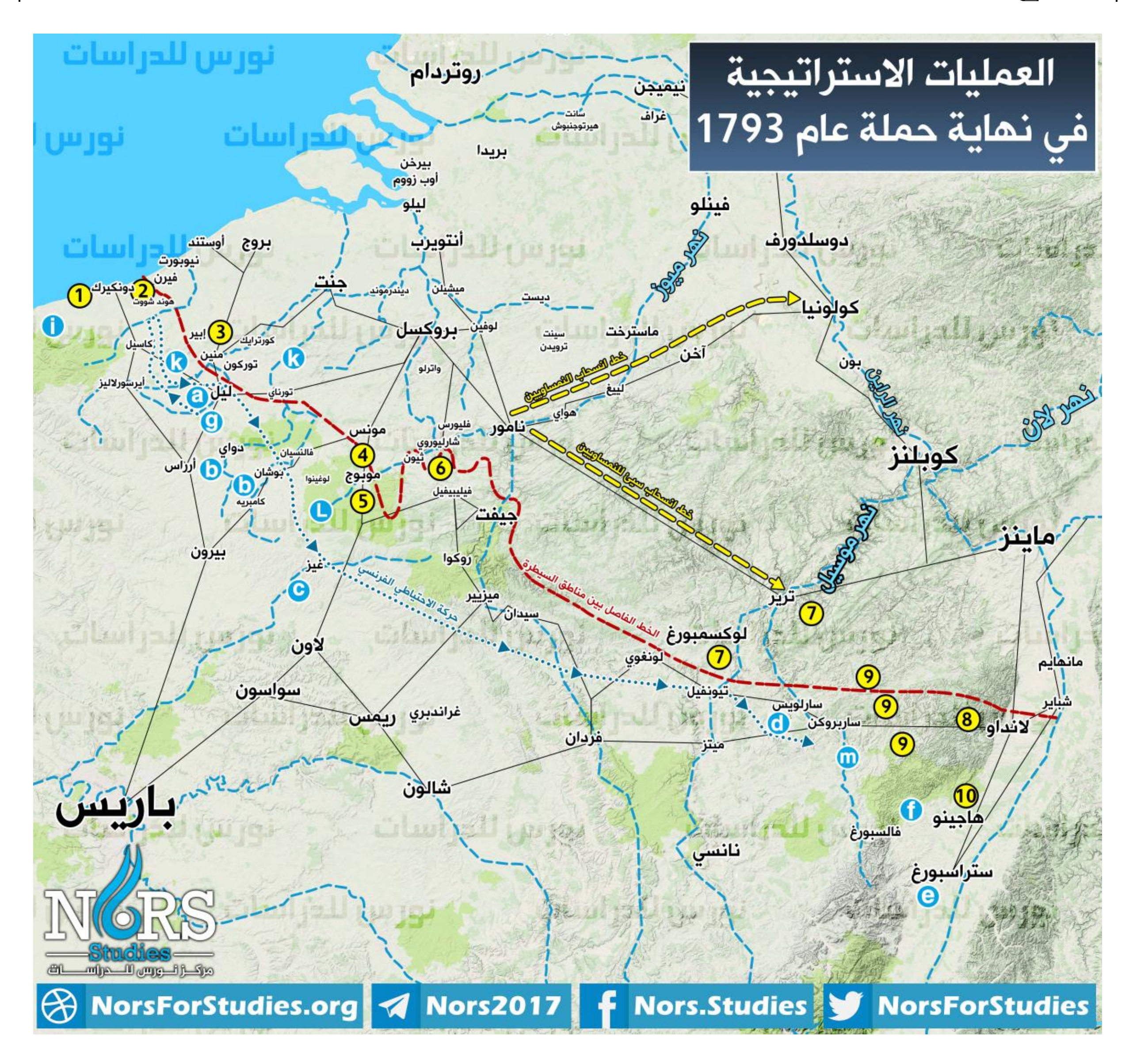
منفصلة جداً عن بعضها البعض، كما كان الحال مع جيوش الحلفاء في حرب السنوات السبع[408]. أو ما لم يكن لمنطقة القلب حاجز طبيعي على جانب أو جانبين من جوانبها، مثل نهر الراين أو نهر الدانوب أو جبال الألب، والتي من شأنها أن تمنع العدو من استخدام قواته في وقت واحد. في حالة النقص العددي الكبير مهما يكن فمن الحكمة المناورة على أحد الأطراف أكثر من قلب خط العدو، وخاصة إذا كانت كتلته قريبة بما فيه الكفاية لتكون خطرة بالنسبة لك.

وقد ذكر أعلاه أن هذه الاستراتيجية، إلى جانب الإشارة إلى النقاط الحاسمة لمسرح الحرب، تتطلب أمرين:

1. أن الكتلة الأساسية للقوة تتحرك ضد أجزاء من العدو، لمهاجمتها على التوالي.
2. يتم تبني أفضل اتجاه للحركة، أي أن يؤدي الاتجاه إلى النقاط الحاسمة المعروفة بالفعل مباشرة، وبعد ذلك عند نقاط ثانوية.

لتوضيح هذه المبادئ الاستراتيجية الثابتة، سأقدم خريطة لعمليات الفرنسيين في نهاية عام 1793.

[408] أفاد فريدريك الثاني من موقع بلاده المتوسطة بين أعدائه المحيطين به- النمسا وفرنسا وروسيا والسويد- فكا ن يتحرك بسرعة لضرب أدائه على التتابع؛ ودون أن يتيح فرصة للتجمع ضده مكتفيا بوضع قوات دفاعية في مواجهة كل قوة من القوى المعادية، وقيادة الكتلة الرئيسية من قواته لضرب الخصم الأكثر خطرا والأشد تهديدا، ثم الانتقال بعدئذ إلى الجبهة الثانية، مستفيدا من قدرته الحركية العالية، مستخدما لخطوط العمليات الداخلية، وفي تاريخنا العسكري الإسلامي طبق أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذا الأسلوب في حروب الردة، ناشرا 11 لواءً للتصدي لمختلف جموع الردة ليمنعها من التمدد، إلا أن القوة الرئيسية التي عملت على القضاء على كل قوة حسب خطورتها وأوليتها هي لواء خالد بن الوليد رضي الله عنه وذلك بعد أن يلحق كل لواء سبقه لتأخير كل عدو، فهجم خالد أولا على طليحة بن خويلد الأسدي وقضى عليه، وبعدها توجد لقتال مسيلمة الكذاب في اليمامة بعد أن ألحق به لوائي عكرمة وشرحبيل بن حسنة الذين سبقاه لقتال مسيلمة وعرقلة تحركاته.



نذكر بأن الحلفاء كان لديهم عشرة فيالق رئيسية على الحدود الفرنسية من نهر الراين إلى بحر الشمال:

- كان دوق يورك Duke of York يهاجم دونكيرك Dunkirk. (رقم 1.)
- كان المارشال فريتاغ[409] Freytag يغطي الحصار. (رقم 2.)
- احتل أمير أورانيا Orange موقعاً متوسطاً في مينين Menin. (رقم 3.)
- كان أمير كوبورغ Coburg مع الجيش الرئيسي يهاجم موبوج Maubeuge، وكان يحرس المساحة بين ذلك المكان ونهر سخيلده Scheldt بمفارز قوية. (رقم 4.)

---

[409] هنريج وليام فون فريتاغ Heinrich Wilhelm von Freytag (17 مارس 1720، 2 - يناير 1798) كان ضابطًا بروسيا في خدمة إمارة برونزويك-لونبورغ (هانوفر). قاد قوات الهانوفر تحت دوق يوريك في حملة فلاندرز عام 1793 ضد فرنسا.

- كان كلارفيت Clairfayt يغطي الحصار. (رقم 5.)
- كان بينجوسكي Benjouski يغطّي شارلورواCharleroi وميوز Meuse، باتجاه ثون Thuin وشارلوروا Charleroi، تم إعادة بناء تحصيناته. (رقم 6.)
- كان هناك فيلق آخر يغطي آردين Ardennes ولوكسمبورج. (رقم 7.)
- كان البروسيون يحاصرون لانداو Landau. (رقم 8.)
- كان دوق برونزويك Brunswick يغطي الحصار في جبال الفوج. (رقم 9.)
- كان الجنرال ورمسر Wurmser يراقب ستراسبورغ Strasbourg وجيش الراين (الفرنسي). (رقم 10.)

كان الفرنسيون – إلى جانب المفارز الموجودة أمام كل من الوحدات المعادية– خمسة كتل رئيسية في معسكرات ليلي Lille ودوي Douai وجيز Guise وسار لويس Sarre louis وستراسبورغ، (a, b, c ,d ,e) وكان من المفترض أن يتم توجيه قوات الاحتياط القوية (g) مؤلفة من أفضل القوات المسحوبة من معسكرات الحدود الشمالية، على جميع نقاط خط العدو على التوالي، بمساعدة القوات الموجودة بالفعل في الجوار (i ، k ، l ، m)

هذا الاحتياطي بمساعدة من فرق معسكر كاسيل بالقرب من دونكيرك، بدأت عملياتها عن طريق ضرب الفيلقين 1 و2 تحت دوق يورك؛ ثم للهولنديين (رقم 3) في مينين؛ بعد ذلك كلارفايت Clairfayt (5) أمام موبوج Maubeuge. أخيراً بالانضمام إلى جيش موزيل Moselle نحو سار لويس Sarre Louis، تغلب الفرنسيون على دوق برونزويك في جبال الفوج بمساعدة جيش الراين (f) دافعاً وورمسر من خطوط ويسيمبورغ Wissembourg.

من المؤكد أن المبدأ العام مطبق بشكل جيد، وستكون كل عملية مماثلة جديرة بالثناء. ولكن بينما كان النمساويين يشكلون نصف قوات التحالف، وكان لديهم خطوط انسحاب من النقاط 4 و5 و6 على نهر الراين، فمن الواضح أنه لو جمع الفرنسيون ثلاثة من فيالقهم الكبيرة من أجل تحريكها ضد بنجوسكي في ثوين (رقم 6)، ثم هجموا على ميسرة أمير كوبورغ على طريق شارلروا، لكانوا قد ألقوا بالجيش الإمبراطوري (النمساوي) على بحر الشمال، وكانوا ليحققوا نتائج هائلة.

اعتبرت لجنة السلامة العامة أنه من الأهمية بمكان ألا يُسمح لدونكيرك بأن تقع في أيدي الإنجليز. إلى جانب ذلك فمن الممكن قطع فيلق دوق يورك المخيم في الأراضي المنخفضة، ويلقيهم نحو البحر. وكانت الكتل الفرنسية التي نُظِمت لهذا الهدف في دواي Douai وليلي Lille وكاسل Cassel، لذلك كانت هناك أسباب وجيهة لبدء العمليات من خلال مهاجمة الإنجليز. فشل المشروع الرئيسي؛ لأن هوشارد Houchard لم يقدر الميزة الاستراتيجية التي كان يملكها، ولم يكن يعرف كيف يتصرف على خط الانسحاب للجيش الأنجلو–هانوفري. تم إعدامه على سبيل العقاب، على الرغم من أنه أنقذ دونكيرك. لكنه فشل في قطع خط إمداد الإنجليز كما كان من الممكن أن يفعل.

سوف نلاحظ أن حركة الاحتياطي الفرنسي هذه على طول الجبهة كانت السبب في خمسة انتصارات، لم يكن لأي منها نتائج حاسمة، لأن الهجمات كانت نحو الأمام، ولأنه عندما تم فك الحصار عن المدن، لم يتم اختراق جيوش الحلفاء، ولا نقل الاحتياطي الفرنسي إلى النقاط المختلفة بالتسلسل، ومن ثم لم يتم دفع أي من الانتصارات إلى عواقبها المتوقعة. لو أن الفرنسيون استندوا إلى المدن الخمس المحصنة على نهر ميوز، وجمعوا مائة ألف رجل بمسيرات جريئة وحثيثة، وهجموا على قلب تلك الفيالق المنفصلة، وسحقوا بنجوسكي، وهاجموا أمير كوبورغ على مؤخرته وتم ضربه ومطاردته بقوة كما فعل نابليون في راتسبون Ratisbon، وكما كان يرغب في القيام به في ليغني Ligny في عام 1815، لكانت النتيجة مختلفة تماماً.

لقد ذكرت هذا المثال لأنه يوضح بشكل جيد جداً النقطتين المهمتين اللتين ستتم مراعاتهما في الإدارة الاستراتيجية لكتل القوات؛ وهي توظيفهم في نقاط مختلفة بالتسلسل وعند نقاط حاسمة[410].

إن كل رجل عسكري متعلم سوف يُعجب بهذه الحقائق المستنبطة، وسوف يقتنع بأن تفوق (جودة) المناورات تعتمد على امتثاله للمبدأ الذي أصرينا عليه بالفعل. بمعنى أن الجزء

[410] المؤلف: تظهر العمليات المذكورة ميزة استخدام الكتل في النقطة الحاسمة، ليس لأنها حدثت في 1793، بل لأنها لم تحدث في عام 1793. لو كان نابليون في مكان كارنو لهجم بكل قوته على شارلروا، حيث كان يمكن أن يهاجم ميسرة أمير كوبورغ ويقطع خط انسحابه. قارن نتائج عمليات كارنو النصف ماهرة مع المناورات العبقرية في سانت برنارد وجينا وستقتنع.

الأكبر من القوة يجب أن يتم تحريكه ضد جناح واحد أو القلب، حسب موقع كتل العدو. من الأهمية بمكان في المعارك حساب المسافات بدقة أكبر، لأن نتائج الحركات في ميدان المعركة تتبعها بسرعة أكبر مما هي عليه في حالة المناورات الاستراتيجية، يجب اتخاذ كل الاحتياطات لتجنب تعرض أي جزء من الخط لهجوم خطير من العدو، خاصة إذا تم وضعه بشكل مرصوص. أضف إلى هذه الأشياء الهدوء أثناء العمل، والقدرة على اختيار المواقع للقيام بمعارك دفاعية يليها القيام بهجوم مضاد (الموضوع 30 عن المواقع والمعارك الدفاعية)، والعمل المتزامن للقوات في توجيه الضربة الحاسمة، (انظر النقاط الثمانية الأخيرة في نهاية الفصل الرابع) والقابلية على إثارة الجنود ودفعهم إلى الأمام في اللحظة المناسبة. وقد ذكرنا كل ما يمكن أن يساعد الجنرال على ضمان الانتصارات وما يجعل منه تكتيكياً ماهراً.

من السهل دائما تحديد النقطة الحاسمة في ميدان المعركة، ولكن ليس الأمر كذلك في تحديد اللحظة الحاسمة. وهنا بالضبط تكمن العبقرية والخبرة الكاملة، والتنظير هنا ذو قيمة قليلة.

من المهم أيضاً العناية بدراسة الموضوع الثاني والأربعين، الذي يشرح كيف يمكن للجنرال أن يضع عدداً من الفرضيات حول ما سيفعله العدو أو ما يمكنه القيام به، وفيما يتعلق بمسار العمل الذي سيتبعه الجنرال نفسه نحو هذه الفرضيات. قد يعوّد نفسه على ذلك ليكون مستعداً لأي احتمال.

يجب أن أسترعي الانتباه أيضاً إلى الموضوع الثامن والعشرين، عن المفارز الكبيرة. إنه شرٌ لا بد منه، وإذا لم يتم إدارتها بعناية كبيرة فقد تُدمر أفضل الجيوش. القواعد الأساسية حول هذه النقطة هي إنشاء أقل عدد ممكن من المفارز، لجعلها قابلة للتحرك بسهولة، وسحبها إلى الكتلة الرئيسية في أقرب وقت ممكن، وإعطاؤهم تعليمات جيدة لتجنب الكوارث.

ليس لدي ما أقوله بالنسبة للفصلين الأول والثاني حول السياسة العسكرية. لأنها ليست أكثر من مجرد خلاصة قصيرة لهذا الجزء من فن الحرب، والذي يتعلق بشكل أساسي بالسياسي، ولكن يجب أن يكون مفهوماً جيداً من قبل العسكريين. ومع ذلك أوجه على ضرورة التركيز

على الموضوع الرابع عشر، المتعلق بقيادة الجيوش أو باختيار الجنرالات، وهو موضوع يستحق أقصى درجات الاهتمام من جانب حكومة خبيرة. لأنه غالباً ما تعتمد عليه سلامة الأمة.

قد نكون واثقين من أن استراتيجياً جيداً سيكون رئيساً جيداً لأركان الجيش. ولكن القائد الأعلى للجيش يجب أن يكون رجلاً ذو صفات مُجرّبَة، ذو شخصية عظيمة وطاقة عالية. إن الجهد الموحد الذي يقوم به رجلان من هذا القبيل كقائد أعلى للقوات المسلحة ورئيس هيئة الأركان –عندما لا يكون هناك قائد بارز عظيم من الطراز الأولى– يمكن أن يسفر عن أكثر النتائج براعة.

ملحوظة

وسائل اكتساب بصيرة عسكرية استراتيجية جيدة

إن دراسة مبادئ الاستراتيجية لا يمكن أن تؤدي إلى نتائج عملية قيمة إذا لم نفعل شيئاً سوى إبقائها في ذكرى، ولا نحاول أبداً تطبيقها_بخريطة في متناول اليد على حروب افتراضية، أو إلى العمليات الرائعة التي يقوم بها قادة عسكريون كبار. من خلال مثل هذه التدريبات، يمكن الحصول على بصيرة عسكرية استراتيجية سريعة ومعينة، وهي السمة الأهم لجنرال جيد، وبدونها لا يمكنه أبداً أن يمارس أفضل النظريات في العالم.

عندما ينبهر عسكري –يتعلم هذا الفن– تماماً بالمزايا التي يتم تحقيقها عن طريق تحريك كتلة قوية ضد الأجزاء المتعاقبة من قوة العدو، وخصوصاً عندما يدرك أهمية توجيه الجهود المستمرة على النقاط الحاسمة في مسرح العمليات، سيرغب بطبيعة الحال أن يكون قادراً على إدراك هذه النقاط الحاسمة في لمحة بصر (البصيرة العسكرية). لقد ذكرت ذلك في الفصل الثالث (مبادئ الحرب الأساسية) من الكتاب، الوسائل البسيطة التي يمكن من خلالها الحصول على هذه المعرفة. **في الواقع هناك حقيقة واحدة من البساطة الرائعة التي تحصل في جميع تراكيب الحروب المنهجية (النظامية). هذه الحقيقة تقضي بأنه في كل**

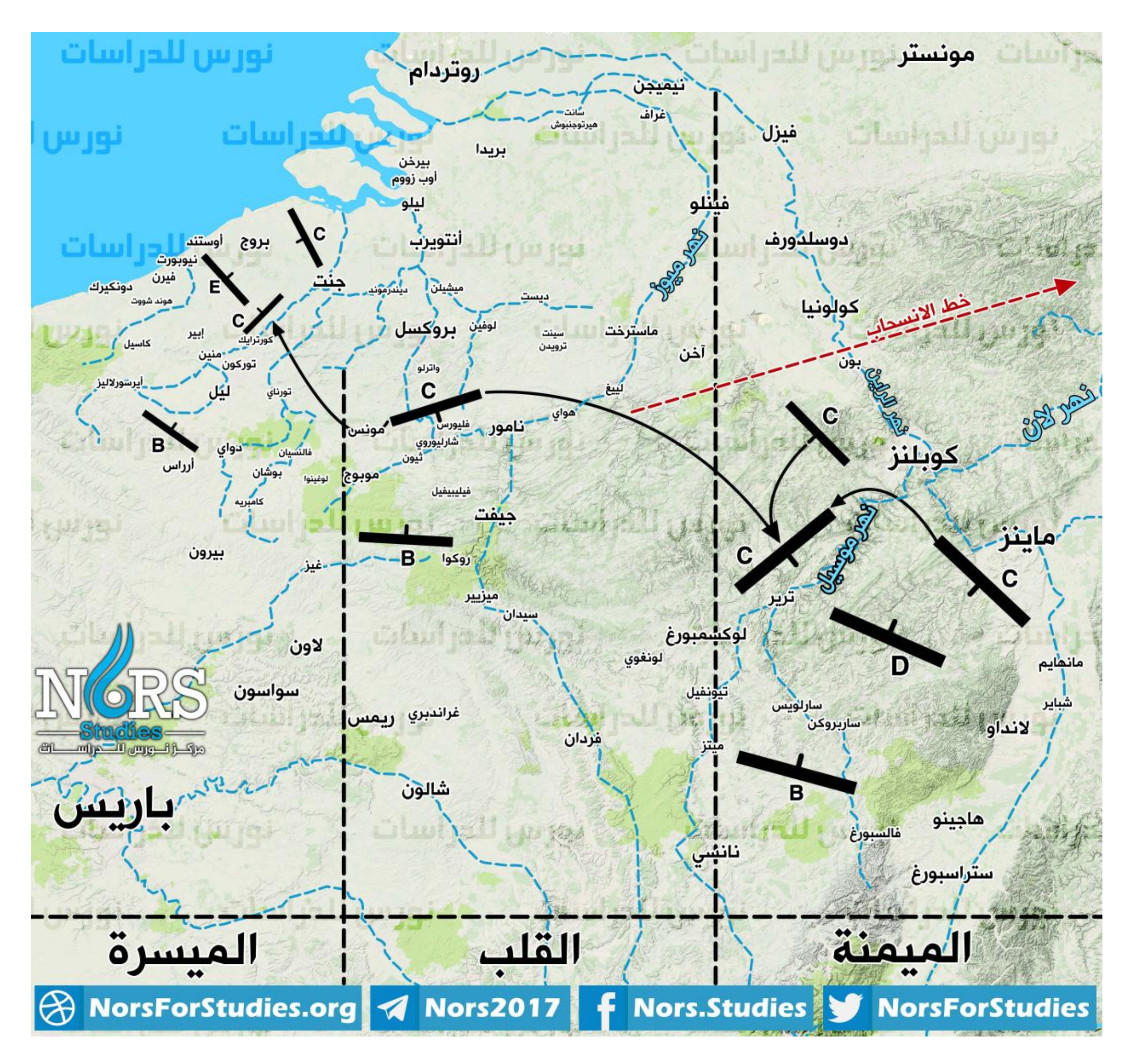
موقع قد يشغله الجنرال، عليه فقط أن يقرر ما إذا كان سيعمل نحو الميمنة أو الميسرة أو الأمام (القلب).

لكي نكون مقتنعين بصحة هذا الكلام، دعونا أولاً أن نأخذ مثالاً جنرالاً في مكتبه الخاص في مستهل الحرب. سيكون اهتمامه الأول هو في اختيار منطقة العمليات التي ستمنحه أكثر فرص للنجاح وأقلها خطورة في حالة هزيمته. بما أنه لا يوجد مسرح للعمليات يمكن أن يكون له أكثر من ثلاث مناطق (أي ميمنة أو من القلب أو ميسرة)، وكما هو الحال في المواضيع من 17 إلى 22 بالإشارة إلى طريقة إدراك مزايا ومخاطر هذه المناطق، فإن اختيار منطقة العمليات سيكون أمراً سهلاً.

وأخيراً عندما يختار الجنرال منطقة العمليات حيث يعمل فيها مع الجزء الرئيسي من قواته، وعندما يتم تثبيت هذه القوات في تلك المنطقة، سيكون للجيش جبهة عمليات نحو الجيش المعادي، الذي سيكون له جبهة أيضاً. الآن سيكون لكل من جبهات العمليات ميمنتها وميسرتها وقلبها. يبقى فقط إذن أن يقرر الجنرال أي من هذه الاتجاهات يمكنه به أن يؤذي العدو أكثر من غيره، لأن هذا سيكون دائماً الأفضل خاصة إذا استطاع التحرك عليها دون تعريض اتصالاته للخطر. لقد تناولت هذه النقطة أيضاً في الكتاب. أخيراً عندما يكون الجيشان متواجدين على أرض المعركة حيث يحدث الصدام الحاسم، ويكونان عند نقطة الضربات، سيكون لكل منهما ميمنة وميسرة وقلب. ويبقى على الجنرال أن يقرر ما بين هذه الاتجاهات الثلاثة للقيام بهجوم.

دعونا نأخذ كتوضيح للحقائق التي ذكرتها مسرح العمليات المشار إليه بين نهر الراين وبحر الشمال. (انظر الشكل 39).

على الرغم من أن هذا المسرح يقدم أربعة أقسام جغرافية: المسافة بين نهر الراين والموزيل، والتي بين موزيل وميوز، والتي بين ميوز وسخيلده، ووالتي بين النهر الأخير والبحر، مع ذلك فإن الجيش الذي قاعدته AA وجبهة عملياته BB سيكون له ثلاثة اتجاهات عامة للاختيار من بينها؛ فبالنسبة للقسمين في القلب سيشكلان منطقة وسط واحدة، وسيكون لها دائماً منطقة على اليمين وأخرى على اليسار.



الشكل 39

الجيش BB الذي يرغب في القيام بهجوم ضد الجيش CC، الذي كانت قاعدته الراين، سيكون له ثلاثة اتجاهات للعمل. إذا كانت المناورة من الطرف اليمين، نزولاً من نهر موزيل (نحو D)، فمن الواضح أنها ستهدد خط انسحاب العدو نحو نهر الراين. لكنه مع تركيز كتلة قواته نحو لوكسمبورغ قد يهجم على ميسرة جيش D ويجبره على تغيير الجبهة وخوض معركة بحيث مؤخرته نحو نهر الراين، مما يتسبب بتدميره بشدة إذا هُزِم (BB).

على العكس من ذلك إذا وجه جيش B أقصى جهده على الميسرة (نحو E) من أجل الاستفادة من مدن ليلي Lille وفالنسيا Valenciennes المحصنة بشدة، فسيتعرض

لمضايقات أكثر خطورة من ذي قبل. بالنسبة إلى جيش CC مركزاً قوته باتجاه Audenarde قد يقع على ميمنة B، ملتفاً على هذا الجناح في المعركة، ويدفعه اتجاه الأرض الغير سالكة باتجاه أنتويرب بين سخيلده Scheldt والبحر، ولن يبقى هناك إلا خياران للقيام به: إما الاستسلام بدون شروط، أو فتح طريق بالقوة من خلال العدو مع التضحية بنصف الجيش.

إذن يبدو من الواضح أن الميسرة ستكون أسوء بالنسبة للجيش B، وأن الميمنة غير ملائمة، وإن كانت مواتية إلى حد ما في وجهة نظر معينة. يبقى أن نعاين المنطقة الوسطى. يبدو أن هذه المنطقة تمتلك جميع المزايا المرغوبة، لأن الجيش B قد يحرك كتلة قواته نحو شارلروا بهدف قطع الجبهة الهائلة لعمليات العدو متغلباً على قلبه، ودافعاً ميمنته نحو أنتويرب وسخيلده السفلى، دون تعريض اتصالاته بشكل خطير.

عندما تتركز القوات بشكل رئيسي على المنطقة الأفضل، يجب أن يكون لها بالطبع اتجاه التحرك نحو جبهة العمليات للعدو التي تتوافق مع الهدف الرئيسي. على سبيل المثال إذا كنت تعمل من ميمنتك ضد ميسرة العدو، بقصد قطع الجزء الأكبر من جيشه عن قاعدته في الراين، يجب عليك بالتأكيد مواصلة العمل في نفس الاتجاه. لأنه إذا كان عليك بذل أقصى جهد ضد ميمنة جبهة عدوك، في حين كانت خطتك هي تحقيق التفوق على ميسرته، فإن عملياتك لا يمكن أن تنتج كما توقعت، بغض النظر عن مدى جودة تنفيذها. على العكس من ذلك إذا كنت قد قررت أن تستولي على ميسرة عدوك، بقصد دفع العدو نحو البحر، يجب عليك باستمرار المناورة بميمنتك من أجل تحقيق هدفك. لأنك إذا ناورت بميسرتك، فإنك أنت نفسك (لا العدو) ستكون الطرف الذي يتم دفعه نحو البحر في حالة هزيمتك.

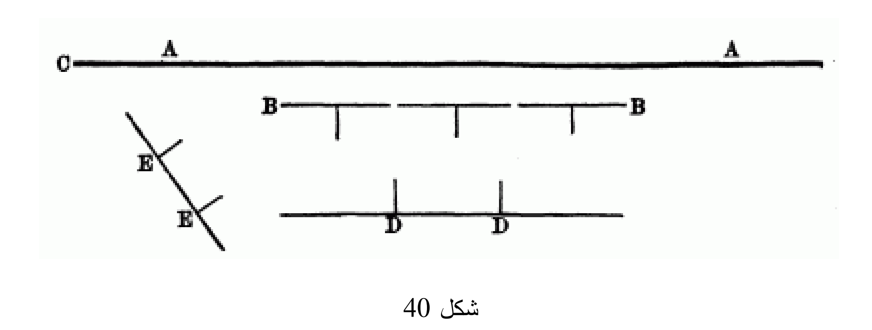
بتطبيق هذه الأفكار على مسارح حملات مارينغو Marengo وأولم Ulm وجينا Jena، نجد نفس المناطق الثلاث (الميمنة والميسرة والقلب) مع وجود اختلاف، وهو أنه في تلك الحملات لم يكن الاتجاه الوسطي هو الأفضل. في عام 1800 كان اتجاه الميسرة المؤدية مباشرة إلى الضفة اليسرى لنهر بو، على خط انسحاب ميلاس (النمساوي) Mélas هو

أفضل خيار. في عام 1805 كانت الميسرة هي التي قادت الطريق نحو أقصى ميمنة العدو وخط انسحاب ماك (النمساوي) Mack؛ بينما في عام 1806، كان بإمكان نابليون الوصول إلى خط انسحاب البروس عن طريق ميمنته، حيث تم إجبارهم على الانسحاب من بامبرغ نحو جيرا.

في عام 1800 كان على نابليون أن يختار بين خط العمليات نحو الميمنة، مما يؤدي إلى الشاطئ البحري نحو نيس Nice وسافونا Savona، بينما القلب يؤدي إلى مونت سينيس نحو تورينو، والميسرة تؤدي إلى خط اتصالات ميلاس Mélas، عن طريق سانت بيرنارد أو سيمبلون. كان الاتجاهان الأولان ليسا في صالح نابليون، وربما كانت الميمنة خطيرة للغاية، أو في الواقع أثبت ماسينا ذلك، حيث دفع إلى الوراء نحو جنوة على البحر وهناك حُوصِر. الاتجاه الحاسم كان من الواضح أنه هو الميسرة. لقد قلت ما يكفي لشرح أفكاري حول هذه النقطة.

المعارك موضوع أكثر تعقيداً إلى حد ما. لأن ترتيبات المعركة لها اعتبارات استراتيجية وتكتيكية يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار ويتم تنسيقها. يجب أن يكون لموقع المعركة، الذي يرتبط بالضرورة بخط الانسحاب وقاعدة العمليات، اتجاه استراتيجي محدد بشكل جيد، لكن هذا الاتجاه يجب أن يعتمد إلى حد ما على طبيعة الأرض ومواقع قوات الطرفين حتى الاشتباك، هذه هي الاعتبارات التكتيكية. على الرغم من أن الجيش عادة ما يتخذ مثل هذا الموقع لمعركة بحيث يحافظ على خط الانسحاب خلفه، فإنه في بعض الأحيان يكون مجبراً على أخذ موقع موازٍ لهذا الخط. في مثل هذه الحالة من الواضح أنه إذا هجمت بقوة ساحقة على الجناح الأقرب إلى خط الانسحاب، فقد يتم قطع العدو أو تدميره، أو على الأقل ليس لديه طريقه أخرى للهروب إلا بالاختراق من خلال خطك.

سأذكر هنا للتوضيح المعركة المشهورة ليوثن Leuthen في عام 1757، والتي شرحتها في تاريخ حروب فريدريك، وأيام لكراسنوي Krasnoi الشهيرة، في الانسحاب عن موسكو عام 1812.



شكل 40

يشرح الشكل المرفق (40) التراكيب في كراسنوي Krasnoi. الخط AA هو خط نابليون للتراجع نحو C. اتخذ نابليون الموقع BB لتغطية خطه. من الواضح أنه كان يجب على الكتلة الرئيسية لجيش كوتوزوف DD أن تنتقل إلى EE لكي تهاجم على ميمنة الفرنسيين، الذي كان من الممكن تدمير جيشهم (الفرنسيين) بالتأكيد إذا تم انتظارهم في C؛ لأن الجميع يعرف ما هي الحالة التي كان عليها الجيش حين كان على بعد 1500 ميلاً من قاعدته الحقيقية.

نفس التراكيب حدثت في جيمابيس Jemmapes، حيث كان من الممكن لدوموريز (الفرنسي) من خلال الالتفاف على ميسرة النمساويين، بدلاً من مهاجمة ميمنتهم، أن يقطعهم تماماً عن نهر الراين[411].

في معركة لوثين تغلب فريدريك الكبير على ميسرة النمساويين، حيث كان اتجاه خط الانسحاب. ولهذا السبب اضطرت ميمنتهم إلى اللجوء إلى بريسلاو Breslau، حيث استسلموا بعدها ببضعة أيام.

في مثل هذه الحالات لا يوجد سبب للتردد. النقطة الحاسمة هي جناح العدو الأقرب لخط الانسحاب، وهذا الخط يجب أن تستولي عليه بينما تحمي منطقتك.

عندما يكون للعدو خط أو خطين للانسحاب عمودياً على موقع المعركة وخلفه، سيكون من الأفضل بشكل عام مهاجمة القلب، أو ذلك الجناح حيث تكون عوائق الأرض هي الأقل مواتاة للدفاع. في مثل هذه الحالة فإن الاعتبار الأول هو كسب المعركة، دون النظر إلى

[411] كان دوموريز ينوي تنفيذ خطة تتمثل في القيام بتطويق مزدوج على الأجناب، إلا أن سوء التنسيق بين أجزاء قواته حصر نجاح الهجوم على ميمنة النمساويين، مما دفع النمساويون إلى انسحاب ميمنتهم وقلبهم تحت تغطية ميسرتهم.

التدمير الكامل للعدو. هذا يعتمد على القوة العددية النسبية ومعنويات الجيشين، وغيرها من الظروف مع الإشارة إلى أنه لا يمكن وضع قواعد ثابتة.

وأخيراً يحدث أحياناً أن ينجح الجيش في الاستيلاء على خط الانسحاب للعدو قبل خوض معركة، كما فعل نابليون في مارينغو وأولم وجينا. النقطة الحاسمة في مثل هذه الحالة تم تأمينها من خلال مسيرات ماهرة قبل القتال، يبقى فقط منع العدو من شق طريقه من خلال الخط الخاص بك. حينها لا يمكنك فعل شيء أفضل من خوض المعركة بنظام معركة متوازية، حيث لا يوجد أي سبب للمناورة ضد جناح واحد أكثر من الآخر. لكن بالنسبة للعدو الذي قُطِع عليه طريقه فإن الأمر مختلف للغاية. يجب عليه بالتأكيد أن يضرب بأقسى ما يمكن في اتجاه ذلك الجناح بأسرع ما يمكن أملاً في استعادة خط انسحابه الأصلي. وإذا ألقى كتلة قواته هناك، قد ينقذ جزءاً كبيراً منهم على الأقل. كل ما عليه القيام به هو تحديد ما إذا كان هذا الجهد الحاسم سيكون نحو الميمنة أو الميسرة.

من المناسب أن أشير إلى أن عبور نهر كبير في وجود جيش معاد هو في بعض الأحيان حالة استثنائية لا تنطبق عليها القواعد العامة. في هذه العمليات ذات الطابع الدقيق للغاية، فإن الشيء الأساسي هو الحفاظ على سلامة الجسور. إذا تم تنفيذ العبور فيجب على الجنرال أن يوجه كتلة قواته نحو اليمين أو اليسار بهدف الحصول على بعض النقاط الحاسمة، أو دفع عدوه إلى النهر، فيما لو كان العدو يجمع كل قواته في الاتجاه الآخر للاستيلاء على الجسور، فقد يكون جيشنا في حالة حرجة للغاية في حالة حدوث هزيمة له. في الواقع تعتبر معركة فاغرام أفضل مثال على ذلك. لقد تكلمت عن هذا الأمر في الموضوع السابع والثلاثون.

سينجح العسكري الذي يدرك بوضوح أهمية الحقائق التي تم ذكرها، في الحصول على بصيرة عسكرية سريعة ودقيقة. **علاوة على ذلك فمن المسلم به بأن الجنرال الذي يقدر قيمة البصيرة العسكرية الحقيقية، ويعود نفسه على استخدامها، إما بقراءة التاريخ العسكري، أو بمدارسة حالات افتراضية على الخرائط، نادراً ما سيقع في شك فيما يجب فعله في الحملات الحقيقية.** وحتى عندما يحاول عدوه القيام بحركات مفاجئة وغير متوقعة،

فإنه سيكون جاهزاً دائماً بتدابير مناسبة للتصدي لها، من خلال مراعاة دائماً لبعض المبادئ الأساسية البسيطة التي يجب أن تنظم جميع عمليات الحرب.

معاذ الله أن أقصد تقليل مكانة فن الحرب الرفيعة عن طريق تبسيطه إلى عناصر بسيطة كهذه! إنني أقدر تماماً الفرق بين مبادئ توجيه التراكيب المرتبة في هدوء غرفة القيادة، وبين الموهبة الخاصة التي لا غنى عنها للفرد الذي عليه مهمة – وسط ضجيج المعركة وإرباكها– المحافظة على مائة ألف جندي يتعاونون نحو تحقيق هدف واحد. أعلم جيداً كيف يجب أن تكون شخصية الجنرال وموهبته، هو ذلك الجنرال الذي يجب أن يحرك مثل هذه الكتل كرجل واحد، للهجوم بهم على النقطة المناسبة وفي الوقت المناسب بشكل متزامن، ويبقى يزود الجنود بالأسلحة والمؤن والملابس والذخائر. ومع أني أشرت إلى أن هذه الموهبة الخاصة لا غنى عنها، يجب التأكيد على صفة القدرة على إعطاء أفضل اتجاه للكتل نحو أفضل النقاط الاستراتيجية لمسرح العمليات على أنها السمة الأكثر تميزاً للقائد العظيم. كم من الجيوش الشجاعة تحت قيادة القادة الذين كانوا أيضاً شجعان وأصحاب قدرة تنفيذية، لم يخسروا فقط المعارك بل حتى إمبراطورياتهم، لأنهم تحركوا بشكل طائش في اتجاه واحد عندما كان يجب أن يذهبوا في الاتجاه الآخر! يمكن ذكر العديد من الأمثلة، ولكني سأشير فقط إلى ليغني Ligny وواترلوWaterloo وباوتسن Bautzen ودينويتز Dennewitz ولوثين Leuthen.

لأخلص نفسي مقدماً من اللوم الذي سيوجه إليّ بسبب إضفاء الكثير من الأهمية على تطبيق المبادئ القليلة المنصوص عليها في كتاباتي، سأكرر ما كنت الأول في إعلانه: "بأن الحرب ليست علماً دقيقاً، بل دراما مليئة بالعاطفة؛ وأن الصفات والمواهب المعنوية، والبصيرة التنفيذية والقدرة، وعظمة الشخصية، والقادة، والدوافع، والتعاطف، ومشاعر جماهير الجنود، لها تأثير كبير عليها". قد أكون مؤهلاً أيضاً بعد كتابة التاريخ التفصيلي لثلاثين حملة والمساعدة شخصياً في اثني عشر من أشهرهن، بالإعلان عن أنني لم أجد حالة واحدة حيث لم تطبق هذه المبادئ بشكل صحيح، ولم تؤد إلى النجاح.

بالنسبة إلى القدرة التنفيذية الخاصة والفكر الثاقب المتوازن الذي يميز الإنسان العملي عن الشخص الذي يعلم فقط ما يُعلِّمه الآخرون، أعترف أنه لا يوجد كتاب في الوجود يمكن أن يدخل هذه الأشياء في الرأس. لقد رأيت العديد من الجنرالات – وحتى المارشالات – اكتسبوا درجة معينة من السمعة عن طريق التحدث إلى حد كبير عن المبادئ التي تصوروها بشكل خاطئ من الناحية النظرية ولا يمكن تطبيقها على الإطلاق. لقد رأيت هؤلاء الرجال يعهّدون بالقيادة العليا للجيوش، ويضعون الخطط الأشد حماقة، لأنهم كانوا أبعد ما يكون عن الحكم السليم ويملؤهم الغرور المفرط. لم أكتب مؤلفاتي لمثل هؤلاء الأشخاص الضالين، ولكن رغبتي كانت لتسهيل دراسة فن الحرب للعقول المتأنية المستقصية، من خلال الإشارة إلى مبادئ توجيهية. بهذه النظرة كان لي الفضل بأني قدمت خدمات قيّمة للضباط الذين يرغبون حقاً في التميز في الحرب.

أخيراً، سأختتم هذه الخلاصة القصيرة بحقيقة أخيرة:

"**أهم صفة لازمة لنجاح رجل كقائد، هي الشجاعة الفائقة. عندما تحرك الجنرالَ الروحُ القتالية الحقيقية ويقدر على توصيلها إلى جنوده فقد يرتكب أخطاء، لكنه سيحقق الانتصارات والأمجاد والعظمة**".

انـتـهى

مركز نورس للدراسات